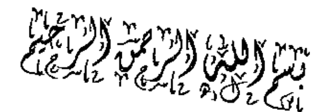

University of Aden
إصدارات جامعة عدن
عدن
دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية
٤٧٦-٦٢٧هـ/١٠٨٣-١٢٢٩م
أ.د. محمد كريم ابراهيم الشمري

عـــدن

دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية

٤٧٦-٦٢٧هـ/١٠٨٣-١٢٢٩م

تأليف
أ.د. محمد كريم إبراهيم الشمري
أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة عدن
كلية التربية / الجامعة المستنصرية - بغداد (سابقاً)



إصدارات جامعة عدن
WWW. Adenuniversity.edu.ye
E-mail: adenuniversity@y.net.ye

رقم الايداع في المكتبة الوطنية - عدن 365 لعام 2004
حقوق الطبع والنشر محفوظة، دار جامعة عدن للطباعة والنشر
الطبعة الأولى: مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصره، 1985
الطبعة الثانية ، 2004.

National Library Aden, No. 365/2004
Copyright. Aden University Printing and Publishing House,
2nd Edition, 2004



الجمهورية اليمنية . عدن . مدينة الشعب . ص . ب . 11016 ☎ 360087 - 360135
فاكس: 360701 (2 967+)
Fax (+9672) 360701 E-mail: unipress@y.net.ye
R. O. YEMEN. ADEN. MADINAT AL - SHAAB P. O. BOX 11016 ☎ 360087-360135

الإهداء

إلى والدين رحيمين

"اللهم أرحمهما كما ربياني صغيرا"

محمد




كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

رموز الرسالة

أ	:	اللوحة الأولى من ورقة المخطوط، مثلاً: (و ٢٠ أ).
ب	:	اللوحة الثانية من ورقة المخطوط، مثلاً: (و ٢٠ ب).
ت	:	توفي.
تح	:	تحقيق.
ت.د	:	توفي بعد.
ج	:	جزء.
خ	:	مخطوطة.
د.ت	:	بدون تاريخ الطبع.
س	:	السنة (بالنسبة للمجلات).
ص	:	صفحة.
ط	:	طبعة.
ع	:	العدد (بالنسبة للمجلات).
ق	:	قِسم.
مج	:	مجلد.
مط	:	مطبعة.
و	:	ورقة.
؟	:	مجهول.
ــــ	:	إذا ورد هذا الخط في الهامش فإن ما فوقه اسم مجلة.


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

محتويات الرسالة


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

تقديم

يسرني أن أقدم للقراء والكتاب والمثقفين والمتخصصين وهواة التاريخ العربي عموماً والتاريخ اليمني خصوصاً، الطبعة الثانية من الكتاب المعنون: "عدن/ دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية"، وهو رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي عن تاريخ القطر اليماني العربي الشقيق، في مرحلة تاريخية مهمة من العصور الإسلامية الوسيطة.

ركزت الدراسة على الدور الذي لعبته مدينة عدن، بوصفها ميناءً تجارياً مهماً منذ القِدم، في العلاقات بين بلاد اليمن والعالم من الناحيتين السياسية والاقتصادية، كما أوضحت طبيعة الصراع القائم بين القوى الحاكمة وقتذاك، محلية كانت أو دولية؛ للسيطرة على بلاد اليمن، لما تتمتع به من أهمية كبيرة بحكم موقعها الجغرافي وكثرة خيراتها وتنوعها.

تمحورت الدراسة حول عدن المدينة والميناء، التي حملت الكثير من الأوصاف والنعوت والمسميات؛ دلالة على أهميتها ودورها المتميز في مراحل التاريخ المختلفة فهي: عروس البحار، ودهليز الصين، وفرضة اليمن، وخزانة المغرب ومعدن التجارات، والعربية السعيدة، وبلد التجارة، ومرسى بلاد اليمن، والسوق الكبير للجزيرة العربية، وعين اليمن، وجبل طارق الشرق، والقطب المغناطيسي ...

إن هذه الدراسة تكشف عن جوانب تاريخية وحضارية غامضة في تاريخ اليمن العربي نحن أحوج ما نكون للتعرف عليها، فقد بقي الكثير من تاريخ هذا البلد غامضاً مطموراً غير معروف للباحثين والمثقفين، ولم يلقَ ما يستحقه من دراسة على الرغم من ازدهار حضارته، لذلك نرجو أن يسد هذا الكتاب فراغاً في المكتبة العربية، التي ما تزال بحاجة ماسة إلى المزيد من الدراسات اليمانية عبر العصور التاريخية.

ومن الله التوفيق.

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد سعدت بلقاء الأخوين الاستاذين محمد رضا حسن الدجيلي ومحمد كريم ابراهيم ووجدت فيهما العالمين الباحثين وهما بحق من خيرة من رأيت من الشباب العربي فهي دراستهما جد واجتهاد وهمة لا ترضى بالدون من المعلومات، فقد كانت المدة التي قضياها في ربوع بلدهما اليمن مكرسة للجمع والمناقشة والمقابلة والمراجعة وكانت لا تفوتهما شاردة او واردة الا وتثبتا منها.

ولا شك أن اطروحتيهما ستكونان فتحاً جديداً في مجال تخصصهما أرجو الله لهما العون والتوفيق وان يكونا مثالين لشباب الأمة العربية الذين لن يصلوا الى اهدافهم القصوى الا بالجد والاجتهاد والمثابرة والعزيمة الصادقة والله ولي التوفيق

اسماعيل بن علي الأكوع
رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب
٢ رمضان ١٣٩٩ الموافق ٢٦ تموز ١٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

REPUBLIC OF YAMAN
University of Adan
Centre For Yamani
Research & Studies

الجمهورية اليمنية
جامعة عدن
مركز البحوث والدراسات اليمنية
مكتب المدير

Ref : ....
Date :....................

الإحالة : ....10/17........
التاريخ : ....2002/2/6........

الأستاذ الفاضل د. سعيد عبده جبلي
(نائب رئيس الجامعة للشؤون الأكاديمية) المحترم

سلام الله عليك ؛ وبعد –

الموضوع : الرسالة الجامعية : عدن

يسرني إخطارك بأن الأستاذ محمد كريم إبراهيم قد أهدى مكتبة المركز نسخة من مبحثه للدكتوراه : عدن – دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (1083-1229م)، والتي توجت- بنجاح – عام 1981م.

وقد توفرت على قراءة الأطروحة المذكورة ، واخترت منها فصلاً خاصاً ، لنشره في عدد لاحق من مجلة (اليمن) . ولولا إيماني بأهمية هذا المبحث وارتقائه إلى المستوى الأكاديمي المنشود ، لما أقدمت على مثل هذا الإختيار.

وقد قمت بما قمت به قبل تسلمي مذكرتك الدائرة حول هذه الرسالة، مما يدفعني على القول بأن مستوى الأطروحة راقٍ: فحوى وطرحاً ، لولا هنات تتصل بالهوامش، تتبدى في بعض الإنسياحات ، عبر المقيدة .وجل من لا يخطئ.

وعليه ، فإنني من الداعين إلى وجوب طباعة هذه الأطروحة القيمة ؛ إذ أنها ستسد فراغاً في المكتبة العربية/اليمنية ؛ فهي الوحيدة – وحسب علمي – التي تتمحور حول الإقتصاد والتجارة في ثغر اليمن ،وفي حقبة (كانت فيها الدنيا دنية ، والفلوس عدنية).

وحبذا لو يسهم مكتب محافظ عدن في طباعتها (ولو بقسط ضئيل) ، ووزع ريعها على إحدى الجمعيات الخيرية العدنية .

ودمتم.

د. جعفر الظفاري
مدير مركز البحوث

(العلم لا يعطيك بعضه – حتى تعطيه كلك)

العنوان : ص . ب . ٦٣١٢ خور مكسر – عدن – الجمهورية اليمنية تلفون ٢٣٤٥٢٦ – فاكس : ٢٣٤٤٢٦ (٩٦٧٢ +
P.O. Box : ٦٣١٢ – Khor Makssar – Aden – R. of Yemen Tel : ٢٣٤٥٢٦ – Fax : (+ ٩٦٧٢) ٢٣٤٤٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل الدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري **المحترم**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

تسلمت ببالغ التقدير والاعتزاز رسالتكم الموجهة لنا وقد عرضت الموضوع الذي طلبتموه على مجلس المركز وحصلت الموافقة على قيامكم بطبع كتابكم : (عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦ ـ ٦٢٦ هـ / ١٠٨٣ ـ ١٢٢٨م) ، الطبعة الثانية في جامعة عدن / اليمن على أن تشيروا إلى أن الطبعة الأولى تمت في مركز دراسات الخليج العربي / جامعة البصرة ١٩٨٥م ، وقد صادق مجلس الجامعة على هذا القرار .

نأمل أن ترسلوا لنا عشرة نسخ من الكتاب لإيداعها في المكتبة .

نشكر لكم وفائكم للمركز ولجامعة البصرة متمنين لكم دوام النجاح والتقدم وانتم سفيرا لمركزنا في اليمن، ونرجو جهودكم الخالصة لتنسيق التعاون العلمي والثقافي بين مركزنا والأشقاء في اليمن ، نحن ننتظر دائما منكم الملاحظات والتوجيهات بما يعمق وشائج تلك العلاقة تحياتي للإخوان كافة .

مع أطيب الأمنيات بدوام النجاح والتوفيق ،،،

١٦/٥/٢٠٠٠

أخوكم

د. اسعد حمود السعدون

مدير مركز دراسات الخليج العربي

جامعة البصرة

شكر وتقدير

يسرني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري وامتناني لأستاذي المشرف المرحوم* الأستاذ محمد توفيق حسين، لما أحاطني من رعاية جليلة، فلم يدخر وسعاً ولا جهداً في إغناء البحث بملاحظاته القيمة ومتابعة مراحله المختلفة بروح علمية متواضعة وخلق رفيع ونفس طيبة كريمة، فله مني كل التقدير والاحترام.

ولابد لي أن أتقدم بالشكر والتقدير لأستاذيَّ المشرفَينْ الاستشاريَيَن المرحوم الدكتور عواد مجيد سعيد والدكتور ناجي حسن هادي، وأجد نفسي مديناً بالشكر والتقدير لأستاذي الفاضل المرحوم الدكتور فيصل السامر الذي كان خير حافز ودافع لمواصلة البحث وإبداء توجيهاته وملاحظاته العلمية الرصينة.

وأرى من الوفاء والعرفان بالجميل أن أشكر أستاذي الكبير الدكتور حسين أميـن الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب، الذي بذل قصارى جهده في إسناد البحث، إذ بادر فشجعنا وقدّم لنا عونه في السفر إلى صنعاء، مما يدلل على خلقه العلمي الرفيع وشهامته العظيمة.

وأقدم آيات الشكر والتقدير إلى السادة أعضاء السفارة العراقية في صنعاء، وفي مقدمتهم الأستاذ عبدالودود يوسف الجدوع السفير العراقي، لما أبداه من ترحيب وكرم ومساعدة غير محدودة لنا. وأشكر السادة القاضي إسماعيل علي بن الأكوع رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب في صنعاء والسيد زيد بن علي عنان وكيل الهيئة والسادة العاملين في المكتبتين الغربية والشرقية بالجامع الكبير بصنعاء، لما أبدوه من مساعدة علمية كبيرة، كما أشكر السادة مسؤولي مركز الدراسات والبحوث في صنعاء، وفي مقدمتهم الأستاذ أحمد حسين المروني رئيس المركز، والدكتور عبدالعزيز المقالح نائب الرئيس، والأخ عبدالله محمد الحبشي وكافة العاملين في مكتبة المركز، وأتوجه بالتحية وفائق الشكر إلى العاملين في دار الكتب بصنعاء، ومكتبة وزارة الإعلام على حُسن معاملتهم ومساعدتهم الكريمة.

وأتقدم بالشكر إلى الأخوة العاملين في المكتبة المركزية بجامعة بغداد ومكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ومكتبة المجمع العلمي العراقي لما أسدوه من عون كبير.

وفي الختام أشكر زملائي الذين ساهموا في قراءة مسودات البحث وتقويم لغته، وفي مقدمتهم الأخ الأستاذ عدنان حسين العوادي والأخوة محمد حسن علي الحلي وسعيد عدنان محمد وفائز طه عمر، كما أشكر الأخ سعد قاسم صغير الذي ترجم نصوص الرسالة الأجنبية، وأدعو الله العلي القدير أن يوفقنا لما فيه خير أمتنا وخدمة تاريخها المجيد.

---

* توفي الأستاذ محمد توفيق حسين فجر يوم الاثنين ١٩٩٨/٢/٩م ببغداد في داره الواقعة في حي الجامعة، ونقل جثمانه إلى مدينة الموصل ودفن فيها، تغمده الله برحمته الواسعة.


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

(المقدمة)

مضامين الرسالة وتحليل المصادر

مضامين الرسالة:

لم يلق تاريخ اليمن كامل ما يستحقه من دراسة المؤرخين المحدثين، بالرغم من ازدهار حضارته، وكثرة الدول التي حكمته، وتعدد جوانب حياته الاقتصادية. والمادة عن تاريخ اليمن متوافرة، وان كانت مبثوثة في تضاعيف كتب التاريخ العامة، على أن الاعتماد الكلي في تاريخ اليمن يجب أن يكون على ما كتبه أبناء المنطقة نفسها، فهو يشكل المادة الأصيلة لكل دارس في تاريخه فهناك مؤلفات ضخمة يعود اغلبها إلى العصر الرسولي والعصور المتأخرة التي تلته، والواقع أن تاريخ اليمن قد حفظ من خلال تلك الكتب[1].

لقد شهدت السنوات الأخيرة عناية بتراث الأمة العربية ودراسات علمية رصينة واهتمامات بتجاربها وخبراتها في الماضي، وتنبه العراق وهو موطن الحضارة وموئلها إلى ضرورة المساهمة في حركة بعث التراث وإحيائه، وتراث الأمة من اعظم جوانب إحياء مجدها خطراً، وأبقاها على الأيام أثراً، فهو وجدانها وتجربتها عبر التاريخ في أنحاء شتى من المعرفة الإنسانية، وآية ذلك أن التراث هو الركيزة التي تقدم الغذاء الأصيل للنفس العربية المتوثبة المنطلقة نحو إيجاد مكانتها ووجدانها في الفكر العالمي المزدحم بأطر متنوعة من القيم والحضارات[2].

تميز العراق في السنوات القريبة، بسيره قدما ليتبوأ مركز الريادة والقيادة فالسيادة في مضمار إحياء التراث وبعثه، فكثرت البحوث والدراسات المتخصصة في جوانب متنوعة من تاريخنا القديم والإسلامي والحديث، وتميزت تلك الدراسات الأكاديمية بأصالتها ومقدرة دارسيها الفائقة، إذ كشفت عن نواحي تاريخية غامضة، وأزاحت الستار عن عصور مجهولة، وبذلك كانت تلك الدراسات ذات أهمية كبرى في كشف الكثير من تاريخنا السياسي والاقتصادي والفكري في عصور كثيرة[3].

---

[1] انظر عن تلك المؤلفات: الحبشي، عبدالله محمد، مراجع تاريخ اليمن، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، ١٩٧٢م)، جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني، الكلمة، ع٥١-٥٢، (صنعاء، ١٩٧٩م)، ص٧٦. وسنقوم بدراسة لأهم مصادر رسالتنا.

[2] انظر: معروف. د. بشار عواد (المحقق). ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي، مج١، مط دار السلام، (بغداد، ١٩٧٤م)، ص ٧ مقدمة.

[3] قدم العراقيون عددا كبيرا من الرسائل الجامعية لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه في مختلف جوانب التاريخ، منها في كلية الآداب/ جامعة بغداد وفي جامعات كثيرة خارج القطر، والملاحظ ان معظمها لم تهتم بتاريخ اليمن ودراسة عصوره التاريخية المتعددة.

ومن الجدير بالذكر أن تلك الدراسات لم تهتم بتاريخ اليمن وحضارته ومكانته السامية في تاريخنا إلا بقدر ضئيل ومحدود جدا[1]، على أن هنالك دراسات جامعية أكاديمية لباحثين عرب وأجانب[2] قدمت للحصول على شهادتي الماجستير والدكتوراه في إحدى مراحل تاريخ اليمن الإسلامية، وقد بدأت تلك الدراسات في الجامعات الأجنبية عن طريق تحقيق ونشر وترجمة المخطوطات اليمنية ونشرها باللغات الأجنبية.

وكان من ابرز ملامح الاهتمام بتاريخ الأمة ونشر تراثها، إنشاء المعاهد والمراكز العلمية المتخصصة بنشر المخطوطات والدراسات والبحوث العلمية ذات الصلة بجزء من الوطن العربي أو جميعه، نذكر منها معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية، ومركز دراسات الخليج والجزيرة العربية في جامعة الكويت، وتأسيس اتحاد المؤرخين العرب في بغداد، والذي قام بنشر الكثير من الدراسات المتنوعة عن تاريخ الأمة العربية في العصور القديمة والإسلامية والحديثة، إضافة إلى البحوث والدراسات العلمية التي نشرت في مجلته الغراء (المؤرخ العربي)، وكذلك تأسيس مركز الدراسات والبحوث اليمني في صنعاء الذي اصدر العدد الأول من مجلته الغراء (دراسات يمنية)، في ١٥/٩/١٩٧٨م وهي مجلة تعنى بنشر نشاط المركز وإسهاماته الفكرية والأدبية والثقافية ذات الصبغة الأكاديمية[3] وقام المركز بتحقيق ونشر العديد من المخطوطات والدراسات ذات الصلة بتاريخ اليمن ولعصور مختلفة[4]. وفي عدن تم تأسيس المركز اليمني للأبحاث الثقافية، لأداء ذات المهام المتعلقة بتاريخ اليمن وحضارته.

---

[1] انظر: عبدالمنعم، شاكر محمود. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك للملك الاشرف أبي العباس إسماعيل بن العباس الغساني، دراسة وتحقيق، ج١-٢، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ في كلية الآداب / جامعة بغداد سنة ١٩٧٠م.

الحديثي، نزار عبداللطيف. أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم في الأمصار، وهي أول رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم التاريخ في كلية الآداب/ جامعة بغداد، نوقشت بتاريخ ١٣/١٠/١٩٧٥.

وقدم الأستاذ إبراهيم خلف العبيدي رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث إلى قسم التاريخ في كلية الآداب/ بغداد، بعنوان: الحركة الوطنية في الجنوب اليمني المحتل ١٩٤٥-١٩٦٧م، (بغداد،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٢ من المخطوطات التي نشرت عن تاريخ اليمن: تاريخ اليمن لعمارة، حققه هنري كاس كاي ونشره في لندن سنة ١٨٩٢م، وحققه حسن سليمان محمود ونشره في القاهرة سنة ١٩٥٧م، ثم حققه محمد بن علي الأكوع وطبع مرتين آخرها سنة ١٩٧٦م في القاهرة، وبهجة الزمن لعبدالباقي بن عبدالمجيد، وغاية الأماني ليحيى بن الحسين، والعقود اللؤلؤية للخزرجي، والسمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن. حققه ركس سمت، ونشره في لندن سنة ١٩٧٤م، ونشر الدكتور شومان مخطوطة قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر لأبي مخرمة، ومن الكتب المؤلفة والدراسات عن تاريخ اليمن: كتاب الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن لحسين الهمداني وحسن سليمان محمود وكتاب تاريخ اليمن السياسي في العصر في العصر الإسلامي لحسن سليمان محمود وكتب كثيرة الفها أهل اليمن وغيرهم.

للإطلاع على تفاصيل تلك الدراسات وتنوعها، انظر: سلطان ناجي. مصادر تاريخ الحضارة اليمنية القديمة والإسلامية، المؤرخ العربي، ع٢، (بغداد، ١٩٧٥م)، ص١٢٧-١٣١.

[3] راجع افتتاحية العدد الأول ص٤، وصدر العدد الثاني منها في شهر ربيع الثاني ١٣٩٩هـ/ مارس ١٩٧٩م.

[4] من ذلك مخطوطتي: تاريخ وصاب للوصابي وبغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد للديبع، وهما من تحقيق عبدالله محمد الحبشي في سنة ١٩٧٩م، وكتاب معارك حاسمة من تاريخ اليمن لحمزة علي إبراهيم لقمان.

إن الرسالة التي نقدمها بعنوان: (عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦ ـ ٦٢٧ هـ/ ١٠٨٣ ـ ١٢٢٩م)، تدرس بالدرجة الأولى دور مدينة عدن السياسي والاقتصادي في المدة موضوع البحث، وهي دراسة مقارنة لأحوالها بين عهدين مختلفين، الأول عهد بني المكرم الهمداني، والثاني عهد بني أيوب، فقد انعكست سياسة كل من هذين العهدين على مدينة عدن، فاهتم بها بنو المكرم كبير الاهتمام، لأنها كانت مركز إمارتهم، وكذلك اهتم بها الأيوبيون، لأنها تمثل إحدى موانئ اليمن المهمة المعروفة بكثرة مواردها من رسوم التجارة، بسبب وصول مراكب التجار إليها من مختلف أرجاء العالم، وشكلت تلك الموارد عصب الحياة الاقتصادية لمدينة عدن،وانعكست آثارها على سياسة الدولة الأيوبية في اليمن.

وقع الاختيار على عدن ودراستها في تلك المدة، لأنها مدينة وميناء قديم في بلاد العرب الجنوبية منذ أزمنة قديمة، تميزت بنشاط تجاري كبير منذ عهد اليونان والرومان والجاهلية والإسلام. وقد تأثر مركزها التجاري في العصر العباسي الأول (القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) على اثر تغيير الطريق البحرية للسفن في البحر الأحمر إلى الخليج العربي، غير أن تلك الطريق لم تستمر طويلا لأسباب سياسية، مما أدى إلى العودة لميناء عدن وانتعاشه من جديد، واستمر نشاط عدن التجاري بقيام الدولة الفاطمية في مصر والدولة الصليحية في اليمن التي أقامت في عدن إمارة موالية لها ومستقلة ذاتيا هي إمارة بني المكرم، الذين كانوا يدفعون مبلغ مائة ألف دينار سنويا، نظير حكمهم على عدن ونواحيها، وهذا الإجراء يوضح لنا أهمية عدن الاقتصادية والاستراتيجية بحكم موقعها المهم على البحر العربي والمدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

ويرجع سبب تحديد المدة التي شملتها الرسالة بين ٤٧٦ ـ ٦٢٧هـ/١٠٨٣ ـ ١٢٢٩م إلى قيام إمارة بني المكرم الهمداني التي كانت موالية للفاطميين في مصر، في حدود سنة ٤٧٦هـ ثم القضاء عليها من قبل الأيوبيين سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م، فدرسنا المدة التي حكم فيها الأيوبيون اليمن ومنها عدن حتى نهايتهم سنة ٦٢٦هـ بقيام الدولة الرسولية في اليمن، لذلك فان تحديد تلك المدة لرسالتنا توضح المقارنة بين عهدين متباينين ودراسة سياسة كل منهما في بلاد اليمن عامة وفي عدن خاصة، ودراسة التطورات السياسية والاقتصادية لمدينة عدن خلال العهدين المذكورين.

أما الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذه الرسالة فهي كثيرة ومتنوعة،في مقدمتها مشكلة المصادر الأصيلة ذات الصلة الوثيقة بدراستي، إذ أن اغلب المخطوطات الأصلية في اليمن، مما توجب عليَّ السفر لليمن، للوقوف عليها والإفادة منها، ولم استطع السفر إلى عدن، فقمت بزيارة صنعاء لمدة تقارب الشهرين (٦/٩ ـ ١٩٧٩/٧/٢٨)[1]، ولا بد لي هنا من الإشادة بالفضل الكبير والمساعدة الكريمة التي قدمها لي اتحاد المؤرخين العرب متمثلا بشخص أمينه العام الأستاذ الفاضل الدكتور

[1] كانت زيارتي إلى صنعاء بصحبة الزميل محمد رضا حسن الذي أعد رسالة دكتوراه عن الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري.

حسين أمين الذي كان له الدور المميز والتشجيع والمبادرة في القيام بتلك السفرة ونجاحها.

وخلال زيارتي صنعاء استطعت الوقوف على عدد مهم من المخطوطات في مكتبتي الجامع الكبير بصنعاء الغربية[1]، والشرقية رغم إنني واجهت صعوبات كثيرة ومعقدة، بسبب النسخ من تلك المخطوطات باليد، وعدم تقديم النسخ المتعددة للمخطوط الواحد في وقت واحد ليتسنى لنا مقارنة نسخه وخطوطه ثم الاعتماد على أوثق تلك النسخ وأقدمها وأوضحها، وهذا أدى إلى ضياع وقت طويل في المقارنة والنقل من تلك المخطوطات القديمة التي تميزت بخطوط متباينة وغير واضحة، ولا يفوتني هنا أن اذكر المساعدة السخية التي قدمها لنا القاضي إسماعيل بن علي الأكوع رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب، لأجل تسهيل مهمتنا. وكذلك أفدت من مكتبتي الجامع الكبير في الوقوف على بعض الكتب القديمة المطبوعة، إضافة إلى مراجعة دار الكتب بصنعاء التي كانت تستمر مساء في الدوام للاطلاع على بعض المطبوعات النادرة، وكذلك مكتبة مركز الدراسات اليمنية ومكتبة وزارة الإعلام.

ومن الصعوبات المرتبطة بالمصادر المخطوطة، عدم استطاعتنا زيارة المكتبات الخاصة في صنعاء، لاعتذار أصحاب تلك المكتبات بأعذار شتى من القيام بالاطلاع عليها، ولابد لي هنا أن اذكر الوقفة النبيلة التي وقفها القاضي إسماعيل الأكوع في الاطلاع على بعض مخطوطاته الشخصية، والكتب المطبوعة وإعارتها لنا للاطلاع عليها والنقل منها.

وكان لطول المدة الزمنية التي تناولتها رسالتنا بالدراسة والتي امتدت لقرن ونصف (١٥٠ عاما) دور كبير في تعرضنا لصعوبات كثيرة ومشكلات متنوعة، في مقدمتها ضخامة حجم الرسالة التي لم نستطع تلافيها، وكثرة الحوادث السياسية خلال تلك المدة، وتتمثل تلك الكثرة بعدد الدويلات والإمارات التي شملتها هذه الرسالة، وعلاقتها مع أمراء عدن، وكذلك كثرة أسماء الأمراء والحكام سواء منهم من حكم في عدن أيام بني المكرم وبني زريع من بعدهم، أو خلال العهد الأيوبي فيما بعد، لذلك قمنا بإيضاح أهم تلك الدويلات والإمارات عن طريق رسم شجرة نسب توضح أمراء وحكام تلك الكيانات السياسية.

إن كثرة الدويلات والإمارات في بلاد اليمن قد أضافت صعوبات ومشكلات للرسالة، نتيجة تشابك حوادثها، وكثرة المشكلات التي كانت تقوم بين تلك الدويلات والإمارات، ففي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي كانت اليمن تحكم من قبل خمس حكومات بعضها كانت متعاصرة في وقت واحد، وبعضها في فترات متتالية، فكانت هناك دولة الصليحيين (٤٣٩ ـ ٥٣٥هـ / ١٠٤٧ ـ ١١٤٠م) في صنعاء، ودولة بني المكرم ـ ومن بعدهم ـ بني زريع في عدن ونواحيها (٤٧٦ ـ ٥٦٩هـ / ١٠٨٣

[1] انظر عن مكتبة الجامع الكبير الغربية ومخطوطاتها: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، إعداد: محمد سعيد المليح وأحمد محمد عيسوي العضوين الفنيين بإدارة المكتبات في الكويت، طبع بإشراف مكتبة المعارف، (الإسكندرية،١٩٧٨م)، ويقع في (٩٩٥) صفحة من القطع الكبير.

ـ١١٧٣ م)، ودولة بني مهدي في زبيد ٥٥٣ ـ ٥٦٩هـ / ١١٥٨ ـ ١١٧٣م) ودولة بني حاتم في صنعاء (٤٩٣ ـ ٥٦٩هـ / ١٠٩٨ ـ ١١٧٣ م)، ودولة بني أيوب في اليمن الجنوبي بأكمله حتى صنعاء في الشمال (٥٦٩ ـ ٦٢٧هـ / ١١٧٣ ـ ١٢٢٩م)، وفي نفس الوقت كانت دولة اليمن الزيدية أو الدولة الإمامية (٢٨٤ ـ ١٣٨٢هـ / ٨٩٨ ـ ١٩٦٢م) مستمرة في صعدة منذ أن دخلها الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي سنة ٢٨٤هـ[١].

ومن صعوبات البحث عدم وجود الخرائط الجغرافية القديمة لمدينة عدن التي توضح طبيعتها وجبالها، وطرق مواصلاتها مع مدن اليمن الأخرى، عدا خارطة قديمة واحدة[٢]، وهذا الوضع دفعني إلى الاستعانة بالخرائط الحديثة الخاصة بموقع عدن والمدن والقرى المجاورة لها، بعد فشل الجهود المتواصلة من اجل الحصول على تلك الخرائط.

تتكون الرسالة من المقدمة وستة فصول وخاتمة، درسنا في الفصل الأول جغرافية عدن وأعمالها، فبدأنا بتسمية عدن في المصادر اللغوية والتاريخية، وأوضحنا قدمها وذكرها في القران الكريم والحديث الشريف، وبينا موقعها الجغرافي وأهميته في تاريخها وانعكاساته على مكانتها الاقتصادية المميزة لها، وموقعها من طرق المواصلات مع مدن اليمن الأخرى، وقمنا بدراسة لسطحها وطبيعتها من جبال ووديان وسهول مبينين مواقعها اعتمادا على ما ورد في المصادر المتنوعة، وكذلك درسنا مناخها وتأثيره على نشاط سكانها وتكيفهم له، ثم أوضحنا أعمال عدن أي ما ارتبط بها من النواحي والقرى التي ورد ارتباطها بعدن سياسيا وإداريا في مصادرنا، وبينا موقع كل ناحية وقرية والمسافة بينها وبين عدن وكذلك ما اشتهرت به من منتجات ومحاصيل زراعية، وما امتازت به من نشاط اقتصادي آخر، بسبب موقعها أو شهرتها بوجود مواد أولية معينة، أو قيام صناعة بها.

أما الفصل الثاني فهو دراسة لبدء ظهور إمارة بني المكرم في عدن، وقد قدمنا له بتمهيد سياسي لأحوال اليمن قبل قيام تلك الإمارة، أوضحنا فيه حالة اليمن السياسية في الربع الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وينتهي هذا الفصل باستقلال سبأ بن أبي السعود وانفراده بحكم عدن سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م، وتأسيسه إمارة بني زريع في عدن.

وخصصنا الفصل الثالث لحكم بني زريع في عدن، اثر انتصار سبأ بن أبي السعود على بني عمه المسعود في معركة لحج الحاسمة سنة ٥٣٢هـ، إلى دخول توران شاه الأيوبي عدن سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م.

---

[١] سيد، ايمن فؤاد. مؤرخو اليمن في القرن السادس الهجري، العرب، ج ١١، س ٥، (الرياض، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ص١٠٠٦ – ١٠٠٧.

[٢] توضح هذه الخارطة صورة مجسمة لمدينة عدن، قمت بتصويرها ووضعها في الرسالة منقولة عن كتاب تاريخ المستبصر لابن المجاور وتاريخ ثغر عدن لأبي مخرمة.

وفي الفصل الرابع درسنا عدن في العهد الأيوبي منذ دخول توران شاه لليمن وفتحها، وقضائه على إمارة بني زريع فيها، إلى سقوط الدولة الأيوبية سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م، وتأسيس دولة بني رسول في اليمن.

أما الفصل الخامس فقد خصصناه لدراسة الفعاليات الاقتصادية داخل ميناء عدن، فأوضحنا شهرة عدن كسوق عالمي قديم وصلاتها مع العالم. ودرسنا خبرة أهلها التجارية، والعشور المفروضة على البضائع من حيث مقاديرها وأنواعها ومراحل تطورها في عهدي بني المكرم والأيوبيين، وقمنا بدراسة للعملة المتداولة في عدن وكيفية استعمالها في تحديد العشور وأثمان البضائع، كما درسنا المعاملات التجارية الأخرى من بيع وشراء واستيفاء الرسوم ومعاملات الطول والمساحة وغيرها.

ولأجل إبراز دور عدن في التجارة الداخلية والخارجية جعلنا الفصل السادس دراسة لتجارتها بنوعيها، وقد مهدنا لها بدراسة لسكانها والعاملين فيها، من اجل إلقاء الضوء على تنوع سكانها وتعدد أجناسهم، ثم درسنا التجارة الداخلية موضحين اثر سياسة الدولة عليها في عهدي بني المكرم ومن بعدهم بني زريع ثم العهد الأيوبي، وبينا دور القادة والنواب الذين تولوا عدن في بناء المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ذات النفع العام للسكان وتجديد البعض منها، وموقفهم من تجارتها سلبا أو إيجابا، كبناء الأسوار والأسواق والاهتمام بالميناء والتدخل في العشور من زيادتها ونقصانها، وإعفاء المواد الضرورية للسكان منها...الخ.

ولأجل إيضاح النشاط التجاري لعدن، قمنا بدراسة لبعض الصناعات المحلية في عدن أو في بعض نواحيها وقراها، كصناعة العطور(الطيب) والنبيذ والزجاج والخزف والقنبار، وأوضحنا اثر المواد الأولية في قيام تلك الصناعات التي كان بعضها يصدر خارج اليمن.

ودرسنا في الفصل السادس أيضا النشاط التجاري الخارجي لعدن من خلال علاقتها مع أرجاء العالم وتبادل المنتجات والبضائع بواسطة عدن التي كانت وسيطا لنقل تلك البضائع وتوافرها، فدرسنا علاقتها مع الصين والشرق الأقصى، شرق أفريقيا، مصر وشبه القارة الهندية، وبذلك تكمل صورة النشاط الاقتصادي لميناء عدن مع نشاطها الداخلي، وكانت محصلة ذلك كله انتعاش عدن تجاريا، وكثرة مواردها المالية من الرسوم والعشور المتنوعة على البضائع، والتي أسهمت في تطورها، وارتفاع دخل سكانها ورفاههم اقتصاديا من خلال عملهم في الوسط التجاري، فزادت أهمية عدن،وأصبحت محط الصراع بين قوى محلية وعالمية من اجل غزوها والسيطرة عليها؛ لاستثمار مواردها والإفادة منها في تثبيت سلطة الغزاة المتسلطين، ومن ثم توسعهم، وانعكست آثار تلك المحاولات على التاريخ السياسي لمدينة عدن في المدة موضوع البحث.

٢- تحليل المصادر:

تنوعت المصادر التي وقفنا عليها وافدنا منها في إعداد هذه الرسالة، ولأجل إعطاء صورة واضحة عن المهم منها وذي الصلة الوثيقة بموضوع البحث، قمنا بتقسيمها حسب أنواعها. وهنالك مؤلفات علمية متخصصة بدراسة مصادر تاريخ اليمن المخطوطة والمطبوعة،[1]. يمكن الرجوع إليها والاعتماد عليها في تكوين موقف معين تجاهها.

تتميز مصادر تاريخ اليمن الإسلامية بأنها ذات طبيعة خاصة، تختلف عن مصادر اليمن القديمة، وهي عبارة عن مئات من المؤلفات كتبها مؤرخون يمنيون عاصروا الحوادث خلال العصور الوسيطة، والجزء الأكبر منها ما يزال مخطوطا وموجودا في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، أو المكتبات العامة في الخارج. مثل الأمبروزيانا والفاتيكان والمتحف البريطاني وليدن ودار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات العربية واستانبول، وفي المكتبات الخاصة في بعض المدن اليمنية الأخرى مثل تريم وسيئون وزبيد وحجة وصنعاء وتعز وذمار، والمنشور من هذه المخطوطات مازال قليلا، ويرجع فضل الريادة في تحقيق ونشر وترجمة أولى المخطوطات اليمنية في مطلع القرن الماضي، وكذلك المحافظة على آلاف من المخطوطات اليمنية الأخرى في المكتبات العامة خارج الوطن العربي[2]، إلى العلماء الأجانب، حيث يستطيع الرجوع إليها كل دارس أو يطلب نسخا مصورة منها[3].

وكان لزيارتي صنعاء في صيف عام ١٩٧٩م دور كبير في الوقوف على عدد من المخطوطات اليمنية المتنوعة ذات الصلة بموضوع رسالتي، وذلك في مكتبتي الجامع الكبير الغربية والشرقية في صنعاء، إضافة إلى عدد من المخطوطات اليمنية من مكتبة المتحف البريطاني وغيرها، كونت جميعها مصادر مهمة في رسالتي.

وتجدر الإشارة إلى إنني أ طلت في عرض موضوع تحليل المصادر؛ لان مصادر تاريخ اليمن غير معروفة إلا للقلة من المختصين.

---

[1] انظر: سيد، ايمن فؤاد. مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي، (القاهرة ١٩٧٤م)، وقد أ شرنا لبحثه الموسوم:مؤرخو اليمن في القرن السادس الهجري المنشور في مجلة العرب، وهو أحد فصول كتابه هذا.

الحبشي، عبدالله محمد. مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، منشورات مركز الدراسات اليمنية، (صنعاء، ١٩٧٩م)،مراجع تاريخ اليمن، وقد ذكرنا ه في مقدمة الرسالة.

د. شاكر مصطفى. التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٢، ط ١، (بيروت، ١٩٧٩م)، ص ٣٠٥ – ٣٦١. الفصل السابع عشر الموسوم: مدرسة اليمن حتى أواسط ا لقرن السابع، وقد سبق للدكتور مصطفى أن نشر ذلك البحث، انظر: مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، ع ١٣، ذي الحجة ١٣٩٨هـ/ حزيران (يونيو) ١٩٧٨م، ص٩١ – ١١٣.

[2] راجع مثلا: دغفوس، راضي. مصادر تاريخ جنوب الجزيرة العربية، المؤرخ العربي، ع ١٠، (بغداد، ١٩٧٩)، ص ١١٥ ـــ ١٣٠.

[3] سلطان ناجي. مصادر تاريخ الحضارة اليمنية ص١٢٧.

وقد قسمت تلك المصادر حسب أنواعها وموضوع مادتها إلى عدة أقسام، وكما يلي:

١- كتب التاريخ العام:

وهذه الكتب مرتبة إما في تاريخ اليمن العام ودوله من قبل الإسلام حتى عصر المؤلف، أو إنها مرتبة على اسر معينة فقط، ويأتي كتاب تاريخ اليمن المسمى: (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها واعيان أدبائها)، في مطلع هذه الكتب، وهو من تأليف نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكمي اليمني، المولود سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م والمتوفى سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م[1].

وكتاب المفيد هو في تاريخ اليمن عامة وتاريخ الدولة الصليحية بصورة خاصة، وكما ذكر عمارة عنه انه كتاب في تاريخ اليمن سهلا ووعرا برا وبحرا، ومدن ممالكها وأبعاد مسالكها وحروب أهلها ووقائعهم ومآثرهم وصنائعهم وأخبار قضاتها ودعاتها وأخبار أعيانها وأمرائها وشعرائها[2]. ألفه للقاضي الفاضل وزير صلاح الدين، وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة المستشرق الإنجليزي هنري كاس كاي، باسم: تاريخ اليمن[3]. مذيلا بنص عن تاريخ اليمن منقول من كتاب العبر لابن خلدون، يليه أخبار القرامطة من كتاب السلوك للجندي، وقدم له كاي بمقدمة علمية، ثم أعاد نشره في القاهرة الدكتور حسن سليمان محمود مترجما[4] مقدمة كاي وحواشيه ومضيفا إليها بعض التعليقات، ثم وقف القاضي محمد بن علي الأكوع على نسخة أثرية من كتاب عمارة، مثبت عليها إنها المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، وبها أخبار الشعراء والأدباء اليمنيين، وهو قسم ساقط من طبعتي أوروبا ومصر، وان كان العماد الأصفهاني قد ضمنها في كتابه (خريدة القصر وجريدة العصر) عند ذكر شعراء الحجاز واليمن في الجزء الثالث (قسم شعراء الشام)[5]. وقد أعاد القاضي الأكوع تحقيقه وطبعه[6].

ولكتاب المفيد أهمية كبيرة في رسالتنا[7]، فقد كان عمارة معاصرا لكثير من الحوادث، فيما يتعلق بعهد بني المكرم أمراء عدن ومن بعدهم بني زريع، وبصورة خاصة في عهد الداعي محمد بن سبأ، إذ دخل عمارة إلى عدن في عهده ووصف لنا حاله كما نقل لنا عنه وصفا لحرب أبيه سبأ بن أبي السعود في وادي لحج ضد ابن عمه علي بن أبي الغارات وعمه منيع بن مسعود، وكان محمد بن سبأ قد اشترك مع أبيه في تلك الحروب وروى لعمارة حوادثها كشاهد عيان لها، وكذلك نقل لنا عمارة روايات عن رجل الدولة

---

[1] لتفصيل حياته، انظر: د. ذو النون المصري. عمارة اليمني، (القاهرة، ١٩٧٧)، راجع الفصل الثالث من رسالتنا.

[2] المفيد، تح: محمد بن علي الأكوع، ص ٣٧ – ٣٨.

[3] طبع في لندن سنة ١٨٩٢م.

[4] طبع في القاهرة سنة ١٩٥٧م.

[5] استخدمنا ذلك الجزء، وهو بتحقيق د. شكري فيصل،(دمشق، ١٩٦٤م).

[6] استخدمنا الطبعة الثانية في رسالتنا بتحقيق الأكوع، (القاهرة،١٩٧٦م).

[7] انظر عن كتاب المفيد وترجمة عمارة: سيد. مؤرخو اليمن (ص ١٠١٠ – ١٠١٢)، مصطفى. التاريخ العربي ٣٤٦/١ – ٣٤٨، ذو النون المصري. عمارة اليمني (ص١٨٦ – ١٩٢).

الأول وقائد الداعي محمد بن سبأ، بلال بن جرير المحمدي عن فتحه حصن الخضراء في عدن ونفقات الحرب، وهذه المعلومات ذات أهمية بالغة؛ لأنها منقولة عن مؤرخ معاصر لها، كذلك ذكر عمارة روايات مهمة عن عهد الداعي عمران بن محمد بن سبأ وعهد ولديه اللذين كانا أميرين على عدن تحت إشراف ياسر بن بلال حتى سقوط عدن بدخول توران شاه إليها سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م. وبهذا يكون عمارة قد غطى لنا مرحلة تاريخية طويلة، افدنا منه كثيرا في الفصلين الثاني والثالث من رسالتنا فيما يتعلق بالأوضاع السياسية في عدن خاصة واليمن عامة، وكذلك سجلنا عنه بعض الروايات ذات العلاقة بالحياة الاقتصادية في عدن افدنا منها في الفصلين الأخيرين (الخامس والسادس).

وقد عالج عمارة موضوعات تاريخية بأسلوب سهل على العموم. ظهرت فيه شخصيته أحيانا، واحتجبت أحيانا أخرى، فهي تظهر حين يؤرخ للأحداث التي وقعت في أيامه وتحت بصره، فيصف ما يرى ويناقش النتائج، ويربطها بأسبابها ومقدماتها، ويتوسع في ذلك فيذكر علاقته الشخصية بالحكام والوزراء، ويبين رأيه في سياستهم وأخلاقهم، والحكم لهم أو عليهم، وكان لا يفوته أن يسجل مشاهداته عن الأحداث السابقة لعصره، إذا بقيت منها آثار مادية.

كان عمارة يتحرى الدقة فيما يكتب فلا يلقي الكلام على عواهنه، ولا يتساهل في مسألة ولو كانت بسيطة، وإذا جهل أمرا صرح بذلك، وأحيانا كانت شخصيته تحتجب، وذلك حينما يعتمد على النقل والرواية لتصوير الأحداث التي سبقت عصره، وفي هذه الحالة يعنى عناية كبيرة بالإسناد والتقصي فيروي عمن يتوسم الضبط في أخبارهم، وينقل عما صح عنده من الكتب.

إن هذا الكتاب سجل عام لتراجم الكبار من أهل اليمن: الدعاة والوزراء والأدباء والفقهاء، وتفصيل لحياة الأسر التي ملكت هذا الإقليم من سنية وشيعية، مع غلبة النزعة الشيعية عليه فيما يعرض من أحداث حتى انه فرع عن أخبار الداعي علي بن محمد الصليحي جل أخبار اليمن، فاهتم بأخبار الدعاة واتباعهم، والدويلات الشيعية وكيف قامت، وعوامل قوتها أو اضمحلالها وما إلى ذلك، وهو في كل هذا يعنى بالنواحي السياسية التي تنتظم الحروب بين دويلات اليمن المختلفة، والمنازعات الدينية بين أهل الشيعة اتباع القاهرة، وأهل السنة اتباع بغداد، ولا ينسى وصف النواحي الاجتماعية والأدبية بجانب السياسية.

وتجدر الإشارة إلى أن الاستطراد ملحوظ في هذا الكتاب، فهو يتحدث عن أمير ما، ولمناسبة طارئة يترك حديثه، ويدخل في مناسبة أخرى ويسرد تفاصيلها، ثم يعود إلى موضوعه الأول.

وقيمة الكتاب العلمية كبيرة، فهو من المراجع الأولى في تاريخ اليمن الإسلامي، وصاحبه في مقدمة المؤرخين لوطنه، وتنتظم أحداثه التاريخية نحو ثلاثة قرون، واعتمد عليه اغلب الباحثين في تاريخ اليمن الإسلامي، بل صرحوا بأنهم مدينون لعمارة بمعلوماتهم عن هذا الإقليم مثل العماد الأصفهاني في كتابه (خريدة القصر)، والبهاء

الجندي في كتابه (السلوك)، وابن خلدون في كتابه (العبر)، والحقيقة أن الذين كتبوا عن تاريخ تلك الحقبة من الزمان لم يكتبوا شيئا اكثر مما كتبه عمارة، وكانوا ينقلون ألفاظه بنصها في بعض الأحيان[1].

ألف أبو محمد يوسف بن محمد بن الحفيض[2]. الفقيه المعروف بـالحجوري[3]. من علماء القرن السابع الهجري كتابا عرف بروضة الحجوري وعنوانه الأصلي: (روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكث الآثار ومواعظ الأخبار وملح الأشعار وعجائب الاسمار)، وهذا العنوان الطويل هو كتاب في تاريخ العالم منذ المبتدأ، وفي تاريخ اليمن ومن تملكه من الدول حتى القرن السابع[4]، ويعتبر روضة الحجوري أول كتاب تاريخي يمني يتناول التاريخ العالمي كله، وهي ظاهرة لم تتكرر فيما بعد[5]. كانت وفاة الحجوري سنة ٦٣٦هـ[6]/ ١٢٣٨م، ولعله مات بعد هذا التاريخ[7].

لقد وقفنا على مخطوط[8] عنوانه: الجزو الرابع من تاريخ مسلم اللحجي، يتكون من ٢٦١ ورقة، بلوحتين أ ـ ب، عدا الورقة الأخيرة فأنها مكونة من قسم واحد فقط (أ) وقد بدأ هذا الجزء بالحديث عن معاوية وصفاته وأبيه[9]، وينقل عن مسلم اللحجي بقوله: قال مسلم اللحجي[10]، وقال مسلم بن محمد اللحجي[11]، وبالرجوع إلى ترجمة مسلم اللحجي[12]، نجد انه: مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي، ألف كتابا في الطبقات عنوانه: تاريخ مسلم اللحجي وطبقات مشاهير اليمن، اعتنى فيه بأخبار أعلام المذهب المطرفي، رتبه على خمس طبقات، وكانت وفاة مسلم سنة ٥٤٥ هـ/١١٥٠م.

وعند اطلاعنا على الحوادث الواردة في ذلك المخطوط وجدنا أنها كانت ذات أهمية كبيرة في رسالتنا، ومنها انفراده بذكر أخبار بني معن في عدن، فذكر اشهر أمرائهم

---

[1] عن المعلومات أعلاه، انظر: د. ذو النون المصري. عمارة اليمني ص١٩٢ – ١٩٧.

[2] سماه الحبشي: أبو محمد يحيى بن يوسف بن سليمان بن أبي الحفيظ الحجوري. مصادر الفكر (ص٤١٠).

[3] أصله من حجور بلدة في اليمن. سيد. مصادر تاريخ اليمن ص١٣٣، الحبشي.المرجع نفسه.

[4] قسمه إلى أربعة أقسام من ابتداء الخلق حتى القرن السابع، ويهمنا منه القسم الرابع الذي ضم الخبر عن بني أمية وأنسابهم... الخ، ومن تملك من العرب من الحواليين والصليحيين وبني زريع وبني حاتم وبني مهدي ومن تملك من الغز إلى هذا العام (٦٢٧هـ)، انظر: سيد. مصادر ص١٣٤، د. شاكر مصطفى. التاريخ العربي ٢ / ٣٥٩.

[5] مصطفى. التاريخ العربي ٢/٣٢٨.

[6] سيد.مصادر تاريخ اليمن ص١٣٣ ـ ٤، الحبشي، مصادر الفكر ص ٤١٠، مصطفى. التاريخ العربي ٢/٣٥٨ – ٩.

[7] الحبشي. نفس المرجع.

[8] مخطوط المكتبة الوطنية في باريس ميكروفيلم رقم:(Arabe ٥٩٨٢).

[9] هذا يؤكد لنا انه الجزء الرابع من روضة الحجوري الذي يبدأ بالخبر عن بني أمية، راجع إشارتنا إليه.

[10] ورقة ٢٠٢ ب، ٢٠٣ ب.

[11] ورقة ٢٠٢ ب و٢٠٧ أ.

[12] سيد.مؤرخو اليمن ص ١٠٠٩ ـ ١٠١٠، الحبشي. مصادر الفكر ص٤٠٥، مصطفى التاريخ العربي ٢/ ٣٤٤ – ٥.

وما جرى لهم من حوادث مع المكرم احمد الصليحي[1]. وهي روايات لم نجدها في مؤلف آخر، وهنا تكمن أهميتها فساعدتنا على تكوين صورة لبني معن في دراستنا لمقدمة الفصل الثاني من رسالتنا، وبرغم أهميتها إلا أنها كانت تحتوي على كثير من الأخطاء العلمية سواء في الأسماء أو تحديد السنين أشرنا إليها وصححناها في ثنايا الرسالة، وافدنا من ذلك المخطوط في معظم فصول رسالتنا، إذ سرد حوادث مهمة في عهد بني زريع وبني مهدي في زبيد وبني أيوب فيما بعد، وكان من أهم ما ورد فيها ذكر انقسام بلاد اليمن وتجزؤها إلى إمارات ودويلات منذ سنة ٥٥٩[2] هـ/١١٦٣م، ونؤكد أن ذلك المخطوط هو الجزء الرابع من روضة الحجوري، إذ لا يمكن مطلقاً اعتباره الجزء الرابع من تاريخ مسلم اللحجي المتوفى سنة ٥٤٥هـ، وفيهِ حوادث بعد هذا التاريخ، فقد ذكر خروج الملك المسعود الأيوبي من اليمن إلى مصر ووفاته بمكة سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م[3].

ونورد أدناه دليلا آخر يؤكد لنا إن ذلك المخطوط ليس تاريخ مسلم اللحجي، قال مصنف الكتاب[4]: ((ونحن اليوم في سنة سبع وعشرين وستمائة وأمر اليمن إلى اليوم إلى أنور الدين ابن الرسول [كذا] ...)).

وهذا يؤكد لنا أن مؤلف هذا الجزء ما يزال حياً إلى سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م، أي إلى ما بعد نهاية الدولة الأيوبية في اليمن، مما يرجح انه الحجوري صاحب الروضة في الأعم الأغلب.

ومن كتب التاريخ العام لليمن كتاب: (بهجة الزمن في تاريخ اليمن)، لمؤلفهِ تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد، المولود بمكة سنة ٦٨٠ هـ/١٢٨١م، والمتوفى بالشام سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م[5]، وكتابهُ في أخبار اليمن ونبذ من تاريخها، وابن عبد المجيد ينقل بدوره عمن سبقوه، وقد جاءت نصوصه عنهم متفقة حين قابلناها بما وجد لبعضهم من كتب، من هؤلاء — على سبيل المثال — عمارة بن علي بن زيدان الحكمي في كتابه (المفيد)، كذلك اتفقت نصوصه مع من نقلوا عنه كالخزرجي في العقود اللؤلؤية[6].

ومما يلفت النظر أن المؤلف اجمل أخبار القرون الأولى من تاريخ اليمن بإيجاز شديد، وهذه الملاحظة تصدق على غير اليمن في تلك المدة، لان الأمصار الإسلامية

---

[1] انظر الورقة ٢٤٤ أ – ب.
[2] ورقة ٢٤٥ ب — ٢٤٦ أ.
[3] ورقة ٢٤٧ أ.
[4] ورقة ٢٤٧ أ.
[5] انظر ترجمته: الشوكاني. محمد بن علي. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج١، ط١، مط السعادة،(القاهرة، ١٣٤٨هـ)، طبعة جديدة معادة من منشورات دار المعرفة، (بيروت، د، ت)، ص٣١٧ – ٣١٨، سيد مصادر تاريخ اليمن ص ١٤٣ — ١٤٤، الحبشي. مصادر الفكر ص٤١٤، مقدمة محقق كتابهِ (بهجة الزمن) مصطفى حجازي في بداية كتابهِ.
[6] انظر مقدمة محقق الكتاب الأستاذ مصطفى حجازي (ص ٧ – ٨).

حينذاك كانت تبعيتها للدولة الإسلامية مطلقة يلي أمرها من يختاره الخليفة الإسلامي في المدينة أو دمشق أو بغداد، ومنذ انقسام الدولة العباسية بدأت ملامح الاستقلال في الأمصار الإسلامية ـ ومنها اليمن ـ تتضح، واصبح لكل دولة شأنها وسياستها وعلاقتها بغيرها.

استطاع المؤلف أن يعرض علينا تاريخ اليمن والدول التي قامت فيه، والأسرات الحاكمة التي تعاقبت كل منها بأسلوب سهل العبارة، وفي منهج قريب التناول، مما يجعل الكتاب في جملته وافيا بالحاجة[1].

وهناك ضرب من التواريخ العامة مرتبة على الأسرات، وهي تغطي تاريخ اليمن في عهد من العهود أو اكثر، منها كتاب: (السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن)، لمؤلفه الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران اليامي الهمداني، من أمراء عصره خلال الحكم الرسولي، ومعلوماتنا عنه قليلة، كان موجودا سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، يستدل على ذلك مما ذكره الخزرجي في العقود اللؤلؤية[2]، وهو من سلالة بني حاتم الهمداني سلاطين صنعاء[3]، وكان مقربا لدى سلاطين بني رسول، وظل محتفظا بمكانته عندهم حتى عهد السلطان الملك المؤيد داود[4].

وقد طبع كتاب السمط في لندن بتحقيق الدكتور ركس سمث، وهو يشمل تاريخ الدولة الأيوبية في اليمن من دخول توران شاه إليها سنة ٥٦٩ هـ، حتى نهايتها سنة ٦٢٧ هـ، ثم من بدء الدولة الرسولية حتى عهد الأشرف عمر سنة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٤م، وقد اعتمد عليه السيد يحيى بن الحسين كثيرا عند حديثه عن الدولة الأيوبية في اليمن، وقد أفادنا هذا الكتاب كثيرا فيما يتعلق بالدولة الأيوبية في اليمن منذ قيامها حتى نهايتها، وهذه المعلومات كانت ذات أهمية في الفصل الرابع من رسالتنا والفصلين الاقتصاديين (الخامس والسادس)، ضمنها روايات فريدة عن أمراء عدن خلال العهد الأيوبي لم تذكر في أي مصدر آخر، وقد انفرد بذكر إرسال الأتابك سنقر الشوائي سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م، لمحاربة السراق، بعد انقطاع مراكب الهند المتجهة إلى عدن لمدة سنة[5]، كما انفرد ابن حاتم بتحديد تواريخ الكثير من الوقائع الشهيرة باليوم والشهر والسنة وتحديد اسم اليوم أيضا، ولعل ذلك يرجع إلى انه كان على صلة بالدولة الرسولية ولذلك فإنه يعد من المؤرخين الرسميين، الذين كتبوا تواريخ معاصرة لهم

---

[1] نفس المصدر (ص ١٢).

[2] من ذلك قيامه بالصلح بين الأئمة الزيدية والملك الرسولي المظفر وكان من جلساء الأمير علم الدين سنجر الشعبي، وكان ذلك سنة ٦٧٢ هـ، وفي سنة ٧٠٢هـ، أرسله السلطان المؤيد داود إلى حصن ظفار للاتفاق نيابة عنه مع الأشراف الزيدية. الخزرجي. العقود اللؤلؤية، ١٨٦/١، ٣٣٨، الحبشي. مصادر الفكر ص ٤١٢، سيد. مصادر ص ١٣٦.

[3] ملوك صنعاء منذ سنة ٤٩٣ هـ، واستمروا في العهد الأيوبي، وكان السلطان علي بن حاتم جده. السمط الغالي ص١٨.

[4] سيد. مصادر ص ١٣٦ ـ ١٣٧، الحبشي. مصادر الفكر، ص٤١٢.

[5] السمط ص١٣١.

سواء بدافع ذاتي، أو بناء على أوامر الحاكم الذي كان يريد تدوين أعماله وأعمال أسرته، ولدينا أمثلة عديدة من هؤلاء المؤرخين الرسميين في تاريخ اليمن[1].

ومن الكتب الأخرى التي دونت التاريخ اليمني على الأسر كتاب: (شفاء القلوب في مناقب بني أيوب)، لمؤلفه احمد بن إبراهيم الحنبلي المتوفى سنة (٨٧٦ هـ/١٤٧١م)، وهو كتاب مهم افدنا منه كثيرا عند دراستنا للدولة الأيوبية في الفصل الرابع خاصة، وقد احتوى الكتاب رجال الدولة الأيوبية وأولادهم وأحفادهم من البنين والبنات، ولعله أول كتاب متخصص في الأسرة الأيوبية، وبرغم أهميته إلا إن محققه نشره بنسخة غير دقيقة تحتوي كثيرا من الأخطاء والتصحيفات التي أمكننا ملاحظتها بالمقارنة مع نسخته المخطوطة وهي من مقتنياتنا، كما تميزت طبعته بخلوها من الفهارس الخاصة بالأعلام والأماكن والمصطلحات، وهي فهارس مهمة جدا، وتعد من مستلزمات النشر في عصرنا الحديث.

ومن كتب التاريخ العام الأخرى صنف من المؤلفات تناولت دراسة تاريخ اليمن على الأسرات، وهي تغطي تاريخه من العهد النبوي حتى عصر المؤلف، من ذلك كتاب: (الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من ملوك الإسلام)[2]، لمؤلفه موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس الزبيدي اليمني المتوفى سنة (٨١٢ هـ/١٤١٠م)، وهو من كبار مؤرخي اليمن، ويعد بحق مؤرخ الدولة الرسولية، كان معاصرا للملك الأشرف إسماعيل المتوفى سنة (٨٠٣ هـ)، واجمع مترجمو الخزرجي على انه اعتنى بأخبار بلده فجمع لها تاريخا على السنين وآخر على الأسرات وتاريخا على الأسماء حسب حروف المعجم[3].

يتألف الكفاية من خمسة أبواب، إلا أن النسخة المخطوطة منه تبدأ بالباب الرابع ولا ندري ما الذي اشتملت عليه الأبواب الثلاثة الأولى، وينقسم الباب الرابع إلى عشرة فصول هي: فضل اليمن، دخول الإسلام في اليمن وولاته من الرسول، ولاة اليمن في عهد الخلفاء الراشدين، ولاته في عهد الأمويين، ولاته في عهد العباسيين، ولاته في عهد القرامطة، ولاته في عهد حكام صنعاء، ولاته في عهد الصليحيين، ولاته في عهد حكام صنعاء بعد الصليحيين، ولاته في عهد الزريعيين.

أما الباب الخامس من الكفاية فهو في تاريخ زبيد ودولها، واشتمل على اثني عشرة فصلا هي: اختطاط زبيد وتاريخ بني زياد، ولاة اليمن، النجاحيون، بنو مهدي،

---

[1] منهم جياش بن نجاح والخزرجي والديبع، وسنوالي دراسة مؤلفاتهم تباعا والإشارة لهذه الظاهرة.

[2] مخطوط المجمع العلمي العراقي في قسمين برقمي ٤٨،٤٩ تاريخ، ويقع القسم الأول وهو الذي يهمنا في (١٠٠) ورقة بلوحتين.

[3] ترجمة الخزرجي، أنظر عنها:
السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٥/٢١٠، الا كوع. إسماعيل بن علي. الخزرجي مؤرخ اليمن ومؤلفاته، مجلة العرب، ج١ ــ ٢، ص١٢ (الرياض، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م)، ونشر أيضا في مجلة المؤرخ العربي.ع ٤، (بغداد ١٩٧٧م)، ص١٢٣ – ١٢٩، وسنشير إلى مجلة العرب، سيد.مصادر (ص ١٦٣)، الحبشي.مصادر الفكر. (ص ٤١٧ – ٤١٨).

الايوبيون، الرسوليون، الملك المظفر يوسف، الملك الأشرف عمر، الملك المؤيد داود، الملك المجاهد علي، الملك الأفضل عباس، الملك الأشرف إسماعيل.

وكان لكتاب الكفاية أهمية كبيرة في رسالتنا وبصورة خاصة الفصول السياسية، فذكر بني زريع وبني مهدي والأيوبيين، وحدد تاريخ الكثير من الروايات بدقة متناهية باليوم وتاريخه من الشهر والسنة، وقد نحا منحى الخزرجي في هذا الباب من التأليف عبد الرحمن بن علي المعروف بالديبع والمتوفى سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٧م، في كتابه (قرة العيون في أخبار اليمن الميمون)[1]، وهو يشابه كتاب الكفاية في طريقة تأليفه، فالباب الرابع ومواضيعه نفسها وبنفس عدد الفصول (١٠ فصول)، أما الباب الخامس فقد أضاف إليه الديبع ستة فصول، فاصبح في (١٨ فصل)، ويهمنا من كتاب قرة العيون القسم الأول الذي ينتهي بنهاية الدولة الأيوبية في اليمن، وقد أفادنا كثيرا في الفصول السياسية لرسالتنا. وممن سار على نهج الخزرجي والديبع: عبد الله بن علي الوزير[2] المتوفى سنة ١١٤٧هـ/١٧٣٤م، في كتابه المخطوط الموسوم: (جامع المتون في أخبار اليمن الميمون)[3]، ويتألف من ٨١ ورقة بلوحتين لكل ورقة، وقد قسمه إلى أبواب حسب الدول التي حكمت اليمن، جعل لكل منها بابا منفردا، وقد أفادنا من الأبواب: السابع في ذكر الدولة الصليحية، والثامن في ذكر الدولة الهمدانية الحاتمية والتاسع في ذكر الدولة الأيوبية، وبذلك فانه أفادنا في المواضيع السياسية بالدرجة الرئيسية.

هذا وتجدر الإشارة إلى وجود عدد كبير من المؤلفات التي اتبعت ذات المنهج في عرض تاريخ اليمن، يجدها القارئ في قائمة المصادر.

٢- كتب مرتبة على السنين (الحوليات)

هنالك عدد كبير من المصادر التي تناولت تاريخ اليمن بصورة خاصة وتاريخ الإسلام ومنها اليمن بصورة عامة رتبت حوادثها على تسلسل السنين، نذكر منها كتاب (الكامل في التاريخ)، لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م، وقد ذكر حوادث كثيرة تتعلق بدراستنا لتاريخ اليمن حسب سنوات وقوعها، وهي ترتبط بالحوادث السياسية اكثر من غيرها.

ومن تلك الكتب: (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان)، لسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، وقد وردت في الجزء الثامن، معلومات عن تاريخ الدولة الأيوبية في اليمن أفدنا منها في الفصل الرابع بصورة خاصة في النواحي السياسية.

واختصر عماد الدين إدريس بن علي بن عبدالله الحسني الحمزي المتوفى سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م[4]، تاريخ ابن الأثير في كتابه الموسوم: (كنز الأخيار في السير

---

[1] حققه محمد بن علي الأكوع في قسمين متسلسلين في الصفحات.

[2] انظر ترجمته: الشوكاني. البدر الطالع ٣٨٨/١ -٣٩٠.

[3] مخطوط المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء رقم (٦٤)، تاريخ وتراجم.

[4] انظر عنه: سيد. مصادر تاريخ اليمن ص(١٣٨ - ١٣٩)، الحبشي. مصادر الفكر (ص ٤١٢).

والأخبار)[1]، وكان الحمزي من أمراء وأشراف اليمن، وهو من أهل صنعاء، وكان عالماً بالتاريخ، ومن ذوي الحظوة عند الملك المؤيد الرسولي، رشح لإمامة الزيدية، وقد أضاف لكتابه هذا أخبار العراق والشام ومصر إلى سنة ٧١٣هـ، فافدنا منه كثيرا في روايات تتعلق بالفصول السياسية حول بني زريع في عدن، من ذلك ذكر الحملة التي جهزها السلطان السلجوقي ملكشاه على عدن في عهد الأمير زريع بن العباس سنة ٤٨٥هـ[2]/ ١٠٩٢م، والتي انفرد بذكرها ابن الأثير وابن كثير، كما ذكر أخبارا عن الأيوبيين في اليمن.

وكتب الحوليات كثيرة، منها (غربال الزمان)، للعامري المتوفى سنة ٨٩٣هـ[3]/١٤٨٧م، و(أنباء الزمن)[4]،و(غاية الأماني في أخبار القطر اليماني)[5]، وهما ليحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م، و(اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية) للكبسي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، وهي كتب تهتم بالحوادث السياسية والحربية بالدرجة الأولى.

٣ـ كتب الطبقات:

من كتب الطبقات القديمة في اليمن كتاب: (طبقات فقهاء اليمن)، لمؤلفه عمر بن علي بن سمرة الجعدي[6]، ولد سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م، في قرية انامر من بلاد العوادر، وأخذ عن عدد كبير من علماء عصره، وكان فقيهاً شافعياً، ولي قضاء أبين سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، أي انه عاش كل المدة التي قامت فيها الدولة الأيوبية في اليمن، وكانت وفاته بعد سنة ٥٨٦هـ[7]/ ١١٩٠م. وقيل سنة ٥٨٧هـ[8].

وقصد المؤلف من تأليف كتابه أن يعرف كل فقيه يمني حال اليمن منذ الرسول ﷺ إلى وقته هو[9]، ورسم لنفسه منهجا تاريخيا يتضمن ذكر كل من تولى الأحكام والقضاء والفقه في هذه الفترة من الزمان، مع إيراد ما أمكنه الحصول عليه من أخبارهم وحياتهم ومصنفاتهم، واهم الحوادث التاريخية المتصلة بذلك، معتمداً على كتب التاريخ والفقه والحديث، حتى إذا ما وصل الحديث عن معاصريه كانت تراجمه في هذا الباب تحوي معلومات وأخبار مهمة اعتبرت أساسا لجميع من ترجموا لهؤلاء الأعلام بعده،

---

[1] مخطوط مكتبة المتحف البريطاني رقم: OR, 4581.

[2] انظر ورقة ٩٨ أ، وقد ذكرنا تلك الحملة في الفصل الثاني.

[3] مخطوط المتحف البريطاني رقم: (OR 21587). انظر عن ترجمة العامري: الحبشي. مصادر الفكر ص ٤٢٤.

[4] مخطوط المكتبة الغربية في جامع صنعاء رقم(١٧)، تاريخ وتراجم.

[5] مطبوع وقد استخدمنا القسم الأول منه فقط.

[6] ذكرنا ترجمته في الفصل السادس (سكان عدن)، نقلا عن كتابه ومصادر أخرى.

[7] سيد.مؤرخو اليمن (ص ١٠١٥)، الحبشي مصادر الفكر(ص ٤٠٧)، مصطفى. التاريخ العربي ٣٤٩/٢.

[8] صالح الحامد. تاريخ حضرموت ٤٥١/٢.

[9] راجع الكتاب (ص ١٤٢).

ويعتبر هذا الكتاب من اقدم الكتب اليمنية، إن لم يكن أقدمها جميعا، ومؤلفه شافعي المذهب يحكي لنا قصة دخول المذهب الشافعي إلى اليمن، وانتشاره فيها.

إن كتاب طبقات فقهاء اليمن مهم جدا بالنسبة لموضوع رسالتنا، لما احتواه من معلومات قيمة، سيما وانه كان معاصرا لكثير من الحوادث، فكان ينقل بعض الأخبار عن والده ومنها مولده ونشأته الأولى[1]، وذكر شيوخه[2]، وذكر وفاة والده سنة ٥٧٤هـ[3]/١١٧٨م، وفي تلك السنة أيضا زار مكة[4]، إذ اتجه إليها بطريق البحر من عدن وكان بصحبة الشيخ علي بن احمد القريضي خطيب عدن وعدد من التجار، وقد تولى قضاء أبين سنة ٥٨٠هـ[5]/١١٨٤م، وزار عدن في السنة التالية في شهر ربيع الأول منها، ولقي الشيخ الفقيه حسن بن أبي بكر الشيباني[6]. وكانت طريقته ضبط وفيات من ترجم لهم، لكنه ترك تحديد سنوات وفيات عدد من الذين كان معاصرا لهم، ولعل ذلك يرجع إلى انه كتب كتابه ثم توفي قبل أولئك الذين ذكرهم، وهو يستطرد أحيانا فيذكر معلومات مهمة في التاريخ بعيدة عن موضوع الترجمة ولا صلة لها به، ثم يعود إلى ما كان فيه، بقوله: ولنرجع إلى ما كنا فيه، ويترجم أحيانا لبعض العلماء من غير أهل اليمن ممن تلقى عنهم صاحب الترجمة التي يؤرخ لها، فيترجم لهم، وبذلك حفل كتابه بتراجم مهمة لأعيان فقهاء الشافعية، فيما بين القرنين الرابع والخامس الهجريين، وكانت بعض التراجم خاصة الأخيرة في الكتاب موجزة ومختصرة جدا، مما يدل أن معلوماته عنهم لم تكن كافية[7].

وكان لهذا الكتاب أهمية كبيرة وقيمة عالية عند المؤرخين، فاعتمد عليه كثير منهم أمثال الجندي والديبع وغيرهما،وقد أفادنا هذا الكتاب كثيرا إذ ترجم لمن دخل عدن من رجال المذهب الشافعي، ومنهم بعض العراقيين مثل ابن عبدويه النهرواني[8]، والقاضي منصور بن إبراهيم الموصلي[9]، وقد رجعنا إليه عند دراستنا سكان عدن في الفصل السادس، كما ذكر قضاة عدن في عهد بني زريع والدولة الأيوبية إضافة إلى انه أشار لحوادث عديدة في العهد الأيوبي كانت ذات أهمية كبيرة في رسالتنا.

ومن كتب الطبقات المشهورة عند أهل اليمن كتاب (السلوك في طبقات العلماء والملوك)، المعروف بـ: تاريخ وطبقات الجندي، ومؤلفه بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، ولم تمدنا المصادر

---

[1] انظر (ص٢ – ٣) من الكتاب، وذكر وفاة أخيه يحيى سنة ٥٧٦هـ. (ص ٣).
[2] (ص٤).
[3] (ص١٩٠).
[4] (ص ١٤٧).
[5] (ص٢٢٣).
[6] (ص ١٢٧)، راجع الفصل السادس (سكان عدن).
[7] راجع مقدمة المحقق المرحوم فؤاد سيد.
[8] الكتاب (ص ١٤٤) فما بعد.
[9] (ص ٢٠٤، ٢٢٦)، راجع الفصل السادس/ سكان عدن.

بمعلومات كافية عن هذا المؤرخ. لكن كتابه يعد من أهم المصادر اليمنية الشاملة، وقد حشد فيه معلومات مهمة وغزيرة عن تاريخ اليمن الإسلامي[1].

قال الجندي[2] في خطبة الكتاب: ((... فأحببت حينئذ وضع كتاب اجمع فيه غالب علمائه وأذكر مع ذكر كل ما ثبت من حاله مولدا ونعتا ووفاة بعد أن أضم إلى ذلك إشارة من اعتقد أن إشارته حكم وطاعته غنم ...)). وقد بدأه بالعلمساء، ورتبه على الطبقات وابتدأ بذكر خلاصة السيرة النبوية، ومن دخل اليمن من الصحابة، ثم ذكر المشهورين من علماء التابعين من أهل اليمن، وقد اعتمد على ثلاثة كتب هي: كتاب طبقات الفقهاء لابن سمرة الجعدي، الذي ذكر غالب الفقهاء باليمن منذ ظهور الإسلام إلى بضع وثمانين وخمسمائة، والثاني كتاب أبي العباس أحمد بن عبد الله الرازي الصنعاني وهو كتاب تاريخ صنعاء، ويقاربه تاريخ صنعاء لابن جرير الصنعاني الزهري، والثالث تاريخ عمارة الموسوم بـ: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد[3].

يتكون المخطوط الذي اعتمدناه في رسالتنا من (٢٩٥ ورقة)، كل ورقة مرقمة ومستقلة وغير مقسومة إلى لوحتين، وينتهي الجزء الأول في الورقة (١٦٩)، ثم يبدأ الجزء الثاني بالورقة (١٧٠)، وتجدر الإشارة إلى أن ترقيم الجزأين مستمر، فحيثما أشرنا إلى رقم الورقة دون أن تكون مقرونة بـ"أ،ب"، فهذا يعني إنها مخطوطة السلوك نسخة مكتبة الجامع الكبير الغربية، وقد حرصنا على أن نسبق الورقة برقم الجزء للدقة.

إن كتاب السلوك هذا ذو أهمية كبيرة في رسالتنا، وقد غطى كافة فصولها، إذ احتوى تراجم لعلماء وفقهاء وقضاة وأمراء اليمن في المدة موضوع البحث، كما ذكر وحدد الكثير من أسماء القرى والمدن والحصون مما أعاننا في تحديدها وضبط مواقعها سواء في الفصل الجغرافي أو في الفصول اللاحقة عند ذكر تلك المواقع، وأفادنا كثيرا في دراستنا لسكان عدن إذ حدد نسب كل من دخلها ولقبه في المدة التي تناولتها دراستنا، وكذلك أفادنا كثيرا في عرض الحوادث التي رافقت بني المكرم في عدن ومن بعدهم بني زريع بعد استقلالهم فيها ثم الدولة الأيوبية، ومنها روايات ذات أهمية في دراستنا الاقتصادية أيضا، فالكتاب مهم جدا بالنسبة لدراستنا.

وجاء في الورقة (٢٩٥)، وهي الأخيرة ترجمة محمد بن علي بن محمد بن يوسف الخلي، فذكر انه ولي قضاء المحالب من قبل ابن الأديب، وهو عليه إلى الآن سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م.

وبرغم أهمية كتاب السلوك، فان النسخة التي بين أيدينا ناقصة، قال الجندي[4]: وقد انقضى ذكر الجبال ولم يبق إلا العودة إلى تهامة فأبدا منها بما يقارب الجبال المذكورة، ولا أزال سالكا حتى انتهي إلى موزع وهي آخر تهامة من جهة اليمن ثم اذكر فقهاء

---

[1] سيد. مصادر (ص ١٤٠)، الحبشي. مصادر الفكر (ص ٤١٣).

[2] انظر: السلوك، مخطوط المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم (٤٦)، تاريخ وتراجم، ورقة ٣.

[3] السلوك ورقة ٢ – ٧، انظر أيضا: سيد.مصادر (ص ١٤٠).

[4] السلوك، و ٢٩٣ في حديثهِ عن المهجم.

البلاد التي بينها وبين عدن من الجبال مما لم اكن قد ذكرته لا أزال سالكا حتى آتي بذكر عدن ونواحيها ثم اسلك طريق احور حتى ادخل الشحر ثم ارتحل إلى ظفار وهي نهاية جزيرة العرب فأول بلد يقارب الجبال المذكورة مما لم يذكر في كتابنا مدينة المهجم[1].

وهذه الملاحظة جعلتنا ندرس نسخا أخرى من السلوك في ذات المكتبة، منها النسخة رقم (٤٧)، تاريخ وتراجم،لكنها هي الأخرى ناقصة في ذكر ملوك تهامة، أي أنها ناقصة باب الملوك، فهي مطابقة لنسختنا التي اعتمدناها وهنالك نسخة ثالثة في ذات المكتبة برقم (٤٨)، تاريخ وتراجم، تحتوي على الجزء الأول فقط، وتقع في (١٣٨) ورقة، فهي ناقصة أيضا برغم قدمها، لذلك تركنا اعتماد النسختين سالفتي الذكر.

لقد اهتدينا بعد ذلك إلى تكملة تاريخ الجندي، وذلك عند مراجعتنا المكتبة الشرقية في الجامع الكبير بصنعاء، فوجدنا نسخة كتب عليها ما نصه: الجزء الثالث من تاريخ العلماء والملوك تأليف القاضي الأجل الأوحد بهاء الدين الجندي رحمة الله عليه[2]، وهي تحمل رقم (٢٥)، تاريخ، وتتكون من (١٧٦) ورقة كل واحدة بلوحتين أ ـ ب، عدا الورقة الأخيرة فهي مكونة من لوحة واحدة فقط (أ)، جاء فيها " تم الجزء الثالث من الكتاب بحمد الله ومنه".

والواقع أن هذا الجزء هو تكملة للجزأين السابقين، ولعل من الغريب أن يشتت كتاب واحد ولمؤلف واحد بين مكتبتين متجاورتين، ومهما يكن فان وجود هذا الجزء قد حل لنا مشكلا اعتبرناه كبيرا بالنسبة لنا، سيما وانه كتاب مهم ومشهور، وقد ضمنه الجندي تراجم لكثير من العلماء والأمراء، وفيه عدة عناوين منها: ملك الجبال وعدن[3]، ذكر فيه حكم بني معن على عدن، وتولي السيدة الحرة الحكم بعد وفاة الصليحي، وسرد إمارة بني المكرم على عدن، وذكر حوادث كثيرة على علاقة بموضوع دراستنا، منها قدوم ابن نجيب الدولة إلى اليمن وأخبار بني المكرم في عدن[4].

وذكر أيضا ملوك الحبشة من بني نجاح[5]، والدولة الأيوبية في اليمن حتى نهايتها[6]، واستمر في تسلسل الدول، فذكر الدولة الرسولية ومؤسسها عمر بن علي بن رسول[7]، وقد افدنا كثيرا من تكملة تاريخ الجندي في كافة فصول رسالتنا.

ذكر الجندي في كتابه هذا كثيرا من الحوادث المعاصرة له، فهو يستمر أحيانا في ذكر أسرة معينة ويوصلها إلى عصره، فيشير إلى رجالها المعاصرين له، وقد استمر في ذكر حوادث تاريخ اليمن حتى عصره سنة ٧٢٤هـ[8]، وذكر حوادث أخرى في سنة

---

[1] كان نسخ هذا المخطوط لثمان وعشرين يوما خلت من شهر شوال سنة ١٣٥٥ هـ.
[2] كان ذلك على الورقة الأولى من الكتاب المخطوط.
[3] ورقة (٩٨) ب.
[4] ورقة (١٠٣) أ، بداية ذكر بني زريع أمراء عدن.
[5] ورقة (١٠٦) أ، ونقل عنه الشرفي. اللآلئ ج ٢ و١٢٢ أ - ١٢٤ ب.
[6] ورقة ١١٤ أ - ١٢٣ ب، ونقل عنه الشرفي. اللآلئ ج ٢ و ١٣٣ب.
[7] ورقة ١٢٤ أ فما بعد.
[8] من ذلك كلامه عن فقهاء ظفار ورقة ٩٢ أ.

٧٢٥هـ[1]/١٣٢٤م، وقد نقل العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي كثيرا من تاريخ الجندي، في الجزء الثاني من كتابه المخطوط: (اللآلئ المضية في أخبار أئمة الزيدية)[2]، وكان الكثير منها قد نقل حرفيا وبصورة متطابقة تقريبا. وفي الختام نشير بأننا ميزنا الجزء الثالث من كتاب السلوك وذلك بذكر رقم الورقة متبوعا برقم اللوحة أ ، ب، فحين نذكر الجندي وكتابه السلوك، نذكر أيضا الجزء الثالث، ثم رقم الورقة واللوحة، في حين أن الجزأين الأول والثاني لا يحتويان رقم اللوحة.

وفي ختام هذا الصنف من المصادر نذكر كتاب: (المستطاب في تاريخ علماء الزيدية الاطياب)[3]، وكتاب: (الطبقات في ذكر فضل العلماء وعلمائهم ومصنفاتهم[4])، ويسمى: "الطبقات الزهر في أعيان العصر"، وهما من تأليف يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م.

وهذان الكتابان ألفهما يحيى في طبقات العلماء الزيدية، وقد افدنا منهما في تراجم بعض العلماء المعاصرين للحوادث السياسية مثل محمد بن عليان الذي كان في صراع ضد بني زريع وحلفائهم بني حاتم في صنعاء في عهد الداعي عمران بن محمد بن سبأ، وكذلك ترجمة القاضي علي بن عبد الأعلى الذي دخل عدن في عهد عمران بن محمد مبعوثا من قبل الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، وكان يحمل أسماء الدعاة فقبض عليه، واطلع الداعي عمران على كتاب الدعوة الذي كان يحمله.

ورغم قلة المعلومات التي وردت في الكتابين إلا أنها مهمة جدا، لأنها كانت فريدة في بابها، وقد افدنا منهما في دراسة الصراع السياسي والمذهبي في اليمن في عهد الداعي عمران بن محمد بن سبأ، وذلك في الفصل الثالث من رسالتنا.

٤- كتب التراجم والسير:

لهذه المصادر أهمية كبيرة في رسالتنا لما احتوته من معلومات عن الأمراء والقادة والعلماء والقضاة الذين ارتبطوا بحوادث تاريخية متنوعة، وفي مقدمة هذه المصادر كتاب (النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية)، تأليف عمارة اليمني، وقد صدر الكتاب بتاريخ حياته، وذكر نشأته وسيرته[5]، وكان من أهم ما ورد فيها تردده بين عدن وزبيد في عهد الداعي محمد بن سبأ، وقد انفرد بذكر رواية مهمة جدا حول قيام بلال بن جرير المحمدي أمير عدن وقائد جيش الداعي محمد بن سبأ بغزوة على مدينة زبيد، وذلك بأسطول مكون من عدد من السفن في سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م، فانقطع السفر بين المدينتين لمدة ثلاث سنوات، وقد عمل عمارة في التجارة مستغلا تلك الظروف وجمع

---

[1] ورقة ١٧٥ أ.

[2] نسخة مكتبة الجامع الكبير الشرقية رقم (١٠٨).

[3] نسخة مكتبة الجامع الكبير الغربية رقم (١٧٧)، تاريخ وتراجم.

[4] نسخة شخصية للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع.

[5] انظر عن هذا الكتاب:سيد. مؤرخو اليمن (ص ١٠١٢)، مصطفى. التاريخ العربي ٢/٢٤٧ – ٢٤٨، د. ذو النون المصري. عمارة اليمني ص ١٩٧ – ٢٠٣.

ثروة طائلة من عمله[1]، وكذلك انفرد عمارة بذكر العلاقة بين الفاطميين في اليمن وبني زريع في عدن بعد وفاة الداعي عمران بن محمد بن سبأ، ففي سنة ٥٦١هـ/١١٦٦م، اقترح بعض رجال الدولة الفاطمية مثل شاور والكامل أن يرسلوا الهدايا والأموال إلى عدن لولدي الداعي عمران، ويسيروا إليهم كتاب توليهم الدعوة الفاطمية في اليمن، لكن عمارة منعهم حين استشاروه في ذلك الأمر، وأوضح لهم أن أهل اليمن هم الذين كانوا يبعثون للخلفاء الفاطميين الهدايا والأموال السنوية من اجل أن يولوهم أمر الدعوة، وأضاف بان تبرعهم بها سيكون سببا في تهوين حرمتها، لذلك تركوا تلك الفكرة[2]، ولم نجد لروايتي عمارة سالفتي الذكر دعما في مصادر أخرى، فإن كلا منهما تعد ذا أهمية كبيرة جدا، لأنها منقولة عن شاهد عيان معاصر لها، ولذلك فان لكتاب النكت العصرية قيمة كبيرة في رسالتنا خصوصا في الفصلين الثالث والسادس.

وأخذنا من كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، في تراجم الكثير من الأعلام الذين دخلوا اليمن، أو أصحاب العلاقة بها من أمراء وقادة وفقهاء وأدباء ورد ذكرهم في ثنايا رسالتنا، والكتاب مرتب على حروف المعجم، وأخباره منقولة من مصادر سبقته، غالبا ما كان يشير إليها.

ومن المصادر التي عنيت بالتراجم مخطوط: (العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية)، للملك العباس بن علي المعروف بالأفضل الرسولي الغساني، سادس ملوك بني رسول في اليمن، توفى سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٧م، وقد ترجم في كتابه لمن دخل اليمن من الصحابة ومن بعدهم من العلماء والأولياء والوزراء والرؤساء، ورتبه على الحروف[3]، وقد افدنا منه في تراجم الكثير من العلماء والأمراء والقادة الذين دخلوا اليمن واستقروا فيها، وكانت فائدته كبيرة لنا عند دراستنا لسكان عدن في الفصل السادس.

وكان من كتب التراجم المشهورة كتاب: (طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن)، لعلي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، ولابد لنا من تحديد اسم هذا الكتاب لما ورد فيه من لبس واختلاف.

لقد وقفنا على نسخة مصورة من مكتبة المتحف البريطاني تحمل الرقم OR.٢٤٢٥، جاء في ورقة العنوان[4]: (كتاب العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن)، لكن هذه التسمية تتغير باستمرار، قال الخزرجي[5]: "وسميته طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن"، ويسميه أيضا[6]: " طبقات أعيان اليمن الأعلام والطارئين عليها من غيرهم في

[1] النكت العصرية، ص٢٦ - ٢٨، راجع الفصل السادس.
[2] نفسه ص ٩٢، راجع الفصل الثالث.
[3] سيد. مصادر تاريخ اليمن ص١٤٨.
[4] ورقة رقم (١)، وهي بلوحة واحدة فقط.
[5] نفس النسخة ورقة ٦ ب.
[6] ورقة ١٥٦ أ.

دولة الإسلام"، وهذا يعني انه لم يترجم فقط لأعيان اليمن، بل ترجم أيضا للطارئين الذين دخلوا اليمن في عهود التاريخ الإسلامي.

تتكون نسخة المتحف البريطاني من مقدمة في تاريخ الإسلام ابتداء من عهد الرسول (ﷺ)، حتى وفاة برقوق في العشر الأواخر من شهر شوال سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، فيقول بعدها[1]: "تمت المقدمة المباركة بحمد الله ومنه وتوفيقه يتلوها إن شاء الله مضمون الكتاب "، ثم يعدد في الورقة ١٥٤ب أسماء الخلفاء بعد وفاة الرسول (ﷺ)، من الراشدين والأمويين والعباسيين وبعدها يبدأ ترتيب الأبواب كما ذكر في ترتيب كتابه، وكان الباب الأول في الهمزة[2]، وقد انتهى المجلد الأول من نسخة المتحف البريطاني عند نهاية حرف الحاء[3].

أوضح الخزرجي طريقة ترتيب كتابه بعد المقدمة التي افتتحها به، إذ يقول[4]: "... واختم المقدمة المذكورة بفصول أخر اذكر فيها من ولي الخلافة بعد المستعصم إن شاء الله تعالى وبه التوفيق ثم اشرع بعد ذلك في مضمون الكتاب وأرتب الأسما [كذا]، المذكورة على ترتيب حروف المعجم في اصطلاح أهل اليمن، فابدأ بالألف التي هي صورة الهمزة، ثم الباء، ثم التاء، ثم الثاء، ثم الجيم، ثم الحاء، ثم الخاء، ثم الدال، ثم الذال، ثم الراء، ثم الزاي، ثم السين، ثم الشين، ثم الصاد، ثم الضاد، ثم الطاء، ثم الظاء، ثم العين،ثم الغين، ثم الفاء، ثم القاف، ثم الكاف، ثم اللام، ثم الميم، ثم الواو، ثم النون، ثم الهاء، ثم الياء، فأبدا من الأسماء المقصورة بما كان أوله ألف، وأرتب الحروف الواقعة بعد الألف على ترتيبها المذكور ... وجعلت المسمين بالكنى كأبي بكر وأبي الغيث ... في باب آخر بعد أبواب الحروف المذكورة، ثم اختم الكتاب بباب اذكر فيه مشاهير النساء فتصير الأبواب ثلاثين بابا ثمانية وعشرون بابا لحروف المعجم، وباب للمسمين بالكنى وباب للنساء فاحفظ ذلك تصب إن شاء الله تعالى".

يتضح مما قاله الخزرجي طريقته في ترتيب كتابه، فهو يتألف من ثلاثين بابا، وجاء في نسخة المتحف البريطاني ورقة ١٩٢ أ،: "تم الجزء الأول من الكتاب..."، وكما ذكرنا فان هذه النسخة تنتهي بنهاية حرف الحاء بالورقة ٢٣٧ ب، وهنا يثار تساؤل أين تكملة هذا الكتاب؟

عند زيارتنا صنعاء، وبينما كنا نبحث في فهرس المكتبة الغربية بالجامع الكبير عن مخطوطات تاريخ اليمن، وجدنا كتابا مخطوطا للخزرجي بعنوان،: طراز أعلام الزمن في طبقات أعلام اليمن"، تحت رقم (١٣٠)، تاريخ وتراجم[5]، فوجدنا أن مقدمته لا تختلف مطلقا عن نسخة المتحف البريطاني، وتتكون هذه النسخة من (١٤٥) ورقة بقسمين أ، ب، عدا الورقة الأخيرة، فانها مفردة، وكتب عليه بأنه المجلد الأول ويتكون من جزأين

---

[1] تنتهي المقدمة بالورقة ١٥٤ أ.

[2] انظر ورقة ١٥٦ أ.

[3] ينتهي بالورقة ٢٣٧ ب.

[4] ورقة ٥ ب – ٦ أ.

[5] فهرس مخطوطات المكتبة الغربية(ص ٦٨١).

الأول والثاني، ينتهي الجزء الأول بالورقة(٨٢ أ)[1]، وجاء فيها ما نصه: "تم الجزء الأول من الكتاب بتاريخ عشرة أيام من شهر جمادى الأول سنة ثلثين وتسعمائة".

وعلى الورقة الأولى التي تحمل العنوان وجدت الكتابة التالية:

"الموجود في هذا المجلد إلى من اسمه عبد الله بن العباس الشاوري من أثناء الباب الثامن عشر وهو باب العين المهملة" وتحت تلك الكتابة كان اسم فؤاد سيد عضو البعثة المصرية للمخطوطات مؤرخة في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٧١هـ/ ١٠فبراير سنة ١٩٥٥م.

نستنتج مما سبق أن هذا المجلد يشمل المقدمة التاريخية الطويلة إضافة إلى أسماء المترجم لهم، وينتهي إلى أثناء الباب الثامن عشر، وهو باب العين المهملة، وقد كتبت أسماء المترجم لهم بالمداد الأحمر.

ووجدنا على الورقة الأولى تحت العنوان في هامش جانبي على اليسار كتابة مائلة نورد نصها أدناه: "بسم الله من خزانة المفتقر إلى الله أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى بن المنصور بالله محمد بن يحيى جملهم الله في الدارين ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٧هـ".

وتجدر الإشارة هنا إلى أن نسخة المكتبة الغربية هذه لكتاب طراز أعلام الزمن ليست أصلية، بل إنها منقولة باليد تحت إشراف المرحوم فؤاد سيد الذي سجل ملاحظاته عنها في صفحة العنوان، ونستدل من تلك الكتابة على أن المخطوطة كانت من خزانة الملك يحيى حميد الدين وتاريخ تملكها سنة ١٣٣٧هـ، وعند الرجوع إلى نهاية نسخة المكتبة الغربية، وجدنا على الورقة (١٤٥ أ)، ما نصه: "تم الجزء الثاني من تاريخ العلامة الحسن بن علي الخزرجي تولا [كذا] الله مكافاته وكان الفراغ من نقله نهار الخميس الموافق سبع عشرة من شهر القعدة الحرام سنة سبع وثلاثين وثلثماية وألف ١٣٣٧، بقلم أسير الذنوب والأوجال قاسم بن عبد الله دلال عفى الله عنهما آمين"، لكننا اعتمدنا على نسخة المتحف البريطاني في التراجم التي تنتهي بحرف الحاء؛ لأنها اقدم وأوثق.

والدليل على قدم نسخة المتحف البريطاني لمخطوطة طراز أعلام الزمن، ما ورد في الورقة الأخيرة منها (٢٣٧ ب)، بما نصه: "اتفق الفراغ من زبر هذا الكتاب المبارك ضحوة نهار الاثنين التاسع من شهر شعبان الكريم أحد شهور سنة تسعمائة من الهجرة النبوية الشريفة"، وهذا يؤكد ان نسخة المتحف البريطاني هي أوثق واقدم، ويظهر خط هذه النسخة القديم بالمقارنة مع الخط النسخي الحديث للمخطوطة في الجامع الكبير.

إن هذه الإطالة والتتبع نبررهما بأننا أبقينا استعمال نسخة المتحف البريطاني بالرغم من أنها غير كاملة؛ لأنها اقدم، ورمزنا إليها في هوامش الرسالة: (متحف)، ورمزنا لنسخة الجامع الكبير الغربية بصنعاء، بـ: (غربية)، توخيا للدقة والأمانة العلمية في البحث.

---

[1] تقابلها الورقة (١٩٢ أ)، من نسخة المتحف البريطاني المشار إليها سابقا.

ويكمل مخطوطتي طراز أعلام الزمن في المتحف البريطـــاني والمكتبـة الغربيـــة، مخطوط المكتبة الغربية الذي يحمل العنوان: (النصف الثاني من كتــاب العقـد الفــاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن)، للخزرجي نفسه، وهذا الجزء يبدأ أثنـــاء بـاب العيـن بترجمة العلاء بن عبدالله بن محمد بن العلاء بن الوليـد الحمـيري، وينتـهي بالبـاب الثلاثين، وهو باب النساء، ويتكون من (٢٣٣)، ورقة بلوحتين، عدا الورقة الأخـيرة، وبذلك يكمل هذا الكتاب الخطة التي رسمها الخزرجي ووصفها في بدايـة كتابـه الـذي يحتوي على ثلاثين بابا للتراجم، وهذا يؤكد لنا أن كتاب طراز أعلام الزمن هـو نفسـه كتاب العقد الفاخر الحسن، وأن التسميتين هما تسمية واحدة لكتاب واحد مـن مؤلفـات الخزرجي، إلا أننا سنبقي كل نسخة ونرمز لها رمزها الخاص، وذلك لأن كتـاب العقـد الفاخر أعطي رقما خاصا في فهرس المكتبة الغربية[١]، ونحن بدورنا اعتمدنـا نسـختين لطراز أعلام الزمن رمزنا لكل واحدة منهما برمـز خـاص، وهمـا نسـختي المتحـف البريطاني والمكتبة الغربية بصنعاء.

وتجدر الإشارة إلى أن نسخة العقد الفاخر الحسن هذه قديمة، كتـب أكثرهـا إلـى الورقة (١٣٦)، بخط قريب الشبه بالخط المغربي، وبقية الكتاب كتب بقلم مؤلفـه وقـد فرغ من تبييض آخره سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، أي قبل وفاته بإحدى عشرة[٢] سنة، يقـول الخزرجي[٣]: " وكان الفراغ من جمعه الاماشذ في أول سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية، وكان الفراغ من نساج هذا الكتاب في آخر سنة إحدى وثمانمائة وصلى الله على النبـي وآله وسلم على يد جامعه الفقير إلى الله تعالى علي بن الحسـن الخزرجـي وفقـه الله للعمل بما فرضه العهد".

إن لكتاب (العقد الفاخر الحسن) أهمية كبيرة في رسالتنا، لان تراجمه دقيقـة وذات علاقة وثيقة بمواضيع الرسالة وفصولها، ويكاد هذا المخطوط يغطي معظم الفصول.

وكان لكتاب (تحفة الزمن في سادات اليمن وأخبار ملوكهم وأمرائهم[٤])، أهمية فـي بحثنا، ومؤلفه الحسين بن عبد الرحمن الاهدل، المتوفى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م[٥]، وهو انتقاء وانتخاب من تاريخ الجندي مع زيادات مستحسنة[٦]، وقد افدنا منـه فـي تراجـم وحوادث كثيرة من فصول رسالتنا.

ومن كتب التراجم المهمة في رسالتنا كتاب: (تـاريخ ثغـر عـدن)،ج ٢، الخـاص بالتراجم، لمؤلفه أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد أبو مخرمة، المتوفى سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، وهو كتاب في تراجم من دخل عدن من أهل اليمن وغيرهم، مرتـب

---

[١] نسخة مكتبة الجامع الكبير الغربية رقم (١٣٦)، تاريخ وتراجم. انظر: فهرس المكتبة الغربيـة (ص٦٨٤)، الحبشي. مصادر الفكر ص٤١٨.

[٢] انظر: إسماعيل الأكوع. الخزرجي مؤرخ اليمن ومؤلفاته، العرب، ص ١١٩.

[٣] العقد الفاخر، ورقة ٢٣٣ أ.

[٤] مخطوط مكتبة الجامع الكبير الغربية رقم (٥٥) تاريخ وتراجم.

[٥] انظر عنه: الشوكاني. البدر الطالع ٢١٨/١ – ٢١٩، سيد. مصادر ص ١٧٨ – ١٧٩.

[٦] راجع البحث الذي كتبه علي عقيل عن هذه المخطوطة: المؤرخ العربي ع١٥ ص ٢٨٧ فما بعد.

على حروف المعجم، وقد توخى مؤلفه الدقة والضبط في تراجمه، وكان لـــهذا المعجـــم أهمية كبيرة في رسالتنا إذ استخدمناه في كافة فصولها.

وذكر ايمن فؤاد سيد[1]، أن أبا مخرمة أراد أن يجعل من هذا الكتاب معجمـــا قوميـــا كبيرا لتراجم حكام عدن واليمن ورجالها ونسائها والواردين عليها منذ دخـــول الإســـلام إلى اليمن إلى ما قبل عصره، وبذلك يكون من المفكرين في كتابة معجم قومي للأعلام.

٥ـ تواريخ المدن:

اعتمدنا في رسالتنا على عدة مصادر كتبت عن مختلف مدن اليمن، وكـــان أقدمـــها تاريخ مدينة صنعاء[2]، لمؤلفه أحمد بن عبدالله الرازي الصنعاني المتوفـــى بعـــد ســـنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م، احتوى معلومات مهمة عن مدينة عدن بخصوص تسميتها وقدمـــها في القرآن الكريم والحديث الشريف، وكذلك وردت فيه نصوص عن مدن أخـــرى مثـــل أبين افدنا منها عند دراستنا لجغرافية عدن في الفصل الاول، ويعد هذا الكتاب ذا أهميـــة كبيرة في تواريخ مدن اليمن، وكان من مصادر الجندي في كتابه: السلوك فـــي طبقـــات العلماء والملوك.

ألف أبوالطامي نصير الديـــن جيـــاش بـــن نجـــاح أمـــير زبيـــد المتوفـــى ســـنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م، كتاب (المفيد في أخبار زبيد)، لكن من المؤسف إن هذا الكتـــاب لـــم يصلنا، ويعرف ذلك الكتاب بمفيد جياش، للاحتراز عن مفيد عمارة، وكان كتابا متســـع الإفادة إلا انه عزيز الوجود بل هو مفقود من زمن، واختلف في سبب عدمه، فقيل لأنـــه كشف انساب عدة من الناس كانوا يعتزون إلى العرب، فحكى عنهم غير ذلك، فبالغوا في إعدامه من أيدي الناس، وقد اعتمد عليه عمارة كثيرا ونقل عنه في كتابه المفيد[3].

وقد حظيت مدينة زبيد بمؤلفات عديدة، منها(الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد)[4]، لمؤلفه حسين بن عبد الرحمن الاهدل المتوفى سنة ٨٥٥هـــــ/١٤٥١م، وهـــو كتـــاب ضخم، بدأه منذ اختطاط مدينة زبيد سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م، من قبل محمد بن عبد الله بن زياد، واستمر في سرد تاريخها حتى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م[5].

وكتاب الجوهر الفريد هو تراجم لولاة زبيد وقضاتها وأشرافها وأمرائها وينطبق هذا على المدن اليمنية الأخرى، وقد عرف بتلك المدن، ونقل معظم معلوماته عـــن الجنـــدي

---

[1] مصادر تاريخ اليمن، ص ٢٠٦.

[2] حققه حسين العمري وعبد الجبار زكار، وطبع في دمشق سنة ١٩٧٤م انظر عنه: سيد. مؤرخـــو اليمـــن ص ١٠٠٨ – ١٠٠٩، الحبشي. مصادر الفكر ص ٤٠٥، مصطفى. التاريخ العربي ٣٤١/٢.

[3] انظر عنه: سيد. مؤرخو اليمن (ص ١٠٠٧ – ١٠٠٨)، مصطفى. التاريخ العربي ٣٤٣/٢.

[4] مخطوط مكتبة المتحف البريطاني رقم: OR ١٣٤٥ وورد خطأ مؤلفه: محمد بن محمد بن منصور بـــن أسير. انظر عنه: سيد. مصادر تاريخ اليمن ص١٥١، وذكر الحبشي انه من أهل زبيد، عاش فـــي القـــرن الثامن. مصادر الفكر ص ٤١٥.

[5] ورقة ٣١٨ ب، وهي الورقة الأخيرة. ووردت وفاة الفقيه جسن بن عبدالله سنة ٨٥٤هـ /١٤٥٠م، ورقـــة ٥٦ب

صاحب السلوك[1]، وقد أخذنا عنه تراجم بعض الأمراء والفقهاء، وكذلك بعض الحوادث التاريخية التي وقعت في زبيد، ولها علاقة بأمراء عدن من بني زريع أو في العهد الأيوبي.

ألف عبد الرحمن بن علي الديبع كتابا عن زبيد هو: (بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد)، ويبدو انه كان كتابا في التاريخ العام، إذ رتبه مؤلفه على مقدمة ذكر فيها اليمن وفضله وإسلام أهله، وذكر اختطاط مدينة زبيد من قبل محمد بن عبد الله بن زياد، وقسم كتابه إلى عشرة أبواب انتهى فيه بالدولة الطاهرية في عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب[2].

وقد انتفعنا بكتاب الديبع هذا فيما يتعلق ببحث العلاقات السياسية بين إمارات ودويلات اليمن بقيام الدولة النجاحية وعلاقتها بالصليحيين، وقيام دولة بني مهدي في زبيد وعلاقتها مع بني زريع في عدن، وكذلك قيام الدولة الأيوبية في اليمن وسيطرتها على مدينة زبيد، وبذلك فاننا افدنا من هذا الكتاب في فصول رسالتنا السياسية بالدرجة الرئيسية.

وألف الوصابي، عبد الرحمن بن محمد الحبيشي المتوفى سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م كتابا في تاريخ وصاب سماه: (الاعتبار في التواريخ والآثار)[3]، في جزأين: الأول في تاريخ بعض ملوك اليمن من الزيدية والصليحيين وبني مهدي من لدن الإسلام حتى عصره. والثاني في أخبار وصاب موطنه وما يتعلق بها[4]، وقد افدنا من الجزء الأول في موضوع العلاقات السياسية بين الإمارات والدويلات القائمة في اليمن خلال مدة دراستنا، واتصفت كثير من رواياته بالإيجاز، كما وردت أخطاء كثيرة في بعض الروايات، أشرنا إليها وصححناها.

كان لابتعاد جنوب غربي الجزيرة عن مركز الخلافة الإسلامية اثر في حماسة هذا الإقليم للتاريخ المحلي، باعتباره معبرا عن الحاجات والآمال الخاصة في محيط ما فقد أدت ذكريات الماضي العظيمة إلى نمو نوع من التاريخ المحلي مزج بين الطبوغرافية والتاريخ الحضاري، وقد اكتسبت التواريخ المحلية أهمية خاصة ككتب جغرافية، وأضحت المحلية سمة مميزة في العصور المتأخرة للمؤرخين في العالم الإسلامي، ووجد في اليمن أسلوب المزج بين الوصف الجغرافي والتاريخ السياسي المرتب على أساس الحوليات كما في كتاب بغية المستفيد للديبع[5].

وبصورة عامة تمثل التواريخ المحلية اتجاه المعارضة والوقوف ضد السلطة الحاكمة بصورة دائمة تقريبا، وقد ألفت خصيصا لتكريس هذا الاتجاه.

---

[1] سيد. مصادر تاريخ اليمن ص١٥٢.

[2] انظر: سيد. مصادر ص ٢٠٤، الحبشي. مصادر الفكر ص ٤٢٨.

[3] حققه عبدالله الحبشي ونشر في صنعاء سنة ١٩٧٩م.

[4] سيد. مصادر ص١٥٢. الحبشي. مصادر الفكر ص ٤١٩.

[5] سيد. مصادر ص ١١ – ١٢، مصطفى. التاريخ العربي ٢/٣٢٥ – ٣٢٦ (نقلا عن روزنثال. علم التاريخ عند المسلمين).

٦- كتب الجغرافية والرحلات:

من المعروف ان كتب الرحلات تعد من اصدق المصادر المعاصرة، ليس فقط بالنسبة للتاريخ السياسي، وإنما لتسجيلها حياة الشعوب ولم يكن نصيب اليمن وافرا من تلك الرحلات، التي كان أصحابها ينوون أساسا أداء فريضة الحج ثم تسوقهم الأقدار للسياحة في البلدان.

وقد وصفت (رحلة ابن جبير)، المتوفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، في العهد الأيوبي، الحركة التجارية في جنوب البحر الأحمر وفي ميناء عيذاب التي أقام بها مدة، ولاحظ ابن جبير انها من اعظم الثغور شانا، لان مراكب الهند تحط فيها وتقلع منها، وأشار أيضا إلى ضخامة تجارة الفلفل والتوابل الواصلة من الهند إلى اليمن ومنه إلى عيذاب.

وذكر ابن جبير أيضا وصول السلطان طغتكين الأيوبي إلى مكة قادما من مصر في طريقه إلى اليمن، كما انفرد بذكر وصول الأمير عثمان بن علي الزنجيلي أمير عدن بعد هربه منها عند وصول طغتكين إلى اليمن، فدخل مكة ووصلت قوافل تحمل بضائع ثمينة أخفيت في داره التي بناها بها، وذكر ابن جبير أيضا طريقة صناعة السفن المخيطة المعروفة بالجلاب في ميناء عيذاب، ولرواياته أهمية كبيرة، لأنه كان معاصرا وشاهد عيان لما ذكره من مشاهداته وملاحظاته.

ومن المصادر الجغرافية المهمة في رسالتنا كتاب: (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز)، ويسمى: (تاريخ المستبصر)، المنسوب لابن المجاور الشيباني الدمشقي، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، المتوفى سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م.

يعد هذا الكتاب مصدرا مهما لتاريخ الحجاز ومكة واليمن في أوائل القرن السابع، حيث نجد فيه معلومات تاريخية متناثرة ذات قيمة عن تاريخ الأيوبيين المتأخرين في اليمن وأوائل حكم الرسوليين وشرفاء مكة من بني قتادة.

وترجع أهمية ابن المجاور إلى ملاحظاته المباشرة عن الحياة العامة، فقد تناول بغزارة التفاصيل المتعلقة بالحياة الاجتماعية من عادات الزواج وشؤون الرقيق والأوزان والمقاييس والنقود والملابس والضرائب الجمركية وشغل وصف مدينة عدن جزءا كبيرا من الكتاب ينوف عن الخمس، غير انه يمثل خلطا بين الروايات الأسطورية القديمة والملاحظات الدقيقة للمؤلف نفسه، لقد كان لهذا الكتاب أهمية كبرى في رسالتنا، فقد انفرد بمعلومات قيمة عن الحياة الاقتصادية لمدينة عدن ساعدتنا على دراسة حياتها الاقتصادية دراسة دقيقة وموثوقة.

واعتمد ابن المجاور عدة وسائل في نقل رواياته، منها ذكر المصادر التي نقل عنها، أو سماعها مباشرة من أشخاص معاصرين له يصرح بأسمائهم، وكذلك اعتمد على رحلاته لعدد من مدن اليمن وغيرها، من ذلك زيارته للدبيل ومولتان سنة ٦١٨هـ[١]/ ١٢٢١م، وزيارة زبيد سنة ٦١٩هـ[٢]/ ١٢٢٢م، وزيارة ثانية لها سنة ٦٢٤هـ/

---

[١] أنظر: المستبصر ص٨٧.

[٢] نفسه ص ٥٥.

١٢٢٦م، وثالثة سنة ٦٢٦هـ[١]/ ١٢٢٨م، وسافر من الديبل إلى عدن ومنها إلى جزيرة سقطرة سنة ٦١٨هـ، وقد وصف تلك الجزيرة وأحوال سكانها[٢].

لقد أثار بعض الباحثين[٣] شكوكا حول نسبة الكتاب إلى مؤلفه ابن المجاور الشيباني الدمشقي، فهي نسبة خاطئة لعدة أسباب:

١- خلو الكتاب من ذكر القطر الشامي، في حين أكثر من ذكر بغداد وخوارزم والري وكشك والهند والسند وغيرها.

٢- ترديده كثيرا من الأشعار الفارسية وبعضها من نظمه.

٣- ذكر والده بقوله: "وكتب والدي محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري...[٤]".

٤- ذكر أخيه أحمد بن محمد بن مسعود[٥].

إن هذه الأدلة إضافة إلى أن المؤلف كان ببلاد العرب سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م تدفعنا إلى ترجيح تأليف كتابه قبل عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، بقليل، وهذا بدوره يدفعنا إلى الافتراض بان تاريخ وفاته في سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م متأخر جدا، ولعل سبب ذلك الاختلاف يرجع إلى أن اسم ابن المجاور ليس اسمه الشخصي بل هو اسم عام استعمل للتوقير وحمله عدد من أفراد هذه الأسرة.

مما سبق يمكننا القول ان ابن المجاور مؤلف هذا الكتاب هو غير ابن المجاور الشيباني الدمشقي الذي نسب إليه، ويمكننا ان نهتدي إليه بتعريفه بابن المجاور البغدادي النيسابوري ونلحقه بنسب والده محمد بن مسعود بن علي،تمييزا له عن ابن المجاور الشيباني الدمشقي، وكذلك فان سنة وفاته هي الأخرى غير دقيقة لذا نرجح ان نذكر بأنه كان حيا قبل سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، أو انه توفي بعد ذلك التاريخ.

اهتم ابن المجاور كثيرا بمدينة عدن، إذ خصص لها كما ذكرنا اكثر من خمس كتابه، وافرد لها خارطة فريدة لطوبوغرافيتها، وانفرد بإيضاح نشاطها الاقتصادي، وقد زار ابن المجاور تقريبا معظم النواحي التي وصفها ولا يعتمد وصفه لبلاد العرب الجنوبية على وصف المقاطعات والنواحي، بل وصف الطرق فيورد المسافات، ويذكر آثار كل منطقة، ويتحدث عن أخلاق السكان وعاداتهم ويسجل الروايات والأساطير المحلية الخاصة بها.

---

[١] نفسه ص٧٦.

[٢](ص ٢٦٧ – ٢٦٨).

[٣]سيد. مصادر ص ١٢٣، كراتشكوفسكي، اغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق١، ترجمة: صلاح الدين هاشم عثمان،(القاهرة، ١٩٦٣م)، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠، جعفر الحسني. تاريخ المستبصر، مجلة المجمع العلمي العربي، مج ٣٢، ج٢، (دمشق، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ص ٣٨٤ – ٣٨٥، محمود كامل المحامي. اليمن شماله وجنوبه، ص ١٩٤.

[٤] المستبصر ص ٢٥٢.

[٥] نفسه ص ٩٧، وقد ذكر هذه الأدلة:جعفر الحسني. تاريخ المستبصر ص ٣٨٤.

وقد نقل أبو مخرمة كثيرا عن ابن المجاور في القسم الأول من كتابه: (تاريخ ثغر عدن)، لكنه لا يصرح باسمه، بل اكتفى بذكر اسم كتابه المستبصر[1].

وانفرد ياقوت الحموي في كتابه: (معجم البلدان)، المرتب على الحروف الهجائية بمعلومات مهمة عن المسائل الجغرافية والأسفار[2]، وما امتازت به المدن والبلدان ــ ومنها بلاد اليمن ــ من الأنهار والحصون والمنتجات، كما احتوى على تراجم مشاهير العلماء ورجال السياسة الذين ينسبون إليها.

ومن المعاجم الجغرافية الخاصة ببلاد اليمن (معجم الحجري[3] في بلدان اليمن وأنسابها)، وقد افدنا منه كثيرا في بيان المحلات والمخاليف والبلدان والقبائل المتفقة الأسماء والمختلفة الجهات، والمعجم مرتب على حروف المعجم.

٧- كتب الأنساب:

لهذه الكتب أهمية بالغة في معرفة نسب الكثير من الأعلام المنسوبين إلى القبائل أو إلى المدن أو إلى الحرف وغيرها، واشهر هذه الكتب (كتاب الأنساب) لأبي سعد عبد الكريم السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م، وقد افدنا من قسمه المخطوط[4] في النسبة إلى عدن وأبين ولحج وغيرها عند دراستنا لها في الفصل الأول، وكذلك في نسبة بعض الأشخاص عند دراستنا لسكان عدن في الفصل السادس.

ومن تلك الكتب أيضا (اللباب في تهذيب الأنساب)، لابن الأثير، وكتاب،(النسبة إلى المواضع والبلدان[5])، لأبي مخرمة المتوفى سنة ٩٤٧هـ، صاحب كتاب ثغر عدن وقد افدنا منه في معرفة انساب الكثير من الأعلام الذين وردت نسبتهم إلى بلدان عديدة يمنية وغير يمنية، خلال فصول الرسالة.

٨- كتب الأدب:

أسهمت هذه الكتب في إيضاح الكثير من الحوادث التاريخية بالاستعانة بالشعر مثلا للاستشهاد به في تثبيت الكثير من الوقائع السياسية والحربية، ويأتي كتاب (المفيد)لعمارة في مقدمة كتب الأدب سيما في القسم الخاص بشعراء اليمن، وقد ورد فيه ذكر لعدد كبير من الشعراء الذين مدحوا بني زريع كالشاعر أبي بكر العندي، وشعراء مدحوا عددا من الأمراء والقادة في عدن وزبيد وغيرهما.

و(الديوان عمارة اليمني)، المطبوع مع كتاب النكت العصرية أهمية كبيرة في رسالتنا، سيما وان شعره كان في مناسبات معاصرة لحوادث دراستنا، ولكتاب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، الموسوم: (خريدة القصر وجريدة العصر)،

---

[1] نقل أبو مخرمة القسم الخاص بعدن من كتاب المستبصر، وأضاف إليه معلومات عن عصره.

[2] انظر عنه: كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي ٣٣٥/١.

[3] مخطوطة مكتبة الجامع الكبير الغربية رقم (٨) جغرافيا.

[4] مخطوطة مصورة غير محققة نشرها مرغوليوث سنة ١٩١٢م.

[5] مخطوطة المكتبة الغربية بالجامع الكبير رقم (٩) جغرافية.

ج٣ (قسم شعراء الشام)، أهمية كبيرة لما احتوى من قصائد شعرية لشعراء عاصروا حوادث ذات صلة برسالتنا في عهد بني المكرم أمراء عدن وبني زريع بصورة خاصة.

٩- كتب اللغة والمعاجم:

وقد ساهمت في توضيح الكثير من المفردات والمصطلحات التي اقتضى شرحها والوقوف عندها سواء أكانت كلمات لغوية صرفة، أم مصطلحات اقتصادية، أو أسماء نباتات وغيرها، وفي مقدمة كتب اللغة هذه كتاب: (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، و(لسان العرب)، لابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م، الذي يعتبر موسوعة جيدة في اللغة وأقوال اللغويين مع تفصيلات غاية في الأهمية[1]، و(تاج العروس من جواهر القاموس)، لمحمد مرتضى الزبيدي.

وبجانب كتب اللغة ومعاجمها، هنالك معاجم علمية متخصصة بالنباتات والأدوية افدنا منها كثيرا في توضيح المصطلحات ذات الصفة العلمية الصرفة، سيما في دراستنا لتجارة عدن والبضائع المتنوعة التي دخلتها، وذلك في الفصلين الخامس والسادس من رسالتنا، وفي مقدمتها: (قطعة من الجزء الخامس من كتاب النبات) لأبي حنيفة أحمد بن داؤد الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥ م، وكتاب(الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)، لابن البيطار عبدالله بن أحمد الأندلسي المالقي المتوفى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، وكتاب (المعتمد في الأدوية المفردة)، للملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول المتوفى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، وفي ختام هذا الصنف من كتب اللغة والمعاجم نذكر (تكملة المعاجم العربية) الذي وضعه رينهارت دوزي وترجمه د.محمد سليم النعيمي.

١٠- المراجع الحديثة:

أفدنا كثيرا من المراجع الحديثة في رسالتنا التي الفت في اليمن ومن قبل أهلها، وأخرى ألفها مؤرخون عرب واجانب، وسنكتفي بالإشارة إلى المهم منها والتي أسهمت في إضافة الكثير من المعلومات والوضوح لهذه الرسالة، ومنها كتاب الأمير أحمد فضل بن علي محسن،الموسوم: (هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن)، و(تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية)، لحمزة علي إبراهيم لقمان وله كتابان آخران هما: (معارك حاسمة من تاريخ اليمن) و(تاريخ الجزر اليمنية)، ولمؤلفات لقمان أهمية كبيرة في رسالتنا لما احتوته من عرض طويل لتاريخ عدن منذ القدم وحتى العصور المتأخرة.

ولكتاب (المقتطف من تاريخ اليمن) للقاضي عبدالله بن عبد الكريم الجرافي، أهمية في رسالتنا ففيه معلومات قيمة عن التاريخ السياسي لعدن واليمن عامة. ومن مراجع تاريخ اليمن: مؤلفات محمد يحيى الحداد و د. حسن سليمان محمود عن (تاريخ اليمن

---

[1] انظر: عبد الستار فراج. لسان العرب لابن منظور، العربي، ع١٣١، (الكويت،١٩٦٩)، ص ٦٣ – ٦٤.

السياسي)، ولمؤلف مجهول كتاب: (قلائد الجمن في ملوك صنعاء وعدن)، أورد فيه معلومات قيمة عن تاريخ عدن ونشاطها الاقتصادي، وذكر روايات كثيرة عن بعض الحوادث، رغم انه كرر ذكر البعض منها في صفحات متفرقة، والكتاب قديم، ومطبوع طبعة حجرية.

ونظرا لعدم وقوفنا على تاريخ محلي قديم عن حضرموت، فقد رجعنا إلى مؤلفات المؤرخين المحدثين الحضارمة وغيرهم لسد هذا النقص، إذ وردت فيها معلومات قيمة تخص تلك المنطقة، منها كتاب: (أدوار التاريخ الحضرمي)، ج١، لمحمد بن أحمد بن عمر الشاطري، و(تاريخ الشعراء الحضرميين)، ج١،وهو من خمسة أجزاء، للسيد عبدالله بن محمد السقاف العلوي،و(تاريخ حضرموت السياسي)ج١ -٢، لصلاح عبد القادر البكري اليافعي، و(تاريخ حضرموت) ج١ -٢، لمؤلفه صالح بن علي الحامد،و(صفحات من التاريخ الحضرمي)، لسعيد عوض بن طاهر باوزير، وله كتاب: (معالم تاريخ الجزيرة العربية).

ولكتاب (الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن)، لحسين الهمداني بالاشتراك مع د. حسن سليمان محمود، أهمية كبيرة في رسالتنا؛ لأنه يدرس العلاقة بين الفاطميين والصليحيين في اليمن، وانتقال الدعوة الفاطمية إلى أمراء بني المكرم وبني زريع.

وكان لكتاب الدكتور نزار الحديثي: (أهل اليمن في صدر الإسلام[1])، وهو رسالة دكتوراه، أهمية كبرى في رسالتنا، سيما فيما يتعلق بنشاط عدن التجاري وأهميتها وموقعها الاستراتيجي المتميز على طرق التجارة القديمة، وكذلك شهرتها بصناعة العطور (الطيب)، وعلاقتها مع مدن اليمن الأخرى، وأهم الطرق التي ترتبط معها، وكذلك دراسته عن طبيعة عدن ومناخها، أسهمت مساهمة كبيرة في رفد رسالتنا بمعلومات قيمة.

١١- **أما البحوث المنشورة في المجلات والدوريات العربية** والمتعلقة برسالتنا في ناحية أو أخرى، فإنها كثيرة ومتنوعة، سنشير إلى أهمها، فمنها بحث الدكتور صبحي لبيب: (التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى)، المنشور في المجلة التاريخية المصرية سنة ١٩٥٢م، وهو ذا أهمية كبرى في إيضاح تجارة مصر وعلاقتها مع عدن والهند، ويلقي ضوءا على نشاط عدن التجاري في العهد الأيوبي بصورة خاصة، أفادنا كثيرا في الفصل السادس من رسالتنا.

وكتب الدكتور عطية القوصي بحثا قيما بعنوان: (سيراف وكيش (قيس) وعدن من القرن الثالث حتى السادس الهجري)، في المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٣ سنة ١٩٧٦م، أوضح فيه أهمية هذه الموانئ الثلاثة في المدة التي حددها، وقد بين أهمية

---

[1] انظر عن عرض هذا الكتاب وتقييمه: د. يوسف محمد عبدالله، مجلة دراسات يمنية، ع٢، (صنعاء ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص ١٠٧-١١٣.

مدينة عدن وازدهارها وغزوة ملك جزيرة كيش لها، والبحث قيم لأنه اعتمد على وثائق معاصرة لذلك الغزو، وقد افدنا منه في فصول الرسالة السياسية والاقتصادية.

وكان لبحث السيد عبدالله محمد الحبشي الموسوم: (جوانب من الحياة الاقتصاديــة في التاريخ اليمني[1])، أهمية كبيرة في إيضاح دور بلاد اليمن ومركزها في التجارة، وقد خص دور مدينة عدن التجاري بقدر كبير من البحــث، فــدرس أســواقها والضرائــب الجمركية وبقية اوجه النشاط الاقتصادي فيها.

وللدكتور أحمد دراج بحث قيم بعنوان: (عيذاب من الثغور العربية المندثرة[2])،كشف فيه النقاب عن أهمية هذا الميناء العربي في مصر على تجارة اليمــن والــهند، ودوره المهم بحكم موقعه على البحر الأحمر، ووصول مراكب الهند واليمن وتجار عدن إليــه واستقرارهم فيه، وقد افدنا من هذا البحث المهم في الفصل السادس من رسالتنا.

وخص الدكتور جمال الدين الشيال بحثه: (العلاقات بين مصر واليمن فــي العصــر الفاطمي[3])، بتوضيح علاقات مصر واليمن السياسية والاقتصاديــة، وانتشــار الدعــوة الفاطمية في اليمن، ولهذا البحث أهمية في فصلي رســالتنا الثــاني والثــالث بصــورة رئيسية، في إيضاح العلاقة المذهبية بين الفاطميين في مصر وبني المكرم ومن بعدهــم بني زريع في عدن.

وفي مجال الكتابة عن عدن ودورها السياسي كتبت د. فضيلة الشامي بحثا قيما عن (إمارة آل زريع بعدن[4])، استعرضت فيه نشوء تلك الإمارة والتطورات السياسية التــي رافقتها حتى سقوطها على أيدي الأيوبيين، وهو مهم فــي بحثنــا عــن أحــوال عــدن السياسية في الفصول المرتبطة بها، وكذلك كان لبحثها عــن الســيدة أروى [5]، أهميــة كبيرة في دراسة تاريخ اليمن خلال عهدها.

وكتب د. محمد أمين صالح بحثا مهما عنوانه: (بنو معن ثم آل زريع في عــدن)[6]، كان له أهمية في رسالتنا، إذ اعتمد على مصادر مهمة وموثوقة وناقش وحلل كثيرا من حوادث اليمن السياسية وتطوره الاقتصادي منذ مطلع القرن الخامس الهجري /الحــادي عشر الميلادي وحتى نهاية الدولة الأيوبية في اليمن، وقد اقتبسنا منه كثيرا وناقشنا هذا البحث في معظم فصول رسالتنا، فهو بحث قيم ومهم بالنسبة لنا.

وهنالك كثير من البحوث ورد ذكرها في مراجع الرسالة نخص منها بحوث الأســتاذ سلطان ناجي[7]، نكتفي بالإشارة إليها فقط، لطول بحثنا في المصادر والمراجع.

---

[1] مجلة الكلمة، صنعاء،ع٥١ ــ ٥٢.

[2] مجلة المؤرخ العربي، ع٧.

[3] مجلة الكتاب المصرية، س٣، ج٤، مج٥، (القاهرة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م).

[4] مجلة كلية الآداب، ع٢٦،(بغداد، ١٩٧٩).

[5] مجلة المورد، مج ٣، (بغداد، ١٩٧٩).

[6] مجلة المؤرخ العربي، ع ١٥، (بغداد، ١٩٨٠م).

[7] ذكرنا له بحوثا متنوعة في مقدمة رسالتنا، ومن بحوثه التي رجعنا إليها: عصــور الدويــلات، مجلــة الحكمــة ع ٢٣ س٣، (عــدن، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، والحقوق الاجتماعية والسياسية للمرأة في المجتمع اليمنــي، مجلــة المــؤرخ العربــي، ع١٤، (بغــداد، ١٩٨٠م)، مراجعة وعرض لكتاب عدن تحت الحكم البريطاني تأليف البروفيسور آر. جي. جافين، مجلة الكلمة، ع ٤٦، (صنعاء، ١٩٧٨م).

١٢- المراجع والبحوث الأجنبية:

اعتمدت من الكتب عن الأحوال الاقتصادية كتاب D، S،Goitein الموسوم: (Studies in Islamic History and Institutions) وفيه معلومات قيمة عن تجارة عدن مدعمة بوثائق اقتصادية هي وثائق الجنيزا (Geniza) ، وهي مجموعة أوراق ووثائق كتبها يهود القاهرة على الورق، وهي ذات أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية، وقد اشتهر كويتن بدراسة تلك الوثائق التي تقدر بحوالي عشرة آلاف ورقة، أكثرها ترجع إلى العصر الفاطمي والأيوبي، كان الهدف من كتابتها حماية مصالح التجار اليهود في بلاد الخلافة، إن الجنيزا وثائق حكومية الأصل، الجانب الأهم فيها اقتصادي وحسابي ويحوي وصولات وعقودا ومعاملات تجارية عكست العلاقات التجارية والاجتماعية ليس في مصر وحدها بل في أرجاء الدولة الإسلامية شرقا حتى الهند.

كان لكتاب كويتن أهمية كبيرة في دراسة العلاقات التجارية بين عدن والهند وبقية أنحاء العالم، ويتضمن قوائم افدنا منها كثيرا في تحديد أنواع البضائع المتبادلة، والأسعار والعملة التي قيمت بها، ولهذا الكتاب أهمية في رسالتنا.

والكتاب الثاني لكويتن هو A Mediterranean society (مجتمع البحر المتوسط) وقد أفدنا من الجزء الأول منه، إذ انفرد بذكر مسألة ذات أهمية كبيرة في علاقة عدن بالهند، وهي فحص المسافرين الهنود الذين يصلون إلى عدن فحصا طبيا قبل السماح لهم بدخول عدن، في حين أن ذلك الإجراء لم يكن متبعا في موانئ البحر المتوسط، وهذا الإجراء يدل على تطور عدن وكذلك الاحتراز من انتقال الأمراض المعدية من بلاد الهند إلى عدن.

وفي مجالات العلاقات التجارية بين عدن والساحل الشرقي الأفريقي أفدنا من كتاب: (A survey of East African History) وهو تأليف: Zamani وفيه معلومات قيمة عن البضائع المتبادلة بين سكان جنوب غربي الجزيرة العربية وسكان الساحل الأفريقي، كما وصف سفن تلك البلاد وهي سفن مخيطة لا تستعمل فيها المسامير، لعدم صمودها أمام مياه البحر. ووصف السفن العربية التي كانت هي الأخرى مخيطة لتلائم تلك المياه، وسبق لابن جبير وصف تلك السفن التي تصنع في ميناء عيذاب والتي سماها: السفن الملفقة.

كما أفدنا من كتاب Schoff, W.H الموسوم بـ (The Periplus of the Erythratan Sea) في توضيح مواسم السفر بين موانئ البحر الأحمر وجنوب جزيرة العرب ومنها ميناء عدن وموانئ السواحل الأفريقية والحبشة.

وقد أفدت من بعض البحوث العلمية، وفي مقدمتها بحث كويتن الموسوم: (Tow Eyewitness Reports of an Expidition of the king of kish (Qais) against Aden). والمنشور في مجلة الدراسات الأفريقية والاسيوية في جامعة لندن سنة ١٩٥٤م، وهذا البحث مهم جدا ويعد فريدا من نوعه، إذ درس فيه الغزوة التي قام بها ملك جزيرة كيش على عدن حوالي سنة ٥٣٠هـ /١١٣٥م، معتمدا على وثيقتين هما شاهدا عيان على حوادث تلك الغزوة، كتبها شخصان كانا في عدن، وهما وكلاء للتجارة أحدهما قدم

من الهند، والآخر كان يريد السفر إلى القاهرة، وقد كتبا تلك الوثيقتين إلى الهند والقاهرة، وفيهما وصف لطبيعة الغزوة، عدد الغزاة، حالة السكان في عدن، الموقف من الغزاة، كيفية التخلص منهم، وقد نقل بعض الباحثين[1] عن كويتن بحثه عن الوثيقتين اللتين انفرد بنشرهما، وهما ذا أهمية كبيرة لمعاصرتهما حوادث الغزوة، كما دعمها ببحث قيم عن مكانة عدن وأهميتها التجارية، واستعرض فيه حالتها السياسية في عهد بني المكرم عند وقوع الغزو عليها.

كان من الفوائد الكبيرة لبحث كويتن هذا، التعرف على أنواع السفن التي استخدمها الغزاة، وكذلك طبيعة العلاقة بين أمراء عدن وموقفهم من الغزاة ومساهمة القرصان الهندي رامشت بهزيمة الغزاة بواسطة سفنه، وهي معلومات نادرة بالنسبة لنا، كما أوضح كويتن في بحثه شيئا عن أحوال اليهود في عدن، ودخول عدد من تجار الهند وتونس إلى عدن، وكل تلك الأمور أفادتنا في الفصلين الخامس والسادس من رسالتنا، وفي تكوين صورة عن سكان عدن.

ومن البحوث ذات الصفة الاقتصادية البحث الذي كتبه: Lowick, N.M، والموسوم: (Some Unpublished Dinars of the Sulayhids and Zuraýids) في مجلة النميات الصادرة في لندن سنة ١٩٦٤م، وهو بحث مهم كشف لنا فيه عن استعمال بعض الدنانير الصليحية والزريعية المعدنية التي ضربت في فترات تاريخية عديدة، وهذا البحث يوضح لنا أهمية عدن التي ضربت بها بعض تلك الدنانير، وكذلك ذي جبلة وكيف أصبحت عدن ذات مكانة وخبرة خاصة بضرب العملة، وقد عزز بحثه بصور للدنانير المعدنية والتي كان بعضها مضروبا من الذهب، وأفدنا من هذه الدراسة القيمة في الفصلين الاقتصاديين الخامس والسادس من رسالتنا.

ومن البحوث الاقتصادية المهمة ما كتبه: Bikhazi, Ramzi, J. بعنوان: (Coins of AL-Yaman)[2] وهو بحث مطول نشر في مجلة (الأبحاث) الصادرة في بيروت، يغطي المدة بين ١٣٢-٥٦٩هـ / ٧٤٩ - ١١٧٣م، وقد ترجمنا ما يتعلق بضرب العملة في اليمن منذ قيام الدولة الصليحية وحتى قيام الدولة الأيوبية، والبحث مهم جدا استعرض فيه أماكن ضرب العملة، وأنواعها، وطرق الضرب وقيمة العملة ووسائل استعمالها، كما ربط بين التطورات السياسية والتطور الاقتصادي، ومنه ضرب العملة، هذا وقد استعان الباحث بما كتبه قبله لويك عن العملة في عدن بصورة خاصة، وهذا البحث كان ذا أهمية كبيرة في رسالتنا، خاصة في الفصلين الخامس والسادس عند دراستنا لنشاط ميناء عدن التجاري، وتجارة عدن الداخلية والخارجية.

لقد اعتمدتُ على هذه المصادر والمراجع التي أطلتُ في عرضها، وعلى الكثير من المصادر والمراجع الأخرى المذكورة في قائمة المصادر. وقد وقفتُ منها وقفة المؤرخ الناقد، جهد إمكاني وفي حدود معرفتي، فقارنتُ بين الروايات والأخبار، واعتمدتُ منها

---

[1] من ذلك د. عطية القوصي في بحثه عن سيرف وكيش وعدن، ود. محمد أمين صالح في بحثه عن عدن أيام بني معن وبني زريع، وقد سبق أن أشرنا إليهما.

[2] راجع القسم الأجنبي من مجلة الأبحاث، مج٢٣،ج١-٤، (بيروت١٩٧٠).

ما رجحَ عندي صحته، وأوضحتُ سبب المفاضلة عند الضرورة، وخاصة في الحـــوادث والوقائع المهمة، وتجدر الإشارة إلى أننا لم نسجل معظم المصـــــادر والمراجـــع التـــي اعتمدناها – في هذه المقدمة – مع قائمة مصادر الرسالة، سوى التي استعملناها فـــي فصول الرسالة.



الفصل الأول

عدن وأعمالها


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books


تعريف بالفصل:

نتناول بالدراسة في هذا الفصل تسمية عدن والآراء المتباينة حولها، وكذلك موقعها وأهميتها، وطبيعتها من حيث السطح والمناخ، كما ندرس الأعمال التابعة لها من النواحي والقرى القريبة منها التي ارتبطت بها سياسياً واقتصاديًا بصورة خاصة، وما اشتهرت به من منتجات ونشاط سياسي واقتصادي في مدة البحث، وهدفنا تكوين صورة واضحة عن مميزات عدن ومكانتها التي جعلت منها منطقة صراع سياسي واقتصادي.



١- تسمية عدن:

عدن مدينة عريقة في القدم، فقد ذكرها اليونان والرومان باسم Adana أو Athana[١]، وسميت أيضاً Arabia Eudaemon يودايمون[٢]. أي: بلاد العرب السعيدة[٣]، وكان الرومان يسمونها: رومانيوم امبريوم Romanium Emporium، أي المخزن الروماني[٤]، وهي مدينة مهمة في الماضي عندما كان السفر من الهند إلى مصر أمراً صعب التحقيق. إذ كانت وقتذاك تتلقى السلع من كلا البلدين[٥].

وقد ظهرت تفسيرات مختلفة حول تسميتها، هنالك من يرجع تسمية عدن إلى العدون بمعنى الإقامة أو التوطن بالمكان[٦]، ومن هذا المعنى جاء ذكر جنات عدن، أي جنات

---

[١] The Encyclopaedia of Islam, vol. I ،Adan ،by: Oscarlofgren New Edition, (Leiden,E. J. Brille، London Luzac, ١٩٦٠),p.١٨٠. (E.i).

كحالة، عمر رضا. جغرافية شبه جزيرة العرب، الناشر فؤاد هاشم الكتبي، مط الهاشمية، (دمشق,١٣٦٤هـ/١٩٤٤م)، ص٣٦٤، العبيدي، إبراهيم خلف. الحركة الوطنية في الجنوب اليمني المحتل، (رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم التاريخ – كلية الآداب)، (بغداد، ١٩٧٩م)، ص ١٦، الشامي، د. فضيلة عبد الأمير، إمارة آل زريع بعدن، مجلة كلية الآداب، ع ٢٦، (بغداد، ١٩٧٩م)، ص ٨٩.

[٢] أطلق هذه التسمية على عدن بريبلوس اليوناني. علي،د. جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧,ط١، (بيروت، ١٩٧١م)، ص٢٧٣، حوراني، جورج فضلو. العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة: د.السيد يعقوب بكر. منشورات مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة,١٩٥٨م)، ص٦٣-٦٤. ٨٢، ٨٨، ٩٤، ١٥٦.

وسماها بطليموس Arabia Emporion. المفصل ٢٧٤/٧، حوراني. العرب والملاحة ص٨٨.

[٣] حوراني. العرب والملاحة ص٨٢، وكان الرومان يعرفون المنطقة ويطلقون عليها اسم العربية السعيدة. الحبشي د. محمد عمر. اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ترجمة: د. الياس فرح ود. خليل أحمد خليل، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت,١٩٦٨م)، ص٥.

[٤] مجهول المؤلف. مستعمرة عدن وجاراتها، تقرير مطبوع بالاستنسل، (؟، يناير ١٩٤٩م)، ص٩٤. وتسمى: Emporium Romanuim. E.i,op,cit,p.١٨١.

[٥] حوراني. العرب والملاحة ص٦٤، ١٥٦.

[٦] الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٦,تح: أحمد عبدالغفور عطار، (القاهرة,١٣٧٧هـ)، ص٢١٦٢ مادة (عدن)، السهيلي، عبدالرحمن. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، ج١ تح:عبدالرحمن الوكيل، (القاهرة، ١٩٧٠م)،ص٦٥، الحموي، ياقوت بن عبدالله. المشترك وضعًا والمفترق صقعاً، تح: فردناند وستنفلد، (كوتينجن، ١٨٤٦م) ص٣٠٤، معجم البلدان، ج٤، (بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) ص٨٩، القلقشندي، أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج٥,(القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ص١٠، أبومخرمة، أبومحمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد. تاريخ ثغر عدن، ج١، تح: أوسكر لوفغرين، مط بريل، (ليدن، ١٩٣٦م)، ص٤، العبدلي، أحمد فضل. هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن.ط١، مط السلفية,(القاهرة، ١٣٥١هـ),ص١٩-٢٠، العرشي،. حسين بن أحمد. بلوغ المرام في شرح مسك الختام، عني بنشره انستاس الكرملي، مط البرتيري، (القاهرة، ١٩٣٩م)، ص١٨١، الواسعي عبدالواسع بن يحيى. تاريخ اليمن المسمى: فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، مط السلفية، (القاهرة،١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م)، ص٣٢٣، الويسي، حسين بن علي. اليمن الكبرى، مط النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٦٢م)، ص١٨٠، لجنة الجغرافية العدنية. جغرافية عدن وبلاد العرب، مط النيل، (القاهرة،١٩٣٢م)، ص٣٠، أباظة، د. فاروق عثمان. عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، (القاهرة، ١٩٧٦م)، ص٢٧، الشامي. إمارة آل زريع ص٨٩، قلائد الجمن ص٦٨.

إقامة[1]، في القرآن الكريم[2] وهو وصف لتلك الجنات، ونستدل من ذلك أن عدن كانت اسماً جغرافيًا، أي: مكان.

وقيل أن الأحباش عدّوا في سفنهم إلى عدن، وخرجوا منها، فقالوا: عدونه، أو، عدونا، وتفسيره: خرجنا، فسميت عدن بذلك[3]وهذه التسمية ترجع إلى معنى لغوي.

ويروي ابن المجاور[4]بأن عدن كانت حبسا لأصحاب الجرائم، وقد جعلها شداد بن عاد حبسًا لمن غضب عليه، وفي رواية[5]أن تبعًا كان يحبس فيها أصحاب الجرائم، وقيل[6] أن أول من حبس بها هو رجل اسمه عدن، فسميت البلدة باسمه.

واختلفت الروايات حول عدن الذي سميت المدينة باسمه، ففي رواية الطبري[7] أنها سميت بعدن بن عدنان، وكان لعدنان من الأولاد معد وعدن[8] وأبين اللذان سميت بهما

---

[1] الجوهري. الصحاح، مادة (عدن)، مستعمرة عدن ص١٩٤.

[2] قال تعالى في كتابه العزيز: بسم الله الرحمن الرحيم :﴿ ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر﴾. سورة التوبة، آية٧٢، ﴿وجنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم﴾ سورة الرعد، آية ٢٣، ﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار﴾سورة النحل آية ٣١، انظر عن ذكر جنات عدن، القران الكريم: الكهف(٣١) مريم (٦١)، طه (٧٦)، فاطر (٣٣)، ص(٥٠)، غافر (٨)، الصف(١٢)، البينة(٨)، انظر أيضاً: عبدالباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، مط دار الكتب، (القاهرة، ١٣٦٤هـ)، ص٤٤٩، نصار، د. حسين. معجم آيات القران، ط١، (القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، ص٥٢، ٧٤،٦٥.

وورد ذكر عدن في أحاديث للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، من ذلك حديثه في الحوض، قال: ((إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء)). وقال: ((أربع محفوظات وسبع ملعونات، فأما المحفوظات: فمكة والمدينة وبيت المقدس ونجران، وأما الملعونات فبرذعة وصعدة... وعدن)) وقال: ((نار تخرج من اليمن من قعرعدن تسوق الناس إلى المحشر))، وقال ((تخرج نار من جسر عدن سيل، تسير سيرا بطيئا...)) انظر: الرازي، أحمد بن عبدالله بن محمد. تاريخ مدينة صنعاء، - تح: حسين عبدالله العمري وعبدالجبار زكار، ط١، (دمشق، ١٩٧٤م)، ص١٢٤، ١٧٩، ١٩٢، ٢٦٠-٢٨٧،٢٦١-٢٨٨، السمعاني، أبوسعد عبدالكريم بن محمد، الأنساب، مخطوطة مصورة غير محققة، نشرها: د.س. مرجليوث، (لندن,١٩١٢م)، ورقة ٣٨٦ أ، الحميري، محمد بن عبدالمنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: د. إحسان عباس. منشورات مكتبة لبنان، (بيروت ١٩٧٥م)، ص٤٠٨، وقيل في حديث أن تلك النار تخرج يوم القيامة من صيرة عدن تسوق الناس الى المحشر. ابن المجاور البغدادي النيسابوري؟ بن محمد بن مسعود بن علي. صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة: تاريخ المستبصر، تحقيق: أوسكر لوفغرين، مط بريل، (ليدن، ١٩٥١م)، ص١١١، مجهول المؤلف، قلائد الجمن في ملوك عدن وصنعاء اليمن، طبع حجر(كلكتا، ١٣٢٩هـ/١٩١١م)، ص٧١-٧٤، ٨٦.

[3] الحموي. معجم البلدان ٨٩/٤، القلقشندي. صبح ١٠/٥، العبدلي. هدية الزمن ص٢٠.

[4] المستبصر ص١٠٨-٩، ويضيف أن ذلك استمر الى آخر دولة الفراعنة ملوك مصر. انظر أيضا: الشامي، إمارة ص٩٥..E,I,p181

[5] أبو مخرمة. النسبة الى المواضع والبلدان، مخطوطة مكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء، رقم (٩) جغرافيا، ورقة ٢١٦، قلائد الجمن ص٦٩-٧٠.

[6] المستبصر ص١١٠، أبو مخرمة. ثغر عدن ١٥/١، جغرافية عدن ص٣٢، الشامي. إمارة ص٩٥.

[7] محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك، ج٢، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعارف، (القاهرة ١٩٦١م) ص٢٧٠، ونقل روايته: الحموي، معجم البلدان ٨٩/٤، أبومخرمة. ثغر عدن٤/١، جواد علي. المفصل ٣٨٢/١، العبدلي. هدية الزمن ص١٩، العرشي بلوغ المرام ص١٨٠ – ١٨١، أباظة. عدن ص٢٧، الشامي. إمارة ص٨٩، قلائد الجمن ص٦٩.

[8] انكر الحموي واستغرب أن يكون لعدنان ولدا اسمه عدن، معجم البلدان ٨٩/٤، وذكر د.جواد علي أن أهل الاخبار زعموا أن لعدنان من الأولاد عدن وأبين واد والضحاك والعي، وهم إخوة معد لأمه. المفصل ٣٨٢/١.

مدينتا أبين وعدن، ويروي ابن المجاور[1] ما يؤكد بأن لعدنان ولداً اسم عدن، وأنه (عدنان) هو الذي بنى عدن وسماها على اسم ولده[2].

كما وردت روايات مختلفة حول عدن الذي نسبت إليه المدينة، وكان الاختلاف في اسم ذلك الرجل الذي تسمى به أشخاص كثيرون[3].

مما سبق يتضح لنا أن اسم عدن كان اسماً جغرافياً لمكان، واسماً لمعنى لغوي هو العبور والخروج، واسماً لشخص يدعى عدن، اختلفت الروايات حوله، ونستطيع القول بأن كثيراً من الروايات التي سبق وأن أوردناها أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق، ولعل رأي ابن المجاور[4] حول اشتقاق اسم عدن هو الأقرب إلى واقع التسمية، إذ يقول: "وما اشتق اسم عدن إلاّ من المعدن وهو معدن الحديد"، ومما يدعم هذا الرأي أن مدينة عدن تشتهر بوجود معدن الحديد بكميات كبيرة، إذ أن أحد جبالها يسمى: جبل الحديد.

وتذكر الرواية[5] أن سباكا تمكن من سبك كمية من الحديد من ذلك الجبل. وهكذا وقع ابن المجاور في تناقض كبير من خلال رواياته المختلفة حول اسم عدن، الذي اختلف حوله الرواة والمؤرخون. وتسمى عدن أيضاً بـ: عدن أبين[6] نسبة إلى ابين بن زهير بن ابين بن الهميسع بن حمير بن سبأ وقيل لإقامته فيها[7]، وفي خبر[8] أنه بانيها، وتضاف ابين إلى عدن فتسمى عدن أبين تمييزا لها عن عدن لاعة[9] الجبلية، وقد ذكرت

[1] المستبصر ص١١٠، انظر ايضا: الشامي، امارة ص٨٩.

[2] وقيل أن قابيل بن آدم هو الذي أسس مدينة عدن. أبو مخرمة. النسبة و٢١٦.

[3] قيل سميت بعدن بن سبأ لأنه أول من نزلها. الحميري. الروض المعطار ص٤٠٨، القلقشندي. صبح ١٠/٥، العبدلي. هدية ص٢٠، وقيل سميت بعدن بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. الأكوع الحوالي، محمد بن علي. اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط١، مط السعادة، (القاهرة، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م)، ص٨٥، وقيل سميت بعدن أحد أبناء حمير بن سبأ. جغرافية عدن ص٣٠، وقيل سميت بعدن بن سنان بن إبراهيم، الحموي. معجم ٨٩/٤، باعلوي، محمد بن أبي بكر بن احمد. المشرع الروي في مناقب بني علوي. خ مكتبة الجامع الكبير الغربية في صنعاء، رقم (١٧٨) تاريخ وتراجم، ورقة ٢٤٥ ب، وفي رواية أنها سميت بعدن بن سنان بن نفيشان بن إبراهيم. الحموي. معجم ٨٩/٤، وقيل سميت بعدن بن سبأ بن يقشان بن إبراهيم، الرازي. تاريخ صنعاء، ص١٠، أنظر عن هذه التسميات: الشامي، إمارة ص٨٩.

[4] المستبصر، ص١١٠، أنظر أيضا: الشامي، إمارة، ص٩٠.

[5] ابن المجاور. المستبصر ص١٠٦، جغرافية عدن ص٤١، قلائد الجمن ص٩٠.

[6] تجدر الإشارة إلى أن أبين تقع شرقي عدن، وهي من توابعها، وسندرسها في الصفحات القادمة.

[7] الحازمي، محمد بن موسى. ما اتفق لفظه وافترق مسماه، تح: حمد الجاسر، العرب، ج٣،٤، س١٤، (الرياض،١٩٧٩م)، ص٢٤٩، الحموي. معجم ٨٦/١، الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن. التكملة والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، ج١، تح عبدالعليم الطحاوي، مط دار الكتب، (القاهرة،١٩٧٠م)، ص٦٢، القلقشندي. صبح ١٠/٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ٤/١، النسبة و٢١٦، الحجري، محمد بن احمد بن أحمد. معجم الحجري في بلدان اليمن وأنسابها، خ مكتبة الجامع الكبير الغربية في صنعاء رقم (٨) جغرافيا، ورقة ٢٧١، العبدلي. هدية ص١٩-٢٠، العرشي. بلوغ المرام ص١٨٠-١. الواسعي. فرجة الهموم ص٣٢٣، قلائد الجمن ص٦٩.

[8] الألوسي، السيد محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، باعتناء محمد بهجة الأثري، ج١، ط٣، مط دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٣٤٢هـ)، ص٢٠٦.

[9] هي مدينة في جبل صبر من أعمال حجة في نواحي اليمن، وهي أول مكان ظهرت فيه دعوة الفاطميين باليمن، وقد دخلها عمارة اليمني وياقوت الحموي، ومنها منصور اليمن، انظر: الحموي. معجم ٨٩/٤، ٧/٥، المشترك ص٣٠٤، أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي. تقويم البلدان، باعتناء رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، (باريس،١٨٤٠م)، ص٩٣، معجم الحجري و٣٠٧، العبدلي. هدية ص١٩، الويسي. اليمن الكبرى ص١٨٠.

إن ماذكره ياقوت الحموي غير صحيح. ولا علاقة لها بجبل صبر، والصحيح أن لاعة تقع شمال غرب صنعاء في عزلة بني علي في لواء حجة، وجبل صبر هو الجبل المطل على قلعة تعز، وبين الموقعين مسافة لا تقل عن اربعمائة كيلو متر. الأكوع. البلدان اليمانية ص٢٣٥.

عدن أبين في كثير من المؤلفات الجغرافية والتاريخية[1] كما ورد ذكرها في أحاديث الرسول محمد ﷺ [2].

والنسبة إلى عدن العدني[3]، تطلق على من سكنها أو انتقل إليها أو استقر فيها. إن الشيء الذي يمكن استخلاصه من هذا الاستعراض لتسمية عدن هو أنها مدينة قديمة وجدت منذ أزمان بعيدة بحيث تسنى لبعض المؤرخين واللغويين أن يرجعوا تسميتها إلى أزمان سحيقة أو أسطورية.

٢- موقع عدن الجغرافي:

تقع عدن على الساحل الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب، على خليج عدن في الجنوب الشرقي من مضيق باب المندب[4]، وهي عبارة عن شبه جزيرة[5] صخرية تتصل بالبر بأرض رملية مستطيلة الشكل[6].

وقد وصفت عدن بأنها مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن[7]، أي أنها تقع على ساحل البحر العربي المتصل بالمحيط الهندي، وهناك من ذكر أنها تقع على ساحل البحر[8]-دون تحديد- أو على ساحل البحر الأعظم[9]، ويقصد به البحر العربي الذي يحيط بجنوب الجزيرة العربية، كما وصفت عدن بأنها جنوبية تهامية[10]، وتعتبر

---

[1] الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، أشرف على طبعه حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، (الرياض، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص٧٠. الحميري، الروض المعطار ص١١، الحموي. معجم ٨٩/٤، المشترك ص٣٠٤، أبو الفدا. تقويم ص٩٣، ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. تاريخ ابن خلدون المسمى: العبر وديوان المبتدا والخبر...، مج٤، ق٢، منشورات دار الكتاب اللبناني، (بيروت،١٩٦٨م)، ص٤٧٣، العبدلي. هدية ص٢٠، العرشي. بلوغ المرام ص١٨٠، الواسعي، فرجة الهموم ص٣٢٣، الألوسي. بلوغ الأرب ٢٠٦/١، E.i,P.180.

[2] انظر: الرازي. تاريخ صنعاء ص١٢٤، ١٣١، أبو مخرمة. النسبة و ٢١٦.

[3] بفتح العين والدال المهملتين وفي آخرها النون نسبة إلى عدن بلدة من بلاد اليمن. السمعاني. الأنساب و ٣٨٦أ، الحموي. المشترك ص٣٠٤، ابن الأثير. أبوالحسن علي بن أبي الكرم، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت)، طبعة أوفست، ص١٢٦، الأهدل، أبوعبدالله الحسين بن عبدالرحمن الحسيني. تحفة الزمن في سادات اليمن. خ مكتبة الجامع الكبير الغربية في صنعاء، رقم (٥٥) تاريخ وتراجم، ورقة ١٠١أ، أبو مخرمة. النسبة و٢١٦.

[4] وهو مرسى من مراسي بحر اليمن، ويعتبر فرضة ذلك الحيز ومدينته على ساحل البحر الأحمر، وله أهميته التاريخية وهو المضيق والحارس الأمين لليمن. الأكوع، اليمن الخضراء ص٨٦-٧، وذكر الصغاني أن باب المندب يقع على ثلاث مراحل من عدن. التكملة ٢٧٥/١، ويرى أبو الفدا أن باب المندب دون عدن، وهو عنها في جهة الجنوب والشرق. تقويم البلدان ص٢٤.

[5] هنالك من ذكر أن عدن شبه جزيرة. معجم الحجري و ٢٧١، لقمان، حمزة علي إبراهيم، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية. دار مصر للطباعة، (القاهرة،١٣٧٩هـ/١٩٦٠م)، ص٢٥٣، اباظة، عدن ص٢٤، ويذكر الألوسي أن عدن جزيرة باليمن أقام بها أبين فنسبت اليه. بلوغ الأرب ٢٦٦/١. وقيل أن عدن شبه جزيرة واقعة على البحر العربي. باوزير، سعيد عوض، معالم تاريخ الجزيرة العربية، ط٢، منشورات الصبان وشركاه، (عدن،١٣٨٥هـ/١٩٦٦)، ص٢١٧.

[6] كحالة. جغرافية شبه جزيرة العرب، ص٣٦٦، Ei, p. 180.

[7] الحموي. معجم ٨٩/٤، ابن خلدون. العبر مج٤ ق٤٦٦/٢، ٤٧٣، باعلوي. المشرع الروي و٢٤٥ب، معجم الحجري و ٢٧١.

[8] أبو الفدا. تقويم البلدان ص٩٣، الألوسي. بلوغ الأرب ٢٠٦/١،

[9] المنجم، الشيخ حسين بن إسحاق. آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، نسخة أوفست مصورة بإشراف مكتبة المثنى ببغداد، ص٩.

[10] الهمداني. صفة ص٧٠، الحموي، معجم ٨٩/٤.

قصبة جنوبي تهامة، بل أهم المدن التهامية[1] وتشكل حدا لجزيرة العرب التي تمتد طولا ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام[2]، ويشكل خليج عدن مع البحر العربي الحد الجنوبي للجزيرة العربية[3]، والحدود الجنوبية لليمن أيضا[4]، وتقترب عدن من باب المندب[5].

لموقع عدن على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وعلى تقاطع طرق التجارة، تأثير في الروابط التاريخية والثقافية والتركيب العرقي للسكان، ويرجع سبب ذلك إلى الاتصال بأراضي مجاورة للمحيط الهندي وأقاليم العرب وكذلك بلدان أفريقيا الشرقية والشمالية الشرقية[6].

أفاض المؤلفون العرب في وصف موقع عدن وعلاقتها بالبحار والجزر والأقاليم المجاورة لها، وتأثير ذلك الموقع عليها[7].

كان لموقع عدن أثره في جعلها ميناء تجاريا مهما منذ أقدم العصور، فأصبح مرفأ مراكب التجار من مختلف الأرجاء، ووصف عدن بأنها بلد التجارة، وفرضة[8] اليمن المشهورة[9].

أما موقعها بالنسبة لخطوط الطول والعرض، فيذكر حمزة لقمان[10] أن شبه جزيرة عدن تقع في خط عرض ١٢ درجة و٤٧ بوصة شمالا، وخط طول ٤٥ درجة و١٠بوصات شرقا[11]، ويتميز هذا الموقع بقربه من خط الاستواء، الذي كان من أبرز آثاره ارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف وشدتها، بسبب وقوع عدن في المنطقة الحارة[12]، وبرغم هذا فإنها توصف بـ: الثغر البديع الذي يشرف على الخليج المسمى باسمها: خليج عدن[13].

---

[1] الاكوع. اليمن الخضراء ص٤٠؛٨٥.

[2] الصغاني. التكملة ٢/٤٤٧.

[3] الاكوع. اليمن الخضراء ص١٨. الثور، عبدالله أحمد محمد. هذه هي اليمن، مط المدني، (القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ص٤٧٢.

[4] اليمن الخضراء ص٣٣.

[5] وهي جنوبي باب المندب بميلة إلى الشرق. الألوسي. بلوغ الأرب ١/٢٠٦.

[6] The New Encyclopaedia Britannica ،Vol 19, Yemen (Aden) ،By: Mahmud Ali Ghul ،15 th edition ،(U.S.A,1974)-,P.1079 (Ency Brit).

[7] الهمداني. صفة ص٦٩-٧٠. المنجم. آكام المرجان ص٩، الحموي. معجم ١/٣٤٣-٤، شيخ الربوة، أبوعبدالله محمد الأنصاري الدمشقي. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (لا يبزك،١٩٢٣م)، ص١٨-٩، ١٥١،١٥٣ أبو الفدا. تقويم ص٢٤، ٩٢-٣، القلقشندي. صبح ٥/١٠، الواسعي. فرجة الهموم ص٣٢٣، مجهول المؤلف. قطعة من كتاب في الجغرافية، خ مصورة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب – جامعة بغداد رقم (١٢١٨،٣٢٤)، ورقة ٧٦.

[8] فرضة النهر ثلمته التي يستقى منها، وفرضة البحر: محط السفن. الجوهري. الصحاح ٣/١٠٩٧ مادة فرض، والفرضة هي أشبه بالجمرك حاليا لتحصيل الرسوم على البضائع الواردة والصادرة. اباظة. عدن ص٢٨.

[9] الإدريسي، الشريف محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس. جزيرةالعرب من نزهة المشتاق، تح: د.إبراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢١، (بغداد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص ٥٧، الحموي. معجم ٤/٨٩، المشترك ص ٣٠٤، الحميري. الروض المعطار ص٤٠٨، ابن خلدون. العبر مج٤ ق٢/٤٦٦، ٤٧٣، أبو مخرمة، النسبة و٢١٦، العبدلي. هدية الزمن ص٢٠، العرشي. بلوغ المرام ص١٨٠. الألوسي، بلوغ الأرب ١/٢٠٦، الواسعي. فرجة الهموم ص٣٢٣، كحالة. جغرافية ص٣٦٦، سرهنك، الميرالاي إسماعيل. حقائق الأخبار عن دول البحار، ج١، ط١، مط الأميرية، (بولاق، ١٣١٢هـ)، ص١٥٧.

[10] تاريخ عدن ص٢٥٣.

[11] انظر:د.فاروق اباظة. عدن ص٢٤، العبيدي. الحركة الوطنية ص١٧، فتوني، موسى (اخراج وتنفيذ). جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في الذكرى العاشرة للإستقلال،إعداد واصدار الدائرة الإعلامية – سكرتارية مجلس الوزراء، (عدن، ١٩٧٧م)، ص٤٥.

[12] تراجع دراستنا القادمة عن سطح عدن ومناخها.

[13] العرشي. بلوغ المرام ص١٧٨.

لقد تميزت عدن بأهميتها الإستراتيجية والتجارية مما جعلها هدفا للطامعين على مر العصور، وذلك يرجع إلى موقعها الممتاز، وكذلك أثارَ هذا الموقع انتباه حكسام اليمن كالصليحيين وبني زريع والأيوبيين ووجهوا اهتمامهم الكبير بمينائها، لأنها كانت من أمنع المناطق الجنوبية بحكم موقعها على ساحل البحر الأحمر جنوب غربي الجزيرة العربية[1]، وشهرتها التجارية لوقوعها على مقربة من المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، فكانت السفن المحملة بمنتجات الشرق والغرب ترسو فيها[2]، ولذلك وصفت عدن بأنها حلقة الإتصال بين الشرق والغرب[3].

ولأجل إيضاح أهمية موقع عدن الجغرافي، لا بد من بيان أشهر طرق المواصلات البحرية والبرية التي تربط عدن مع مدن اليمن المهمة، وتلك الطرق التي تمر عبر الجزيرة العربية.تتفرع الطرق الممتدة من ميناء الشحر إلى ميناء عدن[4] إلى فرعين:

أ- طريق جبلية تخترق الهضبة اليمنية مارة بتعز وإب وذمار وصنعاء وصعدة ومنها إلى مكة.

ب- طريق سهلية، وتنقسم إلى فرعين:

أولهما يسير محاذيا الساحل ويربط بين الموانئ اليمنية الممتدة على طول ساحل البحر الأحمر حتى جيزان شمالاً.

ثانيهما يسير إلى داخل تهامة ويمر بالمدن التهامية المهمة مثل: موزع، حيس، زبيد ومور، ثم يلتقي بالطريق الساحلية عند جيزان، ومن هناك يواصل الطريق امتداده على الساحل إلى جدة أو يتجه إلى الداخل حتى مكة[5]ويوضح د. فاروق اباظة[6] المسلك الطبيعي لقوافل التجارة من عدن إلى صنعاء وفق الطريق التالية: عدن -الجند - صنعاء، أو: عدن - حباشه - الجند - صنعاء.

وذكر البكري[7] طريق القوافل من عدن إلى حضرموت، إذ تتقدم من عدن إلى شقراء، ثم إلى دثينة ومنها إلى طلح ثم إلى حبان، ومنها تسير في هضاب إلى نصاب بلاد

---

[1] سنوضح أهمية هذا الموقع في الفصول القادمة من خلال الصراع السياسي على مدينة عدن، وبيان أهميتها الاقتصادية والتجارية.

[2] حسن، حسن إبراهيم. تاريخ الدولة الفاطمية، ط٢,(القاهرة، ١٩٥٨م),ص٦١٠.

[3] الثور. هذه هي اليمن ص٤٧٢، الأكوع. اليمن الخضراء ص٨٥، باوزير. معالم ص٢١٨.

[4] ذكر الشريف الإدريسي، أن المسافة من آخر بلاد الشحر إلى بلاد عدن ثلاث ماية ميل. نزهة المشتاق (جزيرة العرب)، ص٤٠، وذكر أيضاً أن المسافة من الشحر إلى عدن (٣٥٠) فرسخاً، ومن آخر الشحر إلى عدن مائة فرسخ. أنس المهج وروض الفرج (قسم ديار العرب) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢١، ص٦٧,٦٨. وهكذا نجد استخدام صيغ مختلفة لتحديد المسافات، مما يزيد من صعوبة تحديدها وقياسها بدقة.

[5] د.فاروق أباظة. عدن ص٢٧.

[6] التدخل الأجنبي في اليمن في نهاية عهد حضارته القديمة وموقف الشعب اليمني ازاءه. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. ع١٦,(الكويت,١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص٨٨.

[7] البكري، صلاح اليافعي. تاريخ حضرموت السياسي، ج٢,ط١، مط مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، ص٢٥.

العوالق[1]، ثم إلى الفوهة، ثم إلى قعوضة فإلى شبام، وتقطع هذه المسافة في (١١) يوماً.

وهناك طرق أخرى من عدن إلى حضرموت، وقد ذكرها يحيى بن الحسين[2] وتبدأ من رداع[3] إلى بني أرض ثم إلى بلاد العوالقة ثم إلى بلاد عبدالواحد ثم هينن[4]. ثم إلى حضرموت، وكانت تلك الطريق مسلوكة، وتستغرق مسافتها من رداع إلى حضرموت مدة عشرين يوماً تقريباً[5].

أما طريق الساحل من حضرموت إلى عدن، فتبدأ من الشحر، إلى يروم إلى أحور[6] ومنها إلى عدن، وتستغرق هذه الطريق مسافة نصف شهر[7].

توضح لنا هذه الطرق اتصال عدن بمدن وموانئ اليمن المهمة، وكذلك امتداد تلك الطرق عبر الجزيرة العربية إلى جدة ومكة، وهذه الطرق ذات أهمية كبيرة في التبادل التجاري بين عدن وتلك المدن منذ أقدم الأزمنة[8].

أوضح الإدريسي[9] الطرق والمسافات بين عدن وأشهر مدن اليمن، مثل صنعاء وزبيد وذي جبلة والمهجم، مما يدلل على وجود صلات متنوعة بين عدن وتلك المدن، كما

---

[1] العوالق ويسمون العوالقة وهم أهل العوالق، وهي الجهات الغربية من بلاد اليمن، وقد قسمت تلك البلاد من قبل الإستعمار الإنجليزي أيام الإحتلال إلى سلطنة مركزها نصاب ومشيخة مركزها ريشم. شرف الدين. أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، ط٢، مط السنة المحمدية، (القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص٢٧، ٤٠-٤١، هامش غاية الأماني ق٢٩٣/١.

[2] يحيى بن الحسين بن القاسم. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني،ق١، تح: د. سعيد عبدالفتاح عاشور، منشورات دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص٢٩٣ - ٢٩٤.

[3] رداع، مخلاف من مخاليف اليمن، وهو مخلاف خولان. الحموي. معجم ٣٩/٣، ورداع بفتح الراء، مدينة عامرة في الشرق من ذمار، على مسافة خمسين كيلو متراً، وهي مركز ناحية رداع. الأكوع. البلدان اليمانية ص١١٨.

[4] هينن: قرية كبيرة في وادي العبر من أرض حضرموت في أسفلها سوق وفي أعلاها حصن، وسكانها من بني تجيب.الهمداني. ص١٦٩، ١٧١.

[5] ذكرها يحيى ضمن الطريق من حضرموت إلى عدن (عكس ما ذكرناه أعلاه) فتبدأ من هينن إلى بلاد عبدالواحد ثم بلاد العولقي ثم بلاد بني أرض ثم بلاد رداع، وذكر أنها كانت مسلوكة -في زمانه- إلى صنعاء. يحيى بن الحسين. انباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن، خ مكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء، رقم (١٧) تاريخ وتراجم، ورقة ٤٨.

[6] أحور من أعمال عدن كما سنذكرها.

[7] يحيى. أنباء أبناء الزمن و٤٨.

[8] ذكر يحيى الطريق من اليمن إلى حضرموت منها: طريق شبوة، طريق مأرب، طريق الساحل من عدن. غاية الأماني ص٢٩٣، وذكر، د.الحديثي أن الطريق التجاري القديم يخترق وادي حضرموت إلى شبوة،حيث يتفرع فرعين أحدهما يتجه إلى نجران مباشرة. وفرع يتجه عبر بيحان غرباً ثم يصعد شمالاً إلى مأرب، بينما يستمر منه فرع باتجاه الغرب يتصل بمينائي اليمن عدن ومخا. الحديثي، د. نزار عبداللطيف. أهل اليمن في صدر الإسلام، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، د.ت)، ص٤٥.

[9] الشريف الإدريسي. أنس المهج وروض الفرج (قسم ديار العرب)، تح: د. إبراهيم شوكة، ص٧٠، نزهة المشتاق (جزيرة العرب)، ص٥٧.

ارتبطت عدن مع مكة بطريقين يفترقان من عدن، وقد أوضح الخزرجي[1] هذين الطريقين اللذين يوضحان ارتباط عدن مع جزيرة العرب، وهما: طريق تسلك الجبال مروراً بجامع الجوة ثم جامع الجند ومن الجند إلى صنعاء مسافة ثمانية أيام، ومن صنعاء إلى الطائف نحوا من (١٦) يوماً، ثم عقبة الطائف ومنها إلى مكة. وذكر أبو الفدا[2] والقلقشندي[3] طريقا آخر من مكة إلى عدن على نجران وجرش وصعدة وصنعاء، وهو الأقرب من طريق الساحل.

أما الطريق الثانية فهي طريق تهامة[4] السهلي الساحلي، وتفترق طريقين: طريق على الساحل، وطريق الجادة السلطانية التي تتوسط بين البحر الأحمر والجبل. وفي كل مرحلة[5] من مراحل الطريقين الساحلية والوسطى يوجد جامع عظيم.

وذكر الخزرجي[6] أن طول المسافة من عدن إلى مكة تزيد على ثلاثين مرحلة، وفي رواية[7] أن مدة السفر من مكة إلى عدن كانت تستغرق نحواً من شهر، وتدلنا هذه الرواية على طول الطريق وصعوبة السفر قديما، إذ يتطلب تلك المدة الطويلة، وتضيف الرواية أن طريق مكة إلى عدن على ساحل البحر هو الأبعد بالقياس إلى الطريق الجبلي، وذكر الإدريسي[8] أن المسافة من عدن إلى جدة شهر.

---

[1] أبوالحسن علي بن الحسن بن وهاس. طراز اعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، خ ميكرو فيلم، نسخة المتحف البريطاني تحت رقم: OR, ٢٤٢٥، ورقة ٢٣٣ب.

[2] تقويم البلدان ص٨٣.

[3] صبح الأعشى ١٧/٥.

[4] تهامة قطعة من اليمن وهي جبال مشتبكة، أولها البحر الأحمر وتشرف عليه، ويحدها من الغرب، وهي بلاد ساحل البحر الأحمر. نزهة المشتاق (جزيرة العرب)، ص٣١.

[5] المرحلة: وهي مقياس للأطوال وتساوي ١٨ ميلا. الإدريسي. نزهة المشتاق(قسم الجزيرة والعراق)، تح: د. ابراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢٣، مط المجمع العلمي العراقي، (بغداد، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص٣١.

ولما كان الميل = ١٧٦٠م، باردة، والباردة =٩٠سم، فهذا يعني أن الميل =١٥٨٤م، فالمرحلة =١٨×١٥٨٤=٢٨٥١٢م أي تساوي أكثر من ٢٨كم ونصف بقليل.

وذكر الإدريسي أيضا، أن المرحلة تساوي عشرة فراسخ، إذ يقول: ومن قودى إلى آمد ثلاث مراحل وهي ثلاثون فرسخا. روض الفرج وأنس المهج (قسم الجزيرة والعراق)، تح:د.إبراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢٣، ص٣٦. ولما كان الفرسخ يساوي (٣) أميال. (الحموي. معجم البلدان ٣٦/١)، فهذا يعني أن المرحلة = ٣٠ ميلا أي تساوي: ٥٢٠ر٤٧م، أي أكثر من ٤٧ كيلو متر ونصف بقليل.

[6] طراز (متحف) و٢٣٣ب.

[7] أبو الفدا. تقويم البلدان ص٨٣، القلقشندي. صبح ١٧/٥.

[8] أنس المهج (ديار العرب)، ص٦٨.

٣- سطح عدن:

تتميز عدن بميزات طبيعية نادرا ما تتوفر لغيرها، فهي تقع على فوهة بركان قديم[١] يبلغ ارتفاعه (٣٣٥) متر فوق سطح البحر، ويمتد رأس البركان إلى داخل البحر مكونا خليجين عميقين في جهة الغرب، وتحيط بها الجبال من أغلب جهاتها، وقد شق في هذه السلسلة الجبلية باب إلى البحر وآخر إلى اليابسة[٢].

كان جبل التعكر هو الذي يفصل المدينة عن البر، فاستدعت الضرورة قطع الصخر الأصم في أوطأ جزء من الجبل؛ لإحداث ثقب فيه بالمطارق الحديدية والأزاميل ففتحوا فيه باباً[٣] أطلق عليه عدة أسماء: باب البر وباب اليمن وباب عدن[٤] أما باب البحر فكان يطلق عليه: باب حقات[٥]. وقيل أن الحفر نتج عنه فتح ثقبين في طرفي الجبل للدخول والخروج منهما[٦] ويقال أن مدينة عدن محاطة من جهة شمالها وعلى بعد منها بجبل دائر من البحر إلى البحر، وقد نقب في طرفيه ثقبان كالبابين يدخل منها ويخرج عليها، وليس لأهل عدن مجال للدخول والخروج إلاّ عليهما أو على البحر[٧].

أن أهم الملامح الطبيعية للمنطقة عبارة عن حزام ساحلي طويل جداً يمتد مسافة (٧٤٠) ميلاً على طول الساحل الشمالي لخليج عدن، من مضيق باب المندب في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر حتى حدود عمان، وكذلك مرتفعات داخلية تنقسم إلى قسمين الغربي والشرقي بواسطة وادي ميفع وروافده، وهذه الأراضي مكونة من صخور بركانية (نارية) إضافة إلى حجر الكلس وحجر الرمل، وإلى الغرب من وادي ميفع يمتد الحزام الساحلي بعرض ٤ –٤٠ ميلاً، ويكون الوادي صخرياً في الغرب، لكن

---

[١] تقع عدن في فوهة بركانية تحيط بها الجبال من ثلاث جهات: جبل العر (شمسان) من الغرب والشمال، وجبل صيرة من الجنوب الغربي، وكأنها شبه جزيرة إلا من ناحية الجنوب فإن أمامه بحر حقات الميناء والرصيف القديم الذي كانت ترسو فيه السفن وتقلع. الأكوع. اليمن الخضراء ص٨٥.

[٢] الهمداني، صفة ص٣٤٤,٧٠، الحميري. الروض المعطار، ص٤٠٨، الحموي، معجم ٨٩/٤، أبو الفداء، تقويم البلدان ص٩٣، القلقشندي صبح ١١/٥، باعلوي. المشرع الروي و٢٤٥ب، لقمان. تاريخ عدن ص٣٠٣–٤، مستعمرة عدن، ص٩١، جمهورية اليمن ص٤٥. E.i,Vol, I .p.180.

[٣] لقمان، تاريخ عدن ص٣٠٣، وجاء في الاخبار أن شداد بن عاد هو الذي أمر بنقر الباب إذ كلف رجلين من حكماء الهند يقال انهما عفريتان بذلك العمل الذي استغرق سبعين عاما، وصار شداد يدخل إلى وادي عدن، وهذا الخبر أشبه بالأساطير. انظر عن هذا الرواية: ابن المجاور. المستبصر ص١٠٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ١٥/١، لقمان، تاريخ عدن.ص٣٠٣، قلائد الجمن ص٧٨–٨٠، E,i.P.181.

[٤] لقمان. تاريخ عدن ص٤٥، ٣٠٤. وذكر الهمداني أن باب عدن تعد من عجائب اليمن. صفة ص٣٤٤.

[٥] لقمان. تاريخ عدن ص٤٥.

[٦] الإدريسي. نزهة المشتاق (جزيرة العرب) ص٥٧، الحميري، الروض المعطار ص٤٠٨، القلقشندي. صبح ١١/٥، العرشي. بلوغ المرام ص١٧٨ –٩، وذكر المنجم أن الدخول لمدينة عدن يكون من جانب واحد. آكام المرجان ص٩، ولا ندري سبب ذلك إذ أننا ذكرنا ان الدخول يكون من جانبين باب البر وباب البحر.

[٧] الإدريسي. نزهة المشتاق (جزيرة العرب) ص٥٧، الحميري، الروض المعطار ص٤٠٨، القلقشندي. صبح ١١/٥، كحالة جغرافية ص٣٦٥ – ٣٦٦، مجهول. قلائد الجمن ص١١١.

إلى الشرق يكون عموماً مغطى بالرمل (الغرين)، وتمتد سلسلة جبلية ارتفاعها بين ١٠٠٠-٢٠٠٠ قدم تفصل الحزام الساحلي عن السهول[1].

وتفصل بعض جبال عدن بالساحل مثل جبل صيرة الذي يتصل بواسطة ممر طويل في وسط جسر يمر منه ماء البحر[2]، وكانت جبال عدن تشرف على سواحل حقات وصيرة وأبين وأبو الوادي وغيرها[3]، وكانت للسهل الساحلي أهمية كبرى لرسو السفن التجارية التي تصل ميناء عدن الواقع على الساحل، كما أن دوائر الجمرك والتفتيش قد بنيت عليه[4].

الشريط الساحلي لمدينة عدن مغطى بكثير من الخلجان ذات الشواطئ الجميلة، وتحيط بهذه الخلجان الصخور الكبيرة ذات الأشكال الخلابة. وهي ذات طبيعة بركانية تشكل في مجموعها مناظر طبيعية جميلة لاستهواء السواح في الوقت الحاضر[5].

لقد ذكرنا أن عدن القديمة تقع في فوهة بركان. تحيط بها الجبال من أغلب جهاتها، وقد أورد حمزة لقمان[6] أشهر جبالها، وهي:

جبل العر[7]:

ويعرف الآن بجبل شمسان[8]، وهو الجبل الدائري الممتد من حقات حتى الخساف[9]، وهو عبارة عن سلسلة تلال واقعة جنوب عدن وتمتد إلى جنوب غربي عدن[10]، وتعتبر قمة جبل شمسان أعلى قمة في البركان الخامد الذي تتكون منه مدينة عدن[11]، ويشوف على الجهة الغربية من عدن[12]، فيطل على مدخل الميناء[13]. ويعد من جبالها الشهيرة[14]. وهكذا نجد اختلاف الروايات حول تحديد موقع الجبل في الجنوب أو الجنوب الغربي من عدن، وعدم تحديدها بدقة موقعه.

---

[1] Ency Brit, Vol. 19, P. 1079.

[2] لقمان. تاريخ عدن. ص٢٥٤.

[3] نفسه ص٢٥٦-٧.

[4] سنوضح ذلك بصورة خاصة في الفصلين الخامس والسادس.

[5] المؤسسة العامة للسياحة في اليمن الديمقراطية، (عدن، ١٩٧٦م)، ص٧٤.

[6] تاريخ عدن ص٢٥٤، ٢٥٦.

[7] يسميه حمزة لقمان: جبل العز. تاريخ عدن ص٢٥٤، والصواب ماذكرناه. معجم الحجري و ٢٨٠، الأكوع. اليمن الخضراء ص٨٥، قلائد الجمن ص٩٤. E.i, P.180.

[8] لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٤، ٢٦٠. جمهورية اليمن ص٤٦، ويسميه أهل عدن: جبل شمشان وهي لغة شاذة. قلائد الجمن ص٩٠، ويسمى اليوم شمشان E.i, P. 180.

[9] لقمان. تاريخ عدن، ص٢٥٤، ٢٦٠ - ٢٦١.

[10] جغرافية عدن ص٤٠، قلائد الجمن ص٩٠.

[11] لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٣، جغرافية عدن ص٤٠، جمهورية اليمن ص٤٥، E.i,p.180.

[12] مستعمرة عدن ص٩١.

[13] جمهورية اليمن ص٤٥.

[14] معجم الحجري و٢١٥.

يتميز الجانب الغربي من هذا الجبل بشدة الانحدار، فلما يهطل المطر ينساب الماء بسرعة من منحدراته، فكان الخطر يهدد مدينة عدن إذ تتدفق المياه في الشوارع، فشيدت السيلة الممتدة من الطويلة حتى شواطئ صيرة؛ لامتصاص تلك المياه وتخليص مدينة عدن من خطر الفيضان[١].

أما أراضي جبل شمسان فهي بقايا براكين مرتبطة بالأراضي السهلية بشريط قصير من الأراضي التي تحيط ميناء عدن[٢]، كما توجد فيه كميات من حجر الخفان المعروفة باسم (بوميس) المحتوية على الجبس والملح المعدني للنورة الممتزجة بالماء[٣].

جبل صيرة:

وهو جبل[٤] شامخ في البحر مقابل عدن وجبل المنظر ويقال أن الأخير هو قطعة منه، ورأس جبل صيرة حصن قديم[٥]، ويتصل جبل صيرة بالساحل بواسطة ممر طويل في وسطه جسر يمر منه ماء البحر[٦]، وذكر لقمان[٧] أن تلك الطريق تتسع لعربة واحدة في وسطها جسر تمر من تحته قوارب صيد السمك. ويشرف جبل صيرة على مدينة عدن من ناحية الجنوب الشرقي[٨].

أما جزيرة صيرة الواقعة في البحر والمواجهة لرأس عدن من الشرق، فإنها ذات الجبل الأسود الأجرد الذي يقف تجاه مدينة عدن بكل زهو كحارس أمين يحميها من الغزاة، وقد ارتبط تاريخها بتاريخ عدن، لأنها المركز الأمامي في الدفاع عن ميناء صيرة. الذي ترسو عنده السفن المتوجهة إلى ميناء عدن[٩].

إن موقع جزيرة صيرة شمالي عدن[١٠]، يعتبر ذا أهمية استراتيجية كبيرة، ففيها القلعة التي تقع على قمة جبلها والتي تحمل جزءاً كبيراً من تاريخ عدن في صد الغزو الأجنبي، فقد شكلت هذه الجزيرة بقلعتها الحصينة نقطة دفاعية ممتازة[١١]، وكان لارتفاعها الذي يبلغ (٤٣٠) قدماً فوق مستوى البحر – خاصة في نهايتها الجنوبية –

---

١ لقمان. تاريخ عدن ص٢٦٠ –١.

٢ Ency Brit,P.١٠٧٩.

٣ لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٤.

٤ ويقال أنه جبيل بعدن ابين مستدير عريض. الزبيدي، محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس، مج ٣، طبعة أوفست مصورة عن:ط١، مط الخيرية.(القاهرة، ١٣٠٦هـ)، ص٣٤٦.

٥ ابن المجاور. المستبصر ص١١١. أبو مخرمة، ثغر عدن ١/١٧، لقمان. تاريخ عدن ص٢٧٨، قلائد الجمن ص٨٦.

٦ لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٤.

٧ حمزة علي لقمان. تاريخ الجزر اليمنية، مط يوسف وفيليب الجميل.(بيروت، ١٩٧٢م).ص٢٦.

٨مجهول المؤلف. مستعمرة عدن ص٩١، وفي جبل صيرة المنارة المرشدة للسفن. وقيل: (مجهول. قلائد الجمن ص٩٠) أنه من جهة الشرق في عدن.

٩ لقمان. تاريخ عدن ص٢٧٧، تاريخ الجزر ص٢٦، جغرافية عدن ص٤١.

١٠ لجنة الجغرافية العدنية. جغرافية عدن ص٤١.

١١ فتوني. جمهورية اليمن ص٤٦.

أهمية في جعلها تتحكم في مدينة عدن وفي الخليج الشرقي فيها على السواء[1] وقد ترتب على ذلك أن أصبحت هذه الجزيرة هدفاً استراتيجياً حتم على القوى الطامعة التي أرادت غزو عدن – عن طريق البحر – أن تسيطر عليها أولاً[2]، وكان من آثار ذلك تشييد الحصون والأبراج في عصور التاريخ المتعاقبة على قمة جبلها وسفحه؛ لتسيطر على مساحة واسعة من البحر وعلى السفن الداخلة للميناء والخارجة منه، وفي فترات من تاريخ عدن كان سجنها وجمركها في صيرة[3].

نظراً لأن عدن مكونة من أخدود كان بركاناً ثائراً يقذف بالحمم في العصور القديمة، فقد ألفت القصص والأساطير عن عدن وجزيرة صيرة، وهي تعكس كثيراً من العادات والاعتقادات الشعبية والتي كان البعض منها مرتبطاً بطبيعة تلك الجزيرة، لكونها مرسى للسفن التجارية القادمة إلى عدن والتي تشكل عصب الحياة بالنسبة للسكان، فشاعت تلك القصص والأساطير ذات الصلة بحياتهم[4].

كان أهالي عدن في العصور الماضية يعتقدون بوجود الجن والعفاريت في جزيرة صيرة، روى ابن المجاور[5] أن المراكب كانت تتعرض لصعوبات فيتعسر دخولها إلى عدن، لذلك كان الأهالي يأتون بسبعة رؤوس بقر عند غروب الشمس إلى جبل صيرة، وتبقى البقر في مكانها إلى منتصف الليل، وبعده ترجع ستة رؤوس منها إلى عدن ويبقى رأس واحد هناك في الجبل، ومع انبثاق الفجر ينحر هذا الرأس ويضحى به وتسمى تلك الضحية: ضحية الجبل ويقذفون بلحمه في البحر، وإذا تم ذلك العمل فإن المراكب تتقدم وتستطيع دخول ميناء عدن بسلامة حسب اعتقادهم، وصارت تلك العادة سُنّة سارية المفعول حتى أبطلها بنو زريع، ذكر حمزة لقمان[6] أنهم أبطلوها لأنها تعتبر بنظرهم من أفعال الوثنيين، ولكن عادة القرابين (أوالنشوح) ما تزال باقية إلى اليوم. ونميل إلى الاعتقاد بأن هذه القصة تعني صعوبة الدخول إلى الميناء ليلاً. بسبب

---

[1] د. فاروق أباظة. عدن ص٢٦، جغرافية عدن ص٤١ وفيها معلومات عن جزيرة صيرة تختلف عما ذكره د. أباظة. ورد فيها أن طولها ميل ونصف وعرضها (٦٠٠) ياردة، وشكلها يشبه المثلث، ويبلغ ارتفاع أعلى نقطة فيها (٢٧٠) قدم في جهة الطرف الشمالي.

[2] من ذلك غزوة ملك جزيرة قيس (كيش) لعدن سنة ٥٣٠هـ، وقد انتهت بالفشل، كما سنوضح تفاصيلها في الفصل الثاني، وذكر د. فاروق أباظة أن البريطانيين هجموا على جزيرة صيرة وسيطروا عليها حين غزوا عدن سنة ١٨٣٩م. عدن ص٢٦.

[3] لقمان. تاريخ الجزر ص٢٦، وذكر أن جزيرة صيرة لعبت دورا مهما خلال الغزو البرتغالي والمصري والعثماني والبريطاني وشهدت كثيراً من الإنتصارات والمآسي.

[4] تذكر أولى الأساطير ان قابيل بعد قتله لأخيه هابيل هرب إلى عدن مع أخته إقليمة ليحتميا فيها من غضب أبيهما آدم عليه السلام، ودفنا جثة أخيهما فوق جبل التعكر (الذي يسمى جبل حديد) فظهر لهما إبليس وأغراهما بعبادة النار وبنى لهما معبداً للنار فوق جبل صيرة. لقمان. تاريخ عدن ص٢٧٧، تاريخ الجزر ص٢٦، مجهول المؤلف. قلائد الجمن ص٨٧، ١١٢. E . i,P.١٨١.

وفي القرآن الكريم وردت الآية: بسم الله الرحمن الرحيم (وبئر معطلة وقصر مشيد). وفسرت بأن البئر هي البئر الرئيس –أو الرأس – بعدن وكانت لأمة من بقايا ثمود. لقمان. تاريخ عدن ص٢٧٨، تاريخ الجزر ص٢٨.

وفي القصص الإسلامية أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قال عندما ذكر إشراط الساعة: ((نار تخرج من قعرة عدن تطرد الناس الى أرض المحشر))، وورد أيضا: ((أنه يخرج يوم القيامة من صيرة عدن نار تسوق الخلق إلى المحشر)). ابن المجاور. المستبصر ص١١١، أبو مخرمة. ثغر عدن ١٧/١، لقمان تاريخ عدن ص٢٧٧، تاريخ الجزر ص٢٧، مجهول المؤلف. قلائد الجمن ص٨٦، وهنالك قصص وأساطير أخرى عن عدن. انظر: لقمان. تاريخ عدن ص٢٧٧ –٩، تاريخ الجزر ص٢٧-٣١.

[5] ابن المجاور. المستبصر ص١١٤.

[6] لقمان. تاريخ عدن ص٢٨٠. تاريخ الجزر ص٢٨، وقد نقل رواية ابن المجاور مع بعض الإختلاف.

الصخور والحواجز، وأن العملية إنما هي إبقاء المراكب ليلاً وسيرها عند الفجر، وربما كان أمراء عدن هم الذين ينشرون أمثال تلك الحكايات للإبقاء على المراكب وعدم سيرها ليلاً.

ان سبب تعطل المراكب عند جبل صيرة وعدم تمكنها من دخول ميناء عدن، يرجع إلى تأثير الرياح الموسمية[١] ففي منطقة البحر الأحمر تهب الرياح من الشمال ابتدأ من مايس (مايو) حتى بداية شهر تشرين أول (أكتوبر)، لذلك تحتاج السفن العربية المسماة (السنابيق)[٢] إلى خمسة عشر يوماً للرحلة من السويس أو العقبة إلى عدن. ومن شهر تشرين الثاني (نوفمبر) حتى آذار (مارس) تهب رياح الجنوب فتقطع معها السفن طريق العودة في نصف شهر آخر، وخلال المدة الممتدة بين أشهر مايس وتشرين الثاني يمارس أصحاب السفن تجارتهم[٣]، وما يزال تأثير الرياح الموسمية مستمرا على ميناء عدن حتى العصر الحديث في المدة بين شهر أيلول حتى أواخر شهر مايس[٤].

جبل المنظر[٥]:

ويقع شرق عدن[٦]، في مواجهة جبل صيرة ويقال أنه قطعة منه[٧]، وبنيت دار المنظر فيه[٨].

---

[١] لقمان. تاريخ الجزر ص٢٨، وذكر د. فاروق اباظة أن السفن الشراعية لاتستطيع التوجه إلى عدن إلا في مواسم الرياح فقط وذلك قبل استخدام السفن البخارية. عدن ص٢٧.

[٢] السنابيق مفردها السنبوك أو السنبوق، وتسمى أيضا: الصنابيق مفردها الصنبوق، في الأصل مركب صغير يتبع المراكب الكبيرة، وتطلق اليوم على السفن الشراعية المتوسطة الحجم ذات القلعين، ذكر دوزي أنها سفينة كبيرة مكشوفة ليس لها ظهر مدببة المقدم عريضة المؤخر لها شراع مربع، إن هذا النوع من السفن أصبحت في العصور الوسطى عبارة عن قوارب صغيرة كما وصفها ابن بطوطة الذي عاش في القرن الرابع عشر، وقد ورد استعمالها كثيراً في مؤلفات الرحالة والجغرافيين العرب في العصور الوسطى. ماهر، د. سعاد. البحرية في مصر الإسلامية و آثارها الباقية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة،١٩٦٧م)، ص٣٤٨-٩، عبدالعليم، د. أنور. ابن ماجد الملاح، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦٧)،ص١٥٥.

[٣] حوراني. العرب والملاحة ص١٦٧، ويبدو أنه تحدث عن أمور معظمها وقعت في العصر الحديث، وسنتحدث عن تأثير الرياح الموسمية في التجارة بين عدن وساحل شرق أفريقيا والهند والصين في الفصل السادس.

[٤] ذكر. د. فاروق اباظة عن عدن الصغرى أنها شبه جزيرة تقع غربي عدن، ويطلق عليها: البريقة. التي ترتبط مع عدن الأصلية بساحل رملي منخفض مقفر، وتصنع رأس عدن في الشرق مع عدن الصغرى في الغرب ميناء واسعة وعميقة، هي الميناء الغربية التي تحميها جوانبها في الشرق والشمال والغرب من الرياح التي تهب على المنطقة في جميع فصول السنة، وتؤدي إلى هيجان أمواج البحر الي تغور في الميناء الشرقية أثناء هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية بصفة خاصة، لذلك كانت الميناء الغربية أفضل من الميناء الشرقية في المدة الممتدة من أواخر شهر سبتمبر حتى أواخر شهر مايو بصفة خاصة. عدن ص٢٦.

[٥] سمي بهذا الاسم لأن العرب قديما كانوا يستعملونه كمرصد لمراقبة السفن الداخلة للميناء، وكانت الفنارات تضاء فيه ليلاً لتنبيه السفن. جغرافية عدن ص٤١.

[٦] لجنة الجغرافية العدنية، جغرافية عدن ص٤١، مجهول المؤلف. قلائد الجمن ص٩٠.

[٧] ابن المجاور. المستبصر ص١١١، أبو مخرمة. ثغر عدن ١٧/١، لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٤، ٢٧٨.

[٨] أحد الدور الشهيرة في عدن كانت مقراً لأمراء عدن، إذ سكن فيها الأمير محمد بن سبأ كما سنوضح في الفصول القادمة.

جبل الخضراء:

يقع إلى الغرب من جبل المنظر[١]، وهو ما يسمى الآن حقات[٢]ويعرف بالبنديرة[٣]، وفيه حصن الخضراء الذي يشرف على باب البحر بعدن وفيه كانت ترسو المراكب الشراعية التي تحمل البضائع التجارية لميناء عدن[٤].

جبل حقات:

يقع في الجهة الشرقية من عدن[٥]، وصفه الصغاني[٦] بأنه موضع بعدن أبين، وكان سور عدن الذي جدده الأمير عثمان الزنجيلي[٧] يمتد على الساحل من جبل الخضراء إلى جبل حقات، وذكرت بعض المصادر[٨] وجود مكان مشهور عند أهل عدن يسمى: المعجلين يقع ما بين جبلي حقات وصيرة وفي آخرهما، ووصف بأنه بركة ذات أمواج هائلة قاتلة، وتتميز البركة بعمقها الشديد.

جبل التعكر:

ويعرف الآن بجبل حديد[٩]، وسبب التسمية ترجع إلى وجود منجم للحديد فيه، ففي رواية[١٠] أن بعض أصحاب الخبرة جاءوا للجبل وسبكوا منه كميات من الحديد، ثم سمي سلسلة جبال المنصوري[١١]. ويعرف أيضاً بحصن التعكر[١٢]، لوجود ذلك الحصن فيه،

---

[١] جغرافية عدن ص٤١.

[٢] الأكوع(محقق). المفيد لعمارة ص١٧٤ هامش.

[٣] لقمان. تاريخ عدن ص٤٥، ٢٥٤، الأكوع. هامش المفيد ص١٧٤، الحداد. محمد يحيى. تاريخ اليمن السياسي، ط٣، دار الهنا للطباعة، (القاهرة,١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص٢١٨. ذكر حمزة لقمان عن سبب تسميته البنديرة أن الإنجليز بنوا سنة ١٨٦٧م الفنار (منارة السراج) في الجانب المشرف على خليج عدن من جبل الخضراء، وتسمى هذه الناحية من الجبل برأس معاشيق، وكانت العادة قد جرت حتى الحرب العالمية الثانية على رفع راية كلما رأى الفنار سفينة مقبلة إلى الميناء، لهذا سمي جبل الخضراء بجبل البنديرة. تاريخ عدن ص٢٧٥.

[٤] سنوضح أهمية حصن الخضراء من الناحيتين السياسية والاقتصادية في الفصول القادمة.

[٥] قلائد الجمن ص٩٠.

[٦] التكملة ٥/٢٩.

[٧] أحد أمراء عدن في العهد الأيوبي، وسندرس دوره السياسي في الفصل الرابع، وإصلاحاته الاقتصادية والعمرانية في الفصلين الخامس والسادس.

[٨] ابن المجاور. المستبصر ص١١٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/١٧، مجهول المؤلف. قلائد الجمن ص٨٨.

[٩] لقمان. تاريخ عدن ص٤٥، ٢٥٤، تاريخ الجزر ص٢٦، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨. وقد أخطأ الأكوع حين ذكر أن تعكر عدن هو ما يسمى اليوم جبل شمسان أو جبل حديد، هامش المفيد ص١٧٤، وسبق وبينا أن جبل شمسان هو جبل العر بعدن.

[١٠] ابن المجاور. المستبصر ص١٠٦، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/١٨، مجهول المؤلف. قلائد الجمن ص ٩٠، لجنة الجغرافية العدنية. جغرافية عدن ص٤١.

[١١] لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٤، جغرافية عدن ص٤٠-٤١، وفيها أن تلال المنصوري تقع شمال عدن.

[١٢] المرجع نفسه ص٤٥، الحداد، تاريخ اليمن ص٢١٨.

وكان ذلك الحصن يشرف على باب البر في عدن الذي يعرف بـ: بـــاب عـــدن وبـــاب اليمن، وكان التعكر مقراً لأمراء عدن في عهد بني المكرم، وقد دفن فيه بعض أمرائـــهم - كما سنوضح-.

يقع جبل التعكر شمال غربي عدن[١]، وهو على يسار الخارج من الباب إلـــى الـــبر[٢]، ويطل على عدن[٣]، ويمتد من جهة الشرق إلى آخر جهة الشمال[٤].

ومن جبال عدن جبل النوبة. وكانت الباب السادسة من أبواب سور عدن الذي جـدده الأمير عثمان الزنجيلي تقع قرب هذا الجبل قليلاً[٥]. وجبل إحسان الذي ذكر العبدلي[٦] أنـــه من مراسي لحج. وهناك أسماء لعدد من جبال عدن ليس لدينا عنها معلومـــات كافيـــة، وهي جبل ضراس[٧]، وجبل الفراشين[٨] وجبل فقم[٩]، والجبل الأحمر، وجبل العين، وجبـــل الطويلة[١٠]، الذي يتميز بوجود كميات من حجارة الخفان المعروفة باسم بوميس تحتـــوي على الجبس والملح المعدني للنورة الممتزجة بالماء[١١]، وجبل جزيـــرة العبيـــد، وجبـــل السوائح[١٢].

تتميز جبال عدن بأنها بركانية، وقد سميت بمدينة (كريتر)؛ لأن موقعها وسط الفوهة التي انطلق منها البركان، ولفظة كريتر بالإنجليزية معناها بالعربية فوهة بركان[١٣]. ومما يؤكد أن عدن كانت في القديم بركانا يقذف بالحمم، وجود أنواع متنوعة ومتعـــددة مـــن البخور، منها الصلبة كمادة (اللافا) المتنوعـــة الألـــوان كـــالأزرق والأغـــبر والأســـود والأخضر، ومعروف أن اللافا هي المادة السيالة التي تخرج من بطن جبل ناري، وفـــي جبال عدن أيضا صخور رخوة فيها بثور متنوعة تشبه الإسفنج الخشن، وهـــذه البثـــور

---

[١] جغرافية عدن ص٤١.

[٢] الصغاني. التكملة ١٢٥/٣، الزبيدي. تاج العروس ٤١٩/٣.

[٣] الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨.

[٤] قلائد الجمن ص٩٠.

[٥] أبو مخرمة. ثغر عدن ١٥/١، لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٤.

[٦] هدية الزمن ص١٥، وتتميز أراضيه في أنها بقايا براكين مثل جبل شمسان. Ency Brit, p. ١٠٧٩.

[٧] يعرف حالياً باسم جبل أبو الوادي. لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٤.

[٨] ويسمى أيضاً: طارشين. تاريخ عدن ص٢٥٤، ويبرز مع جبل مريط في خليج سفرمينا (المدفعيـــة) فـــي ستيمربونت. جغرافية عدن ص٤١.

[٩] لقمان، تاريخ عدن ص٢٥٤.

[١٠] ذكر هذه الجبال: لقمان: تاريخ عدن ص٢٥٦، كما ورد ذكر أسماء حديثة للجبال، مثـــل: مريـــط وأمـــا نخل. جغرافية عدن ص٤١.

[١١] لقمان: تاريخ عدن ص٢٥٤.

[١٢] تاريخ عدن ص٢٥٦، وتسمى جزيرة سوايح، ويسميها العرب: جزيرة شريفة، وتســـمى أيضـــا جزيـــرة العبيد؛ لأن العبيد الذين اسرتهم البوارج البريطانية كانوا يقيمون فيها. جغرافية عدن ص٤٢,وتسمى أيضـــا: جزيرة السواعي (نسبة إلى نوع من السفن الشراعية مفردها ساعية) وتقع في مرسى السفن الشـــراعية فـــي المعلا تجاه باب السلب في الجانب الشمالي من جبل حديد. لقمان. تاريخ الجزر ص٣٣.

[١٣] جهورية اليمن الديمقراطية ص٤٦. جغرافية عدن ص١٥، وذكر الأكوع أن التسمية تعـــود إلـــى بدايـــة الغزو البريطاني لعدن في النصف الثاني من القرن الماضي. اليمن الخضراء ص٨٥.

مدورة الشكل في بعض أنواع الصخور ومسطحة ومذابة في بعضها الآخر. كما توجد الصخور البركانية المعروفة باسم (بركياس) بالقرب من باب عدن. كما توجد في ذلك المكان كميات محدودة من الحوارة المعروفة علمياً باسم (توفاس)[1] كما أن أراضي جبلي إحسان وشمسان هي بقايا براكين.[2]

وتتوج جبال عدن قلاع حصينة منيعة تمتد فيها الأسوار التي يعود تاريخ بعضها إلى أيام الحميريين قبل الإسلام. وقد جددت الأسوار الممتدة على رؤوس الجبال في عهد بني زريع والأيوبيين بعد ذلك[3]. فشكلت تلك الجبال حواجز طبيعية ذات أهمية عظيمة في حماية مدينة عدن وميناءها من الغزوات الأجنبية، لذلك كان لتلك القلاع الحصينة التي شيدت على جبال عدن ارتباط وثيق بتاريخها كمواقع للدفاع ضد الغزاة والطامعين.

توصف أراضي عدن بأنها وعرة المسالك[4]، كما تتصف بعدم وجود الأنهار داخلها[5]، وكان الماء ينقل إليها من ماء عين رملية تدعى الحيق[6]، تبعد عن عدن مسيرة يوم[7]، فالماء العذب معدوم فيها وينقل إليها[8]، على ظهور الدواب[9]، واعتماد مدينة عدن في الحصول على مياه الشرب كان على الآبار[10]، فانتشرت فيها آبار عديدة وتكيف السكان لهذه الأحوال فحفروا الآبار الكثيرة في عدن وحولها؛ للحصول على المياه.

٤- مناخ عدن:

أما مناخ عدن فإن أهم ميزاته ارتفاع درجات الحرارة وشدتها، ففي فصل الصيف ترتفع درجات الحرارة، وأحيانا يهدأ الهواء لمدة ساعات، وتبلغ الحرارة شدتها في شهور: حزيران، تموز وآب إذ تكون الشمس فيها لاهبة جداً، كما يتصف الشتاء فيها بالبرد الشديد خاصة في شهري تشرين الأول وتشرين الثاني[11].

---

[1] انظر عن خصاص جبال عدن وطبيعتها: لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٣-٤، جمهورية اليمن الديمقراطية ص٤٦.

[2] Ency Brit, P. ١٠٧٩ ، وجدير بالذكر اننا ذكرنا بأن عدن تقع في فوهة بركان خامد كان يقذف الحمم في الماضي. انظر أيضاً: الأكوع. اليمن الخضراء ص٨٥، جغرافية عدن ص٤١.

[3] لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٦، وسنعود لدراسة تلك الإصلاحات في الفصول القادمة.

[4] التطيلي، بنيامين بن يونه، رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، ط١، مط الشرقية، (بغداد، ١٣٦٤ هـ/١٩٤٥م)، ص١٧١.

[5] جغرافية عدن ص٤٦.

[6] الهمداني، صفة ص٧٠.

[7] الحموي، معجم ٨٩/٤.

[8] أبو الفدا. تقويم ص٩٣.

[9] الآلوسي. بلوغ الأرب ٢٠٦/١.

[10] ابن المجاور. المستبصر ص١٣٠، وذكر أن الماء يجلب الى عدن على مسيرة فرسخين.

[11] الأكوع. اليمن الخضراء ص٥٧، جغرافية عدن ص٤٤.

إن اشتداد الحر في عدن خلال فصل الصيف، أدى إلى أن المقيم فيها يحتاج إلى الاغتسال والابتراد عدة مرات في اليوم[1]، ويرجع سبب اشتداد الحر في عدن إلى وقوعها في المنطقة الحارة وقربها من خط الاستواء[2]، إذ إنها تبعد عنه (١٣) درجة كما ذكر ابن خلدون[3] ويعزو المنجم[4] اشتداد الحر فيها لمسامتة الشمس، أي امتدادها عمودياً لقربها من خط الاستواء، كما كان لموقعها تأثيراً على مناخها، فهي تقع على شاطئ حار مجدب[5]، ووصف ابن المجاور[6] ذلك الموقع وتأثيره في مناخ عدن، إذ يقول: "بناء البلد في وادي البحر مستدير حوله هواءه كرب ...)).

كان من تأثير مناخ عدن وموقعها أن وصفت المدينة بأنها بلدة يابسة قشفة قليلة الخير، والأراضي المحيطة بها مجدبة، لذا فقد تميزت بخلوها من الزرع والضرع، إلا انها بلد تجارة وربح[7]، فهي إذن منطقة غير زراعية وما وجد من زراعة وبساتين في بعض قراها، إنما كان لاستعمال أصحابها في الأعم الأغلب، ويعود سبب انعدام الزراعة فيها إلى شحة سقوط الأمطار وقلتها، إذ لا تتجاوز ٥ سم[8] فيها، وتباعد موعد سقوطها، واقتصارها على موسم معين، فكانت جبالها جرداء خالية من النبات[9]، كل هذه الأسباب أدت إلى أن تفتقر المدينة إلى انهار دائمة الجريان، وأن الوديان الموجودة فيها هي موسمية يرتبط جريانها بموسم سقوط المطر.

٥- أعمال عدن وقراها:

يرتبط بعدن عدد من النواحي والقرى، يقع بعضها في ضواحي مركز مدينة عدن وبعضها الآخر خارجها بمسافات قريبة، وكانت تلك النواحي والقرى خاضعة وتابعة لها، بعضها قديمة، وأخرى مستحدثة، لذلك سندرسها موضحين حجم المنطقة في الحوادث التي تتناولها رسالتنا، وهذه الأعمال هي:

---

[1] القلقشندي. صبح ١٢/٥.

[2] جمهورية اليمن الديمقراطية ص١٨، ويتضح ذلك من وقوعها على خط العرض ٤٧و١٢ شمالاً.

[3] العبر مج ٤٧٣/٤.

[4] آكام المرجان، ص٩.

[5] حوراني. العرب والملاحة ص٢٠٧، وذكر انها تشبه سيراف في موقعها وشدة حرارتها.

[6] المستبصر ص١٣٠.

[7] المقدسي. أبو عبدالله محمد بن أحمد. احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. باعتناء: دي غويه. ط٢، مط بريل، (ليدن،١٩٠٦)، ص ٨٥، المنجم، آكام المرجان ص٩، الحموي. المشترك ص٣٠٤، ابن خلدون. العبر مج ٤٧٣/٤، القلقشندي صبح ١١/٥، العبدلي. هدية الزمن ص٢٠، سرهنك. حقائق الأخبار ١٥٧/١، الآلوسي، بلوغ الارب ٢٠٦/١، الواسعي، فرجة الهموم ص٣٢٣، جغرافية عدن ص٥٦، قلائد الجمن ٦٩.

[8] الحديثي. أهل اليمن ص٣٩، وذكر لقمان أن كمية ماء المطر التي تهطل على عدن ضئيلة لا تتعدى بين ٦-٧ قدم سنوياً، وهذه الكمية لا تكاد تكفي مدينة كثيرة السكان مثل عدن. تاريخ عدن ص٢٦١.

[9] جغرافية عدن ص٤٦، ٥٩، باوزير. معالم تاريخ الجزيرة ص٢١٨.

١- أبين[١]:

ذكر الحموي[٢] أنه مخلاف[٣] باليمن منه عدن[٤]، ومخلاف أبين قرب عدن، وفيه حصون وقلاع وبلدان، روى أبو مخرمة[٥] أن عدن كانت من أعمال أبين[٦].

تقع أبين شرقي عدن وغربي أحور، وتقسم إلى مقاطعتين كبيرتين: الأراضي الساحلية، والأراضي المرتفعة في الداخل التي تقع في الشمال[٧]، يحدها من الشرق أحور، ومن الغرب لحج، ومن الشمال جبل يافع، ومن الجنوب البحر[٨]، أي البحر العربي والمحيط الهندي.

تعد أبين من مدن اليمن التهامية[٩]، ومن مدنها خنفر[١٠] وكانت هي وشوكان للأصبحيين[١١]، ومدينة الرواغ[١٢] وسكنها بنو عامر من كندة[١٣]، ومن مدن أبين المحل[١٤]،

---

[١] اختلف في تحديد حركة الهمزة، فقيل بكسر أوله واسكان ثانيه بعد ياء معجمة باثنتين من تحتها مفتوحة ثم نون، اسم رجل تنسب اليه عدن ابين من بلاد اليمن. البكري، أبوعبيد عبدالله. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ج١،تح: مصطفى السقا، ط١، مط لجنة التاليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)، ص١٠٣، وممن ذكر أبين بالكسر؛الأهدل. تحفة الزمن و١٣٢ب. وقيل بفتح أوله: الحموي. معجم ٨٦/١ (بفتح أوله ويكسر)، المشترك ص٣٠٤، ابو مخرمة. النسبة و٨.

[٢] معجم البلدان ٨٦/١، وذكر أن عدن تضاف الى ابين وهو مخلاف، عدن من جملته. معجم ٨٩/٤.

[٣] المخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع. عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي، تاريخ اليمن المسمى: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، – تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط٢، (القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص٤٨، الحموي. معجم ٦٧/٥، ابن المجاور. المستبصر ص ١٧٠،وذكر أن المخلاف اعمال كل حصن بذاته، وما حول الحصن من القرى والمزارع فهي مخلافه، وتشتهر المخاليف في جبال اليمن، لذلك فهي لا تعرف في التهائم. المستبصر ص١٦٩-١٧٠، وذكر الإدريسي أن المخاليف هي الحصون وأن العرب تسمي الحصن مخلافا. نزهة المشتاق (جزيرة العرب) ص٢٧، ٥٥، وذكر الحموي أن المخلاف بمنزلة الكورة والإقليم والرستاق وكل مخلاف يعرف باسم قبيلة من قبائل اليمن اقامت به وعمرته. معجم البلدان ٣٧/١، ٦٧/٥، انظر ايضا: قلائد الجمن ص١١٥.

[٤] علق العبدلي على ما ذكره الحموي فقال:((الصواب أن عدن واقعة في دلتا وادي لحج لا على ساحل ابين)).هدية الزمن ص١٩، وهو يخالف الحموي فيما ذهب اليه من أن عدن هي جزء من مخلاف ابين.

[٥] النسبة و٢١٦ واضاف أن عدن تعرف بعدن ابين؛ لأن ابين بن زهير بن الهميسع بن حمير أقام بها لانها كانت من أعمال ابين.

[٦] ذكر المقدسي أن أبين هي أقدم من عدن واليها تنسب عدن، لأن برهم وفواكههم وخضرهم منها لكثرة القرى والمزارع بها. أحسن التقاسيم ص٨٥.

[٧] الأكوع. اليمن الخضراء ص١٢٠.

[٨] أبو مخرمة. النسبة و٨.

[٩] تبدأ تهامة جنوباً من تيه ابين، وتشمل مخلاف لحج وابين وأحور الساحلية جنوب شرق اليمن. الاكوع. اليمن الخضراء ص٣٨، ٤٠.

[١٠] الهمداني. صفة. ص٧١، أبو مخرمة. النسبة و٨، ١٢٨.

[١١] الهمداني. صفة ص٢٠٢.

[١٢] وتسمى الرواغ. الحموي. معجم ٣٩٤/٢، معجم الحجري و١٤٣.

[١٣] الهمداني. صفة ص٧٢، الحموي معجم ٣٩٤/٢، وقد حلت مدينتا جعار وزنجبار محل مدينتي الرواغ وخنفر. الاكوع. اليمن الخضراء ص٨٦.

[١٤] معجم الحجري و١٤٣.

والدعيس موضع بناحية أبين[1]، وتشتهر أبين بحصونها، ومنها ريشان وهو جبل ملحان[2]، والساقة[3]، والسهلة[4]، وغفر[5]، وقامت في أبين حضارة راقية في العصور السالفة ورد ذكرها في الأساطير والقصص الخيالية[6].

تعتبر أبين أوسع عملا من لحج، وأفضل منها مناخاً، وتعد من أطيب النواحي، ويتصف أهلها بعلو الهمة وطيب المزاج[7]، وبرغم ما يبدو فيها من خصوبة ظاهرة وريف زاهر، إلاّ أن أرضها وصفت بأنها: موبؤة بشدة[8].

أما بخصوص تسمية أبين، فالشائع أنها سميت بأبين بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وهو رجل حميري أضيفت إليه عدن فعرفت بعدن أبين تمييزاً لها عن عدن لاعة[9]، وفي رواية أنها سميت بابين بن عدنان أخي عدن بن عدنان الذي سميت به مدينة عدن، وقد أوضحنا ضعف تلك الرواية رغم تناقلها عند البعض من المؤلفين القدامى والمحدثين[10]، والنسبة إلى ابين: ابيني[11] أو الابيني[12].

٢- احور[13]:

يقع احور شرقي أبين[14]، وهو وادٍ واحد فيه قرى كثيرة أولها الجثوة والشريرة، والمحدث وعرقة[15]، ذكر الحموي[16] انه مخلاف باليمن.

---

[1] أبومخرمة. ثغر عدن ٧٣/٢. ومن مدن أبين الحالية جعار وزنجبار والكثيب المسمى "كثيب برامس" الاكوع. اليمن الخضراء ص١٢٠، وزنجبار الآن عاصمة المحافظة الثالثة، جمهورية اليمن الديمقراطية. ص١٨.

[2] ينسب الى ملحان بن عوف بن مالك من حمير، ويطل على تهامة والمهجم. الهمداني. صفة ص١١٠، ٢٦٧، الحموي. معجم ١١٢/٣، معجم الحجري و١٧٥.

[3] الحموي. معجم ١٧٢/٣.

[4] المصدر نفسه ٢٩١/٣، الصغاني. التكملة ٣٩٩/٥.

[5] وهو حصن باليمن من أعمال ابين. الحموي. معجم ٢٠٧/٤.

[6] ورد في الأخبار أنه في تيه أبين إرم ذات العماد. الهمداني. صفة ص١٤٦، الأكوع. اليمن الخضراء ص٨٦، ويقال أن إرم هي دمشق لكثرة عمد الحجر فيها. الهمداني. صفة ص١٤٦، الرازي. تاريخ صنعاء ص٢٤١ –٢٤٢، انظر عن الأساطير والقصص المتعلقة بحضارة أبين: الأكوع. اليمن الخضراء ص٨٦.

[7] أبو مخرمة. النسبة و٨.

[8] الرازي. تاريخ صنعاء ص١٤٤، ابو مخرمة. النسبة و٨.

[9] ذكرنا مصادر ذلك في موضوع تسمية عدن ونسبتها الى أشخاص كثيرين.

[10] ذكر تلك الرواية الطبري كما ذكرنا المؤلفين الذين تناقلوها وناقشنا في موضوع تسمية عدن تلك الروايات.

[11] ورد أختلاف في تسمية ابين، فوردت بكسر الهمزة (الابيني). البكري. معجم ما استعجم ١٠٣/١، الاهدل. تحفة الزمن و١٣٢ ب.

[12] ورد انها بفتح الهمزة، ونعتقد أنه الصواب. انظر: الحموي. المشترك ص٣٠٤، ابو مخرمة. النسبة و٨.

[13] بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو بعدها راء مهملة، والنسبة اليها: الاحوري. ابو مخرمة. النسبة و١١. الاحور كوكب، وهو المشتري، والاحوري: الابيض الناعم. الجوهري. الصحاح ٦٤٠/١، والاحور هو سواد العين. الحموي. معجم ١١٧/١.

[14] أي انه يكون الحدود الشرقية لابين. ابومخرمة. النسبة و٨.

[15] الهمداني. صفة ص١٨٧، ٢٠١.

[16] معجم البلدان ١١٨/١.

تنقسم أراضي احور إلى منطقتين: منطقة تهامية ذات سهول، ومركزها أحور التي تسمت المنطقة باسمها[1]، وتعتبر المرسى الطبيعي للمنطقة، وكانت السفن الشراعية القادمة من الشحر وبربرة وعدن ترسو فيها[2]، والمنطقة الثانية مكونة من جبال وتلال وروابي[3]، وفي أحور فروع كثيرة تسقى بماء المطر[4].

٣- رباك[5]:

وهي من قرى عدن الزراعية، تبعد عنها مسافة فرسخين[6] ـ (أي أقل من ١٠ كـم)[7] وكانت قرية عامرة، عمر فيها الأمير ناصر الدين فاروت[8] بستاناً مزدهراً، وشق فيها ترعاً كثيرة، وغرس فيها أنواعاً من أشجار الفاكهة كالنارنج والأترج[9] (الليمون) والموز والنارجيل[10]، كما حفر بها الآبار[11]، ونعتقد أن عمله هذا كان لمصلحته الشخصية لا للصالح العام.

وتروي المصادر[12] بأن الناخوذة[13] عمر الآمدي[14] غرس فيها شجر الشكي البركي[15]، وذلك سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م، كما حفر بها السبرك العديدة، وكانت بها

---

[1] كانت منطقة أحور قبل استقلال الجنوب اليمني مركزاً لسلطنة العوالق، نسبة إلى سلاطينها آل العولقي، وكانت المنطقة السهلية هذه تسمى: العوالق السفلى. الأكوع. اليمن الخضراء ص١٢١.

[2] ابو مخرمة. النسبة و١١، الاكوع. اليمن الخضراء ص١٢١.

[3] الاكوع. اليمن الخضراء ص١٢١، وكانت تسمى: العوالق العليا، وعاصمتها نصاب.

[4] ابو مخرمة. النسبة و١١.

[5] بضم الراء الموحدة خفيفة وسكون الالف وآخره كاف، قلائد الجمن ص٩٢.

[6] الفرسخ: قيل هو فارسي معرب وأصلة فرسنك، والفرسخ يساوي ثلاثة اميال، والميل =اربعة الاف ذراع. فالفرسخ = ١٢ ألف ذراع. الحموي. معجم البلدان ٣٥/١ – ٣٦، الزبيدي. تاج العروس ٢٧٣/٢، وذكر هنتس أن الفرسخ يتألف من (٣) أميال، أي أن طول الفرسخ كان حوالي ٦كم. هنتس، فالتر. المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: د. كامل العسلي، مط القوات المسلحة الأردنية، (عمان، ١٩٧٠)، ص ٩٤.

[7] ذكر هنتس أن الميل = ثلث فرسخ، أي حوالي ٢ كم. المكاييل ص٩٥، وقد ذكرنا أن الميل = ١٥٨٤م، فالفرسخ=٤٧٥٢ م تقريباً، أي اقل من (٥) كم.

[8] من أمراء عدن في أواخر العهد الايوبي، وسنوضح دوره في الفصل الرابع.

[9] الاترج كثير ببلاد العرب، وهو مما يغرس غرساً ولا يكون برياً، وورقه يشبه ورق الجوز، وهو طيب الرائحة. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داؤد. قطعة من الجزء الخامس من كتاب النبات (الجزء الثامن من أجزاء القاضي ابي سعيد السيرافي)، عني بنشره: برنارد لوين، مط بريل، (ليدن، ١٩٥٣م)، ص٤٠، والأترج كباد وهو نوع من كبار الليمون، وشجره الكباد وثمرته، ومن انواعه القرطبي والقسطي والميني. دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ج١، نقله الى العربية وعلق عليه:د. محمد سليم النعيمي، (بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص٨٠.

[10] جوز الهند ويسمى: البارنج، وورقه خوص يشبه خوص النخيل، ويسمى ايضا الرانج، وهو النارجيل أي جوز الهند. الدينوري. كتاب النبات ص٥١،١٥٣،١٩٩.

[11] انظر: ابن المجاور. المستبصر ص١٠٥، ابو مخرمة. ثغر عدن ٢٠/١، ٢٣٧/٢، قلائد الجمن ص٩٢.

[12] المصدر نفسه والصفحة، ابو مخرمة. ثغر عدن ٢٠/١، ١٧٣/٢، العبدلي. هدية الزمن ص٧، قلائد الجمن ص٩٢-٣.

[13] جمعها النواخذة وهم ملاك سفن البحر أو وكلائهم عليها، لغة مولدة معربة، الصغاني. التكملة ٣٩٣/٢، مادة نخذ، والناخداه كلمة فارسية بمعنى الربان. الباشا، حسن. الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج٣، منشورات دار النهضة العربية، مط لجنة البيان العربي، (القاهرة، ١٩٦٦)، ص١١٧٦.

[14] يراجع عنه الفصل السادس /سكان عدن.

[15] هو شجر يخرج من بدن الشجر بخلاف جميع الاشجار. المستبصر ص١٠٥، ثغر عدن ٢٠/١، ١٧٣/٢، قلائد الجمن ص٩٢.

حفرة قديمة تسمى: حفرة الأسد[1]، كانت الناس قديماً تحج إليها من أبين ولحج وما حولها من القرى في أول شهر رجب من كل عام.

يتضح لنا أن رباك كانت قرية زراعية مزدهرة تكثر فيها المياه، فقامت بها زراعة أشجار الفاكهة، كما أن لموقعها على البحر العربي أهمية كبيرة في تردد تجار البحر وأصحاب السفن عليها وإقامتهم فيها، إذ أنها تقع على ساحل البحر غربي الحسوة التي كانت تسمى: المباه[2]، وقد اكسبها ذلك الموقع أهمية، إذ كانت المراكب التجارية تقصدها للاستسقاء من مياهها العذبة[3].

٤- لحج[4]:

مخلاف باليمن ينسبه الاخباريون إلى لحج بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[5]، وقيل أنه واد قرب عدن يشتمل على قرى ومزارع ونخيل[6].

تقع لحج في الشمال الغربي من عدن، على مسافة لا تزيد عن (٢٨) ميلاً[7]، وهي منطقة رملية تعتبر من اخصب واحات الجنوب اليمني؛ لاحتواء تربتها على عوامل الخصب والمواد الفسفورية، ومناخها حار رطب في الصيف يميل إلى البرودة في الشتاء، وتكثر فيها أشجار الفاكهة والخضراوات باختلاف أنواعها[8]، وذلك بسبب خصوبة التربة في وادي لحج الذي تشتمل قراه على المزارع وبساتين النخيل[9].

والنسبة إلى لحج: اللحجي[10]، وقد اشتهر من لحج جماعة من العلماء والفضلاء منهم: المؤرخ مسلم بن محمد اللحجي صاحب التاريخ المعروف بتاريخ مسلم اللحجي، وله كتاب: "الاترنجة في شعراء اليمن"، كان مسلم اللحجي حياً سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م،

---

١ ولعل الأسد اسم رجل. قلائد الجمن ص٩٢.

٢ العبدلي. هدية الزمن ص٩، وسنوضح معنى الحسوة عند دراستنا للمياه.

٣ ازدادت أهمية رباك في القرن العاشر الهجري فكانت المراكب المارة بالشام وزيلع تقصدها لأجل الاستسقاء منها، بسبب وجود الآبار العذبة فيها، وكان لأهل عدن نخيل فيها، ثغر عدن ٢٠/١، قلائد الجمن ص٩٣.

٤ بفتح اللام وسكون الحاء المهملة ثم جيم.السمعاني. الانساب و٤٩٤ ب، الحموي. معجم البلدان ١٤/٥، الاهدل. تحفة الزمن و٢٦ أ، ابومخرمة. النسبة و٢٥٦، ويقال مكان لحج أي: ضيق، والملاحج: المضايق، والملتحج: الملجأ. الجوهري. الصحاح ٣٣٨/١، ولحج هو الميلولة، يقال الحجنا الى موضع كذا، أي: ملنا، وألحاج الوادي: نواحيه واطرافه واحدها لحج. معجم البلدان ١٤/٥، معجم الحجري و٣٦.

٥ السمعاني. الأنساب و ٤٩٤ب، الحموي، معجم ١٤/٥، ابن الأثير. اللباب ٦٧/٣. الصغاني. التكملة ١/ ٤٨٦، العبدلي. هدية الزمن ص٤، الأكوع. اليمن الخضراء ص١١٩.

٦ ابومخرمة. النسبة و٢٥٦، وقيل لحج قرية من ابين من بلاد اليمن. ابن الأثير. اللباب ٦٧/٣.

٧ الاكوع. اليمن الخضراء ص١١٩، وذكر الثور أن منطقة لحج تقع شمال عدن، وتبعد عنها (٤٠) كم. هذه هي اليمن ص٤٧٧-٨، ويقال أن لحج اسم بلد على مرحلة من عدن أبين. المغاني. التكملة ٤٨٦/١.

٨ الثور. هذه هي اليمن ص٤٧٧-٩.

٩ الحموي. معجم ٦٧/٥، ابومخرمة. النسبة و٢٥٦، معجم الحجري و٢٧٣.

١٠ السمعاني. الانساب و٤٩٤ ب، ابن الأثير. اللباب ٦٧/٣، ابومخرمة. النسبة و٢٥٦.

والفقيه محمد بن سعيد بن معن القريضي، الذي صنف كتابا في الحديث سماه: "المستصفى في سنن المصطفى"[1] ومن لحج عيسى اللحجي وغيره[2].

وتتبع لحج قرى أخرى تمتد لمسافة طويلة، وصفها ابن المجاور[3] بقوله: "وأما أعمال لحج فإنها معاملة طويلة عريضة تصح مقدار عشرين فرسخاً وقرى كبار ومن جملتها الرعارع"[4]، ويتضح لنا أن مساحة لحج كبيرة جداً تساوي اكثر من (٩٥) كم[5]، وهي بهذه المساحة الكبيرة تشكل أهمية كبرى بالنسبة إلى عدن؛ وذلك للموارد الكثيرة التي تتجمع فيها من الزراعة والتجارة التي يعمل فيها كثير من السكان الذين يترددون بينها وبين عدن، كما استقر عدد كبير من أهالي لحج في عدن للعمل في التجارة واوجه النشاط الاقتصادي لمينائها[6]، فهي قريبة من عدن، فالمسافة من عدن إلى الرعارع أربعة فراسخ[7]، وهي من أعمال لحج.

كانت الرعاع من اشهر قرى لحج، وأصبحت عاصمة لحج في عهد الزريعيين[8]، وموقعها آنذاك على شطر نهر تبن[9]، ولا يعرف مكانها الآن[10]، والنسبة إلى الرعارع: الرعرعي[11]، وممن نسب إليها موسى بن طارق اللحجي ويقال له الرعرعي، والفقيه إبراهيم بن أحمد الرعرعي اللخمي[12].

---

[1] الحموي. معجم ١٤/٥، العبدلي. هدية الزمن ص٤-٥.

[2] ابومخرمة. النسبة و٢٥٦.

[3] المستبصر ص١٥٥.

[4] الرعارع: بفتح الراء بعد الالف واللام ثم العين المهملة ثم الف ثم راء اخرى مكسورة ثم عين اخرى مهملة، وهي قرية من قرى مخلاف لحج. الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب. السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١، خ مكتبة الجامع الكبير الغربية في صنعاء رقم (٤٦) تاريخ وتراجم، ورقة ٤٤، الاهدل. تحفة الزمن و٢٦ أ، ابومخرمة. النسبة و١٥٧، معجم الحجري و١٧٠، العبدلي. هدية الزمن ص٦، لقمان، تاريخ عدن ص٤٩. وقد سماها الحموي: الزعازع، وذكر أنها بلدة باليمن قرب عدن. معجم ١/ ١٤٠، وذكر الصغاني بلد باليمن أسمه الزعازع. التكملة ٤/ ٢٧١، كما ذكر الحجري أن الزعازع من بلاد الحجرية. معجم و١٨٥، وسماها الزعازع في موضع آخر (و٣٠٨)، وسماها ابن خلدون: الزعزاع. العبر مج٤/ ٤٧٣، وهذه تصحيفات، وهي اسم لموضع آخر من بلاد اليمن أيضاً، ووصف الهمداني الرعارع بأنها سوق الواقديين ومدينتهم فور وهي قرية الأصابح. صفة ص١٣٩، ٢٠٤.

[5] ذكرنا أن الفرسخ = ٣أميال، والميل =١٥٨٤م، فالفرسخ = ٤٧٥٢م أي، أقل من (٥) كم.

[6] سنتناول هذا الموضوع في دراسة سكان عدن في بداية الفصل السادس.

[7] ابن المجاور. المستبصر ص٢٤٨، أي انها تبعد عن عدن بحدود (١٩) كم.

[8] العبدلي. هدية الزمن ص٥-٦، ١٠ - ١١، وذكر ايضاً انها اصبحت عاصمة للاتراك، أما عاصمة لحج في الوقت الحاضر فهي مدينة الحوطة. انظر أيضاً: الاكوع. اليمن الخضراء ص٨٦. واتخذ امراء عدن من ال زريع الرعارع عاصمة لهم وشهدت معارك عنيفة بينهم كما سنوضح في الفصل الثاني.

[9] الاكوع. اليمن الخضراء ص٨٦.

[10] ولعلها خربت حوالي القرن الثامن أو التاسع. الاكوع (محقق) قرة العيون ٣٠٧/١ هامش.

[11] برائين مهملتين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة، وآخره عين مهملة مكسورة، نسبة الى الرعارع. ابومخرمة. النسبة و١٥٧، العبدلي. هدية الزمن ص٦.

[12] الجندي. السلوك ج١، و٤٤، الاهدل. تحفة الزمن و٢٦ أ، ابومخرمة. النسبة و١٥٧، معجم الحجري و١٧٠، العبدلي. هدية ص٦.

ومن أعمال لحج: الدعيس[١]، ذكر ابن المجاور[٢] أن المسافة إليه أربعة فراسخ، وهو في معاملة لحج، ذكر العبدلي[٣] أن هذا الموضع معروف بلحج بهذا الاسم إلى الآن. ومن قرى لحج: بنا ابه[٤]، وابه اسم رجل من قريض سميت به القريتان: بنا ابه العليا، وبنا ابه السفلى[٥]، ثم تصرف فيهما العامة وحرفوا اسميهما فقالوا: منيبه[٦] العليا ومنيبه السفلى[٧]، وهما قريتان متقاربتان[٨]، وموضع بنا ابه يعرف إلى اليوم بميبه[٩]، وهو على مسافة نحو نصف ميل غربي مدينة الحوطة[١٠]. أما سكان بنا ابه فقد ذكر الهمداني[١١] انهم الابقور من يافع[١٢]، وقوم يعرفون بالاعدون منسوبون إلى عدن.

ومن قرى لحج الصهيب، وبها سبأ الصهيب قبيلة من سبأ[١٣] وخلة[١٤] قرية قرب عدن أبين عند سبأ صهيب[١٥] والوهط[١٦]، وهي قرية قريبة من لحج عدن غير الوهط المشهورة في قرى الطائف بالحجاز[١٧]، وقرى لحج كثيرة منها: الحيب والرعيض والجوار والداروفور[١٨]، وذكر العبدلي[١٩] أن غالب تلك القرى درست، وهنالك آثار لمدن وقرى دارسة تدعى: المجاهيل لم تتوفر عنها معلومات كافية، لكن آثارها تدل على انتشار صناعتي الخزف والزجاج بين الكثير من أهل لحج[٢٠]، وكان في السيلة[٢١] معملة للزجاج وآثار ذلك ظاهرة إلى الآن، وبالقرب من الفيوش آثار أبنية قديمة تعرف بـ:

---

[١] ذكرنا سابقا ان أبا مخرمة اعتبره موضع بناحية ابين، ثغر عدن ٢/٧٣، ولعله اسم لموضعين.

[٢] المستبصر ص١٥٥.

[٣] هدية الزمن ص٨، ٧٧، وذكر أنه يقع غربي زايدة على مسافة نحوميل. نفس المرجع ص٩.

[٤] اسم مركب من بنا وابه، وابه بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحدة ثم هاء ساكنة، الاهدل. تحفة الزمن و١٠١ أ، ابومخرمة. النسبة و٥، العبدلي.هدية الزمن ص٦، الاكوع (محقق). قرة العيون ص٣٠٧ هامش.

[٥] الصغاني. التكملة ١/٦٢، الاهدل. تحفة و ١٠١ أ، أبو مخرمة النسبة و٥، العبدلي. هدية الزمن ص٦، لقمان. تاريخ عدن ص٤٨، الاكوع (محقق).قرة العيون ص٣٠٧ هامش.

[٦] منيبه: بفتح الميم وسكون النون وفتح الياء المثناة من تحت وفتح الباء الموحدة مع تشديدها ثم هاء ساكنه. لقمان. تاريخ عدن ص٤٨.

[٧] الجندي. السلوك ج٣ (تكملة تاريخ الجندي)، خ مكتبة الجامع الكبير الشرقية في صنعاء رقم (٢٥) تاريخ، ورقة ٧٠أ، ابومخرمة. النسبة و٥، لقمان. تاريخ عدن ص٤٨.

[٨] العبدلي. هدية الزمن ص٦-٧، ومعنى ذلك أن التسميتان: بنا ابه العليا والسفلى وكذلك مبية العليا والسفلى اتخذتا احترازا من اختلاط اسم القريتين. انظر ايضا: لقمان. تاريخ عدن ص٤٨.

[٩] بميم مفتوحة ثم ياء مفتوحة ثم هاء ساكنه قبلها باء مشددة. العبدلي. هدية ص٧، وقيل: ميبه بكسر الميم. نفسه ص٩.

[١٠] العبدلي. هدية ص٩.

[١١] صفة ص٢٠٤.

[١٢] ذكر العبدلي ارضا تسمى: أرض الباقري قرب مدينة الحوطة من جهة الشرق. هدية ص٩.

[١٣] الهمداني. صفة ص٣٤٣، لقمان. تاريخ عدن ص٥١.

[١٤] بفتح الخاء وتشديد اللام. الحموي. معجم ٢/٣٨٥، والخلي نسبة الى خلة، قرية بعدن. ابومخرمة. النسبة و١٢٨.

[١٥] الحموي. معجم ٢/٣٨٥، الصغاني. التكملة ٥/٣٤٢.

[١٦] بفتح أوله وسكون ثانيه وطاء مهملة، والوهط المكان المطمئن المستوي. الحموي. معجم ٥/٣٨٦، باعلوي. المشرع الروي و٣٥٢ب.

[١٧] باعلوي. المشرع و٣٥٢ ب، العبدلي. هدية الزمن ص١٢.

[١٨] الهمداني. صفة ص٢٠٤. ومن قرى لحج: صبر وجلاجل وبير عمر وبير مكي والوعرة والثعلب والزيادي وكانت تدعى الهذابي والخداد والشقعة وزايدة. العبدلي. هدية الزمن ص١٢-١٥.

[١٩] هدية الزمن ص٩.

[٢٠] سندرس صناعة الخزف والزجاج والصناعات الاخرى في عدن ولحج وغيرهما في الفصل السادس.

[٢١] وتقع على مسافة نحو خمسة اميال جنوبي الوهط. هدية الزمن ص٩.

أمدريب، وهي قرية من قرى لحج الدارسة[1].

ومن قرى لحج المشهورة الحوطة[2]، وهي عاصمة لحج حديثا، وغلب اسمها على لحج، فيقال لـ لحج: الحوطة، لأنها اكبر مدينة في مخلاف لحج[3].

ومن حصون لحج: المنيف، ويسمى: منيف لحج، وهو حصن قرب عدن[4]، وهو جبل يقع على بعد (١٢) ميلا من لحج[5]. وكان من حصون بني زريع أمراء عدن[6].

٥- لخبه[7]:

وصفت بأنها : "موضع بظاهر عدن أبين وضواحيها"[8]. وهي مستحدثة بناها والي عدن الأمير أبو عمرو عثمان بن علي الزنجيلي[9]. والمسافة منها إلى عدن فرسخين إلا ربع (حوالي ٩ كم)، واشتهرت اللخبه بصناعة الآجر والزجاج، الذي كان ينقل منها إلى عدن، وكانت قرية عامرة تسكنها جماعات من العرب كالأهدوب والعقارب وغيرهم، وفيها دكاكين ومعاصير[10].

وتسمى الآن: "بئر أحمد"، وتعتبر إحدى قرى لحج[11].

٦- المباه[12]:

قرية صغيرة تحت عدن، بينها وبين عدن ربع فرسخ[13]، وسميت المباه، لأن من خرج من عدن سائرا أقام بها إلى أن يكتمل بقية الرفقة فيسيروا جميعا، وكذلك القوافل الواصلة إلى عدن كانت تقف بها وتتهيأ لدخولها، ولعل كلمة المباه مأخوذة من (التبوئ) بالهمزة والمد، ولما كثر استعمالها عند العامة خففوها بترك الهمزة، وكان معظم سكانها صيادين وفيها دكاكين ومحلاجة وبيوت[14].

---

[1] العبدلي. هدية ص٨-٩ وذكر ايضا قريتي الراحة والمشاريج وهما باقيتان الى الآن، الاولى غربي جبل ردفان والثانية بلاد المناصرة من الأصابح.

[2] ابومخرمة. ثغر عدن ٩٣/٢.

[3] العبدلي. هدية ص٥، الاكوع. اليمن الخضراء ص٨٦.

[4] الحموي. معجم ٢١٧/٥، معجم الحجري و٣٣٤.

[5] لقمان. تاريخ عدن ص٥١.

[6] العبدلي. هدية ص٨.

[7] بتشديد اللام وسكون الخاء وفتح الباء وهاء ساكنة. مجهول. قلائد الجمن ص٩٤.

[8] الصغاني . التكملة ٢٦٧/١، ابومخرمة. ثغر عدن ٢١/١.

[9] أمير عدن في العهد الأيوبي وسندرس إمارته في الفصل الرابع.

[10] ابن المجاور . المستبصر ص١٤٨، ابومخرمة . ثغر عدن ٢١/١-٢، قلائد الجمن ص٩٤.

[11] العبدلي . هدية ص١٤، الثور. هذه هي اليمن ص٤٧٦.

[12] وتسمى: حصن المباه، بفتح الميم الموحدة. قلائد الجمن ص٩٤.

[13] ذكر ابومخرمة أن المسافة من جبل حديد الى المباه ربع فرسخ، ثغر عدن ١٨/١.

[14] ابن المجاور. المستبصر ص١٤٨، ابومخرمة. ثغر عدن ١٨/١، العبدلي. هدية الزمن ص٧.

وتسمى المياه في الوقت الحاضر: الحسوة[1]، وتقع هذه القرية بالقرب من البحر تقريباً، وتبلغ مساحتها نحو (٣٩) ميلاً مربعاً[2]، ذكر لقمان[3]، أن الحسوة أهم قرى العقارب، وكلمة الحسوة معناها: مكان الشرب، والكلمة تحسى واحتسى، معناهما: شرب، والحسوة هي البقعة التي ينتهي عندها ممر مائي طويل يمتد من الجبال، وكانت الآبار تحفر في ذلك الممر المائي فتخرج منه كميات محدودة من الماء كان يرسل منها إلى القسم الجنوبي من عدن، ويحمل أيضا في قرب جلدية على ظهور الجمال إلى عدن.

٧- المملاح:

ويسمى الآن: المحافر[4]، وهو موضع خارج عدن سمي بالمملاح[5]؛ لان الملح يجمد فيه، والمسافة من عدن إليه فرسخ ونصف[6] (أي أكثر من ٧كم)، وقد ضمن المملاح في أواخر العهد الأيوبي باليمن، وقيل أن الاتابك سيف الدين سنقر[7] اشترى نصفه بألف دينار بعد أن جار على أهله واكرههم، وكان عمله يعد ظلماً كبيراً على أهل المملاح[8].



---

[1] وتسمى ايضاً : كورنتينا. قلائد الجمن ص٩١.

[2] جغرافية عدن ص٣٦، وتوصف الآن بكثرة أشجار النخيل، وتقوم صناعة الخمر والخل على عصير النخيل، ويكثر استعماله في البلاد المحلية. انظر أيضا: لقمان. تاريخ عدن ص٢٥٠، للاطلاع على الحسوة، انظر: الاكوع . اليمن الخضراء ص١١٩.

[3] تاريخ عدن ص٢٤٩.

[4] العبدلي . هدية الزمن ص١٩، قلائد الجمن ص٩٢.

[5] نشر لقمان صورة لموقع المملاح . تاريخ عدن ص٢٥٠.

[6] ابن المجاور. المستبصر ص١٤٨، ابومخرمة. ثغر عدن ١/١٩-٢٠.

[7] أحد قادة الدولة الأيوبية في اليمن، وقد تولى إمارة عدن خلال حكم تلك الدولة كما سنوضح في الفصل الرابع.

[8] ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص١٤٨، أبومخرمة . ثغر عدن ج١ص١٩-٢٠.

الفصل الثاني

إمارة بني المكرم في عدن

٤٧٦ – ٥٣٢ هـ / ١٠٨٣ – ١١٣٧م

تعريف بالفصل:

أوجز في هذا الفصل أحوال اليمن السياسية قبل تأسيس إمارة بني المكرم الجشمي اليامي الهمداني في عدن سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، وكان من أهم الأحداث السياسية في تلك الفترة، قيام الدولة الصليحية التي تزعمها الداعي الفاطمي علي بن محمد الصليحي، حيث ابتدأ دعوته سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م فاستطاع بعد ذلك السيطرة على جميع بلاد اليمن سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، سهلها ووعرها، برها وبحرها. وهذا حدث مهم وخطير، إذ تحققت الوحدة اليمنية لأول مرة في تاريخ هذه البلاد في العصر الإسلامي[1].

على أن تلك الوحدة لم تدم طويلاً، إذ قُتل الصليحي سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، وبذلك عادت البلاد إلى سابق وضعها من تعدد الدويلات والإمارات المستقلة والمتناثرة هنا وهناك والمتنافسة فيما بينها.

أما عدن فكانت في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تحت سيطرة بني معن الحميريين، وبقيت تحت سيطرتهم حين اخضع الصليحي اليمن لسلطته حيث أبقى لهم استقلالهم الذاتي فيها.

خرج بنو معن على سلطة الملك المكرم احمد الصليحي، فقام بغزوهم وأخرجهم من عدن، وولى مكانهم العباس ومسعود ابني المكرم الجشمي اليامي الهمداني، وبذلك تأسست إمارتهم في عدن منذ سنة ٤٧٦هـ. وسندرس هذه الإمارة متناولين أصلهم ونسبهم وعلاقتهم بالصليحيين، ثم محاولات استقلالهم التدريجية عن الدولة الصليحية بعد وفاة أحمد المكرم. وتولي زوجه الملكة أروى الصليحية الحكم من بعده، وقد حققوا بعد محاولات جادة استقلالهم في عدن، ثم دب الخلاف فيما بينهم وتطور إلى حرب انتهت بانتصار فرع من بني المكرم هم بنو زريع على أبناء عمومتهم بني المسعود في حرب لحج سنة ٥٣٢هـ /١١٣٧م، وكان من نتائج ذلك الانتصار انفراد بني زريع في الحكم، الذين سنخصص لدراستهم الفصل الثالث.

[1] تحققت الوحدة اليمنية قبل الإسلام على يد الملك اليمني المشهور شمر يهرعش ٢٨٠-٣٠٠م.

تمهيد سياسي:

كانت اليمن في الربع الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي تنحدر بخطى سريعة نحو التدهور والتفكك، وذلك بسبب استيلاء العبيد على السلطة واستبدادهم بالحكم في الأقاليم، ففي أواخر إمارة بني زياد[1] في زبيد، وبعد وفاة أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد سنة ٣٧١هـ[2]/٩٨١م، بدأت الإمارة الدخول في مرحلة جديدة تميزت بظهور النفوذ الحبشي واستئثار موالي بني زياد من العبيد الأحباش بالسلطة الحقيقية[3].

انتقل الحكم إلى الحسين بن سلامة[4] واستمر فيه لمدة ثلاثين سنة حتى وفاته سنة ٤٠٢هـ[5]/١٠١١م، ثم انتقلت السلطة الفعلية إلى العبيد، وقد تفجر صراع دموي عنيف بينهم للاستحواذ على السلطة حتى آل الأمر إلى انتصار أحد هؤلاء العبيد المسمى

---

[1] كانت الإمارة الزيادية أول إمارة شبه مستقلة قامت في اليمن، أسسها محمد بن زياد بعد ان قلده المأمون العباسي الأعمال التهامية في اليمن حوالي سنة ٢٠٣هـ، فاختط مدينة زبيد وتخذها قاعدة لملكه سنة ٢٠٤هـ، انظر عن تفاصيل قيامها: عمارة. المفيد ص٣٨ فما بعد، ابن المجاور. المستبصر ص٦٧-٨، الوصابي، عبدالرحمن بن محمد. تاريخ وصاب المسمى: الاعتبار في التواريخ والآثار، تح: عبدالله محمد الحبشي، منشورات مركز الدراسات اليمنية، ط١، (صنعاء، ١٩٧٩م)، ص٢١-٣٠، الديبع، عبدالرحمن بن علي. قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ق١، تح: محمد بن علي الاكوع الحوالي، مط السلفية، (القاهرة، ١٩٧٧م)، ص١٤٧ فما بعد، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، منشورات مركز الدراسات اليمنية، ط١، (صنعاء، ١٩٧٩)، ص٣٩-٤٣، الشيال، جمال الدين. العلاقات بين مصر واليمن في العصر الفاطمي، الكتاب، س٣، مج٥ج٤، (القاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨)، ص٥٥٣، ناجي، سلطان. تاريخ اليمن الإسلامي، مجلة الحكمة، ع٢٣، س٣، (عدن، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص٤٠-٣.

[2] ابن المجاور. المستبصر ص١٨٥، ناجي. تاريخ اليمن ص٤٢.

[3] كان ابرز هؤلاء العبيد رشيد والحسين بن سلامة، وقد تغلبوا على إمارة بني زياد بعد أن ترك أبا الجيش طفلا اختلف المؤرخون حول اسمه، فسمي عبدالله وقيل إبراهيم وقيل زياد كفلته عمته، وقيل أخته هند بنت أبي الجيش، وقد انفصل ولاة الأقاليم في عهده فحاربهم الحسين بن سلامة وأجبرهم على الطاعة. انظر: عمارة. المفيد ص٦٧ – ٧١، ٨٥، ابن المجاور. المستبصر ص٧١، ١٨٥، الخزرجي. طراز (متحف) و٢٣٣أ، محمود، د. حسن سليمان. تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، ط١، (بغداد، ١٩٦٩)، ص١٢١-٢، الحبشي، عبدالله محمد. جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني، الكلمة، ع٥١-٥٢، (صنعاء، ١٩٧٩م)، ص٧٩.

[4] كان وصيفاً من أولاد النوبة، وعرف بابن سلامة نسبة إلى أمه، وكان الحسين عبد وصيف لرشيد أحد عبيد طفل بني زياد وعمته هند، اتصف بالذكاء والحذق وتمكن أن يعيد للدولة هيبتها ويخضع أمراء القبائل الذين تمردوا عليها، كما اهتم بالنواحي العمرانية وتأمين الطرق وبنى المساجد الكثيرة وحفر الآبار على طرق القوافل المسافرة بين حضرموت وعدن ومكة، واختط مدينة الكدراء ومدينة المعقر، وكان عادلاً في الرعية كثير الصدقات مهتما بشؤون البلاد، انظر عنه: عمارة. المفيد ص٦٩-٧١، الخزرجي. طراز (متحف) و٢٣٣أ-ب، ابو مخرمة.ثغر عدن ٥٩/٢ فما بعد، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص١٢١-٢، الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم. المقتطف من تاريخ اليمن، (القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، ص٥٥، العقيلي، محمد بن أحمد عيسى. من تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، ج١ق١، (الرياض، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، ص١٠٩-١١٠.

[5] عمارة. المفيد ص٧٠، ابن المجاور. المستبصر ص٧٣، الخزرجي. طراز (متحف) و٢٣٣ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٦١/٢، الجرافي. المقتطف ص٥٥، سلطان ناجي. تاريخ اليمن ص٤٢، الحبشي. جوانب ص٧٩.

"نجاح" فأسس إمارة جديدة في زبيد والتهائم عرفت بالإمارة النجاحية[1] وذلك سنة ٤١٢هـ[2]/ ١٠٢١م في الأعم الأرجح، واستمرت في الحكم أكثر من قرن ونصف.

وفي الوقت الذي تأسست فيه الإمارة النجاحية في زبيد، بعد وفاة الحسين بن سلامة، كانت أجزاء اليمن الأخرى تعيش حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي. فقد تأججت الصراعات القبلية وانفصلت الأجزاء التي خضعت لسيطرة ابن سلامة على شكل كيانات قبلية حميرية وهمدانية، معبرة عن رفضها لطاعة العبيد من الأحباش ومفصحة عن رغبتها في الاستقلال والتحرر، وكان لقيام الإمارة النجاحية في زبيد وأعمالها في التهائم، دور كبير في أن يتحفز العرب ويرفضوا حكم العبيد الأحباش المستبدين، فدفعتهم الحمية إلى الاستقلال كل في جهته، وتناثرت بلاد اليمن إلى دويلات في القلاع والحصون، كالآتي:

أ- الإمارات الهمدانية[3]:

تغلب على صنعاء ومخاليفها قوم من همدان[4]، وتغلب قوم من بكيل وهم من همدان على حصون اشيح ومقري ووصاب، ومخاليفها، وتغلب على حصن مسار وجبل تيس قوم من حراز، ذكر عمارة[5] ان حراز، هي الأعمال وبها سمي أهلها وإلا فهم من همدان.

---

[1] كانت ابرز مظاهر ذلك الصراع تكتل مرجان ونفيس ضد نجاح وآخر أمراء بني زياد وعمته، وقد قام نفيس بدفنهما وهما حيان، ثم قام نجاح بقتل مرجان ونفيس واستولى على السلطة، انظر عن تفاصيل ذلك الصراع العنيف : عمارة. المفيد ص٨٣-٦، ابن المجاور. المستبصر ص٧١، الجرافي. المقتطف ص٦٢-٣، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص١٢٢-٣، لقمان، حمزة علي إبراهيم، معارك حاسمة من تاريخ اليمن، ط١، منشورات مركز الدراسات اليمنية، (صنعاء، ١٩٧٨)، ص٤٨، شرف الدين، اليمن عبر التاريخ ص١٨٩، إسماعيل قربان حسين. السلطان الخطاب حياته وشعره، منشورات دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٩م)، ص١١ - ١٢، سلطان ناجي. تاريخ اليمن ص٤٢ - ٤٣.

[2] جعل بعض المؤرخين نهاية الإمارة الزيادية في سنة ٤٠٧هـ، أي بعد أربع سنوات من وفاة الحسين بن سلامة. عمارة. المفيد ص٨٤، ابن المجاور. المستبصر ص٧١، الحامد، صالح بن علي. تاريخ حضرموت، ج١، (بيروت، ١٩٦٨م) ص٢٥١، ٢٥٩.

[3] اكتفينا بالإشارة إلى مراكز هذه الإمارات دون الدخول في التفاصيل المتعلقة بأصلهم ونسبهم وكذلك في مواقع الحصون وتسميتها ... الخ.

[4] هم بنو الضحاك الحاشديين تغلبوا على صنعاء بعد زوال سلطة الإمارة اليعفرية. الديبع. قرة العيون ص٢٢٢-٢٣٥، الاكوع. هامش المفيد ص٩٤.

[5] المفيد ص٩٣ - ٩٤، أنظر أيضا: ابن المجاور. المستبصر ص٧٣، الديبع. قرة العيون ص٣٣٤، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص١٢٣، الهمداني، حسين بن فيض الله اليعبري وحسن سليمان. الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، مط الرسالة، منشورات مكتبة مصر، (القاهرة، ١٩٥٥م)، ص٦٣، ناجي. تاريخ اليمن ص٤٢.

ب- الإمارات الحميرية:

وفي مقدمتها إمارة بني الكرندي وتغلبت على حصون السمدان والسوا والدملوة وصبر وذخر والتعكر ومخاليف الجند وعنه والمعافر (الحجرية)، ومؤسسها الأمير يعفو بن أحمد الكرندي التبعي. وإمارة بني التبعي الحميري، ومؤسسها السلطان أبو عبدالله الحسين التبعي، وقد تغلبت على حصون حب وعزان وبيت عز وأنور والنقيل والسحول والشعر وبعدان وخدد والشوافي، وخلفه ولده في حكمها، وكانت عاصمتهم في الشعر. وإمارة بني وائل بن عيسى، وتغلبت على مخلاف احاظة ويقال وحاظة، ومقر عزها حصن يريس، ومن حصونها: هران ويفوز وشِعب، ومدينتها شاحط. وإمارة بني المناخي، ومؤسسها إبراهيم بن محمد المناخي الذي هزم الجيش العباسي سنة ٢١٤هـ، واستمرت إلى أن اقتحم علي بن الفضل عاصمتها المذيخرة منهياً هذه الإمارة سنة ٢٩٢هـ، عندما تولى جعفر بن إبراهيم الإمارة بعد وفاة والده، وقتل جعفر في معركة وادي نخلة سنة ٢٩٢هـ، وشملت إمارتهم مدينة المذيخرة والعدين والجند، وبجعفر هذا سمي مخلاف جعفر لا بجعفر مولى محمد بن عبيد الله بن زياد. وإمارة بني عبدالواحد وتغلبت على أعمال بُرع والعمد ولعسان[1]. وهكذا يتضح لنا أن بعض هذه الإمارات لم تعش لتشهد أحداث القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، مثل إمارة بني المناخي.

أما في عدن و أعمالها وهي: لحج وأبين والشحر وحضرموت، فقد قامت إمارة بني معن الحميريين[2]، الذين كانوا نواباً عليها من قبل بني زياد أمراء زبيد[3]، وكانت عدن همزة الوصل بين اليمن وحضرموت[4]، وكان مؤسس إمارة بني معن علي بن معن الحميري[5] في حدود سنة ٤١٢هـ في الأعم الأرجح[6].

---

١ انظر عن تلك الإمارات وتفاصيل قيامها : عمارة. المفيد ص٤٨ فما بعد، ٨٦-٩٤؛ ابن المجاور. المستبصر ص٧٢-٣، الخزرجي. طراز (متحف) و٢١٧ب-٢١٨أ، الديبع، قرة العيون ص٣٣٤-٣٤٠، يحيى. غاية الأماني ص٢٤١، الجرافي. المقتطف ص٥٥-٦، الشماحي. القاضي عبدالله بن عبدالوهاب المجاهد. اليمن الإنسان والحضارة، دار الهنا الطباعة، (القاهرة، ١٩٧٢م)، ص٩٣، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص٦٣، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص١٢٣-٤.

٢ انظر عن بني معن ونسبهم: عمارة. المفيد ص ٨٦-٩، ١١٩، ابن المجاور. المستبصر ص٧٢. ابن خلدون. العبر مج ٤٦٦/٤، ٤٧٣، قلقشندي. صبح الاعشى ١١/٥، الديبع. قرة العيون ص٣٣٤، ابو مخرمة. ثغر عدن ٨٦/٢، ١٦٤، يحيى. أنباء الزمن و٣٨، باعلوي. المشرع الروي و١٥٩، معجم الحجري و٢٧٥، لقمان. تاريخ عدن ص٣٩، بامطرف، محمد عبدالقادر. الشهداء السبعة، مط الجمهورية، (بغداد، ١٩٧٤م)، ص٢٢.

٣ عمارة. المفيد ص٤٩، ابن المجاور. المستبصر ص٦٧، سلطان ناجي. تاريخ اليمن ص٤١، صالح، د. محمد أمين. بنو معن ثم آل زريع في عدن، المؤرخ العربي، ع١٥، (بغداد، ١٩٨٠م)، ص٣٢١.

٤ الحامد . تاريخ حضرموت ص٣٥٤-٥، ٣٥٩. د.صالح. بنو معن ص٣٢٠؛

٥ الجرافي. المقتطف ص٥٥، الشماحي. اليمن ص٩٣، ١١٥، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨.

٦ انظر عن إمارة بني معن في عدن وأعمالها: عمارة. المفيد ص ٨٦، الخزرجي، علي بن الحسن. طراز أعلام الزمن، خ مكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء، رقم (١٣٠) تاريخ وتراجم ورقة ١٢٠ب، الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن من ملك وإمام، ق١ خ مكتبة المجمع العلمي العراقي رقم (٤٨)، تاريخ، ورقة ٤٢ب، الديبع. قرة العيون ص٣٣٤، يحيى. انباء الزمن و٣٨، غاية الأماني ص٢٤١، معجم الحجري و٢٧٥، الجرافي، المقتطف ص٥٥، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص٦٣، حسن سليمان تاريخ اليمن ص١٢٣، الشماحي. اليمن ص٩٣، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨، لقمان. تاريخ عدن ص٣٩، معارك حاسمة ص٤٨، العبدلي. هدية الزمن ص٥٣، العرشي .بلوغ المرام ص٢١، العقيلي. المخلاف ج١ق ١٥٤/١، محمد حسن. قلب اليمن، ط١، مط المعارف، (بغداد، ١٩٤٧م) ص٣٣، زبال، سليم. عدن مدينة مبنية في فوهة بركان. العربي، ع٦٨، (الكويت، ١٩٦٤)، ص٤٣، د.صالح. بنو معن ص٣٢٠ فما بعد.

ويتضح لنا أن بلاد اليمن كانت في مطلع القرن الخامس الهجري تفتقد للوحدة السياسية، التي تجمع شمل البلاد تحت لواء واحد، بل كانت السلطة موزعة بين الأمراء والزعماء المتنافسين والمتنافرين، وكنتيجة لتلك الانقسامات وتعدد الإمارات، دخلت اليمن في تدهور شمل مختلف نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والعمرانية، بعد تأسيس الكيانات القبلية التي توزعت معظم أجزاء اليمن اعتبارا من سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م وما بعدها[١].

كانت الأحوال السياسية المضطربة لبلاد اليمن منذ مطلع القرن الخامس الهجري عاملاً مهماً من عوامل قيام الدولة الصليحية في اليمن وسيطرتها على البلاد. وقد أسس تلك الدولة الداعي[٢] أبو الحسن علي بن محمد الصليحي[٣]، الذي بدأ دعوته سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م في رأس جبل مسار، وقد لقي نجاحاً كبيرا بمساندة رجال من أهله وقومه[٤].

وكان من أبرز الحوادث قيام الصليحي بتدبير الحيلة للتخلص من نجاح أمير زبيد وذلك على يد جارية جميلة أهداها إليه، فدست له السم، وتوفي بمدينة الكدراء[٥] سنة ٤٥٢هـ[٦]/١٠٦٠م، وقد أدى ذلك إلى توتر العلاقات بين الصليحيين وبني نجاح.

---

[١] يحيى. غاية الأماني ص٢٤١ فما بعد، وقد جعل قيام تلك الإمارات منذ تلك السنة.

[٢] من الألفاظ التي استخدمت كلقب فخري وكإسم وظيفة صارت لها أهميتها بعد تأسيس الدولة الفاطمية، وقد عنيت طائفة الإسماعيلية من بين طوائف الشيعة بالدعاة عناية خاصة، إذ رتبوا دعاتهم مراتب وكانت المهمة الأساسية للداعي بث الدعوة الشيعية ونشرها وكسب الأنصار وإرشادهم إلى تعاليم مذهبهم، والعمل على الإعداد والتنظيم السياسي لتأسيس الدول الشيعية. الباشا. الفنون الإسلامية ٥٠٧/٢-٨.

[٣] نسبة إلى قبيلة الاصلوح من بلاد حراز. الهمداني وسليمان. الصليحيون ص٦٤، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص١٧٢، وبنو الصليحي من قبائل حاشد من حجور. الحجري. معجم و٢٣٠، ويرجع نسب الصليحيين إلى عشيرة يام من قبيلة همدان. محمود كامل المحامي. اليمن شماله وجنوبه، (بيروت، ١٩٦٨م)، ص١٦٧، شرف الدين، أحمد حسين. تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن. مط الكيلاني، (القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص٩٢.

[٤] انظر عن نشأة الصليحي وتنظيم دعوته واختلاف المؤرخين في سنة ثورته: عمارة. المفيد ص٩٥-١٠١، ابن خلكان، أحمد بن محمد. وفيات الأعيان، ج٣، -تح: د. احسان عباس. منشورات دار الثقافة، (بيروت، ١٩٧٠م)، ص٤١١-٤١٢، الوصابي. تاريخ وصاب ص٣٠ - ٣١، الديبع. قرة العيون ص٢٤٢ - ٢٤٣، بغية المستفيد ص٤٥، أبومخرمة. ثغر عدن ١٥٩/٢-١٦٠، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص٦٤-٥، ٧٣، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص١٧٢-٣، محمود كامل. اليمن ص١٦٧. الحامد. تاريخ حضرموت ص٣٤٠، ٣٥٩ الجرافي. المقتطف ص٦٤، إسماعيل قربان. السلطان الخطاب ص٨، باوزير. معالم ص١٨٩-١٩٠.

[٥] مدينة باليمن على وادي سهام اختطها الحسين بن سلامة حوالي سنة ٤٠٠هـ، عمارة. المفيد ص٦٩، ٧٩، الحموي. معجم البلدان ٤٤١/٤.

[٦] عمارة. المفيد ص١١٧-٨، ١٩١-٢، ابن خلكان. وفيات الأعيان ٤١٢/٣، أبو مخرمة. ثغر عدن ١٦١/٢، يحيى. أنباء الزمن و٣٨، غاية الأماني ص٢٥٣، الجرافي. المقتطف ص٦٦، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص٨٤.

في سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م، كتب الصليحي إلى الخليفة المستنصر بالله معد بن الخليفة الظاهر لدين الله الفاطمي (٤٣٧-٤٨٧هـ/١٠٤٥-١٠٩٤م) يستأذنه في إظهار الدعوة له، فأجابه بالموافقة، فطوى البلاد طياً وفتح الحصون والتهائم بعد معارك طويلة وطاحنة[1].

تعد سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م سنة حاسمة ومهمة في تاريخ دعوة الصليحي، إذ أتم فيها سيطرته على جميع بلاد اليمن، محققاً بذلك الوحدة اليمنية – كما ذكرنا –[2] وكانت عدن ضمن المناطق التي خضعت لسيطرة الصليحي، فأبقى فيها بني معن نواباً عنه بعد أن هادنهم وسلم إليهم بلادهم لما بذلوه له من السلم والطاعة، غير أن تلك السياسة تغيرت فيما بعد، وذلك بعد زواج المكرم أحمد ولد الصليحي سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م، من السيدة الحرة بنت أحمد الصليحي[3]، إذ جعل الصليحي صداقها خراج عدن، ومقداره مائة ألف دينار سنوياً يدفعه بنو معن نظير حكمهم على عدن وأعمالها، وهو بمثابة جزية سنوية أو ضريبة سنوية، وجُعِلَ يُسلمونه للسيدة الحرة.

---

[1] انظر للتفصيل: عمارة. المفيد ص١٠١-١١٩ وهوامشها، ابن ايبك الدواداري، أبوبكر بن عبدالله. كنز الدرر وجامع الغرر، ج٦، -تح: د. صلاح الدين المنجد، (القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م)، ص٤١٦، الوصابي. تاريخ وصاب ص٣٢، إدريس، الداعي إدريس بن الحسن بن عبدالله الانف. نزهة الأفكار وروضة الأخبار، خ الدكتورة فضيلة الشامي، ورقة ١٦أ، الديبع. قرة العيون ص٢٤٣-٤، ابو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٦٠ – ١٦١، يحيى. أنباء الزمن و٣٩، غاية الأماني ص٢٤٧ – ٢٥٣، الشرفي، أحمد بن محمد بن صلاح.اللآلىء المضية في أخبار أئمة الزيدية، خ مكتبة الجامع الكبير الشرقية بصنعاء رقم (١٠٨)، ورقة ١١٧ ب، الوزير. عبدالله بن علي. جامع المتون في أخبار اليمن الميمون، خ مكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء رقم (٦٤) تاريخ وتراجم، ورقة ٤١ب، ترسيسي، د. عدنان. اليمن وحضارة العرب. منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ص٩٥، مجهول المؤلف. تاريخ اليمن في الدولة الرسولية، -تح: هيكوايشي ياجيما، (طوكيو، ١٩٧٦م)، ص١، وجعل آخرون دعوة الصليحي سنة ٤٤٦ و ٤٤٧هـ. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مج ٩، (بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ص٦١٤، الاكوع. هامش قرة العيون ص٢٤٢.

[2] انظر عن توحيد اليمن: عمارة. المفيد ص١١٩، الوصابي. تاريخ وصاب ص٣٢، الديبع. قرة العيون ص٢٤٦، بغية المستفيد ص٤٦، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/١٦١، يحيى. غاية الأماني ص٢٥٤، الوزير. جامع المتون و٤١ب.

[3] السيد الحرة أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي، ولدت سنة ٤٤٠هـ، وكان يقال لها بلقيس الصغرى، لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها للملك، وقد تولت الأمور بعد مرض زوجها أحمد المكرم بالفالج، واستقرت في جبلة من مخلاف جعفر، واستمرت في الحكم قرابة خمسين عاماً، وهي من النساء الشهيرات وآخر ملوك الصليحيين، توفيت سنة ٥٣٢هـ، لتفصيل ترجمتها انظر: عمارة. المفيد ص١٣٧-١٤١، الأهدل، الحسين بن عبدالرحمن، الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد، خ مكتبة المتحف البريطاني رقم OR, ١٣٤٥ ورقة ٢٦٨ب، الخزرجي. كفاية و ١٣١أ – ب، الديبع. قرة العيون ص ٢٦١-٢، كحالة، عمر رضا. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج١،ط٢، مط الهاشمية، (دمشق، ١٣٧٩هـ)، ص ٢٧ سلطان ناجي. الحقوق الاجتماعية والسياسية للمرأة في المجتمع اليمني. المؤرخ العربي، ع١٤، (بغداد، ١٩٨٠م)، ص٦٤ – ٦٥، الشامي، د. فضيلة. أروى امرأة تتولى الحكم في اليمن، المورد، مج، ٨، ع٣، (بغداد، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص١١٧ فما بعد.

لم تستمر الوحدة اليمنية طويلاً إذ سرعان ما انهارت بمقتل علي بن محمد الصليحي على أيدي بني نجاح (جياش وسعيد الأحول واخوتـــهم أبنـــاء نجــاح)، وذلـــك ســـنة ٤٥٩هـ[١]/١٠٦٦م، حين كان الصليحي وزوجه أسماء بنت شهاب[٢]، وأهل بيته وعـــدد كبير من الأمراء والقادة بصحبته وهو في طريقه إلى مكة لأداء فريضة الحـــج، وذكـــر مؤرخون آخرون[٣] مقتل الصليحي سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م، ونحن نرجح أن مقتله كـــان سنة ٤٥٩هـ، فتولى ولده أحمد المكرم الحكم من بعده، وكان من أشهر أعماله محاربة بني نجاح أمراء زبيد وتخليص أمه أسماء بنت شهاب من أسر سعيد الأحول بن نجـــاح وذلك سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م[٤].

أما أخبار بني معن خلال عهد علي بن محمـــد الصليحـــي، فإنـــها بصـــورة عامـــة غامضة[٥]، وفي عهد ولده أحمد المكرم حاول بعض أمرائهم الاستقلال والامتناع عن دفع الأموال السنوية وخلع طاعة الصليحيين، غير أن تلك المحاولات باءت بالفشل، إذ جهز، المكرم حملات متتالية لحرب بني معن، وبصورة خاصة حربه الأمير محمد بـــن معـــن الذي حاول الاستقلال سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م، فهرب إلى أحور، ثم عاد إلى عـــدن بعـــد

---

[١] الحجوري، يحيى بن سليمان. روضة الأخبار وكنوز الأسرار ... (روضة الحجوري)، خ المكتبة الوطنية في باريس رقم Ar ٥٩٨٢، ورقة ٢٤٤أ، الخزرجي، علي بن الحسن. العقد الفاخر الحسن في طبقات أكـــابر اليمن، خ مكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء رقم (١٣٦) تاريخ وتراجم، ورقـــة ٢٢٨ب، الديبـــع. قـــرة ص٢٤٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/١٦١-٣، الكبسي، محمد بن إسماعيل. اللطائف الســـنية فـــي أخبـــار الممالك اليمنية، خ مكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء، رقم (١٦٣) تاريخ وتراجم، ورقة ١٨ب، زبـــارة، محمد بن محمد. أئمة اليمن، ج١، مط النصر، (تعز، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)، ص٩٤، العبدلي، هدية الزمـــن ص٥٣، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص١٠١، لقمان. معارك حاســـمة ص٥٣، ٥٧، محمـــود كـــامل. اليمن ص١٦٨-٩، وقيل أنه قتل في ٧ ذي القعدة سنة ٤٦٠هـ. الجنداري، أحمد بـــن عبـــدالله. الجـــامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، خ مكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم (٦٥) تاريخ وتراجـــم، ورقـــة ٥١ب وقد ذكرت مصادر ومراجع كثيرة مقتل الصليحي سنة ٤٥٩هـ.

[٢] السيدة أسماء بنت شهاب من شهيرات النساء، زوج علي بن محمد الصليحي ووالده الملك المكرم، اشـــتهرت برجاحـــة العقـــل وقـــوة الشخصية، توفيت سنة ٤٧٧هـ لتفصيل ترجمتها، انظر :عمارة. المفيـــد ص٩٨-٩، ١٣٥، الخزرجـــي. العقـــد الفـــاخر و٢٢٨أ-ب، الديبع. قرة ص٢٤٨-٩، كحالة. أعلام النساء ١/٥٥، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص٦٦-٧.

[٣] عمارة. المفيد ص١٢٦، ١٩٣، ابن المجاور. المستبصر ص٧٥-٦، ابن خلكـــان. وفيـــات الأعيـــان ٣/٤١٣-٤، الجندي. السلوك ج٣و٩٥ب، الوصابي. تاريخ وصاب ص٣٥، الاهـــدل. الجوهـــر الفريـــد و٢٦٧أ، لقمان. تاريخ عدن ص٤٢، الحـــامد. تـــاريخ حضرمـــوت ص٣٤١-٤، ٣٥٩، بـــاوزير. معـــالم ص١٩١، العقيلي. المخلاف ج١ق١/١١٦، ١٥٤، الحجري، محمد بن أحمد. خلاصة من تاريخ اليمن قديماً وحديثاً، باعتناء يحيى أحمد زبارة، مط الأنوار، (القاهرة، ١٣٦٣هـ)، ص١٤. مجهول. قلائد الجمن ص٦٦.

[٤] كان من أعمال المكرم نقل العاصمة من صنعاء الى ذي جبلة بمخلاف جعفر، أنظر عـــن حكمـــه وحروبـــه: عمـــارة. المفيد ص١٢٨-١٣٤، روضة الحجوري و٢٤٤أ، الوصابي. تـــاريخ وصـــاب ص٣٦-٧ الخزرجـــي. كفايـــة و٣١ب. الديبع. قرة العيون ص٢٥٥-٩، بغية المستفيد ص٤٨-٩، الهمداني وســـليمان. الصليحيـــون ص١١٣-١٢٣، ١٣٠-٢، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص١٦٠، ١٨٥-١٩٢، لقمان. تاريخ عـــدن ص٤٣، معـــارك حاســـمة ص٥٩-٦٥، شـــرف الدين. اليمن ص١٩٨-٩، الثور، هذه هي اليمـــن ص٢٨١-٢، الجرافـــي. المقتطـــف ص٦٧-٨، الشـــماحي. اليمـــن ص١١٤، إسماعيل قربان. السلطان الخطاب ص٨.

[٥] إن اعتمادنا عن اخبار بني معن كان على مخطوطة روضة الحجوري و٢٤٤أ – ب.

صلح عقده مع المكرم، استمر مدة سنة وأربعة أشهر، ثم ساءت العلاقة بينهما فهرب محمد بن معن إلى أحور ثانية، وهرب معه ابن أخيه يعفر بن العباس وبقي محمد بن معن في أحور مدة خمس سنوات من ٤٦٨-٤٧٣هـ/١٠٧٥-١٠٨٠م[1].

وضعت تلك المشكلات والخلافات بين المكرم أحمد الصليحي وبني معن حداً لإمارتهم التي انتهى نفوذها السياسي في حدود سنة ٤٧٣هـ على رواية الحجوري[2]، فقد غزاهم المكرم مراراً وكسر شوكتهم وطردهم من عدن وأعمالها، فانتقلت السلطة الفعلية في عدن الى أسرة همدانية ترتبط بالصليحيين برابطتي القربى والنسب من جهة ورابطة الولاء الديني المذهبي للفاطميين من جهة أخرى، وابتدأ عهد جديد في عدن منذ سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م[3] تقريباً، هو عهد بني المكرم الجشمي اليامي الهمداني.

إمارة بني المكرم في عدن ٤٧٦-٥٣٢هـ/١٠٨٣-١١٣٧م

استطاع الملك المكرم الصليحي أن يطرد بني معن من عدن وتوابعها إثر محاولتهم الاستقلال والانفصال عن الدولة الصليحية بعد مقتل الداعي علي بن محمد الصليحي، فتمردوا وامتنعوا عن دفع الخراج السنوي للسيدة الحرة زوج المكرم الصليحي، فغزاهم المكرم وقضى على إمارتهم في عدن وتوابعها، وجعل مكانهم العباس ومسعود ابني المكرم الجشمي اليامي الهمداني، وبذلك يبدأ عهد جديد في عدن هو عهد بني المكرم[4].

---

[1] للاطلاع على تفاصيل إمارة بني معن ونهايتها، انظر : روضة الحجوري و٢٤٤ أ – ب. الاكوع. هامش المفيد ص١٧٢-٣، د. محمد أمين صالح. بنو معن ص ٣٢٣ فما بعد، الجرافي. المقتطف ص٦٩، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨، الشماحي. اليمن ص١١٥، الحامد. تاريخ حضرموت ص٤٠٦، الشامي. أروى ص١٢١.

وكانت وفاة السلطان محمد بن معن سنة ٤٧٨هـ. روضة الحجوري و٢٤٤ب، يحيى. انباء الزمن و٤٢، الاكوع. هامش المفيد ص١٧٣. صالح. بنو معن ص٣٢٤.

[2] الروضة و ٢٤٤ب.

[3] لقمان. تاريخ عن ص٤٥-٥٧، معارك حاسمة ص٧٧، الويسي. اليمن الكبرى ص٢٦٧، محمود كامل المحامي. اليمن شماله وجنوبه ص١٦٨، الشيال. العلاقات بين مصر واليمن ص٥٥٧، الشامي. إمارة آل زريع ص٩٨، فؤاد سيد (محقق). طبقات الجعدي ص١٨٣ هامش. وقيل ان دولة بني زريع استمرت من سنة ٤٩٧-٥٦٩هـ. فخري، د.أحمد. اليمن ماضيها وحاضرها، مط الرسالة، (القاهرة، ١٩٥٧م)، ص١٥٣، وهذا وهم وخطأ، وجعلت د. فضيلة الشامي نهاية بني معن في عدن سنة ٤٦٥ هـ ثم بدأ حكم بني المكرم في تلك السنة بعدهم. أروى ص١٢١، وهذا وهم وخطأ أيضاً.

[4] الجندي. السلوك ج٣و٩٩أ، ١٠٣أ، ابن عبدالمجيد، عبدالباقي. بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تح: مصطفى حجازي، مط مخيمر، (القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م)، ص٦٠، ابن خلدون. العبر مج ٤/٤٧٣، الخزرجي. كفاية و٣١أ –ب، ٤٢ب، العقد الفاخر و٢٢٩أ، الأهدل. الجوهر الفريد و٢٦٨ب، الديبع. قرة العيون ص٣٠٤، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٦/٢، ١٦٤، يحيى. انباء الزمن و٤٢، الشرفي. اللآلىء المضية ج٢ و١١٨، معجم الحجري و ٢٧٥، العبدلي. هدية الزمن ص ٥٣ – ٥٤، العرشي. بلوغ المرام ص٢١، ٢٧.

هناك عوامل أخرى كانت مشجعة لإسناد إمارة عدن لبني المكرم، منها ما ذكره المؤرخون القدامى[1] والمحدثون[2] أن للعباس ومسعود ابني المكرم دوراً في نشر دعوة الخليفة المستنصر الفاطمي في اليمن مع الداعي علي بن محمد الصليحي، وهذا يدلنا على أن هذه الأسرة كانت على علاقة سياسية مع آل الصليحي، وكانت الواجهة الدينية إحدى دعائم تلك العلاقة، إذ التقت الأسرتان في مذهب واحد.

وأضاف هؤلاء المؤرخون أيضاً. أن العباس ومسعود إبنا المكرم[3] اشتركا مع المكرم أحمد الصليحي عند دخوله مدينة زبيد وتخليص أمه أسماء بنت شهاب من أسر سعيد الأحول بن نجاح أمير زبيد بعد مقتل زوجها علي بن محمد الصليحي[4]، وكانت حملة المكرم على زبيد قد حققت أهدافها في تخليص السيدة أسماء من الأسر[5].

نعتقد أن السببين اللذين عرضناهما حول قيام أحمد المكرم الصليحي بإسناد إدارة عدن وما يتبعها لبني المكرم، هما سببان وجيهان كما ذكر بعض المؤرخين، وهما سببان يوضحان العلاقة السياسية المذهبية بين آل الصليحي وآل المكرم.

بنو المكرم : أصلهم ونسبهم :

اختلف المؤرخون في تحديد نسب بني المكرم[6]، ودرجة صلتهم وقرابتهم من الأسرة

---

[1] الجندي. السلوك ج٣ و ١٩٩أ ، الخزرجي، طراز (غربية) و١٢٠ب، كفاية و ٤٢ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠ ب، الديبع. قرة ص٣٠٤، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٧/٢، ١٠٨.

[2] العبدلي. هدية الزمن ص ٥٤، لقمان. تاريخ عدن ص٤٥، الحامد. تاريخ حضرموت ص٣٤٧، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨، الشماحي. اليمن ص١١٥، باوزير. معالم ص١٩١ – ١٩٢، أيمن فؤاد سيد. مصادر تاريخ اليمن ص٣٥٨، وذكر أن جدهم (لم يورد اسمه) كان في أول أمره من أعوان الداعي الفاطمي علي بن محمد الصليحي ثم انشق حفيداه العباس والمسعود واستقلا بعدن.

[3] تجدر الإشارة إلى أن بعض المؤرخين القدامى والمحدثين يطلقون على العباس ومسعود ابني المكرم: بني زريع، وهذا وهم، إذ أن بني زريع هم فرع من آل المكرم ولعل ذلك يرجع إلى قوة بني زريع و مكانتهم بحيث طغى اسمهم على كل الأسرة، وسنوضح ذلك ومصادره في الصفحات التالية.

[4] تذكر إحدى الروايات أن العباس بن المكرم كان له دور في الاشتراك بدعوة الصليحي للخليفة المستنصر الفاطمي وفي تخليص السيدة أسماء بنت شهاب من الأسر .عمارة.المفيد ص١٧٢، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص٦٠، وقيل أن لزريع بن العباس ذلك الدور في عهدي علي الصليحي وولده المكرم. عمارة. المفيد ص١٣١، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص١٩١ هامش، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٢٢.

[5] كان ذلك سنة ٤٦١هـ – كما ذكرنا.

[6] ترد نسبتهم أيضاً: بني الكرم، ولعلها تصحيف. عمارة. المفيد ص١٣١، ١٧٢-٣، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص٣٤٥(جدول رقم ٧)، سليمان. تاريخ اليمن ص٢٢١ (شجرة النسب)، زامباور، ادوارد فون. معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: د. زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، مط جامعة فؤاد الأول، (القاهرة، ١٣٧٠هـ /١٩٥١م)، ص ١٨١ (شجرة النسب).

الصليحية، فقيل أن نسبتهم إلى همدان وهم من جشم[1] بن يام[2] بن اصبا[3]، وانـــهم مــن حاشد من همدان، وهم من بيت شرف ورئاسة[4].

وقيل أن بنـي المكرم، أي مسعود والعباس اللذين ولاهما المكرم الصليحي على عـدن بعد بني معن، يعرفون ببني الذئب[5]، وهم بعد بني الصليحي بقية[6] العرب فـي اليمـن[7]، وهذا يوضح لنا أنهم من بيت مشهور ومعروف في اليمن بعد الصليحيين.

أما درجة القرابة في النسب بين آل الصليحي وآل المكرم، فهناك روايـــات متعــددة حولها، ففي رواية[8] أن بني المكرم من عشيرة جشم بن يام من همدان، وكـــانوا أقــرب عشائر المكرم الصليحي إليه، وقيل[9] هم رهطهُ من همدان، وتوضح لنا هذه الروايـــة أن صلة القربى بين آل الصليحي وآل المكرم كانت وثيقة، وهي صلة قائمة على الانتمـــاء لقبيلة همدان المشهورة في اليمن.

وانفرد العقيلي[10] بإيضاح صلة القرابة بين بني المكرم وبني الصليحـــي، فذكــر أن احمد المكرم الصليحي بعد طرده بني معن من عدن ولىّ بدلاً عنـــهم صهريـــه العبـــاس ومسعود ابنا المكرم الهمداني، وامرهما أن يؤديا خراج عدن لزوجـــه السـيدة الحــرة أختهما.

---

[1] أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل. المختصر في أخبار البشر، مج ١، ج٤، منشورات دار الكتاب اللبنـــاني، (بيروت، د.ت)، ص٨٩، إدريس، نزهة الأفكار و ٣٢أ، العرشي. بلوغ المرام ص٢٨.

[2] ذكر ابن خلدون أن بني المكرم من جشم من همدان. العبر مج٤/٤٧٣، وذكر الهمداني نسب يـــام بــن أصبا بأنه أولد جشم ومذكرا، فولد جشم دؤلا، (ويخفف فيقال الدول) وصعبا، فولد دؤل سلمة، وولــد ســلمة ذهلا والنمر... الخ. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. كتاب الإكليـــل، ج١٠، تـــح: محــب الديــن الخطيب، مط السلفية، (القاهرة، ١٣٦٨هـ)، ص ٦٨، وذكر الحموي أن يام اسم قبيلة من اليمـــن أضيــف اليها مخلاف باليمن عن يمين صنعاء. معجم البلدان ٥/٤٢٦، وذكر ابن خلدون أن بني يام من قبائل همـــدان. العــبر مج ٤/٤٧٩.

[3] عمارة المفيد ص١٧٢، ابن المجاور. المستبصر ص١٢١. أبو الفدا. المختصر ٤/٨٩، ابن عبدالمجيـــد. بهجة الزمن ص ٦٠، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٢٢، الـــهمداني وســـليمان. الصليحيـــون ص١٩١ هامش، الشامي. إمارة آل زريع ص٩٨.

[4] ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص٦٠.

[5] عمارة. المفيد ص١٧٧، وذكر إبن المجاور أن جد آل زريع هو العبـــاس بـــن المكـــرم بـــن الذئـــب. المستبصر ص١٢١، الجندي. السلوك ج٣ و١٠٥ب، أبو الفدا. المختصر ٤/٨٩، الخزرجي. كفايـــة و٤٨أ، الديبع. قرة ص٣٢٠، العرشي. بلوغ المرام ص٢٨، وذهب مؤلفون محدثون بان بني زريع يعرفـــون بـــال الذئب. العرشي. بلوغ المرام ص٢٧، محمد حسن. قلب اليمـــن ص٣٥، حســـن ســـليمان. تـــاريخ اليمـــن ص٢٢٢، فؤاد سيد (محقق). طبقات الجعدي هامش ص١٨٣، الشامي. إمارة ص٩٨.

[6] وقيل: أكثر العرب. الخزرجي. كفاية و١٤٨أ، وقيل: أكبر العرب. الديبع. قرة ص٣٢٠، وذكر الجندي أنهم أحق الناس ذكراً وأشهرهم فخراً بعد آل الصليحي. السلوك ج٣ و١٠٣أ.

[7] عمارة. المفيد ص١٧٧، الجندي. السلوك ج٣ و ١٠٥ب، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٢٢.

[8] ابن خلدون. العبر مج ٤/٤٦٦.

[9] نفسه ص ٤٧٣.

[10] المخلاف ج١ ق١/١٥٤.

وفي اعتقادنا أن هذه الرواية غير دقيقة ومن الصعوبة قبولها، إذ أننا لم نجد أية إشارة تشير إلى أن العباس ومسعود أخوي السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي زوج المكرم الصليحي، ولو وجدت هذه العلاقة على سبيل الافتراض، لتم اسناد ولاية عدن إليهما في وقت سابق يوم كان المكرم ينوء بمشكلات كثيرة إثر مقتل أبيه، لذلك نستبعد هذه الرواية التي تؤكد من جهة أخرى أن بني المكرم الهمداني هم من نفس الأسرة الصليحية، وهذا ما لم نجد له دعما أو دليلاً في المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها، ومهما يكن من أمر هذه الروايات، فيكاد يجمع المؤرخون[1] على أن العباس ومسعوداً إبنا المكرم هما من همدان وأنهما من جشم بن يام، فأطلقنا على الأسرة: بني المكرم الجشمي اليامي الهمداني.

أما أسس قيام إمارة بني المكرم في عدن وتوابعها، فكانت على نفس الأسس التي قامت عليها إمارة بني معن بعد سيطرة علي الصليحي عليها، وهي دفع مبلغ مائة ألف دينار سنوياً للسيدة الحرة زوج أحمد المكرم الصليحي كصِداق لها عند زواجها من المكرم، وكان ذلك الاتفاق قد تم مع بني معن في حياة علي الصليحي[2] واتفق عليه أيضاً مع بني المكرم أمراء عدن الجدد.

وقيل أن كلا من الأخوين العباس ومسعود ابني المكرم دفع مبلغ خمسين ألف دينار[3]، فيكون مجموع المبلغ المدفوع مائة ألف دينار سنوياً نظير قيام إمارتهم في عدن وتوابعها.

نستخلص مما سبق أن العلاقة كانت وثيقة بين آل الصليحي وآل المكرم الهمداني، وهي علاقة ذات أسس متينة، وتشمل النواحي القبلية كونهما يرجعان إلى قبيلة همدان، والنواحي السياسية لاشتراك بني المكرم مع علي الصليحي في الدعوة الفاطمية باليمن للخليفة المستنصر الفاطمي، والنواحي المالية وهي دفع مبلغ مائة ألف دينار سنوياً للسيدة الحرة مقابل إمارتهم في عدن وتوابعها.

---

[1] انظر عن نسبة بني المكرم إلى همدان وأنهم من جشم بن يام: الجندي. السلوك ج٣و٩٩أ، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص٦٠، ابن خلدون. العبر مج ٤٦٦/٤، ٤٧٣، الخزرجي. العقد الفاخر و٢٢٩أ، كفاية و٣١ب، ٤٢ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٦٨ب ، إدريس. نزهة الأفكار و٣٢أ، الديبع. قرة العيون ص٣٠٤، يحيى. إنباء الزمن و٤٢، معجم. الحجري و٢٧٥، العبدلي. هدية الزمن ص٥٤، العرشي. بلوغ المرام ص٢٧، لقمان. تاريخ عدن ص٤٥.

[2] عمارة. المفيد ص١٧٤، ابن المجاور. المستبصر ص١٢٢، الخزرجي. كفاية و٤٢ب، معجم الحجري و٢٧٥، العرشي. بلوغ المرام ص٢٧. لقمان. تاريخ عدن ص٤٥، الحامد. تاريخ حضرموت ص٣٤٧، العقيلي. المخلاف ج١ق١٥٤/١، الشامي. إمارة آل زريع ص٩٨.

[3] الجندي. السلوك ج٣و٩٩أ، الأهدل، الجوهر الفريد و٢٦٨ب، يحيى. إنباء الزمن و٤٢، شرف الدين. اليمن ص٢٠٥، الثور. هذه هي اليمن ص٢٨٨.

إدارة عدن في عهد بني المكرم:

قسمت عدن في عهد المكرم الصليحي بين الأخوين العباس ومسعود[1] ابني المكرم الجشمي اليامي الهمداني، على الوجه الآتي:

١- جعل المكرم مقر العباس بن المكرم تعكر عدن[2]، وهو يحوز البر والباب، أي أن له حصن التعكر وباب البر وما يدخل منه عن طريق البر[3].

وتذهب إحدى الروايات[4] إلى أن زريعاً بن العباس بن المكرم تولى الحكم في عدن مع عمه المسعود، وكان مقره تعكر عدن وهو يحوز الباب وما يصل من البر، وذلك في بداية تأسيس إمارة بني المكرم، وهذه الرواية بعيدة عن الحقيقة ومخالفة لإجماع المؤرخين الذين أكدوا أن بداية حكمهم كانت على يد الأخوين العباس ومسعود إبني المكرم الهمداني.

٢- جعل المكرم الصليحي لمسعود بن المكرم حصن الخضراء[5]، وهو يحوز الساحل والمراكب[6] ويحكم على المدينة[7]، وقيل أن للمسعود حصن الخضراء وباب البحر وما يدخل منه، وإليه أمر المدينة[8].

---

[1] ذكر ادريس أن كلا من زريع بن العباس بن المكرم وعمه مسعود هما أول بني المكرم الذين حكموا في عدن بعد قضاء المكرم الصليحي على إمارة بني معن في عدن. نزهة الأفكار و٣٢أ، وهذا وهم.

[2] وتعكر كتمنع حصن باليمن. الزبيدي. تاج العروس ٤١٩/٣، وتعكر عدن هو ما يسمى اليوم: جبل شمسان، وجبل حديد، الأكوع. هامش المفيد ص ١٧٤، ويعرف الآن بجبل حديد. الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨، لقمان. تاريخ عدن ص٤٥، وقد فصلنا الكلام عنه في الفصل الأول.

[3] عمارة. المفيد ص١٧٤، ابن المجاور. المستبصر ص١٢١، الجندي. السلوك ج٣و ٩٩أ، الخزرجي. طراز (غربية) و١٢٠ب، كفاية و٤٢ب، الأهدل. الجوهر الفريد و٢٦٨ب، الديبع. قرة ص٣٠٤. ابو مخرمة. ثغر عدن ٨٧/٢، ١٠٨، يحيى. أنباء الزمن و٤٢، معجم الحجري و ٢٧٥، العبدلي. هدية الزمن ص٥٤، العرشي. بلوغ المرام ص٢٧، لقمان. تاريخ عدن ص٤٥، معارك حاسمة ص٧٧، الشماحي. اليمن ص١١٦، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٢٣، الحامد. تاريخ حضرموت ص٣٤٧، شرف الدين. اليمن ص٢٠٥، الثور. هذه هي اليمن ص٢٨٨، العقيلي. المخلاف ج١ق١/ ١٥٤، الشامي. إمارة آل زريع ص٩٨، أروى ص١٢١، د. صالح. بنو معن ص٣٢٤.

[4] إدريس نزهة الأفكار و٣٢ب.

[5] الخضراء: هو ما يسمى اليوم حقات ويسمى البنديرة، وفيه كانت ترسو المراكب الشراعية في سالف الأيام. الأكوع. هامش المفيد ص١٧٤، وحصن الخضراء هو ما يعرف الآن بجبل البنديرة وباب البحر تعرف بباب حقات وحصن الخضراء يسمى: جبل معاشيق. لقمان. تاريخ عدن ص٤٥. معارك حاسمة ص٧٧، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨، وقد فصلنا الكلام عنها في الفصل الأول.

[6] ابن المجاور. المستبصر ص١٢١، الجندي. السلوك ج٣ و٩٩أ، الأهدل. الجوهر الفريد و٢٦٨ب، الثور. هذه هي اليمن ص٢٨٨، شرف الدين. اليمن ص٢٠٥، لقمان. تاريخ عدن ص٤٥، معارك حاسمة ص٧٧، وذكر الشماحي أن للمسعود حصن الخضراء فقط. اليمن ص١١٦.

[7] عمارة. المفيد ص١٧٤، إدريس. نزهة الأفكار و٣٢أ -ب، صالح. بنو معن ص٣٢٤.

[8] الخزرجي. طراز (غربية) و١٢٠ب، كفاية و٤٢ب، الديبع. قرة ص٣٠٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٧/٢، ١٠٨، يحيى. إنباء الزمن و٤٢، الشرفي. اللآلئ المضية ج٢و ١٢١أ، معجم الحجري و٢٧٥، العبدلي. هدية الزمن ص٥٤، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٢٣، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨، الحامد. تاريخ حضرموت ص٣٤٧.

ويدلنا ذلك التقسيم على عدم المساواة والتكافؤ في منطقتي النفوذ بين الأخوين من حيث حجم كل منطقة أولا، ومقدار مواردها المالية ثانياً، وبرغم أن مصادرنا لا تفصح – مع الأسف– عما يحمله ذلك التقسيم من أهداف ونتائج، فإننا نثير تساؤلات وفرضيات عديدة بصدده، وكما يأتي:

١–لعل ذلك التقسيم يرجع إلى ضعف شخصية العباس بن المكرم الذي كان نصيبه باب البر وحصن التعكر، فمما لا شك فيه أن موارده المالية كانت قليلة بالقياس إلى موارد أخيه المسعود الذي كان نصيبه باب البحر والمراكب، إضافة إلى إدارة المدينة. فكانت موارده كثيرة، سيما وأن عدن كميناء كانت تدر تلك الموارد بحكم موقعها وصفتها تلك.

٢–أن تلك الفرضة قابلة للنقض والرفض، ودليل ذلك أننا لم نجد ما يشير إلى نزاع وقع بين الأخوين بسبب كمية موارد كل منها، وهذا يدفعنا إلى الافتراض بأن مواردهما المالية كانت تجمع سنوياً بالسوية بينهما، وتقسم بعد دفع مائة ألف دينار سنوياً للسيدة الحرة.

٣–لعل نفوذ ومكانة المسعود بن المكرم لدى أحمد المكرم الصليحي تفوق مكانة أخيه العباس، فعهد إليه بإدارة المدينة، ويؤكد العقيلي[1]، ما ذهبنا إليه حين ذكر أن ولاية المسعود كانت على عدن، أي أنه الحاكم الفعلي على المدينة، بينما اقتصرت ولاية أخيه العباس على حصن التعكر وخارج باب عدن.

٤–يمكننا أن نعزو انشغال المكرم الصليحي بالمشكلات الداخلية في اليمن عقب مقتل أبيه سبباً في إسناده إدارة عدن بين الاخوين العباس ومسعود ابني المكرم، فبسبب مخاوفه من قيام مشكلات داخلية في عدن بعد القضاء على ما أثار بني معن من مشكلات فيها من جهة، ولانشغاله في حرب بني نجاح – أمراء زبيد – قاتلي أبيه من جهة أخرى، أسند إمارة عدن إلى هذين الأخوين رغبة منه في ضمان استقرار الأوضاع فيها وحصول زوجه على الأموال السنوية منها.

٥–نحتمل أن المكرم الصليحي أسند حكم عدن إلى الأخوين العباس ومسعود بدافع التفكير بصعوبة خروجهما عن سلطته، لما يسبب ذلك من خسارة كبيرة له، فاسندها إليهما لكي يسهل إحباط محاولة أحدهما العصيان والاستقلال فيها بسهولة عن طريق الاستعانة بأخيه وإقناعه بالعدول عن محاولته تلك إذا ما حصلت، وبذلك يمكن حل المشكلة وتلافيها سلمياً وبوقت قصير.

٦–كان تفكير المكرم القضاء على محاولات أعدائه في غزو عدن والسيطرة عليها، إذا ما حاولوا ذلك بسهولة، إذ أن نجاحهم في تحقيق ذلك الهدف سيكون ضئيلاً ومحدوداً؛ لأن الإطاحة بحاكمين فيها أصعب بكثير إذا ما كانت إدارتها تحت حاكم لوحده، إضافة إلى أن السيطرة على منطقتين منعزلتين ومتباينتين من حيث الموقع وطبيعة التكوين، أصعب بكثير لو كانت المنطقة غير مقسمة، ففي هذه الحالة يكون

---

[1] المخلاف السليماني ج١ ق١/١٥٤.

تفكير العدو محصوراً بغزو منطقة واحدة منها فقط؛ فيسهل بذلك صده وإشغاله، وهذا ما حدث فعلاً بعد مدة حين قام ملك جزيرة كيش بإرسال حملة بحرية لغزو عدن في حدود سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م[١]، إذ غزا باب البحر وسيطر على حصن الخضراء، مما سهل على نظيره أمير التعكر جمع قواته ومحاربة العدو ثم إجباره على الفرار وفشل غزاته.

ومما سبق يبدو لنا أن الرأي الأكثر احتمالاً بخصوص ذلك التقسيم أن المكرم الصليحي أراد أن يمسك العباس ومسعود بسيطرتهما على عدن وصد أي محاولة لغزوها، دون أن تكون لشخصية أحدهما قوة نفوذ ومكانة أكثر من أخيه، وكان تفكيره من ذلك التقسيم أن يحمل الأخوين مسؤولية الدفاع عن المدينة، فيحرصان على حمايتها من الغزاة، سيما وإن تمركز كل منهما في منطقة خاصة به يُسهّل له صد أي محاولة اعتداء أو غزو بالاستعانة بأخيه لمساعدته انطلاقاً من شعورهما بمصير مشترك إضافة إلى الرابطة الأخوية التي تجمعهما.

استمرت إدارة عدن على هذا الحال بين الأخوين، ولم تحدث بينهما خلافات تذكر حول سلطة كل منهما، وذكر المؤرخون القدامى[٢] وتابعهم المحدثون[٣] بأن أحمد المكرم الصليحي استحلفهما للحرة السيدة زوجه، أي أنه ضمن طاعتهما وولاءهما للسيدة الحرة، وذلك عن طريق دفع مبلغ مائة ألف دينار سنوياً يزيد وينقص[٤]، وهو صداقها الذي اتفق عليه في عهد علي الصليحي والد المكرم مع بني معن أمراء عدن السابقين بعد زواجها من المكرم أحمد الصليحي ولده، فكانا يدفعانه للمكرم منذ توليهما إدارة عدن في حدود سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م[٥]، وطوال مدة حكمه، وبعد وفاته[٦] استمرا في دفع خراج عدن السنوي للسيدة الحرة زوجه، وفي رواية[٧] أنهما استمرا في دفعه حتى وفاة

---

[١] سندرس هذه الغزوة في هذا الفصل.

[٢] عمارة. المفيد ص١٧٤، ابن المجاور. المستبصر ص١٢١-٢، الخزرجي. طراز (غربية) و١٢٠ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٣٢ ب، يحيى. انباء الزمن و٤٢.

[٣] العبدلي. هدية الزمن ص٥٤-٥، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨، صالح. بنو معن ص٣٢٤.

[٤] وفي رواية أنه لا يزيد ولا ينقص. المستبصر ص١٢٢، العرشي. بلوغ المرام ص٢٧.

[٥] راجع ذلك في نهاية التمهيد السياسي.

[٦] كانت وفاة المكرم في مدينة ذي جبلة بعد إصابته بمرض الفالج، وذلك في سنة ٤٨٤هـ، عمارة. المفيد ص١٤٦، الخزرجي. العقد الفاخر و ٢٢٩ أ، لقمان، تاريخ عدن ص٤٦، الشامي. أروى ص١٢١، ١٢٢، وهنالك اختلافات عديدة حول تحديد سنة وفاته.

[٧] الخزرجي. طراز، (غربية) و١٢٠ ب، كفاية و٤٢ب، الأهدل. الجوهر الفريد و٢٧٠ب، الديبع. قرة ص٣٠٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٧/٢، معجم الحجري و ٢٧٥، العبدلي. هدية الزمن ص٥٥، الجرافي، المقتطف ص٦٩، لقمان. تاريخ عدن ص ٤٥، معارك حاسمة ص٧٧، الحامد. تاريخ حضرموت ص٣٤٧، باوزير. معالم ص١٩٤، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٢٣.

العباس بن المكرم، فخلفه ولده زريع على ما كان متوليا[1] فيه، وأبقى عمه مسعوداً على ما هو عليه وكل منهما يحمل ما عليه من الأموال.

وفي خبر[2] أن العباس ومسعوداً استمرا في دفع الأموال السنوية كما استمر من جاء بعدهما من أولادهما[3] إلى وفاة السيدة الحرة[4]، مع تخلف البعض عن الدفع، فكانت ترسل من يحاسبهم، وكانت تخفف عنهم وتتسامح معهم في كثير من السنين، وهذا يوضح لنا قوة العلاقة بين بني المكرم والسيدة الحرة وأنها قائمة على التسامح وحل المشاكل بطرق سلمية.

لم تحدد المصادر السنة التي توفي فيها العباس بن المكرم. لكن وردت إشارة إلى أن ولاية ابنه زريع قد بدأت في سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م[5]، ولعل والده العباس توفي في تلك السنة، وقيل أن وفاة العباس بن المكرم كانت في سنة ٤٨١هـ[6]/١٠٨٨م، وفي خبر[7] أن وفاته كانت في سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، وهذا يعني أنه توفي في السنة الأولى من قيام إمارة بني المكرم في عدن، وقيل[8] أنه توفي سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م، بعد حكم دام سبع سنوات ابتداء من سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، وفي اعتقادنا أن هذه الفرضية لبدء حكم بني المكرم في عدن غير دقيقة ولا يمكن الأخذ بها[9]، وقيل أنه حكم منذ سنة ٤٧٦هـ، واستمر في الحكم (٢٨) سنة، فكانت وفاته سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م[10]، وفي اعتقادنا أن هذه الروايات التي ذكرها المؤرخون المحدثون هي من قبيل التقدير والتخمين، وأن رواية وفاة العباس سنة ٤٧٩هـ هي الأقرب للصواب، وفيها بدأ حكم ولده زريع.

---

[1] خلط الحجوري بين بني معن وبني المكرم فذكر تولي زريع بن العباس بعد أخيه يعفر بن العباس بن معن، وهذا وهم وخطأ. الروضة و٢٤٤أ.

[2] شرف الدين. اليمن ص٢٠٥، الثور. هذه هي اليمن ص٢٨٨.

[3] ذكر الحداد أن العباس ومسعودا استمرا على ولائهما للدولة الصليحية ونابا عنها وأولادهما من بعدهما في ذلك، تاريخ اليمن ص٢١٨.

[4] كانت وفاتها سنة ٥٣٢هـ كما ذكرنا ذلك في مصادر ترجمتها، وسنذكر وفاتها في الصفحات التالية.

[5] يحيى. إنباء الزمن و٤٢، غاية الأماني ص٢٧١.

[6] د. محمد أمين صالح. بنو معن ثم آل زريع في عدن ص٣٢٥.

[7] الهمداني وسليمان. الصليحيون ص٣٤٥/ شجرة النسب، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٢١.

[8] شرف الدين. اليمن عبر التاريخ ص٢٠٦، الثور. هذه هي اليمن ص٢٨٨.

[9] ذكرنا أن حكم بني المكرم في عدن بدأ سنة ٤٧٦هـ بعد القضاء على إمارة بني معن في حدود سنة ٤٧٣هـ، راجع نهاية التمهيد السياسي.

[10] الويسي. اليمن الكبرى ص٢٦٧.

ولاية زريع بن العباس وعمه مسعود بن المكرم:

بعد وفاة العباس بن المكرم تولى الحكم بعده ابنه زريع[1] على ما كان لأبيه في تعكر عدن وباب البر، وبقي عمه المسعود على ما تحت يده وهي حصن الخضراء وباب البحر وما يدخل منه كما أنه بقي مسؤولا عن أمر مدينة عدن، وكان كل واحد منهما يحمل ما عليه من الأموال السنوية للسيدة الحرة زوج المكرم الصليحي دون تلكؤ[2].

الواقع أن زريعاً امتاز بالشجاعة والجرأة والإقدام، إذ استطاع أن يمد سيطرته على مناطق واسعة خارج عدن في ناحية الصلو[3]، فملك الدملوة[4] يوم الثلاثاء ١٦ رمضان سنة ٤٨٠هـ[5]/ ١٥كانون الأول سنة ١٠٨٧م، وذكر أبو مخرمة[6] ملك زريع بن العباس للدملوة في رمضان سنة ٤٨٠هـ، كما ذكر مؤرخون آخرون[7] سيطرة زريع وملكه للدملوة في سنة ٤٨٠هـ[8]، غير أن تلك المصادر لا توضح لنا كيفية سيطرته على الدملوة وأسباب ذلك، ونحن نميل إلى أن زريعاً شعر بضعف نفوذه وصغر حجم المنطقة الخاضعة له وضآلة مواردها المالية، فبدأ بالتوسع وسوف يكون هذا بداية الخِلاف بين أبناء أسرة المكرم الهمداني.

---

[1] خلفه ابنه زريع وقيل مسعود. الاهدل. الجوهر الفريد و٢٧٠أ.

[2] الجندي. السلوك ج٣ و١٠٣أ، الخزرجي. طراز (غربية) و١٢٠ب، كفاية و٤٢ب – ٤٣أ، الديبع. قرة ص٣٠٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ٧٨/٢ – ٧٩، ٨٧، معجم الحجري و٢٧٥، لقمان. تاريخ عدن ص٤٥-٦، معارك حاسمة ص٧٧، الحامد. تاريخ حضرموت ص٣٤٨.

[3] الصلو من بلاد الحجرية باليمن الأسفل، لقمان، معارك حاسمة ص٧٧، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٩، وذكر لقمان أن زريعاً استولى على الدولة في ناحية الصلو باليمن وضمها إلى مسؤولياته في عدن. تاريخ عدن ص٤٦، معارك حاسمة ص٧٧.

[4] بضم أوله وسكون ثانيه وضم اللام وفتح الواو، حصن عظيم باليمن كان يسكنه آل زريع المتغلبون على تلك النواحي، ويقال أن جبل الصلو هو جبل أبي المعلس فيه قلعة أبي المعلس التي تسمى الدملوة وتطلع بسلمين. الحموي. معجم ٤٧١/٢، معجم الحجري و١١٣ وذكر الأخير أنه من حصون الحجرية، وقيل بكسر الدال المهملة وسكون الميم ثم لام وواو وهاء في الآخر، وهو حصن في شمالي عدن في جبال اليمن، وهي خزانة صاحب اليمن، ويضرب بامتناعه وحصانته المثل، أبو الفدا، تقويم البلدان ص٩٠-١، القلقشندي. صبح ١٣/٥، الواسعي. فرجة الهموم ص٣٢١، والدملوة قلعة من حصون الحجرية. معجم الحجري و١٥٤، وإنها قلعة في بلاد الصلو الحجرية. الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٩، والدملوة في ناحية الصلو باليمن الاسفل. لقمان، معارك حاسمة ص٧٧.

[5] الخزرجي. طراز (غربية) و١٢٠ب، كفاية و٤٣أ، وقد حدد هذا التاريخ وانفرد به.

[6] ثغر عدن ٧٩/٢، ٨٧.

[7] الديبع. قرة. ص٣٠٥، معجم الحجري و ٢٧٥، العبدلي. هدية الزمن ص٥٥، العرشي. بلوغ المرام ص٢٧، لقمان. معارك حاسمة ص٧٧، الحامد. تاريخ حضرموت ص٣٤٨، وقد ورد ذكر تملك زريع للدملوة دون تحديد السنة. محمد حسن. قلب اليمن ص٣٥، الشامي. إمارة آل زريع ص٩٩.

[8] ذكر العقيلي ضم زريع للدملوة سنة ٥٠٨هـ، المخلاف ج(ق١/١٥٥)، وهذا وهم وخطأ، وذكر الحداد أن ولاية زريع امتدت إلى قلعة المقاطرة وقلعة الدملوة من بلاد الصلو وكلاهما من بلاد الحجرية. تاريخ اليمن ص٢١٨.

ولعل من مظاهر قوة زريع بن العباس وتوسع نفوذه، أننا نلحظ اهتمام المصادر به، وذكرها لأخباره دون عمه المسعود الذي لم تذكر عنه شيئاً يستحق الاهتمام، فقد عين زريع بن العباس قاضياً في عدن أثناء مدة حكمه، وهو أبو الفتح بن عمرو، وكان من أهل عدن[1]، ويبدو أن السلطان زريع كان أول أمراء عدن الذين اهتموا بالقضاء وجعل له قاضياً متفرغاً، مما يدلنا على قوة شخصيته واهتمامه بأمور سكان عدن التي لم تحظ باهتمام الأمراء الذين سبقوه. وللدلالة على قوة شخصية السلطان زريع بن العباس وشهرته، أن عددا من المؤرخين[2] أطلقوا على أسرة بني المكرم في عدن إسم: بني زريع أو الأسرة الزريعية نسبة إلى السلطان زريع بن العباس، وكانت تلك التسمية قد أطلقت على العباس ومسعود ابني المكرم الجشمي اليامي الهمداني، في حين أن بني زريع هم فرع من أسرة بني المكرم، وقد استقلوا في حكم عدن بعد عهد السلطان زريع بمدة[3]، وهذا يدل على قوة شخصيته التي صارت اسماً للأسرة.

لقد ذكرنا أن بني المكرم – ومنهم بنو زريع – ينتسبون إلى قبيلة همدان[4]، وقد برز بنو زريع بكونهم أحد بطون همدان متخذين من زريع علماً لهم، فقد ذكر كحالة[5] أن زريع بطن من بطون همدان من القحطانية، وسماهم الحجري[6] آل زريع الهمدانيين، وهذا يدل على أن زريعاً اصبح علماً لأسرة مشهورة من قبيلة همدان العربية.

ذكر د.محمد أمين صالح[7] أن زريعاً بن العباس كان يميل إلى المخالفة، فنسبت إليه إمارة جديدة بعدن، ويبدو أنه كان يطمح إلى تقوية نفوذه في دولة الصليحيين في ذي جبلة وليس في عدن، وكان غاضباً على تولية شخص آخر غيره هو المفضل بن أبي

---

[1] الجعدي، عمر بن علي بن سمرة. طبقات فقهاء اليمن، –تح: فؤاد سيد، مط السنة المحمدية، (القاهرة، ١٩٥٧م)، ص٢٢٤، الجندي. السلوك ج٢و١٧٦–٧، الأهدل. تحفة الزمن و١٣٢ب، ابومخرمة. ثغر عدن ٢٦٠/٢، وذكروا من قضاة عدن أبو الفتح بن سهل الفارسي، ولعله كان قاضياً في عدن أثناء حكم زريع بن العباس.

[2] عمارة، المفيد ص١٧٢، ابن المجاور، المستبصر ص١٢١، ١٢٤، الجندي. السلوك ج٣و١٠٣أ، ، ابن خلدون. العبر ٤٧٩/٤، الخزرجي. طراز (غربية) و٢٩٩ب، الاهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠ ب، إدريس. نزهة الأفكار. و٣٢أ، يحيى. غاية الأماني ص٢٨٠، الكبسي. اللطائف السنية و٢٣أ، العقيلي. المخلاف السليماني ج١ق١٧١/١، العرشي. بلوغ المرام ص٢٧، الحجري. خلاصة ص١٥، محمد حسن. قلب اليمن ص٣٥، أيمن فؤاد. مصادر تاريخ اليمن ص٣٥٨.

[3] كان استقلالهم في عهد الداعي سبأ بن أبي السعود، وسندرس ذلك في الفصل الثالث.

[4] ذكرنا ذلك في دراستنا لأصل بني المكرم.

[5] كحالة، عمر رضا. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. ج٢، مط الهاشمية، (دمشق، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، ص٤٧٠، الشامي، إمارة آل زريع ص٩٨.

[6] خلاصة من تاريخ اليمن ص١٥، وذكر العرشي أن آل زريع من عدن، وهم من همدان بن جشم. بلوغ المرام ص٢٨، وذكر العقيلي أن آل زريع بن أبي العباس أهل عدن وهم من همدان بن جشم. المخلاف ج١ ق١/ ١٧١.

[7] بنو معن، المؤرخ العربي، ع١٥، ص٣٢٥.

البركات الحميري[1] على أقوى حصون العاصمة وبه ذخائر الدولة، في حين أن عمه مسعود بن المكرم كان أكثر اتزاناً من ابن أخيه وقسيمه في حكم عدن، وكان لا يرضى شق عصا الطاعة على السيدة الحرة الصليحية، واضطر زريع إلى مجاراة عمه المسعود في الوفاء لها، واسترضى نفسه بتملك حصن الدملوة.

والواقع أننا نؤيد ما ذهب إليه د. صالح من ميل زريع إلى المخالفة، وطموحه في زيادة نفوذه، وقد عللنا ذلك بشعوره بضعف نفوذه وصغر حجم المنطقة الخاضعة له وقلة مواردها، وكانت هذه المشاعر قد نمت في صفوف أفراد أسرة المكرم من أبناء العباس ومسعود وتطورت بعدئذ إلى صراع دموي انتهى بانتصار الفرع الأول الذي سمي ببني زريع واستقلاله في حكم عدن وتوابعها[2].

لا توضح المصادر أخبار ولاية زريع بن العباس وعمه مسعود بن المكرم وما جرى لهما حتى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، ففي تلك السنة جهز السلطان السلجوقي ملكشاه بن أرسلان[3] حملة إلى اليمن، روى ابن الأثير[4] أنه حضر عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان[5]، فأمره السلطان أن يسير مع جماعة من أمرائه إلى الحجاز واليمن، ويكون أمرهم إلى سعد الدولة كوهرائين[6]، ليفتحوا البلاد هناك، فاستعمل سعد الدولة عليهم أميراً اسمه ترشك[7]، وساروا حتى وصلوا اليمن، فاستولوا عليها وأساؤا السيرة في أهلها، ولم يتركوا خطيئة إلا وارتكبوها، وملكوا عدن، وظهر على ترشك الجدري، فتوفي سابع يوم من وصوله إليها، وكان عمره سبعين عاماً، فعاد أصحابه به إلى بغداد، وحملوه ودفنوه عند قبر أبي حنيفة.

إن هذه الحادثة تكاد تكون الوحيدة التي توضح لنا طبيعة العلاقة بين اليمن وبغداد عامة وعدن بصورة خاصة، خلال ولاية زريع بن العباس وعمه مسعود. ومما يثير التساؤل أن هذه الحادثة برغم أهميتها لم تلق اهتماماً في المصادر الأخرى خاصة اليمنية منها، عدا إشارات مختصرة وقليلة نذكرها أدناه.

---

[1] أحد قادة السيدة الحرة، وسنتحدث عن دوره وموقفه من بني المكرم.

[2] سيكون ذلك موضع دراستنا المفصلة في الفصل الثالث.

[3] السلطان السلجوقي ملكشاه حكم بين ٤٦٥-٤٨٥هـ، وتوفي في هذه السنة ببغداد، ودفن بمقبرة الشونيزية. انظر عن ترجمته: ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مج٩، ط١، (حيدر آباد الدكن، ١٣٥٩هـ)، ص٦٩-٧٤، ابن الأثير. الكامل ١٠/٢١٠-٢١٤.

[4] الكامل ١٠/٢٠٣-٤، ونقل روايته محقق غاية الأماني ص٢٧٧ هامش.

[5] ذكر ابن الأثير أنه صاحب قرميسين وغيرها.

[6] كان من الخدم الترك الذين ملكهم أبو كاليجار بن سلطان الدولة البويهي وفي عهد ملكشاه أقطعه واسط وأسند إليه شحنكية بغداد، ولما وقع النزاع بين محمد وبركياروق ولدي ملكشاه، كان كوهرائين مع الأخير، فكبا به الفرس، فسقط وعليه سلاحه فقتل، ثم حمل إلى بغداد ودفن في الجانب الشرقي، وذلك سنة ٤٩٣هـ، ابن الجوزي. المنتظم ٩/١١٥-٦، الكامل. ١٠/٢٩٥-٦.

[7] لم نجد ترجمة له، ويبدو أنه أحد أمراء التركمان، فقد ذكر ابن كثير في حوادث سنة ٤٨٥هـ، أن السلطان ملكشاه جهز سرية إلى اليمن صحبة سعد الدولة كوهرائين وأمير آخر من التركمان، ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية في التاريخ، ج١٢، مط السعادة، (القاهرة، د.ت)، ص١٤٠.

أشار الحمزي[1] إلى تلك الحملة باختصار ضمن حوادث سنة ٤٨٥هـ، فذكر أن السلطان ملكشاه سير عسكراً نحو اليمن واستولى على كثير منه، وقد عاثوا في البلاد وأفسدوا، ثم عادوا إلى بغداد. وذكر يحيى بن الحسين[2] أخبار تلك الحملة في تلك السنة بنفس الصيغة التي ذكرها الحمزي، ولعله نقل عنه أخبارها، ولم يشر الاثنان إلى دخول الحملة مدينة عدن، وهذا يرجح عندنا بأن هذين المصدرين اليمنيين قد أوردا تلك الرواية بصيغة واحدة.

نلاحظ مما سبق أن ابن الأثير قد انفرد في ذكر دخول الحملة التي أرسلها السلطان السلجوقي ملكشاه إلى عدن، في حين لم يشر مؤرخو اليمن لذلك، وممن أورد أخبار تلك الحملة ابن كثير[3]، فذكر في حوادث سنة ٤٨٥هـ، أن السلطان ملكشاه جهز سرية إلى اليمن بصحبة سعد الدولة كوهرائين وأمير آخر من التركمان، وأضاف أن كواهرائين توفي بمدينة عدن بعد دخولها، وهذا وهم وخطأ، إذ أنه قتل ببغداد سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م[4]، ولعل الذي توفي بمدينة عدن هو أمير التركمان ترشك كما ذكر ذلك ابن الأثير.

إن مما يزيد من تساؤلنا حول تلك الحملة، عدم اهتمام المصادر بها، لاسيما اليمنية منها، عدا ما ذكره باختصار عنها الحمزي ويحيى بن الحسين، وإن ما ذكره ابن الأثير وابن كثير قد أكد اختلاف روايتهما حولها، فقد ذكرا أن الحملة قد وصلت إلى عدن ودخلتها، ولم تشر تلك المصادر جميعاً إلى أسباب ومبررات الحملة، ولا إلى موقف أمراء عدن وسكانها منها، لذلك بقيت أحداثها غامضة ومجهولة، ونميل إلى الاعتقاد بأن سبب تلك الحملة يرجع إلى العداء بين السلاجقة الذين كانوا يحكمون العراق إلى جانب العباسيين، وبين الفاطميين في مصر ونوابهم في اليمن كالصليحيين وبني المكرم، ولعل السلطان ملكشاه أراد أن يظهر إخلاصه وولاءه للخليفة العباسي ببغداد عن طريق تجريد حملة ضد الفاطميين وضرب أنصارهم في عدن، وربما أراد السلطان ملكشاه التخلص من بعض قادته، بإبعادهم عن بغداد ومشاركتهم في حملة بعيدة إلى اليمن، وكان ذلك في السنة الأخيرة من حكمه الذي استمر عشرين عاماً، ونضيف لهذين السببين سبباً ثالثاً، هو أهمية عدن الجغرافية والاقتصادية، التي كانت دوافع مهمة للسيطرة عليها، فقد تميزت بكثرة مواردها ونستدل على ذلك من دفع أمرائها مبلغ مائة ألف دينار سنوياً للسيدة الحرة الصليحية.

أما فيما يتعلق بأوضاع الدولة الصليحية، فإن السيدة الحرة أقامت المفضل بن أبي البركات الحميري للدفاع عن مملكتها والقيام لدولتها، فكان المدبر لسياسة المملكة،

---

[1] عماد الدين إدريس بن علي. كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، خ ميكروفلم في مكتبة المتحف البريطاني برقم OR, ٤٥٨١، ورقة ٩٨ أ.

[2] غاية الأماني ص٢٧١.

[3] البداية والنهاية ١٢/١٤٠.

[4] ذكرنا ذلك في ترجمة كوهرائين.

وذلك بعد وفاة الأمير سبأ بن أحمد الصليحي سنة ٤٩١هـ[1] /١٠٩٧م، وبموته خرجت صنعاء وأعمالها عن مملكة الصليحيين وانتهى نفوذهم بها[2]، لذلك أصبح المفضل رجل الدولة الأول، وكان أبوه قبل ذلك والياً للصليحيين في حصن التعكر، وهو مقر ذخائرهم، وقد نشأ المفضل في بلاط الصليحيين، وعمل في خدمة السيدة منذ طفولته الأولى[3].

كانت السيدة الحرة تقيم في ذي جبلة، والمفضل رجل الدولة ومدبرها، والمرجع إلى رأيه وسيفه، وهي لا تقطع أمراً إلا بالرجوع إليه، فعظم شأنه، ولم يبق من أعيان الدولة من يدانيه[4].

أما علاقة زريع بن العباس وعمه المسعود مع الدولة الصليحية والملكة الحرة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي، فكانت على غاية من التعاون والقوة والطاعة، ففي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، حدثت اضطرابات في زبيد بين أمرائها من أبناء جياش بن نجاح، وكادت الفتن الداخلية تقضي على إمارتهم، ولم تكن الدولة الصليحية قادرة على استرداد تهامة والقضاء على بني نجاح في زبيد؛ لانشغالها بمشكلاتها الداخلية المتزايدة، وكان من مظاهر الصراع في زبيد، خروج منصور بن فاتك بن جياش منها فرارا من عمه عبدالواحد بن جياش[5]، وسار المنصور في عبيده وعبيد أبيه، ونزلوا في رحاب الملكة الحرة، فأكرمت مثواهم، وتعهدوا لها بدفع ربع خراج تهامة إذا ساعدتهم وانتصروا على عبدالواحد، فأرسلت المفضل بن أبي البركات بجيش كبير تمكن من دخول مدينة زبيد والاستيلاء عليها وطرد عبدالواحد منها[6].

لأجل أن تضمن السيدة الحرة النصر لجيشها في هذه الحرب، فإنها بعثت بجيش آخر لمساعدة المفضل بقيادة أميري عدن زريع بن العباس وعمه مسعود بن المكرم، وكتبت إليهما أن يلقيا المفضل قرب زبيد، فلقياه وقاتلا معه في تلك الحرب، وقتلا معا على باب

---

[1] إدريس. نزهة الأفكار و٢٧ب، وقيل إن وفاته سنة ٤٩٢هـ، الخزرجي. العقد الفاخر و٢٢٩ب، وقيل أنه توفي بحصن أشيح سنة ٤٩٣هـ. يحيى. إنباء الزمن و٤٤.

[2] استولى على صنعاء وأعمالها السلطان حاتم بن الغشم، الذي توفي سنة ٥٠٢هـ، فتولى الأمر بعده ابنه عبدالله ثم قتل بالسم، وكانت ولايته سنتان، فولي بعده أخوه معن. الديبع. قرة ص٢٦٨، يحيى. انباء الزمن و٤٥.

[3] عمارة. المفيد ص١٥٤ – ١٥٨، الخزرجي. العقد الفاخر و١٦٣ب – ١٦٤أ، إدريس. نزهة الأفكار و٢٧ب، الديبع. قرة ص٢٦٨ – ٢٧٣، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص١٦٢، العقيلي. المخلاف ٤٤/٢.

[4] سنوضح دور المفضل مع الملكة الحرة وعلاقته ببني المكرم وسنة وفاته في الصفحات القادمة.

[5] ذكر إدريس خروج المنصور جياش بن نجاح من مدينة زبيد بعد استيلاء أخيه عبدالواحد عليها. نزهة الأفكار و٢٧ب– ٢٨أ.

[6] انظر عن ذلك الصراع: إدريس. نزهة الأفكار و ٢٧ب–٢٨أ، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص١٦٤، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص١٦٥، ٢٢٣.

زبيد[1]، وذلك سنة ٤٨٥هـ[2]/١٠٩٢م، كما ذكرت بعض المصادر[3] وفاة زريع بن العباس في تلك السنة.

نستنتج من اشتراك أميري عدن في هذه الحرب، أنهما كانا في طاعة السيدة الحرة وينفذان أوامرها دون معارضة، مما يؤكد قوة العلاقة بينهما، لكننا لا نستبعد أن يكون مقتلهما قد تم بتدبير من المفضل بن أبي البركات قائد السيدة الحرة؛ للتخلص من منافستهما له، سيما وأن زريعاً كان ذا طموح ونفوذ بعد سيطرته على حصن الدملوة سنة ٤٨٠هـ، وكان يحاول توسيع نفوذه والتقرب من السيدة الحرة، وتجدر الإشارة إلى أن المصادر لا توضح لنا كيف غادر زريع وعمه المسعود عدن، ومن تولاها بعد مغادرتهما، كما لم تذكر لنا حجم الجيش وطبيعة تكوينه، ولمن كانت قيادته حين اتجها به نحو مدينة زبيد، لذلك كانت أخبار مقتلهما غامضة وغير واضحة.

وبرغم تحديد مقتل زريع وعمه المسعود في حرب زبيد[4] سنة ٤٨٥هـ، إلاّ إن هنالك من جعل مقتلهما في سنة ٥٠٣هـ[5]/١١٠٩م، وقيل سنة ٥٠٤هـ[6]، ونعتقد أن تلك الروايات غير دقيقة، هذا وتجدر الإشارة إلى وقوع اختلافات في مدة حكم ونهاية كل من زريع وعمه المسعود بن المكرم[7].

---

[1] ذكر كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين مقتل زريع وعمه مسعود في حرب الأحباش بزبيد دون تحديد السنة، انظر: عمارة. المفيد ص١٧٥، ابن المجاور. المستبصر ص١٢٢، الجندي. السلوك ج٣و ١٠٣أ، أبو الفداء. المختصر ٨٩/٤، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص٦٠، الخزرجي. كفاية و٤٣أ، طراز (غربية) و١٢٠ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٣٢ب، الديبع. قرة ص٣٠٥. ابومخرمة. ثغر عدن ٨٧/٢، معجم الحجري و٢٧٥، العبدلي. هدية الزمن ص٥٥، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٨، الحامد. تاريخ حضرموت ص٣٤٨، الشامي. إمارة آل زريع ص٩٩، وفي رواية أنهما قتلا في حرب السيدة الحرة ضد سعيد الأحول. لقمان. تاريخ عدن ص٤٦، معارك حاسمة ص٧٧، الشامي. أروى ص١٢١، وهذا وهم وخطأ إذ أن الأحول قتل سنة ٤٨١هـ. المستبصر ص٧٦.

[2] الجرافي. المقتطف ص٧٠، الشماحي. اليمن ص١١٦، د.محمد أمين صالح. بنو معن ص٣٢٥، ٣٢٦ هامش.

[3] يحيى. إنباء الزمن و٤٤، غاية الأماني ص٢٧٧، الكبسي. اللطائف السنية و٢٢ب.

[4] هنالك أيضاً خلط في ذكر من قتل بباب زبيد، ففي رواية، أن البهاء بن زريع بن العباس وأبو الغارات ابن مسعود بن المكرم قد تغلبا على السيدة في عدن، ثم اصطلحا على نصف ارتفاع عدن، فلما قتلا مع المفضل الحميري على باب زبيد، ولي في عدن ولده أبو السعود بن زريع وابن عمه محمد بن أبي الغارات. الوصابي. تاريخ وصاب ص٦٤.

[5] الهمداني وسليمان. الصليحيون ص١٦٤، ٣٤٥، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٢١، ٢٢٣.

[6] يحيى. إنباء الزمن و٤٥-٦، وقيل أنهما قتلا بين سنتي ٥٠٣ ـ ٥٠٤هـ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٧٩/٢، هامش غاية الأماني ص٢٧١.

[7] ذكر الثور أن المسعود بن المكرم حكم بعد أخيه العباس بين ٤٧٧-٤٨٠هـ، وحكم زريع بن العباس مع عمه المسعود أثناء تلك المدة. هذه هي اليمن ص٢٨٨، وجعل الويسي حكم مسعود بن مسمع بن المكرم – كما يسميه– لمدة ٢٨ سنة بين ٥٠٤-٥٣٣هـ، وقبلها حكم العبا س بن المكرم مدة٢٨ سنة بين ٤٧٦-٥٠٤هـ. اليمن الكبرى ص٢٦٧. وهذه أخطاء كبيرة ليس لها ما يدعمها في المصادر الموثوقة.

ولاية أبي السعود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود:

بعد مقتل زريع بن العباس وعمه مسعود بن المكرم، تولى الحكم في عدن ولداهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود، فاستمرا، كل في جهة أبيه، قانع بها وموالٍ لابن عمه[1].

وبرغم تأكيد المؤرخين على تولي أبي السعود وأبي الغارات على إمارة عدن، فإن هنالك روايات تختلف في ذكر من ولي الإمارة بعد مقتل زريع وعمه المسعود، فقد ذكر بعض المؤرخين[2] أن سبأ بن زريع ولي بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٥هـ وبقي متوليا للأمور حتى توفي سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م، ويحدد الحجوري[3] مدة حكمه بخمس سنوات تنقص قليلاً، وولي الأمر بعده أخوه أبو السعود بن زريع، وفي رواية[4] أن أبا السعود ولي الحكم سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، ونحن نميل إلى عدم الأخذ بها إلا من قبيل مشاركته في الحكم مع أخيه سبأ منذ تلك السنة.

وتذكر إحدى الروايات[5] بأن أبا السعود بن زريع تولى الحكم بعد وفاة أخيه سبأ بن زريع ومسعود بن العباس، وتظهر لنا هذه الرواية أن الحكم كان مشتركاً بين أبي السعود بن زريع بن العباس وعمه مسعود بن العباس، ويبدو أن خلافاً وقع بعد وفاة العباس بن المكرم بين ولديه زريع ومسعود، يقول الأهدل[6]: "توفي العباس وخلفه ابنه زريع، وقيل مسعود". وهذا يؤكد لنا أن مسعوداً هو أخو زريع بن العباس.

وتأكيداً لما سبق ذكر بعض المؤرخين[7] ان خلافاً وقع بين بين أبي السعود بن زريع ومسعود بن العباس عاملي عدن سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، فاقتسما البلاد نصفين[8]، وقد قتل مسعود بن عباس سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م[9]، وهذا يؤكد لنا أن الخلاف بين أبي السعود وعمه مسعود بسبب الاستيلاء على الحكم، ولعل ذلك الخلاف حسم بمقتل مسعود

---

[1] عمارة. المفيد ص١٧٥، ابن المجاور. المستبصر ص١٢٢، الجندي. السلوك ج٣و١٠٣أ، أبو الفدا. المختصر ٨٩/٤، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٦٠، الخزرجي. كفاية و٤٣أ، أدريس. نزهة الأفكار و٣٢ب، الديبع. قرة العيون ص٣٠٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٧/٢، يحيى. إنباء الزمن و٤٦، معجم الحجري و٢٧٦، العبدلي. هدية الزمن ص٥٥، الجرافي. المقتطف ص٧٠، لقمان. تاريخ عدن ص٤٧، معارك حاسمة ص٧٨.

[2] روضة الحجوري و٢٤٤ب، يحيى. انباء الزمن و٤٤، غاية الأماني ص٢٧٧، الكبسي. اللطائف السنية و٢٢ب، وذكر العقيلي تولي سبأ بن زريع بعد وفاة أبي السعود بن زريع. المخلاف ج١ق١/١٥٥.

[3] نفس المصدر.

[4] يحيى. أنباء الزمن و٤٤.

[5] يحيى. غاية الأماني ص٢٧٩.

[6] الاهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠ب.

[7] روضة الحجوري و ٢٤٤ب، يحيى، غاية الأماني ص٢٧٩، إنباء الزمن و٤٥، الكبسي. اللطائف السنية و١٢٣أ.

[8] ذكر الحجوري أن التقسيم شمل لحج وابين سنة ٤٩٢هـ.

[9] روضة الحجوري و ٢٤٤ ب، وكان مقتله في شهر ربيع الأول سنة ٥٠١هـ، يحيى. غاية الأماني ص٢٨٢.

بن عباس وانتهى الحكم إلى أبي السعود بن زريع مع ابن عمه أبي الغارات بن مسعود بن المكرم. وهذا الاستنتاج ينفي الرواية القائلة[1] بأن زريعاً بن العباس حكم عدن مع أبي الغارات بن مسعود بعد وفاة العباس ومسعود ابني المكرم الهمداني، والصواب أن زريعاً حكم مع عمه المسعود في عدن وقتلا سوية على باب زبيد، فتولى الحكم بعدهما ولداهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود، وقد ناقضت الرواية نفسها بذكر هذه الحقيقة ذاتها.

يتضح لنا مما سبق أن هنالك اختلافات كثيرة حول من تولى الحكم بعد مقتل زريع بن العباس وعمه مسعود بن المكرم، ولعل سبب تلك الاختلافات يرجع إلى منافسة شديدة بين الاخوة من أبناء زريع، انتهت تلك المشاكل بتولي أبي السعود بن زريع للحكم، وبصورة عامة فإن هذه المرحلة من مراحل حكم أسرة بني المكرم في عدن تميزت بالغموض واتصفت أحداثها بالتداخل، مما يستدعي الدقة وتمحيص الروايات المتباينة عنها[2].

محاولات الاستقلال عن الصليحيين في عدن:

بعد الكارثة التي حلت ببني المكرم إثر مقتل زريع بن العباس وعمه مسعود بن المكرم، انتقلت السلطة في عدن – بعد صراع بين أبناء زريع[3]– إلى أبي السعود بن زريع وابن عمه أبي الغارات بن مسعود.

لا تحدد المصادر السنة التي ابتدأ بها حكم أبناء العم، سوى رواية[4] واحدة ذكرت أن حكم أبي السعود بدأ سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، وفي اعتقادنا أن حكم أبي الغارات في جهته بعدن قد بدأ بعد قتل أبيه سنة ٤٨٥هـ، وقد سبق حكم أبي السعود فترة من الصراع حكم خلالها أخوه سبأ مع عمه مسعود بن العباس، وكان حكم سبأ قد بدأ منذ

---

[1] عمارة. المفيد ص١٧٤، ابن المجاور. المستبصر ص١٢٢.

[2] ذكرت إحدى الروايات أن العباس ومسعوداً ابني المكرم اليامي الهمداني توفيا سوية في عدن، فانتقل عمل المسعود إلى ابنه أبي الغارات، وانتقل عمل العباس إلى ابنيه أبي السعود وزريع، واستقام ولدا الأخوين كل في جهته. العرشي. بلوغ المرام ص٢٧، محمد حسن. قلب اليمن ص٣٥، العقيلي. المخلاف ج١ق١/١٥٥، ونعتقد أن هذه الرواية غير صحيحة، فمن المعروف أن أبا السعود هو ابن زريع وليس أخاه.

وذكرت رواية أخرى تولي أبي الغارات بعد مقتل أبيه مسعود دون أن تذكر حكم أبي السعود بن زريع شريكه في عدن. روضة الحجوري و٢٤٤ب، يحيى. إنباء الزمن و٤٥، وذكر العقيلي أن أبا السعود توفي وتبعه أخوه زريع فتولى شؤون الإمارة سبأ بن زريع بن العباس. المخلاف ج١ ق١/١٥٥، وهذا خطأ إذ أن أبا السعود هو ابن زريع وليس أخاه، ولم نجد ذكراً لتولي سبأ بن زريع شؤون الإمارة في عدن، وهذه الروايات المتباينة زادت في غموض فترة زمنية من حكم بني المكرم في عدن.

[3] ذكرنا أبرز تلك المشكلات في الصفحات السابقة.

[4] يحيى. إنباء الزمن و٤٤.

سنة ٤٨٥هـ لمدة تقل عن الخمس سنوات حتى وفاته سنة ٤٩١هـ[1]/١٠٩٧م. ولعله كان يساعد أخاه أبا السعود في الحكم في عدن أو خارجها[2].

ومهما يكن من أمر السنة التي ابتدأ بها حكم أبي السعود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود، فإنهما توليا الحكم في عدن على نفس التقسيم الذي كان عليه أبواهما، ويبدو أن لحادث مقتلهما أثراً كبيراً على موقف ولديهما أميري عدن تجاه السيدة الحرة الصليحية خاصة، والدولة الصليحية في اليمن بصورة عامة، فلم يكن لبني العم ما يدعو للتمسك بعهود آبائهم تجاه السيدة الحرة ورجل دولتها الأول المفضل بن أبي البركات الحميري؛ لذلك عزما على الاستقلال بعدن، وعدم دفع الالتزام السنوي للصليحيين[3].

ونعلل ذلك الموقف من قبل أبي السعود وأبي الغارات بأنهما شعرا أن مقتل أبيهما كان بسبب السيدة الحرة وقائدها المفضل، ولا نستبعد أنهما وجدا في زريع وعمه المسعود الشخصيتين الكفؤتين، وأنهما كانا ذوي مكانة ومقدرة سياسية كبيرة، فعملت على التخلص منهما عن طريق اشتراكهما في حرب بني نجاح أمراء زبيد، وربما أوعزت إلى قائدها المفضل بن أبي البركات بتدبير وسيلة للقضاء عليهما، فكان مقتلهما في تلك الحرب تحقيقاً لرغبة السيدة الحرة ورجل دولتها الأول.

اختلف أبو السعود بن زريع وابن عمه أبو الغارات بن مسعود عمن سبقهما من أبناء أسرة المكرم الهمداني في موقفهما تجاه السيدة الحرة ودولتها، ذكر المؤرخون[4] أنهما أعلنا انفصال عدن وتوابعها عن الصليحيين بالامتناع عن دفع مدخول عدن السنوي إليها، وهو مبلغ مائة ألف دينار، مما أثار غضب السيدة الحرة ومعارضتها لهذه الخطوة، فأسرعت بإرسال جيش كبير إلى عدن بقيادة المفضل بن أبي البركات لكي تحافظ على سلطانها في عدن التي تعد جزءاً مهما من دولتها، وقد اصطدم جيش المفضل مع أبناء العم من أسرة المكرم أمراء عدن في عدة وقائع لم تكن حاسمة. انتهت بالتوصل إلى صلح بينهما باستمرار أميري عدن بإرسال الأموال السنوية بقدر النصف فقط من مدخول عدن، أي بدفع خمسين ألف دينار يقتسمانها بالتساوي بأن يدفع كل منهما خمسة وعشرين ألف دينار سنوياً[5].

---

[1] روضة الحجوري و٢٤٤ب، وقد ذكرنا تلك الحوادث.

[2] أشرنا إلى أن تلك المرحلة قد اتصفت بكونها غامضة.

[3] د. محمد أمين صالح. بنو معن ص٣٢٥-٣٢٦.

[4] عمارة. المفيد ص ١٧٤، ابن المجاور المستبصر ص١٢٢، الجندي، السلوك ج٣و ١٩٩أ، الخزرجي. طراز (غربية) و١٢٠ ب-١٢١أ، الأهدل. الجوهر الفريد ورقة ٢٦٨ ب، إدريس. نزهة الأفكار و٢٧ب، الديبع. قرة العيون ص٢٧٠، ٣٠٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٧/٢، معجم الحجري و٢٧٥، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص١٦٤، لقمان. تاريخ عدن ص٤٧.

[5] وفي رواية أن زريعا بن العباس وأبا الغارات بن مسعود تغلبا على عدن، فسار إليهما المفضل الحميري وجرت بينهما حروب انتهت بالمصالحة على نصف ارتفاع عدن. المفيد ص١٤٧، المستبصر ص١٢٢، العقيلي. المخلاف ج١ق١/١٥٥، وهذا وهم وخطأ، وقيل أن ذلك جرى للبهاء بن زريع بن العباس وأبي الغارات بن مسعود. تاريخ وصاب ص٦٤.

يعلل العقيلي[1] سبب استجابة السيدة الحرة وقائدها المفضل لمطالب أبناء العم أميري عدن أبي السعود وأبي الغارات، أن المفضل وجد من اتحادهم وتماسك إمارتهم ما جعله يقبل بالمصالحة كحل وسط وذلك بدفع نصف الخراج المقرر، وانهم قد رضوا بذلك كخطوة أولى للتخلص تدريجياً من الالتزام بدفع تلك الأموال.

نحن نؤيد ما ذهب إليه العقيلي إذ أن موقف السيدة الحرة وقائدها المفضل لم يكن بمحض إرادتهما، بل فرضه عليهما أميرا عدن فرضاً، بسبب اتحادهما ووقوفهما بصلابة وتماسك شديدين، ونعتقد بأنهما قد فرضا الخطوة الأولى من مطاليبهما على السيدة الحرة والمفضل، وتمثل الاستجابة لها نقطة ضعف على الدولة الصليحية في عهد السيدة الحرة وموقف قوة لأمراء عدن من أسرة المكرم الهمداني، وبرغم ذلك فإن عمل المفضل بن أبي البركات كان يعد عملاً جريئاً في نظر عمارة[2] والحمزي[3] اللذين اثنيا عليه حين ذكرا بأنه استرجع للسيدة الحرة نصف خراج عدن من آل زريع[4]، وقد استمر أبو السعود وأبو الغارات بدفع نصف مدخول عدن السنوي، إثر ذلك الاتفاق الذي كان يمثل حلا مرحليا، إذ كان حكام عدن يتطلعون إلى الاستقلال التام.

بعد وفاة المفضل بن أبي البركات الحميري قائد السيدة الحرة ورجل دولتها الأول سنة ٥٠٤هـ[5]/ ١١١٠م، توقف أبو السعود بن زريع وابن عمه أبو الغارات بن مسعود عن إرسال نصف مدخول عدن للسيدة الحرة، منتهزين هذه الفرصة للتعبير عن عدم ولائهما للسيدة الحرة وإعلانهما عن عدم الالتزام بالطاعة لها والخضوع لسلطة الدولة الصليحية[6]، وكان موقف السيدة الحرة تجهيز جيش لقتال أميري عدن وإجبارهما على طاعتها ودفع الأموال السنوية، وقد تولى قيادة ذلك الجيش أسعد بن أبي الفتوح[7] ابن

---

[1] المخلاف ج١ ق١/١٥٥.

[2] المفيد ص١٥٦.

[3] كنز الأخيار و ١٨٥ب.

[4] التسمية كما أوردها عمارة والحمزي.

[5] قيل أن المفضل توفي مسموماً في رمضان سنة ٥٠٤هـ، عمارة. المفيد ص١٥٨، الخزرجي. العقد الفاخر و١٦٤أ، إدريس. نزهة الافكار و١٢٨أ، الكبسي. اللطائف السنية و١٢٤أ، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٤، العقيلي. المخلاف ٢/٤٥، وقيل ان المفضل انتحر غما وكمداً في تلك السنة د. محمد أمين صالح .بنو معن ص٣٢٦.

[6] ذكر د. صالح ان أبا السعود وأبا الغارات انتهزا فرصة ثورة الفقهاء في التعكر وانتحار المفضل عام ٥٠٤هـ. فعمدا إلى قطع نصف خراج عدن عن السيدة الحرة. بنو معن ص٣٢٦.

[7] اسعد ابن أبي الفتوح بن العلاء بن الوليد الحميري، كان في خدمة السيدة الحرة إلى أن قتل سنة٥١٤هـ، إذ غدر به رجلان من أصحابه فقتلاه بين الناس في حصن تعز. الجندي. السلوك ج٣و١٠١ب، الديبع. قرة العيون ص٢٧٤. أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/١٧.

عم المفضل، وبعد وقائع عديدة تم التوصل إلى صلح بين الجانبين على إرسال ربع مدخول عدن، أي مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار سنوياً[1].

يتضح لنا مما سبق أن أميري عدن من بني المكرم كانا ينتهزان كل فرصة للتعبير عن عدم ولائهما للسيدة الحرة والإعلان عن خلع طاعتها، والاستقلال عن تبعية الدولة الصليحية، وقد خطوا خطوتين ناجحتين استطاعا في الأولى تخفيض الأموال التي يدفعانها للسيدة الحرة إلى النصف، وفي الثانية إلى الربع، وقد نجحا في ذلك بفضل اتحادهما وقوة إرادتهما واتفاقهما على تحقيق استقلالهما التام عن الدولة الصليحية، ولا شك أن نجاحهما في خطوتيهما السابقتين يعكس لنا مظهراً من مظاهر انحلال وضعف الدولة الصليحية في عهد السيدة الحرة.

يبدو أن السيدة الحرة أدركت بأن موت رجالها كان عاملاً مهماً من عوامل ضعف دولتها، واشتداد محاولات انفصال أجزاء منها، كما حصل من قبل أمراء عدن، لذا اتجهت إلى تقوية علاقاتها مع الدولة الفاطمية في مصر، وقد شهدت تلك العلاقات تطوراً جديداً في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله[2]، الذي أرسل من مصر في سنة ٥١٣هـ[3]/١١١٩م داعياً مصرياً هو أبو الحسن علي بن إبراهيم المعروف بابن نجيب الدولة[4] الملقب بالموفق، ليقوم بالدعوة للخليفة الفاطمي في اليمن، وليشرف على شؤون السيدة الحرة الصليحية[5]، وقدم معه عشرون فارساً، فتركته السيدة على بابها

---

[1] عمارة، المفيد ص١٧٤، ابن المجاور. المستبصر ص١٢٢، الجندي. السلوك ج٣ و١٩٩أ، الخزرجي. طراز (غربية) و١٢١أ، كفاية و٤٣أ، الديبع. قرة العيون ص٣٠٥، أبومخرمة. ثغر عدن ١٧/٢، ٨٧، معجم الحجري و٢٧٥، لقمان. تاريخ عدن ص٤٧.

وفي رواية أن أبا السعود بن زريع ومحمد بن أبي الغارات وليا عدن وتغلبا على ربع الارتفاع للسيدة. الوصابي. تاريخ وصاب ص٦٤، وقيل أن منصور بن أبي البركات اخا المفضل هو الذي صالح أبي السعود وأبي الغارات على ربع مدخول عدن. العرشي. بلوغ المرام ص٢٧-٨، العقيلي. المخلاف ج١ق١/١٥٥.

[2] هو الخليفة أبو علي المنصور بن المستعلي ابو القاسم أحمد، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٤٩٥هـ، واغتيل في ٢ ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ. د.حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٦.

[3] قيل كان قدومه من مصر إلى اليمن سنة ٥١٠هـ، الخزرجي. كفاية و٣٥أ، الديبع. قرة ص٢٧٤، يحيى. انباء الزمن و٤٦، غاية الأماني ص٢٨٥.

[4] كان رجلاً شهماً نبيهاً عاقلاً حسن التدبير كثير المحفوظات مستبصراً في مذهب الشيعة، وكان في ابتداء أمره على خزانة الكتب الافضلية، ومن نعوته: الأمير المنتخب عز الخلافة الفاطمية، فخر الدولة، الموفق في الدين، داعي أمير المؤمنين، وقد بقي في اليمن منذ سنة ٥١٣هـ، حتى أرسل الخليفة الآمر من قبض عليه بعد سنة ٥٢٠هـ، للإطلاع على ترجمته انظر: عمارة. المفيد ص١٦٢-١٧١، الحمزي، كنز الأخيار و١٨٥ب، أبو الفداء. المختصر ٨٩/٤، الخزرجي، العقد الفاخر و٤١أ- ب، كفاية و١٣٥أ - ب، الديبع. قرة ص ٢٧٤، أبو مخرمة. ثغر عدن ١٣٢/٢، الشيال العلاقات ص ٥٥٨.

[5] الشيال. العلاقات ص٥٥٨، الشامي. أروى ص١٢٤.

حافظاً لها في مدينة جبلة، وغزا أهل الأطراف، واستخدم أربعمائة فارس من فرسان همدان وغيرهم، فاشتد بهم جانبه، وقويت شوكته، وأمنت البلاد، ورخصت الأسعار[1].

ذكر الشيال[2] أن المراجع لا تبين الغرض الذي أرسل من أجله ابن نجيب الدولة، ويوضح بأنه جاء لتوطيد الأمن، والقضاء على المشاكل التي تعرضت لها السيدة الحرة، لذلك أرسله الخليفة الآمر لنجدتها، ونحن نؤيد ما ذهب إليه الأستاذ الشيال، فقد غزا ابن نجيب الدولة الأطراف[3] واستعان بفرسان من قبيلة همدان لمساندته ومشاركته في حرب الخارجين على طاعة السيدة الحرة، وكان أمان البلاد ورخص الأسعار خير دليل على ما ذكرناه.

لكن قدوم ابن نحيب الدولة لنجدة السيدة الحرة لم يضع نهاية لتفاقم الأمور، وكانت نهايته هو الآخر محزنة بعد خلافه معها، وفشل مهمته[4].

استقلال بني المكرم التام في عدن:

لقد ذكرنا بأن أميري عدن أبا السعود بن زريع وأبا الغارات ابن مسعود قاما بمحاولتين للاستقلال عن تبعية الدولة الصليحية في عهد السيدة الحرة، وانتهت المحاولة الثانية بالتوصل إلى صلح، على أن يدفعا ربع الأموال السنوية مقابل توليهما إدارة عدن، أي دفع مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار سنوياً.

استمر أميرا عدن في دفع ربع مدخول عدن إلى السيدة الحرة حتى مقتل قائدها أسعد بن أبي الفتوح سنة ٥١٤هـ[5]/١١٢٠م، وكانت تلك الحادثة مجالاً رحباً لهما بإعلان الاستقلال، وفعلاً أعلنا امتناعهما عن دفع ربع مدخول عدن والاستحواذ عليه[6]، ونتيجة لذلك لم يبقَ للسيدة الحرة شيىء في عدن؛ لموت رجالها في الحروب ضد بني نجاح أمراء زبيد، وعدم قدرة ابن نجيب الدولة على استرجاع نفوذها هناك[7].

---

[1] الجندي. السلوك ج٣ و٩٩ب، ١٠١ب – ١٠٢أ، الوصابي. تاريخ وصاب ص٤٥، الخزرجي. العقد الفاخر و٢٢٩ب، الاهدل. الجوهر الفريد و٢٧٠أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ١٣٢/٢، الشيال. العلاقات ص٥٥٨.

[2] العلاقات بين مصر واليمن ص٥٥٨.

[3] ذكر العقيلي أن الملكة الحرة طلبت من خليفة مصر أن يبعث لها مستشاراً يساعدها، فبعث إليها ابن نجيب الدولة. وكان قدومه قبل وفاة الوزير اسعد بن أبي الفتوح، وأنه جاء لمساعدة الملكة ضد بني نجاح في زبيد الذين ازداد نفوذهم وسطوتهم. المخلاف ٤٥/٢.

[4] سنوضح ذلك تفصيلاً في الصفحات التالية.

[5] أشرنا لمقتله في تلك السنة قبل صفحات.

[6] ذكر الأهدل تغلب بني زريع على التعكر وعلى ما صلحوا عليه. الجوهر الفريد و٢٦٩أ، وقيل أن ذلك كان بعد ثورة التعكر. ويحدد د. محمد أمين صالح توقف أميري عدن عن الالتزام بدفع ربع خراج عدن عند تغلب بني الزر من خولان على التعكر عام ٥١٩هـ. د. صالح. بنو معن ص٣٢٦، انظر عن ثورة فقهاء التعكر. الشامي. أروى ص١٢٤.

[7] عمارة. المفيد ص١٧٤–٥، ابن المجاور. المستبصر ص١٢٢. الجندي. السلوك ج٣و ٩٩أ، الخزرجي. طراز (غربية) و ١٢١أ، كفاية و٤٣أ، الأهدل.الجوهر الفريد و ٢٦٩أ، الديبع. قرة العيون ص٣٠٥، لقمان. تاريخ عدن ص٤٧.

ونضيف لهذين السببين سبباً ثالثاً كان له دور فعال في إعلان بني المكرم أمراء عدن استقلالهم التام في عدن، وهو قوة العلاقة والمؤازرة والموالاة بين أبي السعود وأبي الغارات التي استمرت حتى موتهما[1].

لا تحدد المصادر السنة التي أعلن فيها بنو المكرم استقلالهم التام في عدن والخروج على طاعة الدولة الصليحية في عهد السيدة الحرة، إلا أننا نميل بأن ذلك قد تم بعد مقتل أسعد بن أبي الفتوح قائد السيدة الحرة سنة ٥١٤هـ، ولعل استقلالهم قد تم في تلك السنة، أو التي اعقبتها (٥١٥هـ/١١٢١م)، في الأعم الأغلب.

كانت العلاقة قوية وحميمة بين أميري عدن من بني المكرم أبي السعود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود، ولعل ذلك يرجع إلى أنهما بدءا سوية في محاولة الاستقلال عن تبعية الدولة الصليحية والخروج على طاعة السيدة الحرة، فكانا مرتبطين بمصير واحد، لذلك فإن مخاوفهما من التعرض للمشكلات والأخطار الخارجية قد لعبت دوراً مؤثراً في تقاربهما وقوة العلاقة بينهما ومتانتها.

استمرت الموالاة بين أبناء العم حتى وفاة أبي السعود بن زريع[2]، وذلك سنة ٥١١هـ[3]/١١١٧م، وقيل في سنة ٥١٤هـ[4]/ ١٢٢٠م، ونحن نرجح وفاته في السنة الأخيرة، وذلك لأنه أعلن – مع ابن عمه أبي الغارات – استقلال عدن عن الدولة الصليحية بعد مقتل أسعد بن أبي الفتوح في تلك السنة[5].

لا تذكر المصادر أخباراً عن أبي السعود بن زريع بعد استقلاله في عدن، ولعل ذلك يعود إلى قصر المدة التي قضاها بعد استقلاله، فتوفي بعد فترة قصيرة من الاستقلال، وفي نفس السنة التي استقل فيها (٥١٤هـ).

ونميل إلى أن أبا السعود كان مقيماً في حصن الدملوة، وهو تحت سيطرته، إذ أنه ورث ممتلكات أبيه، ومنها ذلك الحصن الذي استولى عليه منذ سنة ٤٨٠هـ، وكان أبو السعود بن زريع شخصية مرموقة، فقد مدحه الشاعر محمد بن زياد المأربي[6]، مشيراً إلى حصن الدملوة وإقامته فيه، إذ يقول:

---

[1] أبوالفدا. المختصر ٨٩/٤، ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن ص٦٠، إدريس نزهة الأفكار و٣٢ب، يحيى. غاية الأماني ص٢٨٤، العرشي. بلوغ المرام ص٢٨.

[2] الخزرجي. طراز (غربية) و١٢١أ، كفاية و٤٣أ، الديبع، قرة العيون ص٣٠٥، أبومخرمة. ثغر عدن ٨٧/٢، يحيى. إنباء الزمن و٤٦، معجم الحجري و٢٧٥.

[3] روضة الحجوري، و٢٤٤ب، د.صالح. بنو معن ص٣٢٦، وفي خبر أنه توفي سنة ٤٨٥هـ. الشامي. إمارة ص١٠٠، وهذا وهم وخطأ.

[4] يحيى. إنباء الزمن و٤٦، الشامي. أروى ص ١٢١، وقد خلطت بينه وبين أسعد ين أبي الفتوح الحميري الذي قتل في تلك السنة.

[5] ذكرنا مقتله عند ترجمته، وتحدثنا عن استقلال أمراء عدن في الصفحات السابقة.

[6] أبوعبدالله محمد بن زياد المأربي نسبة إلى مأرب مدينة السد، كان شاعرا فصيحا محسنا مداحا للملوك وفادا عليهم، مدح المفضل بن أبي البركات فوصله بألف دينار، وكان أول من نوه باسمه الشريف الأمير عيسى بن حمزة السليماني الحسني صاحب عثر فوصله بصلات جزيلة، ولا تذكر مصادر ترجمته سنة ولادته ولا سنة وفاته. انظر: عمارة. المفيد ص ٢٦٨-٢٧١، الخزرجي، العقد الفاخر و١١٨ب-١١٩أ، ويرد لقبه: المازني. الحموي. معجم البلدان ٤٧١/٢، ابن المجاور. المستبصر ص١٥٣، معجم الحجري و١١٣، وهذا تصحيف وخطأ، وقد ترجم له الوصابي وخلط بينه وبين ولده علي. تاريخ وصاب ص٦٨.

يا ناظري قل لـــي تـراه كمـا هـوه　　إنـــي لأ حسـبه تقمـــص لؤلـــؤه
مــا أن نظــرت بزاخــر فـــي شــامخ　　حتى رأيتــك جالســاً فـــي الدملــوة[1]

ومهما يكن من أمر السنة التي توفي فيها أبو السعود بن زريع، فإنه يعد من أمـــراء عدن المعدودين الذين خطوا خطىً متوالية في إعلان الاستقلال عن الدولة الصليحية فـي عدن وتوابعها مع ابن عمه أبي الغارات ابن مسعود، وحققا خلال مدة تتجاوز العشـرين عاماً ذلك الهدف الكبير؛ لهذا نعتبره – مع ابن عمه أبي الغارات– من مؤسسي إمــارة بني المكرم المستقلة في عدن وتوابعها، وهكذا حققت عدن نوعاً من الاســتقلال الإداري والمالي عن الدولة الصليحية.

ولاية سبأ بن أبي السعود ومحمد بن أبي الغارات:

بعد وفاة أبي السعود بن زريع، تولى جهته في عدن ولده سبأ، ثم توفي أبو الغارات بن مسعود، فتولى جهته في عدن ولده محمد بن أبي الغارات[2] بن مسعود[3].

لا تحدد المصادر السنة التي توفي فيها أبو الغارات بن مسعود، سوى رواية واحدة[4] انفردت بذكر وفاته سنة ٥١٠هـ/١١١٦م، ونعتقد أن ذلك التحديد غير مقبـــول، إذ أن المصادر أكدت استمرار العلاقات الوثيقة بينه وبين ابن عمه أبي السعود بـــن زريـــع، واستمرت تلك العلاقة حتى وفاة الأخير سنة ٥١٤هـ، لذا فإن ذلك التحديد هو من قبيـل التقدير والتخمين، ولعله تصحيف لتاريخ لاحق، ونعتقد أن وفاة أبي الغارات كانت بعـــد سنة ٥١٤هـ في الأعم الأغلب.

وتذهب إحدى الروايات[5] بأن سبأ بن أبي السعود ومحمد بن أبي الغارات تغلبا علـــى جميع عدن سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م، ونعتقد بأن تحديد هذا التاريخ غير مقبول في ضـوء تسلسل الحوادث التاريخية لإمارة بني المكرم في عدن، وهذا تصحيف ولعل الأقرب إلـــى الصواب أنهما تغلبا سوية على عدن سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م.

وبرغم إجماع المؤرخين على تولي محمد بن أبي الغارات جهة أبيه في عدن مع ابن عمه سبأ بن أبي السعود[6]، إلا أن هناك من ذكر تولي علي بن أبي الغارات بعـــد وفـــاة أبيه[7]، ونعتقد أن هذا وهم والصواب أن علياً تولى بعد وفاة أخيه محمد بن أبي الغارات.

---

[1] انظر عن ذلك الشعر: عمارة. المفيد ص٢٧٠، الحموي. معجم البلدان ٤٧١/٢، ابن المجاور. المسـتبصر ص١٥٣، الخزرجي. العقد الفاخر و١١٩أ، معجم الحجري و١١٣.

[2] يسميه ابن المجاور : محمد (بن أبي بكر) بن أبي الغارات، المستبصر ص١٢٢.

[3] عمارة. المفيد ص١٧٥، ابن المجاور. المستبصر ص١٢٢، الجلدي. السـلوك ج٣و١٠٣ب، أبوالفـدا. المختصـر ٨٩/٤، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص٦٠-١، الخزرجي، طراز (غربية) و١٢١أ، إدريس. نزهة الأفكار و٣٢ب، الديبـع. قرة العيون ص٣٠٥-٦، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٧/٢، لقمان. تاريخ عدن ص٤٧.

[4] روضة الحجوري و٢٤٤ب.

[5] الوصابي. تاريخ وصاب ص٦٤.

[6] ذكرنا مصادر ذلك آنفا.

[7] الجرافي. المقتطف ص٧٠، الشماحي. اليمن ص١١٦.

كانت علاقة أميري عدن سبأ بن أبي السعود ومحمد بن أبي الغارات تجـاه السـيدة الحرة متغيرة وغير مستقرة، و ذلك في اثر استقلال بني المكرم في عدن، وقد ذكرنا أن السيدة الحرة قد استعانت بالخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله لنجدتها ومساعدتها في قمع الفتن والمشاكل التي تعرضت لها، فأرسل إليها من مصر رسولاً هو ابن نجيب الدولـة سنة ٥١٣هـ، فغزا أهل الأطراف، وقضى على محاولاتـهم للانفصـال عـن الدولـة الصليحية، وحقق نشر الأمن والعدل.

بعد سنتين من وصول ابن نجيب الدولة إلى اليمن، أي في سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م، مات الأفضل ابن أمير الجيوش وزير الخليفة الآمر، فتولى الأمر بعـده ابنـه المـأمون البطائحي، وكتب إلى ابن نجيب الدولة يجدد تفويضه ويبسط يده ولسانه في اليمن، وشد أزره إذ أعانه ببعثة عسكرية مؤلفة من أربعمائة فارس ارمني وسبعمائة أسود[١]. فقـوي بهم جانبه، واستطاع طرد خولان من ذي جبلة، بعد أن بسطوا أيديـهم علـى الرعايـا والبلاد، وأوقع بمن لقيه منهم العقاب الشديد، وتمكن من إخضاعـهم لطاعـة السـيدة الحرة، فلما رأت ذلك منه أمرته أن يسكن الجند، لوطأتها وتوسطها بين الأعمال، وقـد أغاض عملها ذلك السلاطين المحليين، ومنهم سبأ بن أبي السعود، ومفضل بن زريـع، ومنصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري وسليمان وعمران ابنا الزر الخولانيين[٢]، ونستنتج مما سبق بأن موقف السيدة الحرة من سبأ بن أبي السعود كان موقفـاً يتسـم بالعداء، وقد تمثل ذلك العداء بموقف ابن نجيب الدولة ضد الأمراء المحليـين والعمـل على إخضاعهم والقضاء على محاولات استقلالهم، مما أثار غضبهم وحقدهم عليه.

في سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م، غزا ابن نجيب الدولة زبيـد، فـي محاولـة لفتحـها واغتصابها من المنصور بن فاتك النجاحي، وقد لقي مقاومة شديدة مـن قبـل وزيـر النجاحيين مَنّ الله الفاتكي، فهزم ابن نجيب الدولة شر هزيمة على أبواب زبيـد، وفـي رواية[٣] أن حصانه شب به واسقطه، فقاتل عنه فرسانه وأنقذه أحدهم، وأشيع خبر مقتله بعد هرب فرسه إلى الجند، لكن ابن نجيب الدولة وصل إلى الجند بعد أربعة أيـام مـن المعركة[٤].

وفي رواية[٥] أن ابن نجيب الدولة غزا آل زريع، فطعنه المفضل بن زريـع[٦]، وقيـل طعنه أحد عبيدهم[٧] واسمه مسافر وقد قتل هذا من قبل أحد قادة ابن نجيب الدولة وهـو

---

[١] ذكر الخزرجي أنهم ستمائة أسود. كفاية و٣٥أ، ولعلهم من بلاد النوبة في مصر.

[٢] عمارة. المفيد ص١٦٤، الجندي. السلوك ج٣و١٠٢أ، الخزرجي. العقد الفاخر و ٤أ، كفايـة و ٣٥أ -ب، إدريس. نزهة الافكار و٢٨ب، الديبع. قرة العيون ص٢٧٥، الشيال. العلاقات ص٥٥٩.

[٣] الخزرجي. كفاية و٣٥ب.

[٤] عمارة. المفيد ص١٦٤-٥، الحمزي، كنز الأخيار و١٨٥ب، الديبع. قرة العيون ص٢٧٥، أبو مخرمـة. ثغر عدن ١٣٣/٢، العقيلي. المخلاف ٤٥/٢، الشيال. العلاقات ص٥٥٩.

[٥] عمارة. المفيد ص١٦٦.

[٦] لم نجد ترجمة له، ولعله أحد أبناء زريع بن العباس.

[٧] ذكر عمارة أنه من عبيد مسعود بن زريع.

همداني فتمكن من تخليصه من موت محتم، وفي هذه المناسبة يقول مفضل بن زريع في ابن نجيب الدولة:

مضى هارباً ناسياً جوشنه مخافة يوم أن تطعنه
وليس من الموت ينجي الفرار كذاك ترى الأنفس الموقنة

نستنتج مما سبق أن أمراء عدن كانوا ضد ابن نجيب الدولة مستشار السيدة الحرة ورجل دولتها، فقد اشتبك معهم في صراع مرير من أجل تحديد نفوذهم ومساندة السيدة الحرة وحماية ممتلكاتها وحكمها، ويعلق د. صالح[1] على موقف المفضل ومسعود ابني زريع في التصدي لمحاولات ابن نجيب الدولة استعادة نفوذ السيدة الحرة وحقها المفقود وهزماه عند الجوّة[2] عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م، ووصفه بأنه يمثل ازدياد ونفوذ بيت زريع في أنحاء اليمن.

لم تستمر علاقة إبن نجيب الدولة مع السيدة الحرة على حالها من التعاون والمؤازرة، ففي سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، ساءت سيرته معها واستخف بها وانقصها في رأيها، ووصفها بالخَرَفْ والسَفَه، وأظهر الخلاف لها، ولما كان أمراء اليمن المحليون يكرهون ابن نجيب الدولة، لمنافسته لهم وتقربه من السيدة الحرة وازدياد نفوذه وعلو شأنه، فقد رأت السيدة أن خير وسيلة للقضاء عليه، هي استمالة هؤلاء السلاطين لحربه، ومنهم سليمان وعمران أبناء الزر أصحاب خدد، وسبأ بن أبي سعود وأبو الغارات[3] ومنصور بن المفضل، فاستأذنوها في حصاره بمدينة الجند، فأذنت لهم، وكانت الجند مُسَورة. ومعه أربعمائة فارس منتقى من همدان، فالتقى بجيش السلاطين المكون من حوالي ألفي فارس وثلاثين ألف راجل[4]، وأحاطوا به حتى اشتد عليه التعب، ولم يقوَ على مواصلة القتال، فدبرت السيدة الحرة حيلة لسحب الجيوش عن حصاره، إذ بعثت إلى رؤساء القبائل بعشرة آلاف دينار، وطلبت من الرسل أن يشيعوا في الناس أن هذا المال من ابن نجيب الدولة، وعلى أثر ذلك طلبت العساكر من سلاطينها أن ينفقوا عليهم وإلا ارتحلوا، فلم يعطوهم شيئاً، عند ذلك ارتحلوا وتفرق الناس، وأخبر ابن نجيب الدولة أن ذلك من تدبير السيدة التي قلتَ عنها إنها خرفة، فاتجه إليها في ذي جبلة، واعتذر عما فعله معها[5]، ويحدد الخزرجي[6] ذلك في المحرم من سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م.

---

[1] د. محمد أمين صالح، بنو معن ص ٣٢٧.
[2] الجوّة من بلاد الصلو في مخلاف الحجرية. الحداد. تاريخ اليمن ص٢٣٠.
[3] عمارة. المفيد ص ١٦٦، الخزرجي. كفاية و ٣٥ ب، ولعل المقصود محمد بن أبي غارات.
[4] قيل كانوا في نحو ثلاثة آلاف فارس وثلاثين ألف راجل. الخزرجي، كفاية و ٣٥ ب، الديبع. قرة العيون ص ٢٧٦، وذكر الجندي أن الجيش يزيد على عشرين ألف ما بين فارس وراجل. السلوك ج ٣ و ١٠٢ أ.
[5] عمارة. المفيد ص ١٦٦ -٧، الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٦ أ، الجندي. السلوك ج٣ و١٠٢أ، الخزرجي. كفاية و ٣٥ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠أ، إدريس. نزهة الأفكار و ٢٩ أ - ب، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢١٣ - ٤، العقيلي. المخلاف ٢/ ٤٥.
[6] كفاية و٣٥ب، وذكر الديبع ذلك سنة ٥٢٠هـ. قرة العيون ص٢٧٦.

نستدل مما سبق أن أمراء عدن وقفوا مع السيدة الحرة ضد قائدها ومستشارها ابن نجيب الدولة، خوفا من منافسة لهم، أو تدخله في شؤونهم الداخلية، لذا فإنهم لبوا نداء السيدة الحرة حين طلبت منهم مناصرتها في حربه، بعد أن سخر منها ووصفها بالخرف والسفه، وقد أثار وجود ابن نجيب الدولة المصري إلى جانب السيدة الحرة، العصبية القبلية بشكل واضح، ذكر د. صالح[1] أن اشتراك سبأ بن أبي السعود بن زريع بجانب ابن عمه أبي الغارات بن مسعود، مع بني الزر من خولان والمنصور بن المفضل بن أبي البركات، يوضح تحالف همدان وخولان وحمير في حصار ابن نجيب الدولة بالجند، وتقليص نفوذه ثم التخلص منه.

على أن ابن نجيب الدولة لم يبق طويلا في اليمن، فقد اتخذ الخليفة الفاطمي الآمر إجراءات سريعة للقبض عليه، إذ أرسل الموفق ابن الخياط لتلك المهمة، ومعه مائة فارس، وقد سلمته السيدة الحرة بعد امتناع وأخذ العهود والمواثيق بسلامته، وسيرت للخليفة الفاطمي رسولا منها، هو كاتبها محمد بن الازدي، وبعد مغادرة ابن نجيب الدولة مدينة ذي جبلة مع ابن الخياط، قيد بالأغلال وشتم وأهين وبات ليلة مغادرته عريانا، واتجه من عدن إلى مصر ودبرت مؤامرة انتهت بإغراق ابن الأزدي كاتب السيدة الحرة الذي سفر بعد إبن نجيب الدولة، ولا توضح المصادر نهاية ابن نجيب الدولة الذي غادر اليمن، أواخر سنة ٥٢٠هـ أو بعدها[2].

كانت العلاقة بين أميري عدن من بني المكرم سبابن أبي السعود ومحمد بن أبي الغارات قائمة على اقتسامهما حكم عدن، وكل منهما تولى جهة أبيه بعد وفاته، ولم تكن تلك العلاقة قائمة بصورة دائمة على التآلف والتآزر، بل إنها تتصف أحيانا بالاختلاف، ويوضح إبن المجاور[3] طبيعة تلك العلاقة حين يشير بأن احدهما كان يجبي ما يصل من الأموال عن طريق البر، والآخر ما يصل عن طريق البحر، وكانت عدن مقسمة بينهما، وكل واحد منهما يأخذ حقه من الرسوم والأموال التي يحصل عليها، ويوضح أيضا أن المشاكل تحدث بينهما لعدة أسباب، إذ يقول: "وكان يجري بين القوم فتنة عظيمة لأجل الماء والحطب و قتال شديد في الدخل والخرج"، ويتضح لنا أن أسباب المشاكل بينهما ترجع إلى اختلاف مناطق نفوذ كل واحد منهما ومقدار وارداته، ولاشك أن طبيعة كل منطقة تختلف عن الأخرى، وبالتالي ينسحب تأثير ذلك على مواردها، والاختلاف واضح بين منطقتي البر والبحر في عدن. لذلك كان الصراع بين أبناء الأسرة الواحدة يحدث بين حين وآخر، ولم يتخذ صورة الصراع المسلح والمباشر لحد الآن.

---

[1] د. محمد أمين صالح. بنو معن ص ٣٢٧.

[2] عن ابن نجيب الدولة ونهايته، أنظر: عمارة. المفيد ص ١٦٧ – ١٧١، الجندي. السلوك ج ٣ و ٩٩ ب، ١٠٢ ب، أبو الفدا. المختصر ٤/ ٨٩، ابن عبد المجيد، بهجة الزمن ص ٥٩ – ٦٠، الخزرجي. العقد الفاخر و ٤١أ – ب، الأهدل، الجوهر الفريد و ٢٧٠أ، إدريس. نزهة الأفكار و ٣٠ أ، الديبع. قرة العيون ص ٢٧٦ – ٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٧١، ١٣٣ – ٤.

[3] المستبصر ص ١٢٤ – ٥.

توقف الصراع الداخلي بين أميري عدن - بعض الوقت - بوفاة محمد بن أبي الغارات سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م التي انفرد بتحديدها الحجوري[1]، لكن ذلك الصراع تفجر بشكل عنيف، وانتهى بتغلب أبناء زريع وانفرادهم في الحكم.

ولاية سبأ بن أبي السعود وعلي بن أبي الغارات:

بعد وفاة محمد بن أبي الغارات بن مسعود، تولى جهته في عدن أخوه علي بن أبي الغارات على حصن الخضراء والبحر والمراكب وإدارة المدينة، وكان لسبأ في عدن حصن التعكر وباب البر وما يدخل منه، وفي خارجها - من البر - حصن الدملوة[2].

لقد شعر زريع بن العباس بضعف نفوذه، وصغر حجم المنطقة الخاضعة لسيطرته وقلة مواردها، إذ كانت في غالبيتها مناطق برية، في حين كانت حصة الفرع الآخر من أسرة بني المكرم (آل المسعود) المنطقة البحرية المهمة في عدن متمثلة في حصن الخضراء الذي كان يشرف على المراكب الداخلة إلى الميناء، وما تدره من أموال طائلة، إضافة إلى الإشراف على حكم المدينة وإدارتها.

وكان ذلك التقسيم يحمل معه عدم المساواة والغبن. مما حدا بزريع أن يستولي على أجزاء واسعة من الأراضي خارج عدن في بلاد الصلو (الحجرية) ومنها حصن الدملوة سنة ٤٨٠ هـ، ووصف زريع - إزاء موقفه ذلك - بأنه كان رجلا طموحا، ميالا للمخالفة، يمتاز بالجرأة والشجاعة والإقدام، وللدلالة على قوة شخصيته، فقد نسبت إليه إمارة في عدن عرفت بـ: إمارة بني زريع[3].

إن إدراك الغبن في التقسيم بين أبناء أسرة بني المكرم منذ عهد السلطان زريع بن العباس، كان نقطة الانطلاق في تفجر الصراع الداخلي بين أبناء تلك الأسرة، ووصولها إلى الحد الذي لا يحتمل، وما ذكره إبن المجاور[4] من ذلك الشعور في عهد سبأ بن أبي السعود ومحمد بن أبي الغارات خير دليل على قيام كل منهما بالتوسع وتثبيت نفوذه على حساب الآخر، فاصطدمت مصالحهما الاقتصادية بشكل خاص، لذلك كانت تلك المشاكل تقوم بسبب الماء والحطب والمدخول والمصروف من الأموال واستمر ذلك الصراع بعد وفاة محمد بن أبي الغارات وتولي أخيه علي.

كان سبأ بن أبي السعود من أمراء عدن الأقوياء، إذ استطاع أن يضيف إلى إرثه السابق (باب عدن والتعكر والدملوة) حصونا أخرى مثل: سامع[5] ومطران ويمين[6]

---

[1] روضة الحجوري و ٢٤٤ ب.

[2] انظر نفس المصادر التي ذكرت تولي محمد بن أبي الغارات وابن عمه سبأ بن أبي السعود.

[3] ذكرنا ذلك في الصفحات السابقة.

[4] المستبصر ص ١٢٤ - ٥، وقد ذكرناه آنفا.

[5] هو جبل بناحية الدملوة. الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢٢ ب.

[6] حصن في جبل صبر من أعمال تعز استحدثه علي بن زريع. الحموي. معجم البلدان ٥/ ٤٤٩.

وذُبحان[1] والرمّا[2] إضافة إلى أعمال واسعة في بعض المعافر[3] والجَنَد[4]، وكانت أعمالــــه في الجبال واسعة كثيرة[5].

لا تحدد لنا المصادر السنة ولا المدة التي تمكن فيها سبأ بن أبي السعود من ضم تلك الحصون، لكن توسعه هذا يدل على قوة شخصيته وكفاءته، وأن ذلك التوسع كان علـــى حساب ممتلكات الدولة الصليحية، ولعل ضمها تم في السنوات الأولى من حكمـــه حيـــن كان يحكم عدن معه ابن عمه محمد بن أبي الغارات، وكان ذلك التوســـع نقطـــة فـــي الخلاف بين أبناء أسرة المكرم أمراء عدن، ولاشك أن سبأ اعتمد في تحقيق توسعه ذلك على رجال وقادة أكفاء ذوي جرأة وقدرة فائقة، وأنه كان يطمـــح إلـــى تكويـــن إمـــارة مستقلة له.

أما البيت الثاني، بيت أبي الغارات، فلم يحصل على شيىء أو يتوسع على حســـــاب أراضي وحصون معينة، بل تمسك بما كان له من أمـــــر الســـاحل والمدينـــة وحصـــن الخضراء في عهدي محمد وعلي إبني أبي الغارات بن مسعود بن المكرم[6].

نعتقد أن علياً بن أبي الغارات وأخاه محمداً – من قبله – قد شعرا بأنهما يتمتعـــــان بممتلكات ذات أهمية اقتصادية واستراتيجية كبيرة ولم يكونا بحاجة إلى إضافـــــة أراضٍ لممتلكاتهما، ولعل ذلك يرجع – من ناحية أخرى – إلى عدم قدرتهما على التوســـع أو عدم رغبتهما في ذلك، إلا أن ازدياد توسع سبأ بن أبي السعود قد أثار مخـــاوف وقلـــق ابن عمه وشريكه في حكم عدن علي بن أبي الغارات، ذكر لقمان[7] أن الأخـــير شـــعر بالغبن من ذلك التقسيم الذي أعطى لسبأ نصيباً أوفر في الحكم والمســـاحة والمدخـــول وكان ذلك الشعور بداية الانشقاق في العائلة الواحدة[8].

---

[1] بلد باليمن على مرحلتين "٣٦ ميل" من عدن أبين. الصغاني. التكملة ٢/ ٢٥، وذكر أبو مخرمة أنها جهـــة المعافر في حكم الدملوة، تجلب منها الأطعمة والسمن والعسل والحلبة إلى عدن. النسبة و ١٤٧.

[2] أضافها لممتلكات سبأ: عمارة. المفيد ص ١٧٧، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٣ ب.

[3] ناحية باليمن قرب تعز تشتمل على قرى كثيرة منها الدملوة وغيرها، والنســـبة إليـــها: المعـــافري. أبـــو مخرمة. النسبة و ٢٦٨.

[4] ذكر لقمان أن سبأ كان يحكم حصن التعكر وباب عدن والدملوة وسامع ومطران وبيحان و أجـــزاء مـــن المعافر والجند وبعض الجبال في تلك النواحي. معارك حاسمة ص ٧٨.

[5] أنظر عن أعمال علي بن أبي الغارات وسبأ بن أبي السعود: عمارة. المفيد ص ١٧٧، الجندي. السـلوك ج ٣ و ١٠٣ ب، الخزرجي. طراز (غربية) و ١٢١أ، كفاية و ٤٢أ، الأهـــدل. الجوهـــر الفريـــد و ٢٧٠ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٠٦، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/٨٧، العبدلي. هدية الزمن ص ٥٥، لقمان، تـــاريخ عدن ص ٤٧.

[6] د. محمد أمين صالح. بنو معين ص ٣٢٧.

[7] تاريخ عدن ص ٤٧، معارك حاسمة ص ٧٨، انظر أيضا، الشامي، إمارة آل زريع ص ١٠١.

[8] أشار ابن المجاور إلى ذلك الاختلاف بين سبأ ومحمد بن أبي الغارات بسبب المـــاء والحطـــب والدخـــل والخرج، وكان ذلك يرجع إلى طبيعة عدن كمنطقة تجارية مهمة. المستبصر ص ١٢٤.

ارتفع شأن الأمير سبأ بن أبي السعود نتيجة انقسام الإمامة أو الخلافة الفاطمية بعد اغتيال الخليفة الآمر بأحكام الله في شهر ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ[١]/ ١١٣٠م، فقد تمسكت السيدة الحرة بالدعوة للإمام الطيب بن الآمر. محولة أمر الدعوة من الخليفة الحافظ إلى سبأ بن أبي السعود[٢]، فصار يلقب بالداعي[٣]، وكان أول أمراء عدن من بني المكرم الذي يحمل ذلك اللقب كما حمل ألقابا فخمة[٤]، وانتقلت الدعوة في أعقابه[٥].

إن حمل الأمير سبأ بن أبي السعود لقب الداعي يعني أنه قد جمع بين الدولة والدعوة، وهذا ما جعله في مركز يوازي الصليحيين، بل كان ممهدا السبيل له ليخلف دولتهم، ومن المعروف إن حمل سبأ للقب الداعي، قد زاد من مركزه السياسي في اليمن، وجعله موضع ثقة السيدة الحرة والدولة الصليحية؛ لأنه اصبح إضافة إلى مسؤولياته السياسية كحاكم سياسي في عدن، مسؤولا روحيا عن الدعوة الفاطمية في مناطق حكمه بدلا من الصليحيين، وهذا يعكس لنا قوته وكفاءته ومقدرته السياسية.

كان لقب الداعي الذي لقب به الأمير سبأ بن أبي السعود من قبل السيدة الحرة، قد تم بعد اغتيال الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (سنة ٥٢٤هـ)، وتحدد بعض المراجع[٦] ذلك في السنة التالية لاغتيال الآمر، أي في سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣١م، وقد انتقلت مهمة الداعي نهائيا إلى عائلة الزريعيين في عدن، بعد أن كانت السيدة الحرة هي الممثلة الرئيسة للفاطميين في اليمن.

---

[١] حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٦ (وحدد مقتله في ٢ ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ)، د. محمد أمين صالح. بنو معن ص ٣٢٧.

[٢] بعد طرد ابن نجيب الدولة من اليمن، أسندت السيدة الحرة أمر الدعوة إلى الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي، لكنه لم يلبث طويلا حتى توفي فأضافت السيدة الدعوة إلى آل زريع فوليها منهم سبأ بن أبي السعود ولقب بالداعي، ثم انتقلت الدعوة في أعقابه. أنظر: الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٦أ، أبو الفدا. المختصر ٤ /٨٩، إبن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٦٠، الخزرجي. كفاية و ٣٦أ، الديبع. قرة العيون ص ٢٧٧ – ٢٧٨.

[٣] أوضحنا معنى الداعي عند كلامنا عن الصليحي الذي لقب بذلك اللقب، وذكر إبن المجاور أن أبناء زريع كانوا يؤدون الخراج للفاطميين من أجل المذهب، لأنهم كانوا إسماعيلية، وكل من تولى من بني زريع في أرض اليمن يسمى الداعي أي يدعو الخلق إلى مذهب الإسماعيلية. المستبصر ص١٢٦ – ١٢٧، أنظر عن لقب الداعي: لقمان. تاريخ عدن ص٥٨.

[٤] ذكر عمارة أنه: الداعي الأوحد المظفر مجد الملك شرف الخلافة عضد الدولة سيف الإمام تاج العرب ومقدمها داعي أمير المؤمنين. المفيد ص ١٧٧، أنظر: د. محمد أمين صالح. بنو معن ص ٣٢٧ – ٨.

[٥] شرف الدين. اليمن عبر التاريخ ص ٢٠٧، الثور. هذه هي اليمن ص ٢٨٨.

[٦] لقمان. تاريخ عدن ص ٥٩، وقيل أن الخليفة الفاطمي الحافظ ولى سبأ سنة ٥٢٥هـ. القوصي، د. عطية. سيراف وكيش (قيس) وعدن من القرن الثالث الهجري حتى السادس، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٣، (القاهرة، ١٩٧٦م)، ص ٦٢، زامباور. معجم الأنساب ص ١٨١ هامش، Lowick, N.M. Some unpublished Dinars of the sulayhids and Zurayids, The Numismatic Chronicle, V. IV. (London, 1964) , p. 262, Bikhazi, Ramzi, J. Coins of A I- Yaman 132 – 569, A. H, Al – Abhath. V. XXIII nos 1-4,(Beirut, December 1970) ,p. 100.

محاولة حاكم قيس غزو عدن:

انتهز حاكم جزيرة كيش[1] النزاع في عدن بين الداعي سبأ وابن عمه علي بن أبي الغارات، لتجريد غزوة ذات دوافع اقتصادية على عدن، فقد خلفت كيش ميناء سيراف كمركز للتجارة الهندية في الخليج العربي منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وقد انعكست مظاهر الثراء على حكام وأهل جزيرة كيش، بسبب موقعها الممتاز في الخليج العربي فاحتلت مكانة سيراف كمحطة كبرى لتجارة الشرق العالمية، لكن معاملة حكام كيش للتجار الواردين عليها تغيرت في مطلع القرن السادس الميلادي/ ١٢م، إذ عاملوهم معاملة سيئة بفرض الضرائب العالية على بضائعهم والاستمرار في زيادتها، مما أدى إلى تحول الكثير من تجار الشرق عن كيش إلى ميناء عدن، وبذلك فقدت أهم مورد من موارد ثروتها[2].

ازدهرت عدن تجارياً بعد تدهور ميناء جزيرة كيش وتَحَوُّل التجار إلى ميناء عدن، وكان من مظاهر ذلك الازدهار تطور عدن وثراء أهلها وحكامها، وكانت عدن قبل ذلك ذات نشاط تجاري متميز بدليل أن أمراءها كانوا يدفعون سنوياً مائة ألف دينار للسيدة الحرة الصليحية، ثم استقلوا عنها وامتنعوا عن دفع تلك الأموال، فزاد ذلك من ثرائهم وعجل في تطور عدن العمراني والاجتماعي[3].

لم يتحمل حاكم كيش أن يحدث لجزيرته ما حدث لميناء سيراف، وأن يحرمه ميناء عدن من مصدر ثروته الخاصة، لذلك قرر أن يوقف ذلك الأمر بالقوة، وذلك بقيام أسطوله بتدمير عدن وإجبار سفن تجار الشرق على العودة قسراً إلى ميناء بلاده.

---

[1] كيش، ويطلق عليها العرب اسم: قيس، وهي جزيرة في بحر عُمان في الخليج العربي بالقرب من حدود بلاد فارس البحرية على خط ٥٤ْ شرقاً، ٣٠َ و٢٦ شمالاً وهي مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة، وبها مسكن ملك ذلك البحر صاحب عُمان، وله ثلثا دخل البحرين، وهي مرفأ مراكب الهند وبر فارس، وجبالها عالية رآها ياقوت، وذكر إن شربهم من آبار فيها، ولخاصة الناس صهاريج كثيرة لمياه المطر، وفيها أسواق وخيرات ولملكها هيبة وقدر عند ملوك الهند لكثرة مراكبه ودوانيجه، وفيها مغاص اللؤلؤ، وفي جزائر كثيرة حولها وكلها ملك صاحب كيش. الحموي. معجم البلدان ٤/٤٢٢، القوصي. سيراف وكيش ص ٥٩ – ٦٠، ووصفها بنيامين بأن أرضها شحيحة الماء، ليس فيها غير عين واحدة، واغلب شرب أهلها من ماء المطر، وهي مركز تجاري مهم ويقصدها التجار للبيع والشراء ومقايضة أنواع السلع وسائر أنواع الحبوب والبقول، ويأتيها تجار الهند بالعطور والتوابل واغلب سكانها دلالون ووسطاء بين التجار. رحلة بنيامين ص ١٦٤.

[2] سنعود لدراسة تدهور ميناء سيراف وازدهار كيش ثم تدهورها وازدهار ميناء عدن في الفصل الخامس.

[3] استعرضنا تطور ميناء عدن وازدهارها عمرانياً واجتماعياً في الفصلين الخامس والسادس.

ان تفاصيل ذلك الغزو قد وردت عند إبن المجاور[1]، إضافة إلى الوثائق وهما عبارة عن رسالتين[2] أصدرهما اثنان من تجار الكارم[3] الذين يردون عدن إحداهما إلى القاهرة والأخرى إلى الهند، وهما شاهدا عيان لحوادث الغزو، وتساعدنا تلك التفاصيل في استخلاص الظروف التي أفشلت الحملة من جهة، والمؤثرة على أحداث الصراع الجاري بين البيتين الحاكمين في عدن من جهة ثانية، وأخيرا بيان أهمية مثل تلك الوثائق في معرفة الحقيقة التاريخية التي تؤيد أو تصحح ما يرد منها في المصادر الأوربية[4].

تألفت القوة البحرية التي جهزها ولد العميد[5] "ملك الجزيرة قيس"[6] إلى عدن من ثلاثة أنواع من السفن جاء ترتيبها في الوثيقة الأولى[7] طبقا لأهميتها، وبما نصه: "وكان جهازه برمتين[8] كبار و ٣ شفارات[9] وعشرة جاشجيات[10] وفي الجميع تقدير ٧٠٠ رجل"، وقد نجحوا في النزول واحتلال جبل صيرة الذي كان مرسى للسفن الشراعية المتوجهة إلى ميناء عدن، وبذلك يمنعون تلك السفن من الوصول إلى الميناء.

وقد أوضح كويتن[11] أنواع تلك السفن، فذكر أن البرمات تعني حرفيا "قدور"، وكما يقول ابن المجاور[12]: "وبرمات شبه أبرام النارنجيات"[13]، وهي سفن شبه دائرية من قطعة خشبية واحدة[14]، مثل تلك السفن التي تظهر في القصص الخيالية، أما الشفارات فيذكر بأنها كلمة لم يستطع تقصي أصلها في أي مصدر أو كتاب تحت يده، ولكنها تتكرر مرارا في وثائق التجار الهنود التي جمعها، ويضيف أن الشفارة هي سفينة صغيرة

---

[1] المستبصر ص ١٢٤ – ٥.

[2] هاتان الرسالتان من مجموعة الوثائق المعروفة باسم وثائق الجنيزا المحفوظة الآن في مكتبات جامعة كمبردج واكسفورد، وعكف كوايتن على نشرهما، وخص الرسالتين ببحث في مجلة معهد الدراسات الشرقية والأفريقية إنظر:
Goitein, S.D. Two Eyewitness Reports of an Expedition of the King of Kish (Qais) against Aden, Bullatin of the School of Oriental and African Studies, V.XVI, Part 11, (London, 1954), pp. 247 – 255.

[3] الكارم هو العنبر الأصفر، لتفصيل تجارته راجع الفصل السادس.

[4] د. محمد أمين صالح. بنو معن ص ٣٣٠.

[5] Goitein, Op, cit, P. 252. ذكر كويتن اسمه هكذا، وأضاف أنه قد خلف والده توا وأكد أنه ولد العميد وليس ابن العميد.

[6] التسمية من ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٤، ولم ترد تسميته ولد العميد كما ذكر ذلك القوصي. سيراف وكيش ص ٦٣.

[7] أنظر: Goitein, op, cit,pp, 254 - 255، القوصي. سيراف وكيش ص ٦٤.

[8] البرمة هي من القوارب الصغيرة التي تستعمل في الانهار، وعلى شواطيء البحار، أو من توابع السفن الكبار. سعاد ماهر. البحرية في مصر الإسلامية ص ٣٣٤. والبرام الكبار (سفن كبيرة) القوصي. سيراف وكيش ص ٦٣.

[9] سفن صغرى تصطحب السفن الكبرى. القوصي. نفسه.

[10] يسميها د. صالح: الحاشجيات. بنو معن ص ٣٣١، وهو تصحيف، ويذكر د. القوصي أنها سفن صغيرة خفيفة. سيراف وكيش ص ٦٣.

[11] OP, Cit,pp.252 - 253

[12] المستبصر ص ١٢٤.

[13] يسميها د. محمد أمين صالح: الفارجيات. بنو معن ص ٣٣١ هامش، وذكرت د. سعاد ماهران الفريجات هي نوع من السفن الحربية الخفيفة الحركة، وكانت من أساطيل البحر المتوسط في العصور الوسطى. البحرية في مصر ص ٣٦٢.

[14] انظر أيضا: د. صالح. بنو معن ص ٣٣١/ نقلا عن كويتن.

ترافق سفينة أكبر منها[١]، لذلك يبدو أن العادة كانت أن مالك السفينة يرسل سفينة كبيرة وأخرى صغيرة سوية.

أما بالنسبة إلى الجاشجيات فيذكر أن هذه الكلمة لم تستخدم من قبل أي واحد غيره، ويضيف بأنه من السهولة أن تشتق من كلمة جاشو[٢] أي بحّار Sailor، ومن الواضح أن هذه السفن كانت عبارة عن قوارب صغيرة من المحتمل أكثر أنها محمولة على السفن الكبيرة، وتستخدم كسفن نجاة[٣]، وتستخدم أيضاً خلال الهجوم للرماية، خصوصاً في هذا الغزو الذي يتوقع الغزاة هجوماً عليهم.

أما إبن المجاور فقد ذكر أنواع السفن التي استعملت لغزو عدن بأسماء تختلف عما جاء الوثيقة الأولى، إذ يقول[٤]: "جهز ملك الجزيرة قيس دوانيج[٥] وبرمات شبه ابرام النارنجيات ونهابيق[٦]"، كما أنه لم يحدد عدد كل نوع منها ولا تقدير القوة العسكرية المصاحبة، إنما سماهم الجاشو، وقد أوضحنا رأي كويتن[٧] حول هذه التسمية، وتجدر الإشارة بأن رواية إبن المجاور تتفق مع ما ورد في الوثيقتين حول نزول الغزاة عند جبل صيرة.

يتضح لنا مما سبق بأن ملك جزيرة كيش جهز أسطولا يحوي سفنا متنوعة لغزو عدن، بقصد القضاء على تجارتها وإعادة الطريق التجارية إلى ميناء جزيرته كيش، وكانت تلك السفن مهيأة للقتال والهجوم والمقاومة، مثل الجاشجيات التي كانت تستخدم خلال الهجوم كراميات، ذكر كويتن[٨] أن بعض السفن المرسلة من قبل ملك جزيرة كيش كانت من أنواع غير مألوفة في عدن، وهذا يعني أنه قد هيأ لغزوته تلك قوة كبيرة لتحقيق هدفه آنف الذكر.

---

[١] الشفارات هي الدوانيج وهي سفن مصاحبة ذات حجم متوسط أقل من السابقة. بنو معن ص ٣٣١.

[٢] سمى ابن المجاور هؤلاء الغزاة: الجاشو. المستبصر ص ١٢٤ – ٥.

[٣] ذكر د. صالح أنها النهابيق وهي قوارب صغيرة ملحقة بالسفن الكبار تستخدم للنجاة أو الإنزال. بنو معن ص ٣٣١.

[٤] المستبصر ص ١٢٤.

[٥] الدونيج: لعلها مأخوذة من كلمة Daw، ومعناها سفينة باللغة السواحلية، ذكر بزرك أن سفن المحيط الهندي على نوعين: القارب والدونيج وكان القارب هو الأكبر، فقد كان يحمل نحو خمسة عشر رجلا مقابل أربعة في الدونيج، ويستعمل الأخير للملاحة على الشاطئ أو النجاة، والدونيج يعني زورق السفينة. سعاد ماهر. البحرية في مصر ص ٣٤٢ – ٣، القوصي. سيراف وكيش ص ٦٣، والدوانيج كلمة تطابق الشفارات الاسم الشائع جدا للسفن ذات الحجم المتوسط والمستخدمة بكثرة في المحيط الهندي Goitein,Op.Cit,p. 253. د. صالح. بنو معن ص ٣٣١ هامش.

[٦] النهبوغ، نوع من السفن الطويلة السريعة الجري، تشبه إلى حد كبير الدوانيج المستعملة في المحيط الهندي. ماهر. البحرية ص ٣٧٢، وذكر كويتن أن النهابيق هي الجاشجيات التي ورد ذكرها في الوثيقة الأولى. OP,cit,p. 253 ونقل عنه: د. صالح. بنو معن ص ٣٣١ هامش.

[٧] Ibid.p. 253.

[٨] Ibid,p. 251 ، أنظر أيضا: د. القوصي. سيراف وكيش ص ٦٣.

بعد نزول الغزاة عند جبل صيرة هرب الناس في عدن من بيوتهم إلى الحصون، ولم يكن معهم سلاح للدفاع، وكان كل فريق يخاف من الآخر طيلة شهرين[1]، ونود هنا أن نوضح بأن الغرض من الغزو لم يكن أخذ عدن كما ذكر ابن المجاور[2]، وذلك لأن القوة العسكرية المصاحبة للأسطول المهاجم لم يتجاوز تقدير عددها سبعمائة رجل، ونحن نتفق مع ما ذكره كويتن[3] من أن تلك القوة غير كافية لاحتلال عدن بحراً وبراً، بينما كان عدد المدافعين عن عدن قد بلغ نحواً من ألفي رجل[4]، إنما كان حاكم كيش يريد أن يحصل على حصة (قطعة) من عدن، أي جزء منها، ومن الواضح أن تلك القطعة هي الحصن البحري مع خدمات الميناء المربحة، أي الخضراء قلعة الساحل فقط دون التعكر، وهذه الرواية تبدو أكثر واقعية من ملاحظة إبن المجاور العامة بأنه أراد أن يأخذ عدن كلها، وذلك أن الخضراء تعتبر نقطة ارتكاز لاعتراض وتشتيت السفن التجارية الواردة إلى عدن[5]، وهذا ما كان يطمح حاكم كيش لتحقيقه مستهدفاً تحويل طريق التجارة من ميناء عدن إلى ميناء جزيرته.

أما الظروف التي استغلها ملك كيش للقيام بغزوته تلك، فقد حددها كويتن[6] بأنها كانت متمثلة في النزاع بيم أولاد العم أميري عدن، علي بن أبي الغارات الذي كان يمتلك قلعة الخضراء في عدن، والتي تسيطر على البحر والموانئ، وسبأ بن أبي السعود، وكان يمتلك قلعة التعكر التي تحرس الأبواب والمدخل إلى المدينة من البر، وكل واحد منهما يتسلم رسوم السلع المستوردة والمصدرة المدفوعة عند مدخل المدينة التي تحت سيطرته، وبالرغم من مضي خمسين سنة تقريباً على ذلك النظام الذي اتسم بالقوة فإنه كان سبباً في نشوب نزاع كبير بين أمراء عدن. والواقع فإننا نتفق مع ما ذكره كويتن من أن تقسيم عدن كان سبباً للنزاع بين أبناء الأسرة الواحدة من بني المكرم، إذ أدرك فرع بني العباس الذين كانوا يحكمون في قلعة التعكر وباب البر في عدن أن الغبن قد أصابهم لأن بني المسعود أبناء عمهم كانوا يحكمون في قلعة الخضراء وباب البحر وإليهم كانت إدارة المدينة، وقد ذكرنا بأن ذلك الشعور قد بدا واضحاً منذ عهد زريع بن العباس ثم ازداد في عهد حفيده سبأ بن أبي السعود الذي توسعت إمارته وأضاف إليها ممتلكات كثيرة، وكان من نتائج ذلك حدة المنافسة بين الأميرين وتجاوز وكلاء علي بن أبي الغارات في تحصيل الرسوم من رعايا ومناطق نفوذ الداعي سبأ بن أبي السعود[7].

[1] انظر الوثيقة رقم (٢) في: Goitein, Ibid,p.255، القوصي. سيراف كيش ص ٦٥، أنظر أيضاً: د صالح. بنو معن ص ٣٣٠.

[2] المستبصر ص ١٢٤.

[3] Op, cit,p. 253 ، أيضاً: د. صالح. بنو معن ص ٣٢٩ – ٣٣٠.

[4] ورد ذلك في الوثيقة الثانية، انظر أيضاً: Goitein, Ibid,p. 253. د. صالح. بنو معن ص ٣٣٢.

[5] انظر Goitein, op, cit,p. 253 ، د. القوصي. سيراف ص٦٣، د. صالح. بنو معن ص٣٣٠.

[6] Ibid,p.250.

[7] ذكرنا تفاصيل ذلك في صفحات سابقة.

ويضيف كويتن[1] سبباً آخر استغله ملك جزيرة كيش في إرسال حملته البحرية لغـزو عدن، فذكر أن سكان عدن لم يكونوا دائماً راضين مـن دون مقاومـة عـن عبوديـة مغتصبي أموالهم الشرِهين، وأصبحت الأمور خَطِرة بصورة خاصة بعد أن اصطدم ممثلو أولاد العم في عدن بنزاع علني[2]، وقد اعتبر ملك كيش هذه اللحظة على أنـها مناسـبة لهجوم على تلك المدينة المهمة، ونرجح أن ما ذكره كويتن في هذا الصدد يُعـد أمـراً غاية في الأهمية، والواقع أنه أوضح لنا بأن موقف سكان عدن كان طاعة الأمراء إلـى حدود أصبحت لا تُطاق فشعروا بأن وكلاء أميري عدن عبارة عن جباة جشعين للأموال، وأن ذلك الجشع قد وصل حد الشراهة التي لا تطاق مما أثار استياء السكان وغضبـهم، ويبدو أن روح الملل والاستياء كانت عامة وواضحة، برغم عدم إشارة المصادر إليـها صراحة، لكننا نتفق مع ما ذكره كويتن بصددها، وللدلالة على ذلك فإن المؤرخين ذكروا بأن وكلاء علي بن أبي الغارات تجاوزوا كثيراً على وكلاء الداعي سبأ في جمع الأمـوال من الرعايا وظلم الناس وإثارة حفيظتهم[3]، وهذا يدل دلالة واضحة على أن ذلك الظلـم كان مُحَركاً للداعي سبأ ليتدارك الموقف ويمسك بيده زمام الأمور قبل أن تفلت، فاسـتعد لقتال إبن عمه علي بن أبي الغارات وحشد الحشود لذلك، وعين الشيخ بلال بن جريـر نائباً له في عدن وأمره أن يهيج الناس للقتال، بينما انصرف هو لقيادة جبهة القتال فـي وادي لحج[4]، لكن غزوة ملك جزيرة كيش التي وَقّتها مع ذلك النزاع، كانت عاملاً مـن عوامل تأجيل الحرب وتوقفها لفترة ثم عودتها.

تتفق المصادر الأدبية والوثائقية[5]، في سرد قصة النزول الناجح للمعتديـن الغـزاة ونهايتهم اللاحقة، فقد افلحوا في النزول واحتلال جبل صيرة، إذ القوا مرساتهم تحتـه، وكان المرسى الاعتيادي للسفن الواصلة إلى عدن، وطبقاً لرواية إبن المجـاور[6]، فـإن هؤلاء الغزاة الذين سماهم: الجاشو، أرسلوا رسـولهم إلـى قـادة القلعتيـن التعكـر والخضراء في عدن[7] يخبرهما بأن ملك كيش أرسلهم لأخذ عدن فعليهم بالتسليم والقبول بالصلح، فإن رفضاً فانهم سيقومون بتحقيق هدفهم ذلـك باسـتعمال القـوة. وتضيـف الرواية بأن صاحب قلعة الخضراء – وكان علي بن أبي الغارات[8] – أجابهم: "أنا عبدكـم والبلد بلدكم وولوا فيها من شئتم!"، وعند استلام هذا الجواب نزل الغزاة من الدوانيـج

---

[1] Goitein, OP, cit,p. 250.

[2] سنذكر ذلك النزاع بين محمد بن الجزري وأحمد بن غياث الهذلي.

[3] سنذكر مصادر ذلك في صفحات تالية.

[4] سنذكر ذلك فيما بعد.

[5] المقصود بها ابن المجاور في كتابه المستبصر ووثائق الجنيزا التـي نشـرها كويتـن، واعتمـد عليـها د.القوصي، د. محمد أمين صالح في بحثيهما اللذين أشرنا إليهما مراراً.

[6] المستبصر ص ١٢٤.

[7] يقول إبن المجاور: "وانفذوا رسولهم إلى بني زريع يعني أصحاب التعكر والخضـراء". المسـتبصر ص ١٢٤، ولم يكن بنو زريع هم أصحاب الخضراء بل بيت أبي الغارات.

[8] ذكر القوصي ان قائد قلعة الخضراء سبأ بن سعود. سيراف وكيش ص ٦٣، وهذا وهم وخطأ.

والبرمات إلى الساحل وهم آمنون مطمئنون، وقد أرسل لهم صاحب الخضراء الضيافة التامة من الخبز واللحم والنبيذ.

ويعلق كويتن[1] على جواب قائد قلعة الخضراء بأن قلعته كانت مهددة بصورة مباشرة. ولعله بَرَرَ موقف قائد الخضراء لذلك السبب، في حين يرى د. القوصي[2] أن قائد قلعة الخضراء استعمل الحيلة والخداع مع العدو حين أسرع بإرسال الطعام والشراب لهم وأرسل لهم رسالة تظاهر فيها بالاستسلام، ومهما يكن من تفسير موقف صاحب الخضراء كما صوره إبن المجاور فانه كان عاجزاً عن صد أولئك الغزاة كما يتضح ذلك مما ورد في الوثيقة الثانية فقد انزعج الناس وهجروا بيوتهم إلى الحصون وتحتها، ولم يكن معهم سلاح للدفاع عن أنفسهم وصد المعتدين، وينحي د. صالح[3] باللائمة على بيت أبي الغارات بن مسعود الذي كان متولياً أمر المراكب والمدينة والساحل، ويسجل عليه الغفلة والإهمال والتقصير في عدم التفكير بضرورة إعداد قوة بحرية خاصة للدفاع في حالة وقوع هجوم بحري على عدن، وكانوا مكتفين بقوة الحصون فقط، وأشهرهما حصناً الخضراء والتعكر، وكانا مقرين لأميري عدن.

إننا في الوقت الذي نتفق فيه مع د. صالح من لوم بيت أبي الغارات في عدم الاهتمام بتأسيس أسطول بحري لحماية عدن، نتفق أيضاً مع ما ذكره من عجز علي بن أبي الغارات في صد الغزاة، وأنه لم يستطع توجيه ضربة رادعة لهم بعد نزولهم عند جبل صيرة وتهديدهم باحتلال قلعة الخضراء بصورة مباشرة، ولم يكن ما قام به من توفير الطعام والشراب وإجابتهم الإجابة المتخاذلة بأن البلد بلدهم ولهم أن يختاروا هم لحكمها، من قبيل الحيلة والخداع، وإنما كان كما ذكر كويتن[4] جَبَاناً، إذ لا يمكن أن يقوم أمير مدينة بتقديم الطعام والشراب للغزاة، والسماح لهم بتعيين من يشاؤون لحكم مدينته، إلا من قبيل الخوف منهم وعدم القدرة على طردهم.

ذكرنا إن الغزاة نزلوا من الدوانيج والبرمات إلى الساحل، وانشغلوا بالأكل والشراب الذي قدمه قائد قلعة الخضراء لهم، وقد اطمأنوا وأمنوا بعد أن أجابهم بأن البلد بلدهم، وتذكر الرواية[5] بأنهم خبزوا وطبخوا ودارت الأقداح بينهم، وقد خاف قائد الجاشو وكبيرهم من أن يكون وراء الأمر خديعة، فحذرهم من عدم التمادي في التفاؤل ولأجل ذلك الغرض انشد عليهم أشعاراً عربية رنانة، لكن تحذيره كان دون جدوى فقد تمادى الرجال في شربهم حتى الثمالة، إذ أن الجاشو الغزاة قد انشغلوا كلياً في الشراب والطعام بعد أن أمنوا، ولم يستجيبوا لتحذير قائدهم.

في وسط تلك الظروف الصعبة، كان لابد لأبناء العم أميري عدن أن ينهيا الخلاف ويوقفا القتال ويوحدا جهودهما لمواجهة خطر ذلك الغزو الخارجي. وقد استغل سبأ بن

---

[1] Goitein, op, cit,p. 251.

[2] سيراف وكيش ص ٦٣ – ٦٤.

[3] بنو معن ص ٣٣٢.

[4] Goitein, op, cit,p. 251.

[5] إبن المجاور المستبصر ص ١٢٤، أنظر أيضا: د.القوصي. سيراف وكيش ص٦٤، Goitein, op, cit,p. 251.

أبي السعود أمير حصن التعكر مصيبة إبن عمه علي بن أبي الغارات وعـــرض عليـــه مهاجمة الغزاة، وجاءت رسالة سبأ لإبن عمه حملها وفد له، يقول فيها: "ما نصنع وهذا العدو قد دهمنا؟" فأجابه قائلاً: "غلطنا في الكيل فشرد منا الحيل واعمل برأيك فيما تـــرى فقال: إنزل من الخضراء وأنا أكفيك شرهم"[١]، وفي جواب علي بن أبي الغـــارات دليـــل واضح على اعترافه بالعجز من مقاومة المعتدين الغزاة، وقد استغل سبأ ضعف ابن عمه الذي أجابه إلى طلبه بالتخلي له عن حصن الخضراء مقابل مهاجمته للغزاة وطردهـــم[٢]، وقد اعتبر كويتن[٣] قبول علي بن أبي الغارات ذلك الشرط بسبب أنه كان جبانـــاً، وكـــان ذلك مناسبة لاقتباس الشعر العربي الذي غالباً ما يكون في غير محله[٤].

بعد الاتفاق بين سبأ بن أبي السعود وابن عمه علي بن أبي الغارات بصدد مهاجمـــة الغزاة الذين نزلوا عند جبل صيرة وبالقرب من حصن الخضراء المشرف على الســـاحل والميناء في عدن، نزل صاحب حصن التعكر الأمير سبأ ومعه جمع كبير من المحـــاربين من حصنه لمواجهة الغزاة وقاموا بهجوم ناجح عليهم، وهم مشغولون بالسكر والأكل – رغم تحذير قائدهم – فأعملوا فيهم السيف، وقطعت رؤوسهم التي انتشرت في مســـاحة كبيرة من الأرض وهرب من استطاع منهم الهرب والنجاة من الموت إلى سفنهم، وبذلك انزاح الخطر عن عدن، وسمي موضع المعركة: الجماجم، والمقصود به مكـــان رؤوس جماجم الجاشو، بسبب كثرة من قتل فيه منهم[٥].

وذكر د. صالح[٦] أن بلال بن جرير قائد الأمير سبأ تقدم بقواته التي قدرتها الوثيقـــة الثانية بنحو ألفي رجل، وكبس جيش العدو، فقتل الكثير، وهرب الباقون تاركين متاعـــهم غنيمة، إلا أننا لم نجد في رواية إبن المجاور ولا في الوثيقتين اللتين نشرهما كويتن ما يشير إلى دور بلال بن جرير ذاته في قيادة الهجوم على الجاشو الغزاة ونعقـــد أن مـــا ذكره د. صالح هو من باب التخمين، إذ أن بلالاً كان نائباً للأمير سبأ في عدن، وقد أمره أن يهيج الناس لقتال إبن عمه علي بن أبي الغارات حين أوشكت الحرب على القيام بينهما.

وقد علق كويتن[٧] على رواية نهاية الغزاة الجاشو، فذكر إن الخصـــائص التقليديـــة لقصص الحرب العربية قد وردت فيها ممزوجة مـــع بعـــض التفـــاصيل الواقعيـــة، إن

---

[١] النصوص أعلاه مقتبسة عن: إبن المجاور. المستبصر ص ١٢٥.

[٢] أنظر: إبن المجاور. المستبصر ص ١٢٥، Goitein, op, cit,p. 251. د. صالح، بنو معن ص ٣٣٢.

[٣] Goitein, op, cit,p. 251 .

[٤] لم يورد كويتن نص ذلك الشعر، وذكر إبن المجاور ذلك الشعر، فقال: "وأنشد المنصـــور بـــن إســـماعيل الانرى [كذا] يقول:

النـــــــاس بحـــــــر عميـــــــق	والبعُـــــــد عنـــــــهم ســـــــفينة
وقـــــــد نصحتـــــــك فـــــــأنظر	لنفســـــــك المســـــــكينة

المستبصر ص ١٢٥.

[٥] إبن المجاور. المستبصر ص ١٢٥ – ٦، د. القوصي. سيراف وكيش ص ٦٤. Goitein ,op, cit,p. 251.

[٦] بنو معن ص ٣٣٢ – ٣.

[٧] Goitein, op, cit,p. 251.

الخديعة، الغذاء مع أكواب الخمر تدار على الجميع، التحذير غير المطاع، والمعبر بالشعر العربي – بالرغم من أن المعتدين كانوا يتكلمون بالفارسية، وجبن أحد الأطراف – كذلك وضح عن طريق الشعر، وأخيراً الاستنتاج الخاص حول تفسير اسم مكان المعركة، كل هذا يعود إلى أسلوب "أيام العرب" ويبين أن القصة – كما فهمناها – يجب أن تكون قد كُتبت بعد فترة طويلة من الحوادث الموصوفة.

إننا نتفق مع ما ذكره كويتن بأن الرواية كلها شبه أسطورية، فابن المجاور لم يكن معاصراً لحوادثها معاصرة كاتبي الرسالتين – وقد كتبهما رجلان كانا في عدن أثناء الغزو[1]، اللذين لم يشيرا إلى الأكل والشرب الذي قدمه صاحب قلعة الخضراء للغُزاة، مما يضعف تلك الرواية، ويجعل الاعتماد عليها أمراً غاية في الصعوبة.

أما رواية وثائق الجنيزا حول نهاية الغزاة فإنها تختلف عما أورده ابن المجاور، فقد ورد في الوثيقة الأولى إنهم لم يدخلوا إلى عدن، وظلوا عند الساحل في انتظار المراكب القادمة إلى ميناء عدن لمهاجمتها، وقد استمر حصارهم لمدة شهرين، وكان عددهم حوالي (٧٠٠) رجل وهم الرجال القادمون على ظهر السفن المصنوعة المصاحبة للغزو[2]، وقد أصيب الناس في عدن بذعر وخوف شديدين، لأنهم لا يمتلكون القوة والسلاح لمواجهة الغزاة، كما أنهم لا يملكون الرجال المحاربين، فهربوا من بيوتهم إلى الحصون وتحتها، ولو كان معهم (٥٠٠) رجل قبل دخول الغزاة لما هرب الناس، فلما تكاملَ المقاتلون ووصل عددهم نحو ألفي رجل[3]، جرى قتال الغزاة عند جبل صيرة، فقتل منهم عدد كبير، وكان أهل عدن يحاربون الغزاة الذين كانوا في البحر، وهم في البر، فاستطاع بعضهم النجاة بسفنهم التي جاءوا عليها[4]، ولم تكن مع بلال بن جرير قوة بحرية تطارد المنهزمين الذين انسحبوا في البحر، وأخذوا يهددون المراكب التجارية الواردة إلى عدن فهاجموا فعلاً مركبين تجاريين للناخدا رامشت الهندي[5]، لكن هجومهم كان فاشلاً، بسبب ما أصابهم من جوع وعطش وقد وصل المركبان إلى الساحل بسلام، فاستخدمهما بلال بعد أن حشدهما بالمقاتلة[6] الكثيرين. الذين سموا : "الديوان الكثير"[7]

---

[1] أرسلت الرسالة الأولى من عدن إلى الهند، فقد كتبها باما الهندي إلى سيده إبراهيم ياجو الذي نشأ في تونس وعاش في الهند، أما الرسالة الثانية فكانت مرسلة من عدن إلى القاهرة، كتبها أحد التجار إلى أبي سعيد الدمياطي أبرز التجار اليهود في القاهرة. Goitein, Ibid, pp. 242 - 250، وسنوضح مكانة هؤلاء التجار في الفصل السادس.

[2] أنظر: .Goitein, op, cit, p. 254 ، القوصي. سيراف وكيش ص ٦٤.

[3] عند القوصي نحو ألف رجل. سيراف وكيش ص ٦٤.

[4] أنظر الوثيقة الثانية: Goitein, op,cit, p. 255 ، القوصي. سيراف وكيش ص ٦٥.

[5] ورد ذكره مراراً في الوثائق التي جمعها كويتن، وسنتحدث عنه في الفصل السادس.

[6] د. صالح. بنو معن ص ٣٣٣.

[7] ورد ذلك في الوثيقة الأولى، أنظر: . Goitein, op, cit, p. 255، القوصي. سيراف وكيش ص ٦٤، ويعلق كويتن على ذلك بأنه يعني: قوات نظامية، وهي تتطابق مع كلمة عسكر الوارد ذكرها في الوثيقة الثانية. .Ibid, p. 254

دلالة على أنه كان جيشا كبيرا منظما[1]، ولعل ذلك الجيش النظامي كـــان تحـت إمـــرة رامشت، فكان لمركبي رامشت دور كبير في مطاردة الغزاة في البحر، فهربوا خلف جبل صيرة إلى أن طاب لهم الريح فسافروا على اقبح صورة منكسرين مقتوليـــن خاســـرين، وبذلك تخلصت عدن من تلك الغزوة التي هددتها بالاحتلال وتحويل الطريـــق التجـــاري عنها إلى ميناء جزيرة كيش[2].

وإتماما للفائدة نورد أدناه نص الرسالتين اللتين كتبتا من عدن كوثيقتين معـــاصرتين للغزوة الفاشلة.

الوثيقة الأولى[3]:

"...[4] وكان هذه السنة أول الوقت جهز ولد العميد صاحب كيش إلى عدن طلب قطعة من عدن ولم[5] يعطوه أخذ الجهاز وكان جهازه برمتين[6] كبـــار و ٣ شـــفارات وعشـــرة جاشجيات وفي الجميع تقدير ٧٠٠ رجل، وقعدوا في مكلا عدن ينتظروا المراكـــب ولـــم يدخلوا البلد فكان في البلد خوف كثير منهم فلم ينصرهم الله ولم يوفقهم وقتـــل منـــهم خلق كثير وزلخت مراكبهم وماتوا عطش وجوع. وكان أول جهاز وصل البلد مركبيـــن [كذا] الناخدا رامشت فقاتلوهم ولم ينصرهم الله فلما[7] دخلوا المركبين إلى البندر[8] اطلعوا فيهم الديوان الكثير فانطردوا من البندر وصاروا يدوروا في البحر ولـــم ينصرهـــم الله ومضوا على أقبح صورة مقتولين خاسرين".

وجاء في الوثيقة الثانية ما نصه[9]:

"...[10] وأما أخبارنا وما طرأ علينا بعد سفركم فهو شيىء يطول شرحه ولو أجريـــت عشرة ورقات حتى أصف به بعض ما طرأ علينا لا يكفي ذلك غير أني اختصر بما اكتبه وجميع أصحابنا المسافرين يعرفون بما كان وما سمعوا[11] وروأوا إنما[12] كنا نقاســـي[13]

---

[1] ورد في الوثيقة الثانية كلمة عسكر. .Goitein, Ibid, p. 255

[2] أنظر نهايتهم: Goitein,Ibid, pp. 254 -255، القوصي. سيراف وكيـــش ص ٦٤ – ٦٥. د. محمـــد أميـــن صالح. بنو معن ص ٣٣٣.

[3] أنظر نصها: Goitein, Ibid, pp. 254 - 255. ، القوصي. سيراف ص ٦٤، ونورد نصها بلغتها العامية.

[4] علامة الحذف وردت في المصدرين أعلاه.

[5] عند القوصي: ولما لم يعطوه.

[6] عند كويتن: نرمتين، والصواب ما ذكرناه أعلاه.

[7] عند كويتن: فلمن Ibid,p.254، وصححها كالآتي"= فلما" p.255.

[8] البندر: ويعني في اصطلاح سفر البحر: المرسى والمكلا. الصغاني، التكملة ٢/ ٤١٤ .

[9] أنظر نص الوثيقة: Goitein, op, cit. p. 255، القوصي. سيراف وكيش ص ٦٥.

[10] علامة الحذف وردت في المصدر أعلاه، دلالة على كلام سابق محذوف.

[11] عند القوصي: وسمعوا.

[12] في النسختين ورأ (وا انـــ) ما.

[13] عند القوصي: تقاضي.

العدو شهري زمان هم في البحر ونحن في البر ولم يبقَ[١] في البلد كبير ولا صغير إلا في الحصون وتحت[٢] الحصون إلا بيوت فارغة ومقاساة[٣] عدو ينظرنا وننظره وهم لا يجسروا يخرجوا إلينا وأهل البلد ما معهم جهاز يدخلوا إليهم به إلا كان[٤] يخاف من صاحبه.

واجتمع في البلد تقدير ألفي[٥] رجل ولو كان معهم في البلد ٥٠٠ رجل لما هربوا الناس من بيوتهم إلا وصلوا والعدو في المكلا والناس قد هربوا من بيوتهم حتى ظفر الله بهم ونزع البحر وهم في صيرة مع الصباح واقتتلوا هم[٦] وأهل وقتل مع ديارهم جماعة وهزت روسهم [كذا] ونهب ما كان قد نزل لهم بصيرة لأنهم كانوا قد ملكوا صيرة[٧] ونزلوا بها قاطنين ليل ونهار حتى طرأ عليهم الذي[٨] طرأ وصاروا في البحر والناس في البر حتى وصلا مركبي رامشت وخرجوا لهم يريدوا يأخذوهم وكان الريح طيب فتشتتوا في البحر يمين ويسار ودخلا المركبين بسلامة ودخل إليهم العسكر ولم عاد يبقى لهم حيلة لا في المكلا[٩] ولا في البلد فرجعوا راحوا خلف الجبل إلى أن طاب لهم الريح وسافروا وشرحُ خبرهم يطول ولم يمضوا إلا منكسرين مقتولين خاسرين فالله تعالى يريد[١٠] يكفينا شرهم ولا يريد[١١] يرينا وجوههم...".

مما سبق نجد أن الوثيقتين تتطابقان مع رواية إبن المجاور في قصة النزل الناجح للمعتدين عند جبل صيرة وفي نهايتهم اللاحقة التي انتهت بقطع الرؤوس، وهرب الآخرين عن طريق البحر، وهنالك جوانب أخرى تختلف فيهما الوثيقتان عن رواية إبن المجاور، مثال ذلك تحديد حصار الغزاة لعدن الذي استمر شهرين، وعدم قدرة الجانبين على حرب الجانب الآخر خلالها، وكذلك هرب أهل عدن من بيوتهم إلى الحصون وتحتها[١٢].

كما ورد فيهما ذكر الدور المهم الذي لعبته سفينتا الناخذا الهندي رامشت في مهاجمة الغزاة، وكانت سفنه تدار مباشرة من الديوان[١٣] الذي يعني: قوات نظامية وهي تتطابق مع كلمة عسكر الواردة في الوثيقة الثانية، أي وجود قوات نظامية على سفن

---

[١] في النسختين: يبقى، والصواب ما صححناه.
[٢] عند القوصي: وما تحت.
[٣] في النسختين: مقاساه.
[٤] عند كويتن ممزوجة هكذا: "كلن".
[٥] عند القوصي: الف.
[٦] هم محذوفة عند القوصي.
[٧] في النسختين: صـ (ـير)ة.
[٨] في النسختين: (١) لـ (ذي).
[٩] في النسختين: المكـ(ـلا).
[١٠] عند كويتن: يزيد.
[١١] نفس المرجع.
[١٢] أنظر الوثيقة الثانية.
[١٣] الوثيقة الأولى.

ذلك البحّار كانت مصاحبة لها، لمهاجمة السفن الأخرى، وحماية بضائع سفنه[1]، وكذلك فأن انسحاب الغزاة كان بسبب ما عانوا من نقص الغذاء والماء.

إن الدرس الممتع الذي يجب أن نعرفه من الحكاية الشائعة في كلا الوثيقتين هي أنه حتى القوة البحرية المحدودة كانت ذات أهمية حاسمة في الحرب في القرون الوسطى على الساحل العربي[2]، لذلك فأننا نتفق مع ما ذكره د. محمد أمين صالح[3] من تسجيل الغفلة والإهمال والتقصير على بيت أبي الغارات في عدم التفكير بضرورة إعداد قوة بحرية خاصة للدفاع عن احتمالات هجوم بحري على عدن فبقوا مكتفين بقوة الحصون (الخضراء قلعة البحر والتعكر قلعة البر)، ولم نعرف عن أسطول يمني قام بواجبه في الدفاع عن عدن التي تعرضت فيما بعد لهجمات بحرية عديدة.

أما بخصوص تحديد السنة التي وقع فيها هجوم ملك جزيرة كيش في حملته تلك على عدن، فإننا نواجه صعوبة في ذلك، فعمارة اليمني، وهو المعاصر وعمدة المؤرخين عن تلك الفترة، لم يشر مطلقاً لذلك الهجوم البحري، برغم أنه أفاض بذكر تفاصيل الصراع بين البيتين الحاكمين عند وادي لحج فقط دون عدن، ولم يشر أيضاً لتاريخ بداية ونهاية ذلك الصراع، هذا بالإضافة إلى اختفاء تاريخ الرسالتين المشار إليهما، ولكن كويتن، الذي نشرهما، اجتهد في تحديد زمن ذلك الغزو الذي استمر شهري زمان[4] عن طريق المقارنة بوثائق أخرى معاصرة، فأكد أن تاريخ الرسالتين كان عام ١١٣٥م (٥٣٠ هـ)[5]، وقد اعتمد على الرسالة الثانية في تثبيت سنة الهجوم على عدن، دون تحديد الشهر[6]، وهو الموافق ربيع الثاني ٥٢٩ – ربيع الأول ٥٣٠هـ[7]، ولم يحدد إبن المجاور السنة التي وقع فيها ذلك الهجوم، لذا فان ما ذكره د. القوصي[8] من أن إبن المجاور حدد هجوم ملك كيش على عدن سنة ٥٣٠هـ، وذلك في الفترة التي كان يحكم فيها سبأ بن أبي السعود وعلي بن أبي الغارات مناصفة (٥٢٥ – ٥٣٣هـ/ ١١٣١ – ١١٣٨م)، هو أمر لا أساس له من الصواب[9]، ولعل د. القوصي أراد أن يرجح تاريخ ذلك الهجوم استناداً إلى ما توصل إليه كويتن من ترجيح وقوعه في تلك السنة، وبالاستعانة بما ذكر إبن المجاور من حوادث حوله تساعد على ترجيح تحديده في تلك السنة، فالقوصي يعترف بأن إبن المجاور لم يكن معاصراً لذلك الهجوم، ويستمر في

---

[1] كان رامشت من قراصنة الهند في المحيط الهندي وفي جزيرة سقطرة، وقد وضحنا دوره هذا في الفصل السادس، ولعله كان يستعين بقوات نظامية للقرصنة.

[2] أنظر عن تقييم الوثيقتين Goitein,op, cit,pp. 253-254

[3] بنو معن "البحث" ص ٣٣٢، وقد ذكرنا هذه الفكرة.

[4] أنظر الوثيقة الثانية.

[5] Goitein,op cit,p. 250، د. صالح. بنو معن ص ٣٣٤.

[6] للتفاصيل أنظر: Goitein,Ibid ,pp.249-250، د. صالح. بنو معن ص٣٣٣ – ٣٣٤.

[7] د. صالح. بنو معن ص ٣٣٤.

[8] سيراف وكيش ص ٦٢.

[9] أنظر: المستبصر ص ١٢٤ – ٦.

عرض كيفية التوصل إلى تحديد سنة ٥٣٠ هـ لوقوع الهجوم على عدن بطريقة مطابقة تماماً لما توصل إليه كويتن في ذلك الصدد[١]، مما يؤكد لنا بأنه اعتمد على كويتن في تحديد ذلك التاريخ وليس على إبن المجاور كما ادعى.

لابد لنا أخيراً أن نوضح رأي كويتن عن هذه الدراسة حول حملة ملك جزيرة كيش البحرية في محاولة غزو عدن والسيطرة على طريق التجارة وتحويله إلى ميناء جزيرته، فذكر إن هذه الدراسة المقارنة للشاهد الأدبي والوثائقي حول هذا الحادث الصغير، بالرغم من إنه ليس خالياً من الأهمية التاريخية، تبين أهمية المعرفة التي نستطيع أن نحصل عليها فيما لو جمعت مئات وآلاف الرسائل وبقية الوثائق التي وجدت في مصر ووصلت أعداد كبيرة منها إلى المكتبات الأوربية، فتصبح كل هذه الرسائل والوثائق مادة للبحث المنظم عن تاريخ الشرق الأوسط في القرون الوسطى[٢].

ذكر ابن المجاور[٣] ان بني زريع بعد انتصارهم على الجاشو الغزاة نزلوا من الحصون وسكنوا الوادي وبنوا الدور الجميلة، وهم أول من بنى الدور من الحجر والجص في عدن[٤]، لكن الصراع الداخلي بين البيتين الحاكمين في عدن والذي أوقفته الحرب مع الغزاة الكيشيين عاد ثانية وانتهى بانتصار سبأ بن أبي السعود[٥].

الخلافات الداخلية والتطورات السياسية في عدن:

لم يلبث أن دب الخلاف والشر بين أميري عدن سبأ بن أبي السعود وعلي بن أبي الغارات، بسبب توسع الداعي سبأ، وشعور إبن عمه وشريكه في عدن علي بن أبي الغارات بالغبن من ذلك التقسيم الذي أعطى لسبأ نصيباً اكثر منه سواء في المساحة أو في السلطة وفي المدخول أيضاً، مما كان له الأثر الكبير في تأجيج الصراع بينهما[٦].

روى عمارة[٧] عن محمد بن سبأ بن أبي السعود[٨]، وجماعة من مشايخ عدن، وتبعه مؤرخون آخرون[٩]، بداية ذلك الصراع ومظاهره بما حدث من احتكاك بين الأميرين، فقد أوحى علي بن أبي الغارات إلى نائبه في عدن أبي القاسم محمد بن الجزري[١٠]

---

[١] القوصي. سيراف وكيش ص ٦٢ – ٣.

[٢] Goitein,op, cit,p. 254.

[٣] المستبصر ص ١٢٦، وسمى البيتين الحاكمين في عدن: بني زريع.

[٤] راجع دراستنا عن سكان عدن وبناء دورهم في الفصل السادس.

[٥] سنواصل نتائج الخلافات الداخلية بين علي بن أبي الغارات وسبأ بن أبي السعود أميري عدن.

[٦] ذكرنا ذلك آنفاً.

[٧] المفيد ص ١٧٨.

[٨] هو إبن الداعي سبأ بن أبي السعود، وقد تولى الحكم بعد والده، كما سنوضح في الفصل القادم.

[٩] إبن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٤٨، معارك حاسمة ص ٧٨.

[١٠] ويسمى: ابن الخزري. عمارة. المفيد ص ١٧٨، د. صالح. بنو معن ص ٣٢٨، وسماه لقمان: أبو القاسم إبن الحرزي. تاريخ عدن ص ٤٨، وسماه: أبو القاسم الحرازي. معارك حاسمة ص ٧٨، وترجم أبو

بالإشتطاط[1] في قسمة المدخول على أحمد بن غياث[2] الهذلي نائب الداعي سبأ في عدن، وفي روايات[3] أن وكلاء علي بن أبي الغارات امتدت أيديهم إلى ظلم الناس من رعايا الداعي سبأ بصورة خاصة، واستخدموا الشدة والتضييق ضدهم وعاثوا وافسدوا، وكان كل من يلوذ بالداعي سبأ ويشكو إليه ظلم هؤلاء الوكلاء يضام ويهتضم، إذ كانت القوة والصولة لأصحاب علي بن أبي الغارات، الذي لم يمنعهم من ذلك.

أما بالنسبة إلى الداعي سبأ فانه لم يعر الأمر أهمية، وكان يتغاضى عمدا عن أفعال علي بن أبي الغارات ووكلائه؛ ليشعر الناس بثقل وطأتهم وضرورة الخلاص منهم، وكان في تلك الأثناء مهتما بجمع الأموال والغلات وادخارها سرا، وهذا يوضح لنا أنه كان يتوقع وقوع الصدام مع ابن عمه، فكان يستعد لتوفير مستلزماته.

احتمل الداعي سبأ تجاوزات وكلاء علي بن أبي الغارات ومضايقتهم له ولأصحابه، لكن الأمر زاد توترا حين عزم علي بن أبي الغارات على إنهاء سلطة الداعي ورفع يده عن عدن، فلم يكن أمامه مفر سوى قبول التحدي بعد أن نفد صبره، فقد وصل احتماله حدا لا يطاق، إذ يعني ذلك إنهاء سلطته في عدن وإخراجه منها، فاستعد للنزال بالمؤن والرجال.

أدار الداعي سبأ القتال في جبهتين، الأولى عند عدن ذاتها، إذ عين الشيخ بلال بن جرير المحمدي[4] نائبا له على عدن، وأمره بتهييج الناس فيها وحثهم على القتال، ففعل ذلك وكان شهما شجاعا، أما الجبهة الثانية فكانت بقيادة الداعي سبأ نفسه، إذ نزل بجيش كبير في قرية يقال لها: بنى أبه[5] على وادي لحج وذلك لمواجهة بني عمه الذين كانوا محتشدين بمدينة كبيرة مسورة في لحج يقال لها الرعارع[6]، وكان الداعي سبأ قد

مخرمة لمحمد بن الجزري فذكر أنه كان نائبا لعلي بن أبي الغارات في ناصفة عدن التي إلى جهة ابن أبي الغارات. ثغر عدن ٢/٢٠٧.

[1] ذكر إبن المجاور أن إبن الجزري قاسط أحمد بن غياث في قسمة الارتفاع.المستبصر ص١٢٣.

[2] ورد اختلاف في اسمه، فسمي أحمد بن عتاب الهذلي. عمارة. المفيد، تح كاي ص ٥١، لقمان. تاريخ عدن ص ٤٨، معارك حاسمة ص ٧٨، وترجم له أبو مخرمة فذكر أنه أحمد بن غياث وكان نائبا لسبأ بن أبي السعود في ناصفة عدن التي إلى جهة سبأ. ثغر عدن ٢/١٢.

[3] ذكرت بعض المصادر والمراجع أن نواب علي بن أبي الغارات انبسطت أيديهم على نواب الداعي سبأ فاستطالوا في قسمة الارتفاع وامتدت أيديهم إلى ظلم الناس، لكن تلك المصادر والمراجع لم تذكر أسماء أولئك النواب. أنظر: الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٣ ب، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٤، الخزرجي. طراز "غربية" و ١٢١أ، كفاية و١٤٣أ، إدريس. نزهة الأفكار و٣٢ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٠٦، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/٨٧ – ٨، العبدلي. هدية الزمن ص ٥٥. الحداد. تاريخ اليمن ص ٢١٩.

[4] أبو الندا بلال بن جرير المحمدي المنعوت بالشيخ السعيد الموفق السديد، كان من العبيد المعتقين، وأصبح وزيرا للداعي محمد بن سبأ صاحب عدن، وكان رجلا عاقلا دينا كاملا ولاه الداعي سبأ أمر عدن حين عزم على مناجزة ابن عمه علي بن أبي الغارات فقام أتم قيام، واختلف في تاريخ وفاته بين ٥٤٥ – ٥٤٧هـ، وخلف ولدين هما: مدافع وياسر. أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/٣٢، وسنذكر وفاته في الفصل القادم.

[5] من قرى لحج، وهما قريتان: بنى أبه العليا والسفلى، وقد تحدثنا عنهما في الفصل الأول.

[6] وصفها عمارة هكذا. المفيد ص ١٧٩، وذكر لقمان إنها قرية محصنة في وادي لحج. تاريخ عدن ص ٤٨، معارك حاسمة ص ٧٨، وقد تحدثنا عنها في الفصل الأول.

جمع قواته من قبائل همدان ومذحج وعنس وخولان وحمّير وجَنب بن سعد وغـــيرهم، ونزل من الدملوة التي يبدو انها كانت مقره إلى قرية أبه في لحج لمناجزة القوم[1].

ويقال في إشارة[2] ان الداعي سبأ عرف قلة ما بيد علي بن أبي الغارات من الأموال، نتيجة إسرافه في إنفاقها على حرب ابن عمه، فاستغل ذلك الموقف لمنازلتـــه بعـد أن جمع له الجموع الحاشدة، وبذلك نستطيع القول ان الداعي سبأ كان متهيئاً بصورة تامـة للحرب، من حيث الرجال والأموال التي تُعد من مستلزماتها الضرورية جداً، ودار القتـال بينهما سجالاً طيلة عامين إلى أن انتهى في ظروف ونتائج هجوم بحري خارجي علـــى عدن – كما أوضحنا.

ويبدو ان الاتفاق بين سبأ بن أبي السعود وعلى بن أبي الغارات الذي نـــص علـــى تنازل الأخير لابن عمه عن قلعة الخضراء أثناء الحرب، لـم ينفـذ مباشـرة أو خـلال الحرب، وإنما أجل إلى ما بعد انتهاء الحرب، ولعل هذا الســـبب كـان سـبباً مباشـراً لاستئناف الحرب بينهما، بعد رفض علي بن أبي الغارات التنازل عن قلعة الخضراء لابن عمه الداعي سبأ، وعدم التزامه بالاتفاق الذي أبرم بينهما حين غزا الكيشيون عـــدن[3]، هذا بالإضافة إلى العوامل الأخرى التي كانت سبباً لقيام الحرب بينهما والتي أجلت بقيـلم الغزو الخارجي البحري من قبل ملك جزيرة كيش.

تقابل الجيشان في وادي لحج، ودارت بينهما عدة مناوشات تطورت إلـــى معـــارك وحرب اقتتلا فيها أشد القتال، وصفها عمارة[4] على لسان الداعي محمد بن ســبأ[5] ونقـل عنه ابرز وقائعها كشاهد عيان لها، إذ يقول: ((كنت في طلائع [والدي][6] الداعي [سـبأ][6] فظهر لنا علي بن أبي الغارات[7] وعمه منيع بن مسعود، ولم تحمل الخيل أفـــرس مـن الاثنين ولا أشجع فانهزمنا فأدركنا منيع بن مسعود فقال: يا صبي قل لأبيك يثبت فلابـــد

---

[1] الحمزي. كنز الأخيار و١٨٦أ. الوصابي. تاريخ وصاب ص٦٤ – ٦٥، الخزرجـــي. طـراز (متحـف) و٢١٤ب، (غربية) و١٢١أ، كفاية و ١٤٣أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٠٦، أبو مخرمة. ثغـــر عـدن ٨٨/٢، معجم الحجري و ٢٧٦، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢١٩، وذكر لقمان أن قائده بلال بن جرير هو الذي جمـع تلك القبائل. تاريخ عدن ص ٤٨، معارك حاسمة ص ٧٨.

[2] الحداد. تاريخ اليمن ص ٢١٩.

[3] سنوضح ان القائد بلال بن جرير استولى على قلعة الخضراء في عدن، مما يؤكد بـــان علـــي بـن أبـي الغارات لم يتنازل عنها لابن عمه الداعي سبأ بن أبي السعود.

[4] المفيد ص ١٧٩ – ١٨٠.

[5] الداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود، وقد تولى الحكم في عدن بعد وفاة والده وسنتحدث عنه تفصيلاً فـــي الفصل الثالث.

[6] زيادة للإيضاح من لقمان. معارك حاسمة ص ٧٩.

[7] وردت بداية هذا النص بصيغ مختلفة، فعند الخزرجي: "كنت يوماً في طلائع الداعي سبأ بن أبي الســـعود فواجهنا علي بن أبي الغارات...". كفاية و ١٤٣أ – ب، وفي رواية أخرى: "كنت يوماً في طلائع خيل الداعي سبأ فواجهنا علي بن أبي الغارات..." طراز "غربية" و ١٢١أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٨/٢، وعند الديبـــع بما نصه: "كنت يوماً في طلائع والدي فواجهنا علي بن أبي الغارات..." قرة العيون ص ٣٠٧.

العشية من تقبيل الجشميات[1] اللواتي في مضاربه. فلما أخبرت والدي بذلك ركب بنفسه وقال لمن حضر من آل الذئب[2] وهم بنو عمه الأدنون: إن العرب المستأجرة لا تصبر على حر الطعان ولا يمسك الثور إلا قده فالقوا بني عمكم فاسطلوهم بأنفسكم وإلا فهي الهزيمة والعار فالتقى القوم فحمل منا فارس على منيع بن مسعود فطعنه طعنة شرم بها شفته العليا وأرنبة أنفه وكثر الطعن بين الفريقين والجلاد بالسيوف وعقر الخيل والعرب المحشودة نظارة ثم حملت همدان ففرقت بين الناس وتحاجز القوم لأن وادي لحج أقبل دافعا بالسيل فوقفوا جميعا على عدوتي الوادي يتحدثون، فقال الداعي أو غيره لمنيع بن مسعود: كيف رأيت تقبيل الجشميات يا أبا المدافع في هذه العشية فقال منيع وجدته كما قال المتنبي: والطعن عند محبيهن كالقبل[3]، فلم يزل الناس يستحسنون هذا الجواب لمنيع بن مسعود لأن الشاهد وافق الحال))[4].

نستدل من هذا الوصف لوقائع القتال بين الجانبين الذي روي عن شاهد عيان له، بأن الغلبة كانت للداعي سبأ بن أبي السعود على بني عمه، ويوضح النص أن الداعي سبأ اعتمد في حربه هذه على أبناء عمه والمقربين إليه سيما من قبيلة همدان، وقد وقعت معظم أحداث تلك الحرب عند جانبي وادي لحج، فكان حاجزا بينهما، لشدة السيول التي اجتاحته لذلك وقف الطرفان على جانبي الوادي وتحدثا فيما بينهما، ويوضح النص أن الخيول قد استعملت بكثرة فيها، وكان للعصبية القبلية دور كبير في رجحان كفة الداعي سبأ، سيما وأنه اعتمد في حرب إبن عمه على قبيلة همدان وهي أقرب قبائله، وكذلك حشد لها رجالا من قبائل مذحج وعنس وخولان وحمير وجنب بن سعد، وقد بذل الأموال الطائلة في مشاركتها بالحرب إلى جانبه، وبذلك كسب النصر على غريمه.

يروي عمارة[5] عن محمد بن سبأ أن فتنة الزرعارع استمرت مدة سنتين[6]، وكان علي بن أبي الغارات في أول الأمر يصرف الأموال بطريقة عشوائية أما الداعي سبأ فكان يجمع الأموال والغلات سرا، وينفق الأموال بصورة قليلة، فكان الناس يميلون لابن أبي الغارات، ولما ضعف حاله، بسبب قلة أمواله التي كان ينفقها، بذل الداعي سبأ ما لم

---

[1] الجشميات هن نساء من نسل العباس والمسعود ابني المكرم الجشمي اليامي الهمداني. لقمان. معارك حاسمة ص ٧٩، والجشميات نسبة إلى جشم جد آل زريع. الاكوع "محقق" هامش المفيد ص ١٨٠.

[2] ذكرنا في بداية الفصل أن بني المكرم العباس والمسعود يسمون بآل الذئب.

[3] والبيت في الأصل كالآتي:

أعلا الممالك ما يبنى على الأسل | والطعن عند محبيهن كالقبل.

الاكوع. هامش المفيد ص ١٨٠.

[4] نقل كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين رواية عمارة في وصف الحرب نقلا عن محمد بن سبأ مع بعض الاختلافات في النص. أنظر: الحمزي. كنز الأخيار و١٨٦أ، الخزرجي. كفاية و١٤٣أ – ب، طراز (غربية) و١٢١أ، الديبع. قرة العيون ص٣٠٧ – ٣٠٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/٨٨، العبدلي. هدية الزمن ص٥٦، لقمان. تاريخ عدن ص٤٩، معارك حاسمة ص٧٩، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٩ – ٢٢٠.

[5] المفيد ص ١٨٠.

[6] ذكر الحمزي ان فتنتهم أقامت بعدن ولحج مدة طويلة. كنز الأخيار و ١٨٦أ، وقيل أن فتنة الزرعارع استمرت سنين طويلة. أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/٨٨، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٥، وذكر يحيى انهما لبثا في الفتنة أياما. غاية الأماني ص ٢٨٤.

يخطر ببال أحد أن يبذله[1]، وقصصه في ذلك الكرم مشهورة[2]، ونعتقد أن إنفاق الداعي سبأ للأموال وشهرته بالكرم قد برزت قبيل نشوب الحرب مع إبن عمه علي بن أبي الغارات، إذ استدعت ظروف الحرب أن يتصرف ذلك التصرف لضمان النصر عن طريق كسب الأنصار المقاتلين من رجال القبائل وذلك باستمالتهم عن طريق الأموال، وهذا يعني أنه قد استعان بمقاتلين مرتزقة من رجال القبائل، الذين وردت تسميتهم في النص: "العرب المستأجرة".

إن الحرب التي استمرت قرابة سنتين بين الداعي سبأ بن أبي السعود وإبن عمه علي بن أبي الغارات قد أنهكت ميزانية الداعي سبأ، بسبب تكاليفها الباهظة، فقد روى عمارة[3] عن محمد بن سبأ وبلال بن جرير أن مقدار ما انفق الداعي سبأ على حرب إبن عمه بلغ ثلاثمائة ألف دينار، ثم أفلس واقترض من تجار عدن الذين كانوا على صلات معه ومنهم الشريف أبو الحسين علي بن محمد العمري "من ذرية عمر بن الخطاب"، وأبو الحسن علي بن محمد السلمي وابن أعين وظافر بن فراج وغيرهم أموالا جزيلة، ومات الداعي وبقي في ذمته من الأموال التي اقترضها مبلغ ثلاثين ألف دينار سددها عنه ولده علي الأعز[4].

نتائج الحرب في لحج:

من النتائج المباشرة للحرب انتصار الداعي سبأ بن أبي السعود على غريمه علي بن أبي الغارات وعمه منيع بن مسعود وبقية رعيتهم، وهربهم إلى ناحية صهيب[5] في لحج، وتحصنهم في حصنيها منيف والجبلة[6]، واستطاع الداعي سبأ الاستيلاء على قرية الرعارع في لحج التي كانت مركزا لعلي بن أبي الغارات، والقضاء على ما بقي من إمارتهم في لحج[7].

---

[1] أنظر: الجندي، السلوك ج ٣ و ١٠٣ ب، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٥، الخزرجي. كفاية و ٤٣ ب، طراز "غربية" و ١٢١ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٠٨، أبو مخرمة.ثغر عدن ٢/ ٨٨ – ٩، يحيى. غاية الأماني ص ٢٨٤، العبدلي. هدية الزمن ص ٥٦، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٠.

[2] من ذلك القصة التي رواها عمارة وغيره عن محمد بن سبأ من إكرام الداعي سبأ لرجل من قبيلة همدان، فدفع له ديته ودية ولديه لكل منهما ألف دينار، ودفع له ثمن الخيل خمسمائة دينار، ومائة دينار لزواجه، ولزواج ولديه كل واحد مائة دينار، ولزواج ابنته الأرملة مائة دينار أخرى، أنظر عنها: عمارة. المفيد ص ١٨٠ – ١، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٥، الخزرجي. كفاية و ٤٣ ب – ١٤٤أ، إدريس. نزهة الأفكار و٣٢ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٠٨، العبدلي. هدية الزمن ص ٥٦ – ٧.

[3] المفيد ص ١٨٢.

[4] أنظر عن نفقات الحرب: الخزرجي. كفاية و ٤٤أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٩/٢، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٠، معارك حاسمة ص ٧٩.

[5] من قرى لحج، وتسمى: صهيب سبأ، راجع عنها الفصل الأول.

[6] من حصون لحج وقد تحدثنا عنهما في الفصل الأول.

[7] يقول الحمزي: "استفتح الداعي لحج". كنز الأخيار و ١٨٦ أ، العرشي. بلوغ المرام ص ٢٨، العقيلي. المخلاف ج١ ق١٥٦/١، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢١٩.

أما في عدن فقد سيطر بلال بن جرير قائد الداعي سبأ ونائبه فيها على حصن الخضراء المشرف على الساحل والمراكب، وكانت الحرة بهجة والدة علي بن أبي الغارات تقيم فيه، فأنزلها منه واستولى على ما فيه من أموال وثروات، وكانت سيطرة بلال على حصن الخضراء وافتتاحه في نفس اليوم الذي افتتح فيه الداعي سبأ الرعارع، فأرسل كل واحد منهما رسولا يبشر صاحبه بما افتتح، وكانت المسافة بين الرعارع وعدن مسيرة ليلة[١]، فالتقى الرسولان بالبشرى أثناء الطريق، وذلك من أعجب الاتفاق في التاريخ[٢].

ذكر عمارة[٣] عن بلال بن جرير أن الأخير لما ملك الخضراء، وقبض على الحرة بهجة وجد عندها من الذخائر والتحف ما لم يستطع هو جمعه وشراءه، رغم إمارته على عدن مدة طويلة، وهذا يدلنا على انها كانت تمتلك أموالا وثروات طائلة جمعتها من الموارد الطائلة التي كانت تجبى من المراكب التي تدخل عدن عن طريق حصن الخضراء، الذي كان تحت تصرف ولدها علي بن أبي الغارات، إضافة إلى الرسوم الأخرى التي كانت تجبى من السكان، فقد كانت إدارة عدن تحت تصرف ولدها أيضا، وقد انتقلت تلك الأموال إلى الداعي سبأ بن أبي السعود، وهي من غنائم الانتصار الساحق الذي أحرزه ضد علي بن أبي الغارات، وقد أنزلت الحرة بهجة من حصن الخضراء، وأقامت في مدينة عدن حتى وفاتها[٤]، وقد ذكر بعض المؤرخين[٥] أن المسجد المعروف بمسجد الحرة بالقرب من جامع عدن ينسب إليها، ولم يحددوا تاريخ ومكان وفاتها.

في أثناء القتال بين الداعي سبأ وابن عمه علي بن أبي الغارات في وادي لحج، كانت زبيد والتهائم اليمنية تعيش جوا من الدسائس والمؤامرات تحت سيطرة ملك صغير السن، ضعيف الشأن، وهو الملك فاتك بن منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح، وقد حصل خلاف داخلي في زبيد على السلطة بين عبيده، أمثال من الله الفاتكي وإقبال[٦] وسرور القائد[٧]، وكان هذا الملك ألعوبة في أيديهم، لكن وزيره مفلح الفاتكي[٨] اختلف مع هؤلاء العبيد، بسبب محاولتهم الاستئثار بالسلطة والقضاء عليه.

---

[١] حدد هذه المسافة: عمارة. المفيد ص ١٨٢، إبن المجاور. المستبصر ص ١٢٥، الخزرجي. كفاية و ٤٤أ.

[٢] عمارة. المفيد ص ١٨٢، وذكر إبن المجاور ان ذلك الحدث كان سنة ٥٤٥هـ، المستبصر ص ١٢٥، وهذا وهم وخطأ.

[٣] المفيد ص ١٨٢.

[٤] أنظر عن تفاصيل تلك الحوادث بعد انتهاء الحرب: إبن المجاور. المستبصر ص ١٢٥، الحمزي. كنز الأخيار و١٨٦أ، الجندي. السلوك ج٣ و ١٠٣ ب، الخزرجي. كفاية و ٤٤أ، طراز "متحف" و ٢١٤ ب، غربية و١٢١أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠ ب.الديبع. قرة العيون ص ٣٠٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/٨٩، العبدلي، هدية الزمن ص٥٧، الحداد. تاريخ اليمن ص٢١٩ ، لقمان، تاريخ عدن ص٥٠ -١، ٣٠٣.

[٥] الجندي. السلوك ج ٣و١٠٤أ "ويظن أن المسجد المعروف بمسجد الحرة على قرب من جامع عدن ينسب إليها"، ونقل ذلك عنه: الخزرجي. طراز "غربية" و ١٢١أ، كفاية، و٤٤أ، لقمان. تاريخ عدن ٥١.

[٦] ويضاف لهؤلاء العبيد: صواب وريحان. يحيى. غاية الأماني ص ٢٩١.

[٧] سرور الفاتكي: هو الوزير أبو محمد سرور الفاتكي، لقب نسبة إلى فاتك ولد الحرة علم، وجنسه من بطن الحبشة، اشترته الحرة وربته تربية خاصة في حجرها، ولم يلبث أن شب فولته زمام المماليك والتدبير لجميع الدار، وقد ولي سرور مدينة المهجم ثم ترقت به الحال إلى أن خرج إقبال من الوزارة وصار مكانه لأمور كثيرة، فكان من مشاهير وزراء آل نجاح في زبيد، وقد دبر على قتله علي بن مهدي وهو يصلي في مسجده بزبيد سنة ٥٥١هـ، أنظر: عمارة. المفيد ص ٢٢٨، الوصابي، تاريخ وصاب ص ٦٠ - ٣، الديبع. بغية المستفيد ص ٦١ - ٤.

[٨] يكنى أبا منصور أصله من الحبشة، كما يوصف بالعفة، واصبح وزيرا في زبيد، فلما نشأ فتية من عبيد الحرة علم أمثال صواب وريحان وإقبال وسرور أصبحوا هم أعيان الدولة، وكان مفلح معهم كالأجنبي، فعملوا على التخلص منه. عمارة. المفيد ص ٢١٥ فما بعد، يحيى، غاية الأماني ص ٢٩١.

دبر القائد سرور مؤامرة لإخراج مفلح من زبيد، فأمره أن يجهز جيشا إلى عدن لمحاربة سبأ بن أبي السعود وعلي بن أبي الغارات، وكان الغرض من ذلك أيضا إبعاده عن زبيد، فخرج مفلح على رأس الجيش يريد عدن، إلا أن المؤامرة لم تنجح، فلم يكد يبتعد عن زبيد حتى وصلته الأخبار بقيام محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح بثورة ضد الملك الصغير فاتك بن منصور ووالدته الحرة علم[1]، لذلك اضطر الوزير مفلح للعودة إلى زبيد، وبذلك فشلت الحملة العسكرية التي استهدفت غزو عدن[2].

وقيل في رواية[3] ان الوزير مفلح خرج ومعه القائد سرور الفاتكي من زبيد إلى عدن، لقتال الداعي سبأ بن أبي السعود، لكن سرورا عاد بعد مغادرته زبيد إثر سماعه بقيام ثورة قادها محمد بن فاتك واستولى فيها على دار الإمارة ليلا، فعاد سرور ودخل زبيد وسيطر عليها، وبذلك فشلت الحملة ضد عدن، وكانت قوات الداعي سبأ مستعدة للقيام بمواجهة جيش بني نجاح أمراء زبيد[4].

لا تحدد المصادر السنة التي انتهت فيها الحرب بانتصار الداعي سبأ وقائده بلال بن جرير على علي بن أبي الغارات وبني عمه المسعود، وهذه مشكلة تتميز فيها التواريخ اليمنية التي لا تحدد تواريخ الحوادث المهمة في تاريخ اليمن، لكن لقمان[5] ذكر بأن دخول الشيخ بلال بن جرير المحمدي مدينة عدن فاتحا وسيطرته على حصن الخضراء كان سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م، ونعتقد ان هذا التحديد هو الأقرب للصواب، فقد ذكرنا بأن حملة ملك جزيرة كيش على عدن كانت في حدود سنة ٥٣٠هـ، وأن استئناف القتال بين الداعي سبأ وابن عمه قد استمر مدة سنتين، لذلك فان تحديد نهاية الحرب في سنة ٥٣٢هـ، يعد تاريخا مقبولا، وندعم رأينا هذا بما ذكره الحجوري[6] بأن أخذ الخضراء كان في شهر جمادى سنة ٥٣٢هـ، ومهما يكن من أمر، فان الداعي سبأ هو الذي كسب النصر في تلك الحرب، فعاد من الدملوة، ودخل مدينة عدن، وقد أشار بعض المؤرخين[7] لذلك النصر وزوال ملك علي بن أبي الغارات باختصار وبدون تحديد للسنة.

إن انتصار الداعي سبأ بن أبي السعود في هذه الحرب وإنهاء حكم علي بن أبي الغارات، يوضح لنا تفوق أحد فرعي أسرة بني المكرم على الفرع الآخر، وكان من

---

[1] الحرة علم: الحرة ضد الأمة، وكانت تطلق على أم ولي العهد في دولة بني نجاح باليمن، واستخدمت اللفظة أيضا كلقب للسيدة أو الأميرة كما أطلقت على نساء الأشراف والعظماء تمييزا لهن عن الجواري والإماء في القصور. الباشا. الفنون الإسلامية ١/ ٤٢٣.

[2] عمارة. المفيد ص ٢٢١، يحيى. غاية الأماني ص ٢٩١، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٠، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢١٦، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ١٦٨.

[3] الديبع. قرة العيون ص ٣٥٦.

[4] الشامي. إمارة آل زريع ص ١٠٢.

[5] تاريخ عدن ص ٥٠، معارك حاسمة ص ٧٩، وأما ما ذكره ابن المجاور من لقاء رسولي الداعي سبأ وبلال بن جرير بعد فتح الرعارع والخضراء سنة ٥٤٥هـ، فهو من قبيل الوهم وعدم الدقة. المستبصر ص ١٢٥، وكانت نهاية علي بن أبي الغارات وبني عمه في تلك السنة كما سنذكر.

[6] روضة الحجوري و ٢٤٤ب ولم يحدد الشهر هل في جمادى الأول أم الآخر.

[7] إبن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٦١، إدريس. نزهة الأفكار و ٣٢ب، ابن خلدون. العبر مج ٤/٤٦٦ – ٧، يحيى. إنباء الزمن و ٤٦، العرشي. بلوغ المرام ص ٢٨.

نتائج هذا التفوق ابتداء حكم بني زريع على عدن وأعمالها، وإنهاء حكم بني المسعود، وقد استمر ذلك الحكم حتى سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، وبذلك عرفت الإمارة في عدن – بعد انتصار الداعي سبأ، بإمارة بني زريع[١] أو آل زريع[٢].

لقد ورد حلول بني زريع محل بني المسعود بعد انتصار الداعي سبأ واستيلائه على الرعارع التي كانت مدينة بني المسعود في لحج، وذلك في شعر علي بن محمد بن زياد المأربي[٣]:

خلت الرعارع[٤] من بني المسعود فعهودهم عنها[٥] كغير عهود

حلت بها آل زريع وإنما حلت اسود في مكان[٦] اسود[٧]

تميز بنو زريع بكفاءة ومقدرة أدت إلى شهرتهم، بحيث طغى اسمهم على بني عمهم، وعرفت أسرة بني المكرم في عدن ببني زريع[٨]، في حين ان حكم بني زريع بدأ بعد انتصار الداعي سبأ على إبن عمه علي بن أبي الغارات ودخوله مدينة عدن في حدود سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م.

---

[١] ابن خلدون. العبر مج ٤/٤٦٦ وذكر أنهم انقسموا إلى فئتين: بني المسعود وبني زريع، وغلب بنو الزريع بعد حروب طويلة.

[٢] الحداد. تاريخ اليمن ص ٢١٩.

[٣] وردت اختلافات في نسبة هذا الشعر وقائله، فهناك من ينسبه إلى علي بن محمد بن زياد المازني. الحموي. معجم ٣/١٤٠، معجم الحجري و ١١٢، وقيل أنه علي بن زياد المازني. ابن المجاور. المستبصر ص ٢٤٨، العبدلي. هدية الزمن ص ٥٧، الجرافي. المقتطف ص ٧٠، والمازني تصحيف المأربي.

وقيل إن الشعر منسوب لمحمد بن زياد المأربي. العبدلي. هدية الزمن ص ٦، الأكوع "محقق" هامش قرة العيون ص ٣٠٧، وقد سبق أن ترجمنا للمأربي.

[٤] وردت تسميتها: الزعازع. الحموي. معجم ٣/١٤١، معجم الحجري و ١١٢، العبدلي. هدية الزمن ص ٦، ونعتقد ان ذلك تصحيف، والصواب ما ثبتناه اعلاه.

[٥] وردت بعدة صيغ مثل: "منها". الحموي. نفسه، "فيها". عمارة. المفيد ص ٣٢٣، ابن المجاور. المستبصر ص ٢٤٨.

[٦] مقام. أنظر: العبدلي. هدية ص ٦، ٥٧، الجرافي. المقتطف ص٧٠، الاكوع "محقق" هامش المفيد ص ٣٠٧.

[٧] أنظر عن هذين البيتين: عمارة. المفيد ص ٣٢٣، الحموي. معجم ٣/١٤٠-١، ابن المجاور. المستبصر، ص٢٤٨، معجم الحجري و ١١٢، العبدلي. هدية الزمن ص ٦، ٥٧، الجرافي. المقتطف ص ٧٠، هامش قرة العيون ص ٣٠٧. ويروي ابن المجاور شعرا لعلي بن الحسين الأعرج، يقول فيه:

خلت الرعارع من بني مسعود وتبدلت بعد القرود اسود.

ويضيف أن الداعي سبأ بن أبي السعود قال له: "بل تبدلت بعد الأسود اسود"، وهو محمد بن منيع بن مسعود بن المكرم صاحب لحج، المستبصر ص ١٥٥، وقد ورد الشعر هذا بتسكين كلمتي: مسعود واسود، والصواب: مسعودٍ بالكسر، وأسودا.

[٨] ذكرنا في بداية دراستنا عن بني المكرم ونسبهم أن هذه التسمية كانت متداولة عند كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين، برغم ان بني زريع هم فرع من أسرة بني المكرم.

الفصل الثالث

إمارة بني زريع في عدن

٥٣٢ - ٥٦٩هـ / ١١٣٧ - ١١٧٣م

تعريف بالفصل:

بعد انتصار الداعي سبأ بن أبي السعود على ابن عمه علي بن أبي الغارات وعمه منيع بن مسعود واستيلائه على مدينة الرعارع إثر معركة لحج الحاسمة، هرب علي وعمه منيع إلى حصني منيف والجبلة في جهة صهيب من لحج. استطاع الداعي سبأ القضاء على إمارة ابن عمه علي بعد سيطرته على الرعارع في لحج، وسيطرة قائده بلال بن جرير على حصن الخضراء في عدن، وإنزال الحرة بهجة والدة علي ومصادرة أموالها وذخائرها.

إثر تلك الانتصارات بدأ حكم بني زريع منذ سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م، إذ يعتبر الداعي سبأ أول أمراء بني زريع المستقلين في عدن، وسنتناول في هذا الفصل دراسة المدة التي حكم فيها عدن حتى وفاته وتولي ولديه علي ومحمد الحكم من بعده. وسنوضح مظاهر الصراع بينهما، وانفراد محمد بن سبأ بالحكم بعد وفاة أخيه علي، ثم ندرس عهد الداعي عمران بن محمد بن سبأ، وأهم الحوادث خلال حكم هؤلاء الأمراء حتى نهاية إمارة بني زريع وتفككها بعد وفاة الداعي عمران، مما مهد السبيل للأيوبيين في التوجه نحو بلاد اليمن وقضائهم على إمارة بني زريع. ونوضح خلال الفصل علاقة بني زريع بالإمارات والدويلات الأخرى في اليمن.

١- إمارة سبأ بن أبي السعود: ٥٣٢ – ٥٣٣هـ/ ١١٣٧ – ١١٣٨م.

إثر انتصاره في معركة لحج الحاسمة، انتقل الداعي سبأ من الدملوة إلى عدن وأقام فيها، وبذلك يبدأ حكم بني زريع على عدن وأعمالها، ويعتبر الداعي سبأ أول من استقل بملك عدن من الزريعيين[١].

لا توضح المصادر أعمال الداعي سبأ في عدن بعد استقلاله في حكمها وانتقاله إليها، واقامته فيها سبعة[٢] أشهر كما روى المؤرخون[٣]. ويبدو أنه كان على علاقة حسنة مع السيدة الحرة الصليحية، روى إدريس[٤] أنها أقرته على عمله، وكان يحمل إليها نصف الخراج دون أن يحدد مقداره، ويحتمل بأنه كان يحمل إليها مبلغ خمسين ألف دينار سنوياً، ولعل ذلك تم بعد توليه أمر الدعوة للفاطميين وحمله لقب الداعي سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣١م، على ان هذه الرواية لم تؤيَد في مصادر أخرى، كما اننا أوضحنا بأن بني المكرم أعلنوا انفصالهم عن تبعية الدولة الصليحية والسيدة الحرة بعد امتناعهم كلياً عن دفع الأموال السنوية مقابل حكمهم على عدن وأعمالها منذ عهدي أبي السعود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود، وبالتحديد بعد مقتل أسعد بن أبي الفتوح الحميري قائد السيدة الحرة سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م[٥]، فهذه الرواية موضع شك ويحسن عدم أخذها مأخذ الخبر الموثوق.

توفي الداعي سبأ في مدينة عدن سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م[٦]، أي بعد وفاة السيدة الحرة بعام[٧]، إذ أن وفاتها كانت سنة ٥٣٢هـ[٨]، ونحن نرجح وفاة الداعي سبأ سنة ٥٣٣هـ، فعلى رواية الحجوري[٩] ان قائده بلال بن جرير فتح حصن الخضراء في عدن

---

[١] الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٤٨، ٣٦٠.

[٢] وقيل مكث في عدن تسعة أشهر. الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٤٩.

[٣] الخزرجي. طراز "غربية" و ١٢١أ، كفاية و ٤٤أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٩/٢، ٢١٧، وذكر هؤلاء المؤرخون وفاة الداعي سبأ سنة ٥٣٢ هـ وقيل سنة ٥٣٣هـ، وممن ذكر وفاته سنة ٥٣٢هـ: الحجوري، الروضة و ٢٤٤ب، وقد حددها في شهر شعبان منها، ونقل عنه: د. صالح. بنو معن ص ٣٣٤، أنظر عن وفاته سنة ٥٣٢هـ: الديبع. قرة العيون ص ٣٠٩، يحيى. غاية الأماني ص ٢٩٥ – ٦، العبدلي. هدية الزمن ص ٥٧، العرشي. بلوغ المرام ص ٢٨، العقيلي. المخلاف ج ١ق١/ ١٥٥، الثور. هده هي اليمن ص ٢٨٦، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٠، ترسيسي. اليمن ص ٩٧، الشامي. إمارة ص١٠٢، وفي رواية أن وفاة الداعي سبأ والسيدة الحرة كانت في نفس الليلة والسنة. الديبع. قرة العيون ص ٣٠٩.

[٤] نزهة الأفكار و ٣٢ ب.

[٥] راجع للتفصيل الفصل الثاني.

[٦] عمارة. المفيد ص ١٨٣، الجندي. السلوك ج ٣و ١٠٤أ، أبو الفدا. المختصر ٨٩/٤، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٦١، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٦، ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٦٧، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠ب، إدريس. نزهة الأفكار و٣٣أ، يحيى. إنباء الزمن و ٤٨، لقمان. تاريخ عدن ص ٥١، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٦.

[٧] عمارة. المفيد ص١٨٣، إدريس. نزهة الأفكار و٣٣أ، لقمان. تاريخ عدن ص٥١.

[٨] ذكرنا وفاتها سنة ٥٣٢هـ. راجع مصادر ترجمتها في الفصل الثاني.

[٩] روضة الحجوري و ٢٤٤ب، ولم يحدد الشهر، ولعله جمادى الأولى.

في شهر جمادي سنة ٥٣٢هـ، واستناداً إلى ما ذكره المؤرخون بأنه أقام بعدن سبعة أشهر ثم توفي[١]، فان ذلك يؤكد بأن وفاته كانت سنة ٥٣٣هـ[٢]، وذكر المؤرخون[٣] بأنه دفن في سفح التعكر داخل مدينة عدن وانتقلت السلطة من بعده إلى أولاده.

٢- إمارة علي بن سبأ: ٥٣٣ - ٥٣٤هـ/ ١١٣٨ - ١١٣٩م.

ذكر المؤرخون[٤] ان الداعي سبأ ترك خمسة من الأولاد الذكور، هم: علي ومحمد وزياد والمفضل[٥] وروح[٦].

وكان الداعي قبل وفاته قد أوصى لابنه علي بالقيام في الأمر من بعده[٧]، كما تذكر بعض الروايات[٨]، فتولى علي الحكم بعد وفاة أبيه[٩]، وكان يلقب بالأعز[١٠] والمرتضى[١١]، وذكر الحداد[١٢] أنه كان أكبر أولاده.

تولى علي الأعز الحكم سنة ٥٣٣هـ، وهي السنة التي توفي فيها والده الداعي سبأ، ويبدو أن أباه كان يعتمد عليه بدليل أنه أوصى له بالأمر من بعده. وقد ذكرنا أن أباه اقترض من تجار عدن أثناء حربه مع ابن عمه علي بن أبي الغارات لأجل مواصلة

---

[١] ذكرنا هؤلاء المؤرخين أنفا، حين ذكروا وفاته.

[٢] يروي ابن المجاور أن الداعي سبأ كان حياً سنة ٥٤٥هـ، وتمكن في تلك السنة من قتل علي بن أبي الغارات. المستبصر ص ١٢٣، وذكر أيضاً أن رسول الداعي سبأ التقى مع رسول قائده بلال بعد فتح الزعارع والخضراء في تلك السنة. نفس المصدر ص ١٢٥، وهذه أوهام وأخطاء لا يمكن قبولها مطلقاً، وقد وقع في ذات الخطأ حمزة لقمان حين ذكر ان الداعي سبأ انفرد في حكم عدن، وأسس دولة بني زريع بعد مقتل علي بن أبي الغارات وعمه المسعود سنة ٥٤٥هـ، تاريخ عدن ص ٥١، معارك حاسمة ص ٧٩، والصواب ان مقتلهما في تلك السنة كان على يد الداعي محمد بن سبأ، كما سنذكره.

[٣] أنظر عن رواية دفنه في سفح التعكر والعثور على تابوته: الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٦أ، الجندي. السلوك ج ٣و ١٠٤أ، الخزرجي. طراز "غربية" و ١٢١أ، كفاية و ٤٤أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٨٩، لقمان. تاريخ عدن ص ٥١ - ٢.

[٤] عمارة. المفيد ص ١٧٧، الخزرجي. كفاية و ٤٣أ، طراز، "غربية" و ١٢١أ، الديبع، قرة العيون ص ٣٠٦، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٩/٢، العبدلي. هدية الزمن ص ٥٥، باوزير. معالم تاريخ الجزيرة ص ١٩٤، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٤٨، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٠.

[٥] أسقطته المراجع الحديثة أعلاه، ولم تورد ذكره.

[٦] يرد اسمه بصيغ مختلفة، فيسمى: رباح. الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٠، ويسمى: رواح. العبدلي. هدية الزمن ص ٥٥، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٤٨، باوزير. معالم ص ١٩٤، ويسميه: رواخ، ونعتقد بأنه تصحيف.

[٧] وفي خبر انه اوصى بالدعوة المستنصرية لولده الأعز بن سبأ. الكبسي. اللطائف السنية و ٢٢ب.

[٨] عمارة. المفيد ص ١٨٣، ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، الاهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠ب، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٢، معارك حاسمة ص ٨٠.

[٩] وفي خبر ان محمد بن سبأ تولى الحكم بعد وفاة أبيه سبأ. الجرافي. المقتطف ص ٧٠، الشماحي. اليمن ص ١١٦.

[١٠] ويرد مصحفاً بلقب الأغر. انظر: أبو الفدا. المختصر مج ١ج ٤/ ٨٩، أبو مخرمة . ثغر عدن ٢/ ٨٩، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٠، باوزير. معالم ص ١٩٤، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٤٩، ٤٤٧، الشامي. إمارة آل زريع ص ١٠٢.

[١١] عمارة. المفيد - تح: كاي ص ٥٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٢، ٥٩، معارك حاسمة ص ٨٠.

[١٢] تاريخ اليمن ص ٢٢٠.

الحرب، روى بعض المؤرخين[1] أنه توفي وبذمته ثلاثون ألف دينار، وهي بقية القرض فسددها عنه ولده علي الأعز.

ذكر المؤرخون[2] ان علياً الأعز، كان يقيم بالدملوة، وقد بقي الشيخ بلال بن جرير نائباً في عدن، حيث تولاها منذ عهد الداعي سبأ، وكانت العلاقة بين علي الأعز وبلال عدائية فكان كل منهما يكره الآخر، ويعود سبب ذلك إلى أن بلالاً كان يميل إلى أخي علي الأعز وهو محمد بن سبأ، فعزم علي الأعز علي إزاحة بلال عن عدن، وفي رواية[3] أنه هَمَّ بقتله في عدن، وكان محمد بن سبأ قد هرب – قبل ذلك – من أخيه علي الأعز[4] والتجأ عند الأمير منصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري[5] بذي جبلة، وقيل في تعز[6]، ويوضح د. صالح[7] بأن المؤرخين لم يفصحوا عن الأسباب التي دفعت علي الأعز إلى اتخاذ موقف عدائي ضد أخيه محمد، ويضيف بأنه ربما كمن السبب في تعرض علي إلى مرض خطير كاد يفتك به فأحاله إلى شخص يائس من بريق العز والسلطان الذي سيفوز به أخوه محمد من بعده، فأراد البطش به؛ مما اضطر محمداً إلى الفرار لاجئاً عند المنصور بن المفضل الحاكم الصليحي بالجند، ونحن نتفق مع د. صالح بأن مرض علي الأعز كان سبباً لأن يفكر في الانتقام من أخيه الذي سيحل محله بعد وفاته في الحكم، فأراد التخلص منه ونقل السلطة إلى أولاده الصغار من بعده.

إن هذا النزاع بين أولاده الداعي سبأ بن أبي السعود يوضح لنا كيفية انقسام البيت الواحد بسبب المنافسة على السلطة والحكم، وهذا يعني أن بيت بني زريع كان مفرق الكلمة وهم في عنفوان قوتهم.

---

[1] عمارة. المفيد ص ١٨٢، الخزرجي. كفاية و ٤٤أ، طراز "غربية" و ١٢١أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٨٩/٢، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٠، معارك حاسمة ص ٧٩.

[2] عمارة. المفيد ص ١٨٣ – ٤، ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٦٧، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢١٧، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٦، لقمان. تاريخ عدن ٥٢ – ٣، معارك حاسمة ص ٨٠، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٥٠.

[3] عمارة. المفيد ص ١٨٣ – ٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣.

[4] وفي رواية أن علياً الأعز نفى أخاه محمد بن سبأ، فالتجأ إلى منصور بن المفضل بالتعكر. إدريس. نزهة الأفكار و ١٣٣أ.

[5] كان المنصور من كرام الملوك، وقد أوضحنا دور أبيه في الفصل السابق، ولي المنصور الملك بعد وفاة السيدة الحرة سنة ٥٣٢هـ، كان كريماً ممتدحاً، وقد انتقلت حصون آل الصليحي وذخائرهم إليه بعد وفاة السيدة، وبقي عليها حتى باعها للداعي محمد بن سبأ، وتوفي لبضع وأربعين وخمسمائة. الجندي، السلوك ج ٣ و١٠٢ب، الخزرجي. العقد الفاخر و١٧٤ب. يحيى. إنباء الزمن و ٤٨.

[6] لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣، معارك حاسمة ص ٨٠، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٠، الشامي. إمارة ص ١٠٣.

[7] د. محمد أمين صالح. بنو معن ص٣٣٥.

لم يستطع علي الأعز التعرض لأخيه محمد بسوء، بالإضافة إلى أنه لم ينجح في تدبير قتل بلال بن جرير، ذلك أنه مات بالسل[١] في الدملوة سنة ٥٣٤هـ/ ١١٤٠م[٢]، وكانت مدته قصيرة[٣]، فقد مات بعد نحو عام من توليه الحكم[٤].

ان مدة حكم علي الأعز تميزت بعدم بروز أي نشاط سياسي أو عسكري له خلالها، فكانت هادئة، ونرجح سبب ذلك إلى قصرها من جهة ومرضه من جهة أخرى، إضافة إلى انشغاله بالتخلص من أخيه محمد بن سبأ، وإبعاده عن الحكم وكذلك صراعه مع بلال بن جرير نائبه بعدن، وقد عَبرّت المنافسة الشديدة بينه وبين أخيه محمد عن غلبة المصالح السياسية والدنيوية برغم أنهما ينتميان إلى أسرة واحدة، وكان لبلال بن جرير دور بارز في مساندة محمد بن سبأ ضد أخيه علي وأولاده من بعده.

أولاد علي بن سبأ:

ترك علي الأعز بن سبأ بعد وفاته أربعة من الأولاد الذكور كانوا صغار السن[٥]، هم: حاتم وعباس ومنصور والمفضل[٦]، فجعل كفالتهم إلى عبده أنيس الأعزي الحبشي، ويحيى بن علي العامل وزيره وكاتبه[٧]، وكانوا جميعاً يقيمون في حصن الدملوة[٨].

وقد أوصى علي الأعز لولده حاتم بتولي الحكم من بعده، كما تذكر بعض الروايات[٩]، ولعله كان أكبر أولاده، كما نستدل من تقديم اسمه على بقية إخوته في المصادر التي ذكرتهم، وكانت وصاية علي الأعز إلى عبده أنيس الأعزي بكفالة أولاده الصغار ومنهم

---

[١] أنظر عن موته بالسل دون تحديد السنة: عمارة. المفيد ص ١٨٤، ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٤أ، أبو الفدا. المختصر ٤/ ٨٩، ابن خلدون. العبر مج ٤/٤٦٧، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٣٣أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/٣٢.

[٢] ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٦١، الخزرجي. طراز (غربية) و ١٢١أ، كفاية و ٤٤أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٠٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/٨٩، ٢١٧، الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٢١ ب، يحيى. إنباء الزمن و ٤٨، غاية الأماني ص ٢٩٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣. وفي رواية أنه توفي سنة ٥٣٥هـ: روضة الحجوري و ٢٤٤ ب، وقيل أنه كان مريضاً بالسل فتوفي بعد عامين من توليه وهو في الدملوة. الشامي. إمارة آل زريع ص ١٠٢.

[٣] قيل مات قبل أن يكمل سنة. الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٦، وقيل أنه لم يلبث في الحكم إلا قليلاً ومات قريباً من توليه الحكم. ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٦٧، إدريس. نزهة الأفكار و ٣٣أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٠٩.

[٤] لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣.

[٥] اكتفى بعض المؤرخين بالإشارة إلى ذلك فقط دون ذكر أسمائهم، أنظر: الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٤أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠ب – ٢٧١أ، الديبع. قرة ص ٣٠٩، يحيى. إنباء الزمن و ٤٨، غاية الأماني ص ٢٩٧، ولم يذكر الوصابي أسمائهم وعددهم. تاريخ وصاب ص ٦٦، ومن المراجع: الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٥٠، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٦.

[٦] سقط اسمه من بعض المصادر. عمارة. المفيد ص ١٨٤، ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، الخزرجي. كفاية و ٤٤أ، وقال: "لم اقف على إسم الرابع منهم"، أنظر أيضا: د. صالح. بنو معن ص ٣٣٥، وسماه زامباور: جابر. معجم الأنساب ص ١٨١ "شجرة النسب". أنظر عن أسمائهم الأربعة: لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣، معارك حاسمة ص ٨٠، زامباور. معجم الأنساب ص ١٨١ – مع الاختلاف.

[٧] ذكر لقمان أن علياً الأعز أوصى إلى عبده أنيس الأعزي بكفالة أولاده، وليحيى بن علي ببيت مال الدملوة. معارك حاسمة ص ٨٠.

[٨] أنظر عن أولاد علي الأعز إضافة للمصادر المذكورة: الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٢١أ. الشامي إمارة آل زريع ص ١٠٢.

[٩] الخزرجي. كفاية و ٤٤أ – ب، الديبع. قرة العيون. ص ٣٠٩، يحيى. إنباء الزمن و ٤٨، غاية الأماني ص ٢٩٧، العبدلي. هدية الزمن ص٥٧، الحداد، تاريخ اليمن ص ٢٢٠، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٥٠.

حاتم، تدل على صغر سنهِ، فأوصاه برعايتهم حتى يكبروا ويبلغوا رشدهم، ونعتقد أن الوصاية تدل على تولي أنيس الأعزي مقاليد الحكم، بسبب كفالته لأبناء سيده علي الأعز.

إلا أن وصية علي الأعز لم ينفذ منها أي شيء، فقد كان الشيخ بلال بن جرير نائبه بعدن قد بقي شبه مستقل فيها، ورفض الخضوع لأبناء علي الأعز الصغار السن[1]، ولم يقبل بلال سيادة الوصي والكفيل أستاذ أنيس الذي ربما كان السبب في فساد العلاقة بينه وبين علي الأعز، فعزم الأخير على التخلص من بلال بالقتل، كما ان هنالك تعاطفاً بين بلال ومحمد بن سبأ اللاجئ بالجند، وكان بلال يرى بأنه الرجل المناسب من بني زريع لحكم الدولة والمنتظر لتولي أمر الدعوة[2].

٣- إمارة محمد بن سبأ: ٥٣٤ - ٥٥٠هـ/ ١١٣٩ - ١١٥٥م.

دخوله عدن:

بعد وفاة علي الأعز سنة ٥٣٤هـ في الدملوة، كان أخوه محمد بن سبأ لاجئاً عند الأمير منصور بن المفضل بذي جبلة.

ذكر المؤرخون[3] ان بلال بن جرير أرسل رجالاً من همدان يحملون كتاباً إلى محمد بن سبأ بذي جبلة، يخبره بوفاة أخيه علي الأعز، ويطلب منه الإسراع بالعودة إلى عدن. ويعده ببذل المال والروح لمساعدته، فلما وصله الكتاب خرج مع الرجال الهمدانيين متجهاً إلى عدن، ولما صار بالقرب منها تلقاه بلال بن جرير لقاءً حسناً، وترجل بين يديه، وسار معه إلى دار المنظر[4] المشرف على ساحل حقات[5] فاسكنه فيه، ثم نزل واستحلف له العسكر جميعاً، وسلم إليه مقاليد الأمور، فأطاعه من كان تحت طاعة أبيه من أهل السهل والجبل ببركة بلال ويُمنه، وبذلت توطدت سلطته في عدن وتوابعها.

ويضيف هؤلاء المؤرخون، أن بلال بن جرير أشار على محمد بن سبأ أن يتقدم إلى الدملوة لمحاصرة أنيس الأعزي[6] ويحيى بن علي العامل، وكان ذلك بعد أيام من استقراره بعدن، وفعلاً تم له الاستيلاء على الدملوة وعلى سائر مملكة أبيه[7]، وباستيلائه على الدملوة تمكن من إخضاع أولاد أخيه علي الأعز لسيطرته.

---

[1] أنظر: لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣، معارك حاسمة ص ٨٠.

[2] د. محمد أمين صالح. بنو معن ص ٣٣٥.

[3] عمارة. المفيد ص ١٨٤، ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٤أ - ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢٠ب، كفاية و ٤٤ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٠٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٣٢، ٢١٧، الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٢٢أ، يحيى. إنباء الزمن و ٤٨، غاية الأماني ص٢٩٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣.

[4] من قصور عدن الشهيرة بناها بنو زريع وكانت مقراً لملوكهم. أبو مخرمة. ثغر عدن ج١/ ١٢.

[5] لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣، ٢٨٢، ٣٠٢.

[6] وفي رواية أن هنالك كراهية بين بلال ومربي أولاد علي بن سبأ الأستاذ الحبشي. الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٠.

[7] وفي رواية أن السيطرة على الدملوة كانت من قبل بلال بن جرير. الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١أ.

ويبدو أن السيطرة على الدملوة قد تمت بسهولة وبدون مقاومة، ففي رواية[1] أن أنيساً الأعزي شعر ببذور الثورة ضده، أثناء الحصار وقد سمع الجواري يتحدثن ويتآمرن على الخلاص منه، وكان ميلهن شديداً نحوَ مُحمد بن سبأ، مما سهل تسليم الحصن له بسهولة.

ومما زاد من قوة العلاقة بين بلال بن جرير ومحمد بن سبأ، هو زواج الأخير من إبنة بلال، وقد صرف على ذلك الزواج أموالاً طائلة[2]، وكانت هذه الحوادث ومنها زواج محمد بن سبأ، قد تمت في سنة ٥٣٤هـ[3]/ ١١٣٩م، في الأعم الأغلب.

تقليده أمر الدعوة الفاطمية:

توثقت العلاقة بين محمد بن سبأ والفاطميين في مصر، فبعد أن استقر في الدملوة، وأبقى بلال بن جرير نائباً له في عدن، ذكر المؤرخون[4] أنه أثناء ذلك، أي في سنة ٥٣٤هـ[5] / ١١٤٠م، قدم من مِصر القاضي الرشيد[6] بن الزبير الغساني الأسواني رسولاً من خليفة مصر الفاطمي الحافظ عبد المجيد[7]، وهو يحمل كتاباً منه بتقليد علي الأعز بن سبأ أمر الدعوة الفاطمية[8]، فلما وصل الرشيد وجد علياً الأعز قد توفي، فكتب

---

[1] عمارة. المفيد ص ١٨٥، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣، معارك حاسمة ص٨٠.

[2] أنظر عن زواجه: عمارة. المفيد ص ١٨٤، ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٤أ – ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢٠ب، كفاية و ٤٤ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢١٧، يحيى. إنباء الزمن و ٤٨.

[3] الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٦.

[4] عمارة. المفيد ص ١٨٥ – ٦، الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٦أ. الجندي. السلوك ج ١و ١٠٩ ج ٣ و ١٠٤ ب، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٦١، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٦، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢٠ ب، كفاية و ٤٤ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢١٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣.

[5] حدد هذا التاريخ: عمارة. المفيد ص ١٨٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢١٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣.

وفي رواية ان الخليفة الحافظ سير الرشيد أحمد بن الزبير رسولاً إلى اليمن، بسجل يقرأه عليهم، وانه سار في شهر ربيع الأول سنة ٥٣٩هـ. إبن ميسر، محمد بن علي بن يوسف. أخبار مصر، ج ٢ باعتناء: هنري ماسيه، منشورات المعهد العلمي الفرنسي، (القاهرة ١٩١٩م)، ص ٨٦.

[6] أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الغساني الأسواني، الملقب بالرشيد ويكنى أبا الحسن، مولده بأسوان في صعيد مصر، كان من أهل الفضل والنباهة والرئاسة والوجاهة، انتهت حياته بقتله ظلماً وعدواناً في محرم سنة ٥٦٢هـ، والشائع انه قتل سنة ٥٦٣هـ، وهو الصحيح، أنظر عن تفصيل ترجمته: الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٦٧، الحموي، ياقوت. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج ١، باعتناء: د. س. مر جليوث، ط ٢، مط هندية، (القاهرة، ١٩٢٣م)، ص ٤١٦ – ٧، ابن خلكان. وفيات الأعيان ١/ ١٦٠ – ٤، الجندي. السلوك ج ١ و ١١٣، الخزرجي. العقد الفاخر و ٢١٤أ، العامري، يحيى بن أبي بكر. غربال الزمان المفتتح بسيد ولد عدنان، خ مكتبة المتحف البريطاني رقم OR,21587 ورقة ١١٦أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤ – ٦، الجرافي. المقتطف ص ٧٢.

[7] بعد مقتل الخليفة الآمر بأحكام الله في ٢ ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ، على يد جماعة من النزارية، قبض الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل على أزمة الأمور في مصر حتى مقتله في ١٥ محرم سنة ٥٢٦هـ، فتولى الخلافة الفاطمية الحافظ عبد المجيد. حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٦، الشامي. إمارة آل زريع ص ١٠٤، د. صالح. بنو معن ص ٣٢٧.

[8] ذكرت بعض المصادر أنه وصل إلى اليمن رسول من خليفة مصر – دون ذكر اسمه، لتقليد الدعوة علي بن سبأ. ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٦٧، الديبع، قرة العيون ص ٣٠٩ – ٣١٠، يحيى. إنباء الزمن و ٤٨ – ٩، وفي خبر أنه قدم من مصر الخليفة الفاطمي – دون ذكر اسمه – بتقليد الدعوة علي بن سبأ. الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٥١، وهذا وهم وخطأ.

بالتقليد مكانه لأخيه محمد بن سبأ، ونعته بالداعي المعظم، ووصفه بالمتوج المكيـــن[1]، كما نعت وزيره ونائبه بعدن بلال بن جرير بـــ "الشيخ السعيد الموفق الســـديد"، وكـــان ذلك في السنة الأولى لإمارة محمد بن سبأ (٥٣٤هـــ).

بتقليد محمد بن سبأ أمر الدعوة الفاطمية باسم الخليفة الحافظ عبد المجيد، اصبـــح بنو زريع دعاة للفاطميين، مهمتهم نشر دعوة الحافظ المسماة بالدعوة المجيدية[2].

علاقته ببني نجاح في زبيد:

لم تكن علاقات بني زريع مع بني نجاح أمراء زبيد ودية، ويرجع ذلك لأسباب عديـدة، منها المنافسة السياسية ومحاولة كل من الإمارتين في عدن وزبيد التوسع على حســاب الأخرى، إضافة إلى الاختلافات المذهبية التي تلعب دوراً كبيراً في الصـــراع السياســـي، كما أن النجاحيين لكونهم عَبيداً يرجعون إلى الحبشة في أصولهم لم يلقوا احتراماً مـــن قبل معظم أمراء اليمن، ومنهم بنو زريع الذين يرجعون في أصلهم إلى قبيلـــة همـــدان العربية، ولذلك كان التفكير بالتخلص منهم يشغل بال معظم الأمراء العرب.

كان الصراع شديداً بين الصليحيين وبني نجاح منذ عهد الداعي علـــي بـــن محمـــد الصليحي الذي دبر مقتل نجاح أمير زبيد على يد جارية حسناء أهداها إليه، فدست لـــه السم وتوفي سنة ٤٥٢هـــ/ ١٠٦٠م، ثم اشترك أولاد نجاح وهم جياش وسعيد الأحـــول في مقتل الصليحي سنة ٤٥٩هـــ/ ١٠٦٦م، واستمرت العلاقات المتوترة بين الصليحيين والنجاحيين في عهد المكرم أحمد بن علي الصليحي الذي غزا زبيداً، وخلص أمه أسماء بنت شهاب من أسر سعيد الأحول عام ٤٦١هـــ/ ١٠٦٨م، ودخل زبيد بعد هروب ســعيد الأحول وأخوته[3].

وأثناء الحرب بين الداعي محمد بن سبأ وابن عمه علي بن أبي الغارات في لحـــج، حاول بنو نجاح القيام بغزوة على عدن وحرب الداعي سبأ، إلا أنها باءت بالفشل، لـــذا فان العلاقات بقيت عدائية ومتوترة بين الإمارتين بعد وفاة الداعي سبأ.

وفي عهد الداعي محمد بن سبأ ذكر عمارة[4] ان الشيخ بلال بن جرير غزا بأسطوله سواحل زبيد، فقتل ونهب وأحرق، وأدى ذلك إلى انقطاع السفر من عـــدن إلـــى زبيـــد وبالعكس مدة ثلاث سنين، ويوضح عمارة بأنه استغل هذا الظرف فاستأذن من الحـــرة علم وقائدها سرور الفاتكي للعمل في التجارة بين المدينتين إذ أدت تلـــك الحـــرب إلـــى

---

[1] وقيل: المكنى بسيف أمير المؤمنين. ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٦٧، الحامد. تاريخ حضرمـــوت ص ٣٥١، وقيـــل أيضا أنه كان يلقب بالداعي المتوج سيف أمير المؤمنين. زامباور. معجم الأنساب ص ١٨١ هامش المترجم.

[2] هناك من ذكر ان القاضي الرشيد قد خرج من الأبواب المقدسة (مقر الخلافة الفاطمية في القاهرة) ليقـــوم بتقليد الدعوة المجيدية (الإسماعيلية الفاطمية) للأعز المرتضى علي بن سبأ. عمارة. المفيد، تح: كـــاي ص ٥٥، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٣.

[3] راجع تفاصيل هذه الحوادث في الفصل الثاني.

[4] عمارة اليمني. النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، باعتناء: هرتويغ درنـــبرغ، مـــط مرســـو، (شالون، ١٨٩٧م)، طبعة أوفست مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت)، ص ٢٦ – ٢٧.

رخص بضائع كل بلد وغلائها في البلد الآخر، فحصل على أموال طائلة بعمله هذا من الحرة وقائدها، ويبدو ان غزوة بلال قد بدأت سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م.

إن هذه الرواية التي انفرد بها عمارة لم نجد ما يدعمها في المصادر الأخرى سواء أكانت يمنية أم غيرها، وليست لدينا معلومات عن الأسطول الذي استخدمه في الغزو، إذ أننا نعرف بأن بني زريع لا يملكون أسطولاً بحرياً حين غزاهم أسطول ملك جزيرة كيش، ولعلهم استعانوا بسفن الناخذا الهندي رامشت التي ساهمت في صد ذلك الغزو، ولكننا لا نملك معلومات عن كفاءة وخبرة بلال بن جرير البحرية، وربما استعان بسفن لقاء أجور معينة في ضرب حصار على مدينة زبيد، ولا توضح لنا الرواية أسباب ونتائج تلك الغزوة، فبقيت غامضة.

قضاؤه على بني المسعود سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م:

أشرنا في موضع الخلاف بين الداعي سبأ بن أبي السعود وابن عمه علي بن أبي الغارات إلى انتصار الداعي سبأ على بني المسعود أعمامه في معركة لحج الحاسمة، مما ألجأ علي بن أبي الغارات وعمه منيع بن مسعود على الهرب إلى جهة صهيب في لحج والاستقرار بحصني منيف والجبلة فيها[1].

ورغم علاقة القربى الوثيقة بينهما وبين الداعي محمد بن سبأ، إلاّ ان روح المنافسة والعداء وقوة المصالح السياسية والدنيوية، كانت تطغى على كل العلائق والصلات الأخرى، وإن وُجِدَ التقارب في النسب والعقيدة والمذهب، لذلك كان الداعي محمد بن سبأ يضمر الانتقام من أعمامه المغلوبين، بعد مضي مدة تزيد على ثلاثة عشر عاماً.

ففي سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م، استطاع محمد بن سبأ أن يدبر قتل علي بن الغارات ومحمد بن منيع بن مسعود[2] ورعية إبن أبي الغارات في لحج[3]، ولا تشير هذه الرواية إلى مصير منيع بن مسعود الذي هرب من معركة لحج مع علي بن أبي الغارات، في حين أشارت لمقتل ولده محمد بن منيع، ونفهم من هذه الرواية بأن عدداً من اتباع إبن أبي الغارات ممن كانوا هاربين معه قد قتلوا أيضاً.

وفي خبر[4] أن الداعي محمد بن سبأ تمكن من قتل علي بن أبي الغارات وعمه منيع بن مسعود، اللذَيْن كانا لاجئَيْن في حصني منيف والجبلة في جهة صهيب من لحج.

وتنفرد إحدى الروايات[5] بذكر مقتل علي بن أبي الغارات وحده واستيلاء الداعي محمد بن سبأ على حصنيه اللذين التجأ إليهما وهما: المنيف والجبلة، وذلك سنة ٥٤٥هـ، ويحدد الحجوري[6] مقتله في رمضان من تلك السنة.

---

[1] أشرنا لتفاصيل ذلك في الفصل السابق.
[2] ذكر ابن المجاور إنه كان صاحب لحج، المستبصر ص ١٥٥.
[3] عمارة. المفيد ص ١٨٢ – ٣، الجندي. السلوك ج٣ و١٠٤ب، الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٢٢أ.
[4] لقمان. تاريخ عدن ص ٥١، الشامي. إمارة آل زريع ص ١٠٣.
[5] إدريس. نزهة الأفكار و ٣٣أ.
[6] روضة الحجوري و ٢٤٤ب.

ومهما يكن من أمر تلك الروايات فإنها تشير صراحة إلى مقتل علي بن أبي الغارات الذي كان المنافس المباشر للداعي سبأ في الحرب القائمة بينهما وقتذاك، كما أنها تشير إلى مقتل عمه منيع بن مسعود وابنه محمد، وتشير أيضاً إلى مقتل رعيته ومن كان هارباً معه على يد الداعي محمد بن سبأ.

إن التخلص من هذا الخطر الذي كان يهدد الداعي محمد بن سبأ قد حدد سنة ٥٤٥هـ، في معظم الروايات، وكانت تلك السنة ضمن سني حكم الداعي محمد بن سبأ، وهذا يدحض الرواية[1] التي ذكرت مقتل علي بن أبي الغارات سنة ٥٤٥هـ من قبل الداعي سبأ بن أبي السعود، ولعل ذلك كان تصحيفاً وخطأ وخلطاً في الأسماء أو السنين، فقد ذكرنا وفاة الداعي سبأ سنة ٥٣٣هـ.

دعوة الإمام المتوكل على الله وموقفه منها:

ظهرت دعوة الإمام المتوكل على الله[2] منذ سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م في صعدة ونواحيها، ثم انتشرت في أجزاء واسعة من اليمن بعد ذلك، وكان الإمام أحمد بن سليمان قد نشر دعوته على مذهب الزيدية الذي كان على عداء مع المذهب الفاطمي، ثم اصبح من المذاهب الواسعة الانتشار في اليمن[3].

---

[1] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، لقمان. تاريخ عدن، ص ٥١، معارك حاسمة ص ٧٩.

[2] هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر من نسل الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، وأمه الشريفة الفاضلة مليكة بنت عبدالله بن القاسم بن أحمد بن أبي البركات، ولد سنة ٥٠٠هـ، في نواحي هجرة حَوْث ببلاد حاشد، وكان الإمام جامعاً بين العلم والعمل، وله التصانيف في علم الكلام منها: حقائق المعرفة، ومن مصنفاته رسالة في الرد على المطرفية وكتاب أصول الأحكام في الحديث، وكتاب المدخل في أصول الفقه، والحكمة الدرية في أصول الدين وغيرها، وكانت دعوته قد بدأت منذ سنة ٥٣٢هـ، وانتشرت فملك صعدة ونجران ووادعة وسنحان وخولان والجوف والظاهر وصنعاء وأعمالها وبلاد مذحج ونواحيها، وكانت وفاته بحيدان من بلاد خولان الشام في شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ. الجنداري. الجامع الوجيز و ٥٥ب، ٦٢ب – ٦٣أ، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٩أ، ابن مظفر، محمد. الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان، خ نسخة مكتبة الجامع الكبير الغربية في صنعاء، رقم (٦٠) تاريخ وتراجم، ورقة ١٤٤أ – ب،١٤٦أ،زبارة. أئمة اليمن ١/ ٥ – ٧.

[3] اختلف المؤرخون في تحديد بداية دعوته، فهناك من جعلها سنة ٥٣٣هـ والأرجح انها بدأت سنة ٥٣٢هـ، وقد لقي أحمد بن سليمان نفورا من الناس في بدء دعوته وكان يدعو الناس للرشاد حتى انتظم أمره أولا في صعدة وأعمالها ونجران ثم في الجوف والظاهر، وانتشر حسن سيرته في اليمن، فاشتاقت إليه قلوب الناس، ووصلته المكاتبة من صنعاء يستدعونه. أنظر: الوزير. جامع المتون و ١٧ أ، يحيى. إنباء الزمن و ٤٨، الجنداري. الجامع الوجيز و ٥٩ أ، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٥ ب، زبارة. أئمة اليمن ١/ ٩٦ – ٩٧، الجرافي. المقتطف ص ٧١.

وقد تمكن الإمام المتوكل من السيطرة على صنعاء سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م في عهد السلطان حاتم بن أحمد[1]، ويرجع سبب ذلك – كما يروي بعض المؤرخين[2] – إلى أن حاتماً قتل الشيخ محمد بن عليان[3]، الذي كان من كبار الشيعة الزيدية، وكان إبن عليان هذا ذا جاه عند الأمراء، وأمر اليمن في أيدي ملوك بني زريع، لذلك تقدم محمد بن عليان بطلب إلى ملوك بني زريع لأخذ الولاية منهم لحاتم بن أحمد على صنعاء ومخاليفها، فلما استوثق له الأمر واستقام عمل على قتل الشيخ محمد بن عليان غِيلة في سَهمان[4]، وفي رواية[5] أن السلطان حاتم سعى في قتلِهِ على يد رجل من قبيلة يام في سوق سهمان، وكان رد فعل الشيعة الزيدية شديداً، فاجتمعت كلمتهم[6] وقصدوا الإمام المتوكل على الله فبايعوه، وخرج الإمام في جند من همدان (من الزيدية) متجهاً نحو صنعاء، استجابة لمطالبتهم بأخذ صنعاء، وكذلك الأخذ بثأر الشيخ محمد بن عليان.

قبل المضي في دراسة الحرب بين السلطان حاتم والإمام المتوكل، يجدر بنا أن نوضح أسباب مقتل ابن عليان، ونعتقد ان ذلك يرجع إلى خلاف وقع بينهما، وكان ابن عليان ميالاً نحو الإمام المتوكل، ففي رواية[7] أنه في سنة ٥٤٥هـ، وهي السنة التي قتل فيها ابن عليان وفد إلى الإمام المتوكل، الشيخ محمد بن عليان وجماعة يحثونه على الخروج إلى صنعاء وإخراج السلطان حاتم منها، دون ذكر سبب ذلك، ولكن الإمام عدل عن خطته، بسبب وصول كتاب من أخيه عبدالله بن سليمان يطلب منه التوجه إلى

---

[1] السلطان حاتم بن أحمد بن عمران اليامي الهمداني، كان معاصراً للإمام أحمد بن سليمان، وظهر معه في سنة ٥٣٣هـ، فقد ألقت همدان أمرها إليه، فأجابهم ودخل صنعاء في سبعمائة فارس منهم، ووردت إليه كتب صاحب مصر من بني عبد المجيد، وسمي السلطان الحُمَيد، وكانت وفاته سنة ٥٥٦هـ. أنظر: إدريس. نزهة الأفكار و٣٣ب – ٣٤أ، يحيى. إنباء الزمن. و٤٨، الوزير. جامع المتون و١٧ أ – ب، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٥ ب، ٢٨ ب، محمد حسن. قلب اليمن ص ٣٥، زبارة. أئمة اليمن ١/ ١٠٦، الجرافي. المقتطف ص ٧١ – ٢، الشماحي. اليمن ص ١١٦.

[2] الحجوري. الروضة و ٢٤٧ ب، يحيى بن الحسين. المستطاب في تاريخ علماء الزيدية الأطياب، خ مكتبة الجامع الكبير الغربية في صنعاء رقم (١٧٧) تاريخ وتراجم، ورقة ٢٩ ب – ٣٠ أ، الطبقات في ذكر فضل العلما وعلمائهم ومصنفاتهم، خ شخصية للأستاذ إسماعيل بن علي الأكوع، ورقة ٤٥ أ، (وذكر يحيى في كتابَيه انه ينقل عن تاريخ مُسَلَّمَ اللحجي)، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٦ أ – ب، شرف الدين. اليمن ص ٢٠٩.

[3] محمد بن عليان بن سعد كان أبوه أحد علماء الزيدية الهدوية الكبار، الذي اجتمع به القاضي الرشيد بعد وصوله من مصر إلى اليمن، وإبنه محمد كان أيضاً شيخاً للشيعة لكنه كان من الزيدية المطرفية. وكان مخالطاً للأمراء والكبراء والسلاطين والملوك وكان على علاقة وثيقة ببني زريع كما كان يناصر الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان. يحيى. المستطاب و ٢٩ ب – ٣٠ أ، الطبقات و ٤٥ أ، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٦ أ.

[4] وقيل انه قتل غيلة بقاع سهمان. يحيى. المستطاب و ٣٠ أ، وسهمان عزلة من ناحية حُمّاس وأعمال المحويت، وقاع سهمان من ناحية البستان. معجم الحجري و ٢٠٥.

[5] الكبسي. اللطائف السنية و ٢٦ أ، وقيل سوق بهمان بنهم، شرف الدين. اليمن ص ٢٠٩.

[6] ذكر يحيى انه اجتمع فريقاً الشيعة المخترعة والمطرفية من الزيدية لمبايعة الإمام المتوكل. المستطاب و ٣٠ أ، الطبقات و ٤٥أ.

[7] يحيى. إنباء الزمن و ٤٩، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٦ أ.

حَوْث لانتشار الفساد فيها، فاتجه إليها وعمل على إزالة المنكرات وهدم بيوت المكابرين، لذلك نحتمل أن مقتل محمد بن عليان كان له علاقة بموقفه ضد السلطان حاتم بن أحمد، وحث الإمام المتوكل على دخول صنعاء وذلك سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م.

بعد مقتل محمد بن عليان اتجه الإمام المتوكل نحو صنعاء لحرب السلطان حاتم، وقد وقعت بينهما حرب شديدة، انتهت بانتصار جيش الإمام، وانكسار السلطان حاتم ومقتل نحو خمسمائة رجل من جنده، فانهزم السلطان حاتم، ودخل الإمام صنعاء، وخرّب قصر السلطان، كما أمر بهدم درب غمدان[1]، ثم طلب السلطان حاتم الأمان من الإمام المتوكل فأجابه وعفا عنه وأكرمه[2]. وقيل ان الإمام تولى صنعاء لمدة شهر[3]، وكان ذلك سنة ٥٤٥هـ.

يتضح لنا مما تقدم مدى قوة الإمام المتوكل وسعة نفوذه في أوساط أهل اليمن من الزيدية خاصة، كما تعبر (عبرت) حربه للسلطان حاتم عن احتجاجه الشديد وثأره لمقتل الشيخ محمد بن عليان، ولعل الإمام أحمد ألقى بجزء من مسؤولية مقتله على بني زريع أمراء عدن، لأنهم هم الذين نصبّوا السلطان حاتم بن أحمد على صنعاء.

وندعم رأينا هذا بما تذكره إحدى الروايات[4] بأن الإمام بعد ان دخل صنعاء واستقر فيها، فكر بالخروج إلى عدن واستعد لذلك، وكان من نتائج استعداده هذا، اضطراب ملوكها وخوفهم، وكان حكمها بيد الداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود اليامي وبلال بن جرير، و أضحى خوفهم عظيماً، بسبب انضمام أعداد كبيرة من المقاتلين تحت راية الإمام المتوكل، لكن فكرته هذه لم تنفذ، لانشغاله في مشاكل وحروب كثيرة بالبلاد العليا القريبة من صنعاء.

ونفهم من إحدى الروايات[5] ان الداعي محمد بن سبأ أرسل الأموال من عدن؛ لاستمالة الكثير من مناصري الإمام المتوكل والعمل على تفريق شملهم وكسبهم للحرب إلى جانب جيش السلطان حاتم بن أحمد، والعمل على إشاعة أعمال القتل والنهب في حربهم للإمام، مما يدل على خوف الداعي محمد بن سبأ من قوة وتوسع نفوذ الإمام المتوكل.

---

[1] هو درب منيع اعتنى به السلطان حاتم بن أحمد وعمّره على عمارة القاهرة بمصر، ذلك أنه بنى درباً مدوراً كبسه بالطين قدر الرمح ثم بنى عليه دائراً واستوعب فيه دوراً كثيرة من دور صنعاء، وبناه على أربعة سقوف. يحيى. إنباء الزمن و ٥١ – ٥٢.

[2] أنظر عن تفاصيل هذه الحرب والاختلافات حولها: روضة الحجوري و ٢٤٧ ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٣٤ أ، يحيى بن الحسين. المستطاب و ٣٠ أ، الطبقات و ٤٥ أ – ب، إنباء الزمن و ٥١ – ٢، الوزير. جامع المتون و ١٧أ، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٦ أ – ٢٧ أ، الجنداري. الجامع الوجيز و ٦٠ أ، الجرافي. المقتطف ص ٧١ – ٢.

[3] روضة الجحوري و ٢٤٧ ب.

[4] الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٥٣أ، يحيى. إنباء الزمن و ٥٠ (وجعل ذلك ضمن حوادث سنة ٥٤٦هـ).

[5] الشرفي. نفسه.

وفاة الشيخ بلال بن جرير:

كان أبو الندا[1] بلال بن جرير المحمدي، المنعوت بالشيخ السعيد الموفق السديد، وزيراً للداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود، صاحب عدن والدملوة وغيرهما، وكان رجلاً عاقلاً دَيِّنا كاملاً[2]، وفي رواية[3] كان يقال لبلال: المعظمي الزريعي، لأنه كان مولى الداعي محمد سبأ الملقب بالمعظم.

كانت المدة التي قضاها بلال بن جرير في خدمة بني زريع طويلة تتجاوز الاثني عشر عاماً، وهي تعكس أهمية الخدمات التي قدمها لهم، فقد ذكر بعض المؤرخين[4] إنه تولى حكم عدن من سنة ٥٣٤ حتى سنة ٥٤٦هـ (١١٣٩ - ١١٥١م) أو (٥٤٧هـ[5]/ ١١٥٢م) على رواية عمارة[6]، وهذا يمثل سنة وفاته، ونحن نرجح وفاته في تلك السنة برغم اختلاف المؤرخين فيها[7]، لأن عمارة كان معاصراً له.

قدم بلال إمكانياته خلال مدة حكمه لمساندة بني زريع، فنذر نفسه جندياً مدافعاً عنهم في حرب لحج، ووضع أمواله في خدمة الداعي محمد بن سبأ، وكان يعتمد عليه كثيراً، فهو نائبه في عدن، وهو وزيره ومستشاره في غالب أموره، وزادت علاقة المصاهرة بينهما صلتهما قوة ومتانة كبيرة.

خلف الشيخ بلال ولدين هما: مدافع[8]، ويسميه عمارة[9]: السديد مدافع، وأبو الفرج ياسر[10]، فاستخلف الداعي محمد بن سبأ مدافعاً الذي تولى أمر الوزارة، روى الخزرجي[11] انه تولاها بعد والده مدة يسيرة، وينفرد الوصابي[12] فيذكر وفاة مدافع سنة

---

[1] ويكنى أبو الوليد لكرمه. الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٩.

[2] سبق أن ترجمنا له في الفصل السابق، أنظر أيضاً: أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٣٢.

[3] الأهدل. تحفة الزمن و ٩٩ ب، العبدلي. هدية الزمن ص٧٢.

[4] عمارة . المفيد ص ١٩٠، الوصابي. تاريخ وصاب ص٦٩، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٨، وممن ذكر وفاة بلال سنة ٥٤٦هـ: أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٣٢، فؤاد سيد (محقق). طبقات الفقهاء للجعدي ص ٢٢٣ هامش.

[5] جعل بعض المؤرخين وفاة بلال مشتركة بين سنتي ٥٤٦ - ٥٤٧ هـ. عمارة. المفيد ص ١٩٠، الجندي، السلوك ج٣ و ١٠٤ب، الخزرجي. طراز (متحف) و ٢١٤ب، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٤.

[6] المفيد ص ١٩٠، وذكر ابن المجاور أن حكم بلال لعدن كان في سنة ٥٣٤هـ وحتى وفاته سنة ٥٧٧هـ. المستبصر ص ١٢٣، وهذا وهم ولعله خطأ مطبعي أو تصحيف لسنة ٥٤٧هـ، وهي السنة الأقرب في تحديد سنة وفاة بلال.

[7] قيل ان وفاة بلال سنة ٥٤٥هـ. الديبع. قرة العيون ص ٣١١، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٤، د. محمد أمين صالح. بنو معن ص ٣٣٧، وجعل بعض المؤرخين وفاته بين سنتي ٥٤٥ أو ٥٤٧هـ. الجندي. السلوك ج٣ و ١٠٥ب. الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢٠ ب، كفاية ٤٥ أ. الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ أ.

[8] ورد ان اسمه محمداً. الديبع. قرة العيون ص ٣١١، وذلك وهَمٌ أو تصحيف.

[9] المفيد ص ١٩١.

[10] انظر عن ولدي بلال: ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣.

[11] العقد الفاخر و ١٨١ ب.

[12] تاريخ وصاب ص ٦٩.

٥٦٠هـ[1]/ ١١٦٤م، وهذا يعني انه بقي في الوزارة مدة طويلة أثناء حكم الداعي محمد بن سبأ وولده عمران، ونحن نستبعد بقاء مدافع في الوزارة طيلة تلك المدة، فقد ذكر المؤرخون[2] ان أبا الفرج ياسراً كان نائباً بعدن ووزيراً لعمران، وكان ياسرا الذي خلف أخاه – بعد توليه الوزارة مدة قصيرة – رجلاً عظيم القدَر مشهوراً بالحَزم والعَزم والكرَم، وبقي على تلك الحال حتى نهاية إمارة بني زريع من قبل الأيوبيين[3].

توسع نفوذ الداعي محمد بن سبأ:

اتصف بنو زريع بظهور رجال أكفاء ذوي مكانة ومقدرة ودهاء سياسي منذ انفرادهم بحكم عدن وتوابعها، فقد أشرنا إلى الداعي سبأ بن أبي السعود الذي وسع نفوذ إمارته في الجبال والمعافر فملك إضافة لعدن الدملوة وسامع ومطران والرما ويمين وذبحان وبعض المعافر وكانت أعماله واسعة في الجبال، وبذلك أسس لبني زريع كيانا سياسيا واسعا ورثه أبناؤه من بعده، ومنهم الداعي محمد.

منذ وفاة السيدة الحرة سنة ٥٣٢هـ وانتقال حصونها وذخائرها لمنصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري، والدولة الصليحية تتجه نحو الضعف وتقلص النفوذ، فقد اعتبر الشماحي[4] وفاتها نهاية للدولة الصليحية، وهذا يصح من حيث الواقع السياسي، ولكنه لا يصح من حيث استمرارها التاريخي.

اتصف الداعي محمد بن سبأ بشخصية ذات مقدرة سياسية وعسكرية كفوءة، وقد قارب أباه الداعي سبأ في ذلك، وكانت علاقته وطيدة بمنصور بن المفضل – وريث الصليحيين وحامي حصونهم وذخائرهم – الذي كان مقيما بذي جبلة، وهذه العلاقة قديمة ترجع إلى الفترة التي لجأ فيها محمد بن سبأ عنده بعد خلافه مع علي أخيه الأعز، ثم رجع منه إلى عدن حين استدعاه بلال بن جرير الذي كان نائبا بعدن، وذلك بعد وفاة علي الأعز بن سبأ، فدخلها وملكها بجدارة ومقدرة[5].

ذكر المؤرخون[6] أن منصور بن المفضل لما ضعف وكبر سنه، عجز عن القيام بإدارة ممتلكات بني الصليحي وحمايتها، فقد أعيته الشيخوخة، ومال إلى الدعة

---

[1] ذكر لقمان انه بعد وفاة الداعي عمران بن محمد بن سبأ سنة ٥٦٠هـ، ترك ثلاثة أولاد جعل كفالتهم لمدافع بن الشيخ بلال بن جرير، وبعد وفاته كفلهم أخوه ياسر. تاريخ عدن ص ٥٦.

[2] عمارة. المفيد ص ١٩١، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٥ ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٨١ ب، كفاية و ٤٥ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣١١، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٩، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٥.

[3] سنواصل دراسة هذا الموضوع في نهاية الفصل وبداية الفصل الرابع.

[4] اليمن الإنسان والحضارة ص ١١٥.

[5] راجع بهذا الخصوص بداية الفصل.

[6] عمارة. المفيد ص ١٨٧، الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٦٨، ابن المجاور. المستبصر ص ١٦٩، الجندي. السلوك ج ١ و ١٠٩، ج ٣ و ١٠٢ب، ١٠٤ ب، أبو الفدا. المختصر ٤/ ٩٠، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٦١، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٨، ١٠٥، ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٦١، ٤٦٧، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢٠ ب، ١٧٤ ب، الاهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٠ أ، إدريس. نزهة الأفكار و٣٣ أ. الديبع. قرة العيون ص ٢٧٨ – ٢٨٣، ٣١٤، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢١٧ – ٨.

والسكون، لذلك باع حصون بني الصليحي ومدنهم – وعددها ثمانية وعشرون[1] حصناً ومدائن منها مدينة ذي جبلة وإب وذي اشرق والجَنَد، ومن الحصون التعكسر وحب – باعها إلى الداعي محمد بن سبأ بمائة ألف دينار[2]، ونزل منصور من ذي جبلة فسكن حصني صبر وتعز، وطلّق زوجه الأميرة أروى بنت علي بن عبدالله بن محمد الصليحي، وانتقل الداعي محمد بن سبأ لذي جبلة فسكنها وتزوج امرأة منصور[3]، وكان شراء حصون بني الصليحي سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م في الأعم الأرجح، رغم اختلاف بعض الروايات[4] في تحديد تلك السنة.

ورغم أهمية هذه الحادثة التي تعتبر من مميزات عهد الداعي محمد بن سبأ البارزة، إلا إننا نختلف مع المؤرخين الذين قاموا بروايتها، من حيث أسبابها وطبيعتها، فان تعليلهم لتوسع الداعي محمد بن سبأ وبيع الأمير منصور بن المفضل لحصونه ومدنه بسبب كبر سنه وعجزه عن إدارتها وميله إلى الدعة والسكون، كل هذه تعتبر أسباباً ثانوية، فقد ذكرت بعض المصادر[5] – وهي من بين تلك التي ذكرت أسباب التوسع – أن الشعراء أكثروا من تهنئة الداعي بالمعاقل والعقيلة، ومنهم القاضي يحيى بن أحمد[6] الذي مدح الداعي محمد بن سبأ وقد عزم على الخروج إلى ذي جبلة ليملك بلاد الأمير منصور بن المفضل، وهو قوله:

النصر من قرنــاء عزمـكَ فـاعزمِ   والدهـر مـن اسَـراءِ حُكمِـكَ فـاحكُمِ[7]

---

[1] وقيل ان عددها (١٨) حصناً. الخزرجي. كفاية و ٣٦ ب، الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١١٩ ب، لقمان. تاريخ عدن ص٥٤.

[2] ذكر الوصابي انه اشتراها بثمانية آلاف دينار. تاريخ وصاب ص ٦٨.

[3] ذكر عمارة انه تزوج ابنة السلطان عبدالله بن اسعد بن وائل سلطان وحاظة. النكت العصرية ص ٢٩، المفيد، – تح: كاي ص ٥٥، وقيل إنه تزوج ابنة السلطان اسعد بن وائل بن عيس سلطان وحاظة. الاكوع. هامش المفيد لعمارة ص ١٨٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٤، والصواب ما ذكرناه أولاً.

[4] جعل بعض المؤرخين توسع محمد بن سبأ في سنة ٥٤٤هـ. أنظر: الخزرجي. كفاية و٤٥ب، يحيى. إنباء الزمن و٤٨ – ٤٩، غاية الأماني ص٣٠٠ – ٣٠١، وقيل سنة ٥٤٥هـ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢١٧، وقيل سنة ٥٤٦هـ. الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٦ ب، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٦١، الخزرجي. كفاية و ٣٦ ب، الديبع. قرة ص ٢٨٢، الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١١٩ ب، يحيى. إنباء الزمن و٤٩. وقيل سنة ٥٤٨هـ. الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٦٨ وهامشها.

[5] عمارة. المفيد ص ٣٢١، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٧، الخزرجي. كفاية و ٤٤ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣١٠.

[6] آل أبي يحيى من الأبناء منهم أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى قاضي الإسماعيلية وخطيبهم، ويحيى بن أحمد هذا شاعر الإسماعيلية وفصيحهم، يقول عمارة: "وليس في أهل الجبال الذين عاصرتهم أشعر من هذا يحيى بن أحمد"، وقد قتله أصحاب إبن مهدي في حصن المَجمعة أعلى مخلاف الشوافي، ومنهم القاضي جعفر بن عبد السلام عالم الزيدية، وبنو أبي يحيى قضاة صنعاء. أنظر: عمارة. المفيد ص٣٢١، الخزرجي. كفاية و ٤٤ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣١٠.

[7] وقيل ان هذا الشعر لعمارة يمدح فيه ياسر بن بلال ووردت خمسة أبيات في ذلك المدح. أنظر: ديوان عمارة اليمني (مطبوع بعد كتاب النكت العصرية) ص ٣٣٤.

يمكننا أن نتحسس من سياق الرواية ان الداعي محمد بن سبأ قد كان مستعداً بقوة كافية للسيطرة على أملاك المنصور بن المفضل، فعزم على الخروج إلى ذي جبلة لامتلاك بلاد الأمير منصور، وهي تدلنا دلالة واضحة على انه كان ذا استعداد مسبق للخروج بجيش إلى ذي جبلة والسيطرة على بلاده وامتلاكها بالقوة، كما اننا نجد في ذلك الشعر – الذي كان مطلعاً لقصيدة ذكر عمارة[1] أنه لم يجد منها سوى ذلك البيت – إن الداعي محمد بن سبأ قد كسب النصر وان هذا النصر كان مقروناً بعزم الداعي أي استعداده لخوض الحرب.

ولنفس الشاعر أيضاً قصيدة أخرى تؤكد ما ذهبنا إليه، يروي عمارة[2] له على لسان الداعي محمد بن سبأ قوله:

أدركتُ أوتاري من الأعداءِ ... وملكت من عدن إلى صنعاءِ
وبلغت بالجُرد العِتاق وبالقنا ... ما شئت من شرف ومن علياءِ[3]

وإذا أمعنا النظر في هذين البيتين أدركنا أن قول الشاعر يعبر عما يُجيش في صدر الداعي محمد بن سبأ من مشاعر وأحاسيس، ويعبر بدقة عن نظرته وتصويره لمنصور بن المفضل ومن كان معه من أعداء بني زريع.

في هذين البيتين تصريح واضح بأن الداعي محمد بن سبأ يعبر عن أخذه بثأره من أعدائه، وإن ملكه قد توسع فامتد من عدن إلى صنعاء، وهذا النصر المظفر والأخذ بالثار لم يأتِ مصادفة أو بسهولة، إنما بلغ هدفه هذا بالاستعداد والعزم على خوض الحرب التي كان قوامها الخيول والرماح والتي بلغ بواسطتها هدفه السامي بالنصر.

ويوضح الشاعر أن الداعي محمد بن سبأ كان يضمر ثأراً للمنصور بن المفضل إذ أنه عرض بل صرح بتواطئه مع أهل تهامة، وهم ملوك زبيد النجاحيون من الأحباش على حرب الداعي وغزو بلاده، وذكر ما جرى على حلفائه وأنصاره بني وائل سلاطين وحاظة، إذ يقول:

وَهُم بأهل تهامة أغروهُم ... جَهلاً بحَربي أيمَا إغراءِ
وهُمُ بأهلِ وحاظةَ فتكَوا وهُم ... دونَ البريةِ كلها لزمَائي
اخَذوا معاقِلهَم وهُنَّ معَاقلي ... وسَبَوا نساءهم وهُنَّ نسِائي[4]

توضح لنا هذه الأبيات سبب عزم الداعي محمد بن سبأ واستعداده لحرب منصور بن المفضل انتصاراً لحلفائه بني وائل وشدة الارتباط معهم، فالاستيلاء على معاقلهم يعني الاستيلاء على معاقل الداعي، وسبي نسائهم يعني سبي نسائه، ذلك أن الداعي كان قد

[1] المفيد ص ٣٢١.
[2] نفسه.
[3] وقيل ان هذين البيتين لعمارة اليمني في مدح ياسر بن بلال باليمن. ديوان عمارة ص ١٥٥، و مطلعهما: أدركت أوتاراً...
[4] عمارة. المفيد ص ٣٢١ – ٢.

تزوج بنت السلطان عبدالله بن اسعد بن وائل بن عيسى سلطان وحاظة، على رواية عمارة[1].

ولعلي بن محمد بن زياد المأربي شعر في انتقال ذي جبلة من المنصور بن المفضل إلى الداعي محمد بن سبأ، إذ يقول:

بذي جبلة شوقي إليك وإنها | لتظهر للشيخ الذي ليس يعمر
عوائد للغيد الغواني، فإنها | عن الشيخ نحو إبن الثلاثين تنفر[2]

وقد مدح الداعي محمد بن سبأ عدد من الشعراء بقصائد كثيرة، وهنؤوه بانتصاره الكبير هذا، وما ملك من قلاع وحصون، كما هنؤوه بزواجه من السيدة أروى زوج المنصور بن المفضل[3].

مما سبق نستنتج بأن ما ذكره المؤرخون حول سبب امتلاك الداعي محمد بن سبأ حصون ومعاقل بني الصليحي التي كانت تحت سيطرة الأمير منصور بن المفضل، وهو كبر سنه وميله إلى الدعة وعدم قدرته على حمايتها، تعتبر أسبابا ثانوية، فالسبب الرئيس هو تحالف الأمير منصور بن المفضل مع النجاحيين ملوك زبيد ضده، والشعر الذي اوردناه دليل على أن امتلاك تلك الحصون والمدن قد تم بعد كسب الداعي محمد بن سبأ النصر على الأمير منصور بن المفضل، ولعل المؤرخين ذكروا الأسباب السالفة من أجل تبرير سيطرة الداعي على تلك الحصون والمدن، أو ليؤكدوا أن امتلاكه لها تم باتفاق طبيعي لا قسري، ونحن نؤيد ما ذهب إليه د. صالح[4] بأن صلات الداعي الودية مع المنصور بن المفضل أدت إلى التفاوض معه للتنازل عما بيده من أملاك الصليحيين وتسليمها مقابل مائة ألف دينار، وكانت تلك الصلات تعود إلى أيام لجوء الداعي محمد عند المنصور هربا من أخيه علي الأعز – كما ذكرنا.

إن الداعي محمد بعزمه على استعمال القوة في الاستيلاء على تلك المعاقل والحصون والمدن، كسب النصر، فلما أدرك الأمير منصور عدم قدرته على مقاومة الداعي عرض عليه بيعها بمبلغ رمزي لكي يعطي سيطرته عليها تبريرا موضوعيا، فتناقل المؤرخون ذلك دون الخوض في التفاصيل، واعتبروه السبب الرئيس والأول من أسباب بيعها.

---

[1] النكت العصرية ص ٢٩.

[2] أنظر هذا الشعر مع بعض الاختلافات: عمارة. المفيد ص ٣٢٣، الاصفهاني، عماد الدين محمد المعروف بالعماد الكاتب. خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٣ (قسم شعراء الشام)، – تح: د. شكري فيصل، مط الهاشمية، (دمشق، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م)، ص ٢١٦ – ٧، الحموي. معجم البلدان ٢/ ١٠٦، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٨.

[3] من هؤلاء الشعراء: المقرئ أحمد بن محمد بن مرزوق وعيسى بن محمد الريمي، والقاضي سليمان المفضل، ويحيى بن محمد بن علي الحسني و سالم بن عمران التغلبي وأحمد بن سالم بن ظفر الهمداني وحاتم بن محمد الصنعاني والأديب أحمد بن محمد الخباز وعبدالله بن أحمد الصنعاني.
أنظر: عمارة . المفيد ص ٣٢١ – ٣، الأصفهاني. الخريدة ٣/ ٢٨١، الخزرجي. كفاية و٤٤ب – ٤٥ أ، الديبع. قرة ص ٣١٠ –١.

[4] بنو معن ص٣٣٧.

ومن الأدلة الأخرى على سيطرة الداعي محمد بن سبأ على تلك الحصون والمدن عن طريق القوة وانتزاعها من الأمير منصور بن المفضل، ما قام به الداعي من زواجه بامرأة المنصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري بعد أن طلقها زوجها، إذ لا يمكن أن يتم الطلاق ثم الزواج بعده بسهولة، لكن ذلك تعبير عن نصر الداعي وإذلال خصمه الأمير منصور، كما ان الداعي بزواجه هذا، أراد ان يتقوى بزوجه، ويضيف لانتصاره ذلك انتصاراً معنوياً.

هذا ولابد لنا من الإشارة إلى ان ذلك التوسع يدل على قوة ودهاء وقابلية الداعي محمد بن سبأ السياسية والعسكرية، فوسع إمارته بما يمتلك من تلك القدرات وبالأموال اللازمة المتوفرة عنده، كما تمتع بهيبة ومعنوية بين الملوك والأمراء في عهده[1].

واعتبر الحامد[2] سنة ٥٤٧هـ النهاية الحقيقية للدولة الصليحية بعد بيع منصور بن المفضل معظم مدنها وحصونها للداعي محمد بن سبأ، ونحن نشاركه الرأي في ذلك رغم ان دورها السياسي انتهى بوفاة السيدة الحرة سنة ٥٣٢هـ، إلا أن وجودها التاريخي قد انتهى فعلاً في تلك السنة.

علاقته بعلي بن مهدي:

يروي عمارة[3] بأنه لقي علي بن مهدي[4] عند الداعي محمد بن سبأ صاحب عدن بمدينة ذي جبلة سنة ٥٤٩هـ، وقد استنجد ابن مهدي بالداعي على أهل زبيد، لكن

---

[1] الهمداني وسليمان. الصليحيون ص ٢٤١، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢١٩، ٢٢٧.

[2] تاريخ حضرموت ص ٣٦٠.

[3] المفيد ص ٢٣٢، النكت العصرة ص ٢٩ – ٣٠.

[4] أبو الحسن علي بن مهدي بن محمد بن علي بن داود الحميري ثم الرعيني، مؤسس دولة بني مهدي بزبيد، وهو من قرية يقال لها العنبرة في سواحل زبيد، كان ابن مهدي متصوفاً فعكف على العبادة والزهد و التقشف على وعظ أهل التصوف في المكاشفات والأخبار بالمغيبات، واشتهر بقريته سنة ٥٣١هـ بالصلاح وسلامة القلب، فكان يعظ الناس في القرى والمدن ويفسر لهم القرآن فالتف حوله جمع من الأنصار، وقد سامحته الحرة علم أم فاتك بن منصور بخراج ماله هو ومن يلوذ به من قريب، فأثرى واتسعت حاله، واتاه قوم من الجبال وحالفوه على النصرة والقيام معه فأجابهم وبايعوه.

أسس علي بن مهدي مذهبه سنة ٥٣٦هـ، وكانت بيعته الثانية سنة ٥٤٦هـ بعد موت علم أم فاتك، كان حنفي المذهب في الفروع، ثم أضاف لعقيدته التكفير في المعاصي، وكان على مذهب الخوارج، كانت له نواميس في مذهبه منها: يقتل كل من خالفه من أهل القبلة، ويستبيح نساءهم وأولادهم، ويقتل شارب الخمر والزاني ومن تأخر عن صلاة الجماعة، وسامع الغناء والمنهزم من عسكره، ويقتل من تأخر عن مجالس وعظهِ يومي الخميس والاثنين. للتفصيل عن ترجمته أنظر: عمارة. المفيد ص ٢٢٩ – ٢٣٧، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١١ ب – ١١٣ أ، الوصابي. تاريخ وصاب ص ١٠٥ – ٧، الخزرجي، العقد الفاخر و ٤١ أ – ٤٢ ب، الاهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٥ أ، الديبع. بغية المستفيد ص ٦٥، الوزير. جامع المتون و ١٨ أ، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٥ ب – ٢٧ أ، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٢ – ٣.

الداعي رفض التعاون معه في احتلاله مدينة زبيد، فرجع ابن مهدي خائباً، ثم أخذ يعمل في تدبير القضاء على دولة العبيد النجاحيين بزبيد[1].

كانت زيارة علي بن مهدي للداعي محمد بن سبأ بمدينة ذي جبلة في وقت كان فيه الداعي عظيم القوة والبأس بعد استيلائه بالقوة والمال على كثير من أنحاء اليمن، لكنه رفض مساعدته، ولعله أدرك ان مطامعه كانت أوسع من ذلك، وهذا يعني انه سيسبب للداعي مشاكل كثيرة، في حين ذكر د. صالح[2] بأن ذلك الموقف يعبر عن علاقات طيبة بين بني زريع وجيرانهم من إمارات اليمن، لذلك أوقف علي بن مهدي استعداداته لحرب حكام زبيد، واستمرت علاقات حسن الجوار والمعاملات التجارية بين عدن وزبيد.

كان عمارة اليمني قد رفض التعاون مع علي بن مهدي، لكن أعداءه من أهل زبيد أرادوا الإيقاع به وقتله، فأشاعوا بأنه كان الواسطة في انعقاد الأمر والاتفاق بين الداعي محمد بن سبأ وعلي بن مهدي على محاربة زبيد وإزالة دولتها، وهذا مما زاد في حقد أهل زبيد على عمارة ومحاولتهم قتله[3].

شخصية الداعي محمد بن سبأ وأبرز رجال دولته:

برز الداعي محمد بن سبأ شخصية سياسية في اليمن إثر توليه الحكم بعد وفاة أخيه علي الأعز، ووَسَع نفوذه وقوى إمارته، كما وَثَقَ صلاته مع الفاطميين في مصر، إثر قدوم القاضي الرشيد إلى اليمن وتقليده أمر الدعوة الفاطمية.

تميز محمد بن سبأ بمقدرة سياسية قوامها الدهاء والمكر والتلون في المواقف وفق ما تقتضيه مصلحته خاصة ومصلحة إمارته عامة، ولم تكن هذه المقدرة وليدة الصدفة، إنما كانت نتاج ظروف حياته التي مَرَّ بها، وكفاحه المرير الذي تكلل بالنجاح بوصوله إلى السلطة[4].

كان الداعي محمد بن سبأ حاكماً مطلقاً منفرداً بالسلطة، اعتمد على قائده، وصهره بلال بن جرير في إدارة الحكم والتوسع والقضاء على أية معارضة أو كتلة منافسة له، وقد وثق الداعي من علاقاته مع الفاطميين باسم الدعوة التي لا تمثل سوى التبعية السياسية والولاء المذهبي في الظاهر فقط، كما انه بذل الأموال الطائلة في إبراز شخصيته وذلك بالإغداق على الشعراء والمدّاحين، فوصفهُ المؤرخون[5] بالكرم والجود والشهامة، وسردوا قصصاً مطولة عن صفاته تلك، في حين أنها تظهر بوضوح مظاهر

---

[1] الحُمزي، كنز الأخيار و ١٨٧ أ، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٧٢، الخزرجي. العقد الفاخر و ٤٢ أ، كفاية و ٦٤ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٢.

[2] د.محمد أمين صالح. بنو معن ص ٣٣٨.

[3] عمارة. النكت العصرية ص ٣٠ – ١، المصري، د. ذو النون. عمارة اليمني، منشورات مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، ص ٤٠ – ١.

[4] ذكرنا تفاصيل حياته خلال حربه مع أبيه في لحج، وهربه من أخيه علي الأعز ثم عودته إلى عدن وحكمها.

[5] عمارة. المفيد ص ١٨٦ – ١٩٠، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٤ أ، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٩، الخزرجي . العقد الفاخر و ١٢٠ ب، كفاية و ٤٤ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ أ، الديبع، قرة العيون ص ٣١٠ – ١، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢١٧.

البذخ والترف والكرم لكسب الشهرة والأنصار، مما يؤكد لنا بأنه كان حاكما يطمح في البقاء بالسلطة مدة أطول مهما كانت نتائج ذلك وبمختلف الطرق والوسائل.

برز في عهد الداعي محمد بن سبأ، رجال أكفاء اعتمد عليهم في تدبير شؤون إمارته، فقدموا الخدمات الجليلة له أثناء خدمتهم، منهم بلال بن جرير المحمدي الذي ذكرنا فضله وخدماته الكثيرة خلال المدة التي حكم بها الداعي محمد بن سبأ.

بعد وفاته تولى أمر الوزارة ولده مدافع، وقد ذكرنا أنه تولاها مدة يسيرة ثم توفي، فخلفه عليها أخوه أبو الفرج ياسر بن بلال، الذي وصف بعظم قدره وشهرة ذكره، وإنه لا يقل عزما وكرما عن أبيه بلال[1]، وكان ياسر وزيرا للداعي محمد بن سبأ[2]، واستمر بعد وفاته في عهد ولده عمران بن محمد وزيرا ومديرا لأمور الدولة حتى مجيء الأيوبيين ودخولهم عدن سنة ٥٦٩هـ[3].

ومن الرجال الذين برزوا في ذلك العهد أبو بكر بن أحمد العندي[4]، نسبة إلى الاعنود قوم يسكنون لحج وأبين وعدن[5]، كان مولده بأبين[6]، لذلك فانه يلقب بالعندي نسبا، الإبيني بلدا، وكان أبوه من أعيان أبين، وتميز أبو بكر بذكاء ونباهة في صغره ونبوغ في شبابه، فدرس الفقه والأدب والحساب في عدن وبرز على أقرانه ونظم ونثر في الشعر والأدب.

كان العندي في عدن أيام نيابة الشيخ بلال بن جرير فيها، في عهد الداعي محمد بن سبأ، وكان له كاتب[7] قد توفي، فاحتاج الشيخ إلى كاتب ووقع اختياره على العندي، لأن بلالا كان ذواقا للشعر والأدب فقرب العندي وكسب ثقته، وفي حكاية[8] انه عينه في وظيفة الأمين الخاص له، فكان يستشيره في كثير من أمور الدولة.

امتاز العندي بأخلاق عالية، فكان متواضعا غير مغرور ولا يحب التظاهر، بل انه يحاول عدم إظهار مكانته ومركزه، لذلك تبوأ مكانة مرموقة في عهد الداعي محمد بن سبأ، وكان يعرف بوزير الدولة الزريعية وصاحب ديوان الإنشاء فيها[9].

---

[1] عمارة. المفيد ص ١٩١، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٨٢ أ، كفاية و ٤٥ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣١١، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٥، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٩.

[2] الخزرجي. العقد الفاخر و ١٨٢ أ، ابو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤٢، فؤاد سيد (محقق). طبقات الجعدي ص ٢٢٣ هامش.

[3] سنوضح دور ياسر خلال تلك المدة.

[4] ورد لقبه هذا مصحفا لأنه كان ينسب إلى الاعيود والاعبود والاعتود، فجاء لقبه مصحفا بصيغ مختلفة: العيدي والعبدي وغيرهما، والصواب، ذكرناه أعلاه.

[5] أنظر عن نسبته للاعنود ولقبه العندي: عمارة. المفيد ص ٣٢٦، الأهدل. تحفة الزمن و ٩٩ ب، العبدلي. هدية الزمن ص ٧٢، لقمان، تاريخ عدن ص ٢٨١، الاكوع (محقق). هامش المفيد ص ٣٢٦.

[6] وقيل انه ينسب إلى خنفر. معجم الحجري و ١٤٣، وخنفر من مدن أبين كما أوضحنا ذلك في الفصل الجغرافي الأول.

[7] أسم هذا الكاتب محمد بن غزي. عمارة. المفيد ص ٣٢٧. الأصفهاني. الخريدة ٣/ ١٤٩.

[8] لقمان. تاريخ عدن ص ٢٨١.

[9] أنظر تفاصيل ترجمته: عمارة. المفيد ص ٣٢٦ فما بعد، الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٦٩ وهامشها، الأصفهاني. الخريدة ٣/ ١٤٥ – ٢٠١، الجندي. السلوك. ج ١ و ١٣٥ – ٧، الأفضل، الملك العباس بن علي الرسولي. العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، خ مصورة فوتوستات عن نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٥١ تاريخ، ورقة ٥ أ، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٧١ – ٣، الخزرجي. العقد الفاخر و ٢٠٢ ب – ٢٠٥ب، الأهدل. تحفة الزمن و ٩٩ ب – ١٠١ أ، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٨١ – ٤، العبدلي. هدية الزمن ص ٧٢ – ٣، غانم، د. محمد عبده. نصيب اليمن من الشعر العربي الوسيط، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، ع ١، منشورات جامعة صنعاء، (صنعاء، ١٣٩٨ – ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧ – ١٩٧٨م)، ص ١٥، ابن شعيل، عبد الرحمن. عمارة اليمني عند المؤرخين، العرب، ج ٢، س ٣، (الرياض، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص ١٣٣.

ومن رجال الداعي محمد بن سبأ عمارة اليمني[1]، الذي دخل مدينة زبيد طلباً للعلم حوالي سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م، كما عمل في التجارة فحصل على شيء من المال جمعهُ من عملهِ بها. وسافر إلى عدن للعمل بالتجارة، وكان دخوله إليها سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م أو سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م[2]، وفيها التقى بالأديب أبي بكر العندي وتوثقت العلاقة بينهما[3] وأثنى عمارة على العندي ثناءً حسناً ووصفهُ بأوصاف تليق بمكانته وتُجسِّد خِصاله الحميدة[4]، وبقي عمارة في خدمة بني زريع حتى نهايته إمارتهم على أيدي الأيوبيين.

ومن رجال دولته أبو الدر جوهر بن عبدالله المعظمي[5]، نسبة إلى سيده الداعي محمد بن سبأ، كان جوهر هذا والياً في حصن الدملوة من قبل سيده، وبقي في عمله هذا حتى وفاة الداعي محمد، فخلفه ولده عمران الذي أبقى جوهراً نائباً له في الدملوة[6]، واستمر جوهر في خدمته طيلة مدة حكمه، وبعد وفاته أصبح كفيلاً على أولاده الصغار السن فنقلهم من عدن إلى الدملوة، وبقي معهم حتى دخول الأيوبيين إلى اليمن، وبقي معتصماً في حصن الدملوة حتى سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م، ثم باعه للسلطان طغتكين بن أيوب في تلك السنة، وغادر اليمن مع أولاد سيده إلى الحبشة[7].

---

[1] أبو الحسن عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحدقي الحكمي اليمني بلداً ومنشأ، ولد لبضع عشرة وخمسمائة بوادي وساع في مدينة مرطان، وقيل في قرية الزرائب في الناحية الشرقية من المخلاف السليماني، ونظم الشعر وصار من أعيان زمانه واتصل بملوك الزريعيين ومدَحَهم، وانتهى أمره بشنقهِ من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩هـ بتهمة الانتماء لمذهب الفاطميين، في حين أن عمارة بقي سنياً متعصباً للمذهب الشافعي حتى وفاته، للتفاصيل أنظر: عمارة. المفيد ص ٢٢٨، النكت العصرية ص ٧ فما بعد، الأصفهاني. الخريدة ٣/ ٢٨١، ابن خلكان. وفيات ٣/ ٤٣١ فما بعد، الجندي. السلوك ج١ و ١٣١ – ٢، الخزرجي. العقد الفاخر و ٤٥ ب – ٥٠ أ، حسين، د. محمد كامل. في أدب مصر الفاطمية، منشورات دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م)، ص ٢١٩ – ٢٢٢، ابن شعيل. عمارة اليمني ص ١٣٣ فما بعد. أنظر أيضاً كتاب د. ذو النون المصري الموسوم: عمارة اليمني.

[2] عمارة. المفيد ص ٢٢٨.

[3] أنظر: المفيد ص ٢٢٨ – ٩، الأصفهاني. الخريدة ٣/ ١٥٢ – ٣، الجندي. السلوك ج١ و ١٣١، الخزرجي. العقد الفاخر و ٤٥ ب – ٤٦ أ.

[4] أنظر عن ذلك: الأصفهاني. الخريدة ٣/ ١٤٧ – ٨، الجندي. السلوك ج١ و ١٣٥، الخزرجي. العقد الفاخر و ٢٠٢ ب – ٢٠٣ أ.

[5] الشيخ جوهر بن عبدالله المعظمي، كان أستاذاً حبشياً من موالي الزريعيين، ولما دنت وفاة الداعي محمد أوصاه على أولاده من عدن إلى الدملوة، وقام بهم أحسن قيام، وعضده في ذلك الشيخ ياسر بن بلال الذي أصبح وزيراً لعمران ومدبراً لدولته. كان جوهر عبداً مباركاً تقياً أجمع فقهاء عصره على تسمية بالحافظ، وكان مخالفاً لمذهب مواليه الزريعيين محافظاً لأهل السنة، من مصنفاته: كتاب في الوعظ سماه (تذكرة الأخبار ومرجزة الأشرار) وكتاب (المناجاة والأدعية) وكتاب (الرسائل وشريف الوسائل) و (اللؤلؤيات) جعله فصولاً في المواعظ، وكانت وفاة جوهر في الحبشة في حدود سنة ٥٩٧هـ. أنظر عن ترجمته: الجندي. السلوك ج ١ و ١٤١، الأفضل. العطايا السنية و ١٥ ب، الخزرجي. طراز (متحف) و ٢٢٠ أ – ب، الأهدل. تحفة الزمن و ١٠٤ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤١ – ٣.

[6] الجندي. السلوك ج١ و ١٤١، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤٢، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٦.

[7] راجع الفصل الرابع حول هذه الحوادث.

وتولى وظيفة القضاء في عهد الداعي محمد بن سبأ أبو بكر اليافعي[1]، هو قاضي قضاة اليمن المنوطة به أحكام صنعاء وعدن، وكان شاعراً مجيداً، تربطه علاقة وطيدة بملكي اليمن منصور بن المفضل بن الوليد ومحمد بن سبأ، فكان يعرف بوزير الدولتين الوليدية والزريعية، وغالِبُ ديوانه في مدحهما.

انفرد عمارة[2] بذكر وظيفة خازن الأموال في عهد الداعي محمد بن سبأ وكان عليها الشيخان أحمد بن موسى وريحان المحمدي، ونرجح ان وظيفتهما تشبه في عصرنا وظيفة أمين الصندوق أو المحاسب، ولعلهما كانا مكلفين بدفع الأموال التي يأمر الداعي محمد بصرفها عن طريق الرقاع المكتوبة التي يوقع عليها للشعراء والفقهاء وعامة الناس.

وفاة الداعي محمد بن سبأ:

توفي الداعي محمد بن سبأ سنة ٥٥٠هـ[3]/ ١١٥٥م، في الأعم الأرجح[4]، برغم اختلاف المؤرخين في تحديد سنة وفاته[5].

---

[1] أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي نَسَبَاً الجَنَدي بلداً، ولد سنة ٤٩٠هـ، كان عمارة مخالطاً له عارفاً به، اشتهر بأنه شاعر مُجيد فاضل، دخل عدن أيام الداعي محمد بن سبأ، وكانت وفاته بمدينة الجند مبطوناً سنة ٥٥٢ هـ. أنظر عن ترجمته وعلاقته بمحمد بن سبأ: عمارة. المفيد ص٢٩٤، الجندي. السلوك ج١ و ٤٠٩، الأفضل. العطايا السنية و ٤ ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ٢١٣ ب – ٢١٥ ب، الأهدل. تحفة الزمن و ٧٥ أ – ب، الجنداري. الجامع الوجيز و ٦١ أ.

[2] المفيد ص ١٨٨.

[3] ذكر وفاته في تلك السنة عدد من المؤرخين: الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٦٨، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢١ أ، محمد حسن. قلب اليمن ص ٣٥، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٥٦، الجرافي. المقتطف ص ٧٠، الشماحي. اليمن ص ١١٦، فؤاد سيد (محقق) طبقات الجعدي ص ١٦٦ هامش، وعند الحمزي وفاته سنة ٥٦٠، كنز الأخيار و ١٨٦ ب، ولعل ذلك تصحيف أو خلط مع وفاة ولده عمران.

[4] رجحنا وفاته في تلك السنة لتناقض روايات سنة وفاته وتعددها، ذكر عمارة وهو المعاصر له انه التقى بعلي بن مهدي سنة ٥٤٩هـ بذي جبلة وقد طلب الأخير مساعدة من الداعي محمد بن سبأ ضد أهل زبيد. المفيد ص٢٣٢، وكان الداعي محمد بن سبأ في الصريحين وهي دار النزهة للملوك وأرباب النعم بذي جبلة بعد وقوع الزلزلة باليمن ليلة الأحد من رجب سنة ٥٤٩هـ. الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٦٨، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢١ أ، وقد انفرد الخزرجي هذا بذكر وفاته سنة ٥٤٩هـ، كما ان عدداً من المؤرخين ذكروا سنة وفاته متأرجحة بين السنوات ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠هـ، مما جعلنا نرجح وفاته في السنة الأخيرة.

[5] قيل ان وفاته سنة ٥٤٧هـ. الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٦٨، وذكر مؤرخون آخرون وفاته سنة ٥٤٨هـ. عمارة. المفيد ص ١٨٩، ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٦٩، الخزرجي. العقد الفاخر و١٢٠ب، الديبع. قرة العيون ص٣١٤، يحيى. إنباء الزمن و ٥١، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٥، ٢٨٢، معارك حاسمة ص ٨٠، الحداد. تاريخ اليمن ص٢٢٠، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٢٨، الحامد. تاريخ حضرموت٣٥١، زامباور. معجم الأنساب ص ١٨١. وفي رواية ان وفاته سنة ٥٤٨ وقيل سنة ٥٥٠هـ. أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢١٨، العرشي بلوغ المرام ص ٢٨.

وقيل ان وفاته سنة ٥٤٩هـ. الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢١ أ، وبالتحديد في شهر ذي الحجة منها. روضة الحجوري و ٢٤٤ ب، أنظر أيضاً: فؤاد سيد (محقق). طبقات الجعدي ص ١٦٦ هامش، وجعل مؤرخون آخرون وفاته متأرجحة دون تحديد، فقيل أنها في سنة ٥٤٨ وقيل ٥٥٠هـ. الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٤ ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ٧٠ ب، كفاية و ٤٥ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٣، الشرفي. اللآلىء المضية ج٢ و١٢٢ أ، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٥، معارك حاسمة ص ١٨٠، الأكوع (محقق) هامش المفيد ص ١٨٩.

كانت وفاة الداعي محمد بن سبأ في الدملوة كما ذكر المؤرخون[١] ويروي الجعدي[٢] أن قبره فيها[٣]، ولا يحدد المؤرخون سبب وفاته ولا طبيعة المناسبة التي دفعته على ترك مدينة ذي جبلة والانتقال إلى الدملوة ثم وفاته فيها[٤].

٤- إمارة عمران بن محمد بن سبأ: ٥٥٠ - ٥٦٠هـ/ ١١٥٥ - ١١٦٤م.

بعد وفاة الداعي محمد بن سبأ سنة ٥٥٠هـ، ولي الحكم ولده عمران[٥]، وفي اعتقادنا ان ولايته كانت بإشراف جوهر المعظمي الذي كان نائباً لمحمد بن سبأ في الدملوة، وكان ياسر بن بلال بن جرير نائباً له في عدن، ففي رواية[٦] أن عمران بن محمد أبقى جوهراً على نيابته بالدملوة.

لم يكن عمران في سن تؤهله لتولي السلطة، فهو مازال صغيراً وقد تطرقنا من قبل إلى ان أباه قد تزوج من إبنة بلال بن جرير سنة ٥٣٤هـ، ومن أجل ذلك نرجح ان عمره حين مات أبوه كان بحدود ستة عشر عاماً، وهذه السن لا تؤهله لتولي مقاليد إمارة كانت في مشكلات وأزمات مع العديد من الملوك والأمراء في اليمن وقتذاك.

إن افتراضنا هذا لا يصح إلا إذا كان عمران ولداً للداعي من زوجه إبنة بلال، وفي الحق ان المصادر لا تشير إلى زواجه قبل ذلك، وإنما تزوج في أواخر حياته من السيدة أروى زوج المنصور بن المفضل، ومن بنت السلطان عبدالله بن اسعد بن وائل سلطان وحاظة[٧]، ولم تذكر المصادر أنه خلف أولاداً من زوجاته أولئك. كما انها لا تذكر أولاداً آخرين للداعي محمد بن سبأ، ونعتقد أنه خلف ولده عمران فقط، ونرجح أنه من زوجه إبنة بلال بن جرير المحمدي، ولا نعلم سنة ولادته.

وندعم رأينا بخصوص تولي عمران بن محمد بعد وفاة أبيه بصورة ظاهرية وبتوجيه كل من جوهر المعظمي وياسر بن بلال، بما ذكره الحجوري[٨] من أنه ولي في ذي الحجة سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م، ومعنى ذلك أنه بلغ من العمر أكثر من عشرين عاماً في أغلب الأحوال، وهذه السن تؤهله للقيام بمهام تلك الإمارة وحكمها.

---

[١] الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٦٨، الجندي. السلوك ج٣ و ١٠٤ ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ٧٠ ب، ١٢١ أ، كفاية و ٤٥ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣١٤، أبو مخرمة. ثغر عدن، ٢/ ١٨٣، ٢١٨، الشرفي. اللآلىء المضية ج٢ و ١٢٢ أ، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٠، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٥١.

[٢] طبقات الفقهاء ص ١٦٨.

[٣] أنظر عن قبره بالدملوة والعثور على تابوته: الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢١ أ، كفاية و ٤٥ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢١٨، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٥.

[٤] كانت ذي جبلة ضمن ممتلكاته التي اشتراها من منصور بن المفضل الحميري كما ذكرنا، ويروي الحداد أن الداعي محمد بعد تسلمه حصون بني الصليحي من منصور وصل إلى حصن التعكر في مخلاف جعفر، وإلى حصن حب من بلاد يَعْدانَ بعد تسلمهما، ثم أتخذ قلعة الدملوة مقراً رئيساً له وأقام فيها إلى موته. تاريخ اليمن ص ٢٢٠.

[٥] ويسمى: عمر، أنظر: العرشي. بلوغ المرام ص ٢٨، ٤٠، العقيلي. المخلاف ج١ ق١ ص ١٥٦، لقمان. معارك حاسمة ص ٨٠.

[٦] الجندي. السلوك ج١ و ١٤١، الاهدل. تحفة الزمن و ١٠٤ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤١ - ٢.

[٧] عمارة. النكت العصرية ص ٢٨.

[٨] الروضة و ٢٤٤ ب.

وصف المؤرخون[1] الأمير عمران بن محمد بالداعي وانه كان يلقب بالمكرم[2]، وقد اقتفى سيرة أبيه[3] مع زيادة لائقة وأخلاق رائقة، كما وصفوه بالجود والكرم. وفي اعتقادنا ان لقب الداعي كان لقباً وراثياً يمثل استمرار العلاقة السياسية والمذهبية بين الفاطميين في مصر وبني زريع في عدن، ولا نعلم السنة التي أطلق فيها لقب الداعي والمكرم على عمران بن محمد، ونرجح أنهما أطلقا عليه بعد توليه السلطة الفعلية في الإمارة سنة ٥٥٨هـ، رغم ان المصادر أطلقت عليه لقب الداعي[4] والمكرم[5] حين ترجمت له، وذلك في بدء تدوين سيرته وتسلمه السلطة بعد وفاة أبيه مباشرة.

ومهما يكن من أمر فان عمران تولى الحكم بعد وفاة أبيه، وحمل لقب الداعي، الذي نعتقد بأنه أصبح لقباً وراثياً حمله محمد بن سبأ، وأبوه سبأ من قبله، وأن هذا اللقب يمثل التبعية الإسمية والظاهرية الشكلية فقط للدولة الفاطمية في مصر، ونعتقد بأن أمراء بني زريع في عدن كانوا هم أنفسهم يهتمون بالإعلان بأنهم من أتباع الفاطميين، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أنهم يريدون إظهار قوتهم عن طريق ارتباطهم وقوة علاقتهم مع الدولة الفاطمية، كما أنهم يرغبون بذلك الإعلان لكسب أكبر عدد من الأتباع الذين يطيعونهم من منطلق ديني، باعتبارهم الدعاة والمسؤولين عن أمور الدعوة، وكانت الدولة الفاطمية هي الأخرى تهتم كثيراً في اليمن؛ بسبب أهميتها كمنطقة مهمة من مناطق نفوذهم المذهبي والعمل على منافسة المذاهب الأخرى المخالفة لهم فيها.

العلاقة مع الإمام المتوكل:

لقد بَينا أن الإمام المتوكل أحمد بن سليمان تمكن من دخول صنعاء سنة ٥٤٥هـ، وهدد بدخول عدن حين كانت تحت حكم بلال بن جرير في عهد الداعي محمد بن سبأ، ويبدو أن السلطان حاتم بن أحمد أراد أن يثأر من الإمام المتوكل إثر ذلك الانتصار، رغم وقوع الصلح بينهما.

ففي رواية[6] أن السلطان حاتم طلع إلى حصن براش[7] ووقف فيه، ثم طلب النجدة والنصرة من بني زريع، فجاءته منهم الإمدادات واجتمعت له همدان، فحارب الإمام واستطاع الاستيلاء على صنعاء وإخراج الإمام المتوكل منها، وعمّر حاتم الدرب بعد أن

---

[1] الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٦٩، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٤ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ٧٠ ب، ١٢١ أ، كفاية و ٤٥ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣١٤، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٣.

[2] وفي حكاية ان المكرم هو لقب الداعي محمد بن سبأ. العرشي. بلوغ المرام ص ٤٠، وهذا وَهْم.

[3] كان كابيه في السماحة وحسن الخلق. الجرافي. المقتطف ص ٧٠، وكان كابيه نهضة وعزما. الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٠.

[4] ورد هذه اللقب عند ذكر عمران بن محمد في بعض المصادر والمراجع؛ الأهدل. تحفة الزمن و ١٠٠ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٣، العبدلي. هدية الزمن ص ٦٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٥، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٠.

[5] ورد ذكر لقب المكرم لعمران بن محمد بن سبأ دون إيضاح مناسبته، أنظر: الجندي. السلوك ج١ و ١٤١، الأهدل. تحفة الزمن و ١٠٠ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤٢.

[6] إدريس. نزهة الأفكار و ٣٤ أ، يحيى . إنباء الزمن و ٥٢.

[7] براش. وهو حصن جنوب شرقي صنعاء. شرف الدين. اليمن ص ٢١١.

خرّبه الإمام[١]، وأختلف في تحديد تلك الواقعة فقيل إنها كانت سنة ٥٥٠هـ[٢]، وقيل إنها كانت سنة ٥٥٢هـ[٣].

ونحن نميل إلى تلك الحادثة كانت في عهد عمران بن محمد، رغم عدم تصريح المصادر بذلك، ولعل ذلك يرجع إلى انه لم يكن على رأس السلطة وأغلب الظن انه كان تحت الوصاية، فأشارت المصادر بأن السلطان حاتم بن أحمد استنصر ببني زريع، الذين قدموا لهم المساعدة اللازمة، وهذا يرجع إلى قوة العلاقة بينهم وبين السلطان حاتم منذ عهد الداعي محمد بن سبأ.

ونستدل من تلك الرواية ان العلاقة بين الإمام المتوكل على الله وعمران بن محمد بن سبأ خاصة ونوابه ومن كان يدير دفة الحكم في عدن عامة، كانت عدائية؛ بسبب ميل بني زريع للسلطان حاتم بن أحمد اليامي، إذ تربطه بهم علاقة وثيقة لكونه من يام ثم من همدان (وكذا بنو زريع)، فهو كما في إحدى الروايات[٤]. من بني زريع، أي منهم لأنهم من يام ومن همدان فهو من القبيلة نفسها، وهذا يكشف لنا عن قوة العصبية القبلية والتقاء المصالح بين الملوك والأمراء في ذلك الوقت.

وتوضح إحدى الروايات[٥] الخلاف الشديد والمنافسة بين الإمام المتوكل وعمران بن محمد بن سبأ، فتذكر ان القاضي علي بن عبد الأعلى[٦]، وهو من علماء الزيدية المعاصرين للإمام المتوكل قد توجه إلى عدن داعياً بأمر المتوكل، إذ أمر بالدعوة التي كتبها إلى عدن، فلما وصل بها إلى عدن، دخل على عمران بن محمد، واعلمه بأخبار الإمام حيث كان قد حرك الناس للقتال وضرب لهم مواعيد وملاقي، وطلب الداعي عمران من علي بن عبد الأعلى أن يطلعه على تلك الدعوة، فأجابه أنها ليست له، ولما ألح عليه في الإطلاع عليها سلمها إليه فقرأها وتدبر ما فيها واعجبَ ثم حفظها وكانت دائماً معه لا تفارق يده، وكلما دخل القاضي علي عليه وجدها بين يديه.

ان هذه الرواية جاءت فريدة في مصدر واحد، وإذا تأملنا ما فيها من معلومات نجد فيها مفارقات ومتناقضات، إذ إن الظروف السياسية السائدة في اليمن تؤكد وجود العديد من الإمارات والدويلات الصغيرة التي ارتبطت بعلاقات متباينة منها علاقات طيبة ومنها علاقات متوترة وعدائية، فالعلاقة بين بني زريع في عدن وتوابعها وبين إمارة الإمام أحمد بن سليمان في صعدة ونواحيها كانت متوترة وعدائية، ولذلك نتوقع أن يكون هنالك نوع من الحيطة والحذر في مواقف هاتين الإمارتين أو في مواقف زعيميهما.

---

[١] أنظر عن هذه الحرب أيضاً: روضة الحجوري و ٢٤٧ ب، الوزير. جامع المتون و ١٧ ب، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٧ أ – ب (حوادث سنة ٥٥٠هـ).

[٢] يحيى. إنباء الزمن و ٥٢، وذكر الجنداري في حوادث سنة ٥٥١هـ ان السلطان حاتم بن أحمد عمر درب غمدان وبذل فيه الأموال العظيمة. الجامع الوجيز و ٦١ أ.

[٣] إدريس . نزهة الأفكار و ٣٤ أ.

[٤] يحيى. إنباء الزمن و٥٣.

[٥] يحيى. المستطاب و٣٣ أ.

[٦] لم نجد ترجمة له سوى ما ورد في الرواية، ولعله وَلَدُ عبد الأعلى قاضي الهادي، ولا نعلم سنة وفاته.

نفهم من هذه الرواية أن رسول الإمام المتوكل إلى عدن القاضي علي بن عبد الأعلى لم يكن رجلاً أهلاً لأداء هذه المهمة الخطيرة، إذ انه أرسِل من قبل الإمام داعياً إلى عدن، وكان يحمل أسماء أنصار الإمام ومؤيديه في عدن، إذ كانت هناك خطة للتحرك ضد عمران أو بني زريع في عدن، وهذا يستوجب سرية وحذراً كبيرين، فكيف يدخل هذا الرسول على عمران بن محمد الذي يعد عدوهم ويطلعه على خطة الإمام ثم يُسلّمه تلك الدعوة وما تحوي من أسماء وخطط؟ إن ذلك يمكن أن يتم إذا كان هذا الرسول متواطئاً مع عمران أو أنّه أُغري بالأموال، ولا تشير هذه الرواية إلى موقف عمران من الإمام المتوكل والتطورات التي تبعتها، كما لا تشير إلى موقفه من هؤلاء الدعاة الذين احتوى الكتاب أسماءهم،كما لم نجد في المصادر موقفاً واضحاً للإمام المتوكل تجاه هذه الحادثة – إن صَحّتْ – ولذلك نميل إلى عدم الأخذ بها، لأنها لم ترد في مصادر أخرى، إضافة إلى ما احتوته من تناقض وغموض ومفارقات، مما يضعفها ويثير الشكوك حولها.

العلاقة مع الفاطميين:

أشرنا إلى أن عمران بن محمد بن سبأ، كان يلقب بالداعي، كما ذكر المؤرخون ذلك عنه ترجمته وتوليه الإمارة بعد وفاة أبيه. وهذا اللقب يدل على انه كان يدعو باسم الفاطميين في عدن وتوابعها من الأجزاء الخاضعة لسيطرته، وقد أشرنا إلى ان هذا اللقب كان وراثياً عند بني زريع منذ عهد الداعي سبأ بن أبي السعود، الذي كان أول داعٍ من بني زريع، روى الخزرجي[1] ان عمران بن محمد ولي الدعوة بعد وفاة والده الداعي محمد بن سبأ.

وكانت العلاقة بين بني زريع في عهد عمران بن محمد والفاطميين في مصر وثيقة جداً، روى عمارة[2] انه أخذ من الداعي محمد بن سبأ مالاً لبعض أغراضه وذهب منه المال في زبيد، وحين توفي منعه أهل زبيد من الذهاب إلى عدن في عهد ولده عمران، ثم سافر عمارة رسولاً لأمير الحرمين إلى مصر سنة ٥٥١هـ، فأخذ كتاباً من الملك الصالح[3] إلى الداعي عمران بن محمد بن سبأ يتضمن أن يقسط المال الذي بقي بذمته بعد وفاة محمد بن سبأ، ومقداره ثلاثة آلاف دينار، فلما جاء بكتاب الملك الصالح إلى عمران بن محمد في عدن ودخل عليه، سأله عن مضمون ذلك الكتاب، فاخبره القاضي الرشيد بن الزبير انه يتضمن تقسيط المال، لكن الداعي عمران طلب منه تقديم السين على القاف لتكون بدل تقسيط كلمة تسقيط المال، ثم تناول ورقة وكتب فيها: "أقول وأنا

---

[1] العقد الفاخر و ١٨٢ ب.

[2] المفيد ص ١٨٩ – ١٩٠.

[3] أبو الغارات طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح، وُلدَ سنة ٤٩٥هـ، ولي الوزارة في أيام الفائز، واستقل بالأمور وتدبير أحوال الدولة، وكانت ولايته في شهر ربيع الأول سنة ٥٤٩هـ، كان فاضلا سمحاً في العطاء، جيد الشعر له ديوان شعر في جزأين، ولما مات الفائز وتولى العاضد مكانه استمر الصالح على وزارته وزادت حرمته وتزوج العاضد ابنته فاغتر بطول السلامة، وكان العاضد تحت قبضته وفي أسره، فلما طال عليه ذلك دبر الحيلة في قتله، وكان ذلك سنة ٥٥٦هـ، أبن خلكان. وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٦ – ٩.

عمران بن الداعي المعظم محمد بن الداعي الأوحد سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس اليامي ان الفقيه عمارة بن الحسن بريء الذمة من المال الذي درج من يده لمولانا الداعي محمد بن سبأ[1]"، وتناقل بعض المؤرخين[2] هذه الرواية في علاقة عمارة بالداعي عمران بن محمد.

تدلنا هذه الرواية على ان العلاقات كانت وثيقة بين الملك الصالح وهو الحاكم الفعلي في مصر وبين عمران بن محمد، وكان للملك الصالح تقدير خاص عند عمران، فان المال الذي بقي بذمة عمارة لا قيمة له إزاء طلب الملك الصالح في تقسيطه. هذا ونستنتج من هذه الرواية بأن لقب الداعي كان يطلق على عمران بن محمد بن سبأ منذ سنة ٥٥١هـ، ويدلنا الكتاب الذي كتبه الداعي عمران في براءة عمارة على تسلسل لقب الداعي وراثياً في جده سبأ بن أبي السعود وأبيه الداعي المعظم محمد بن سبأ ثم انتقاله إليه، كما انه يعبر عن وثيقة اقتصادية ببراءة ذمة مدين من الديون التي بذمته، مما يؤكد تسامح الداعي عمران وتواضعه وكرمه.

وكان من مظاهر قوة العلاقة بين الفاطميين وبني زريع في عهد الملك الصالح ما ذكرته إحدى الروايات[3] انه لما توفي محمد بن سبأ ولي بعده ولده عمران، وجاءه التقليد من بني عبدالمجيد أيام قيام الملك الصالح في مصر وأعمالها.

وتدلنا هذه الرواية على أن الفاطميين كانوا يبعثون من يحمل تقليد الخليفة الفاطمي أو من ينوب عنه للأمير في عدن، وذلك بأن يُكلَّفَ القيام بدعوتهم هناك، وتؤكد لنا هذه الرواية ان التقليد كان مباشرة بعد وفاة الداعي محمد بن سبأ، ولعل ذلك كان سنة ٥٥٠هـ، وقام الملك الصالح طلائع بن رزيك بتقليد عمران بن محمد الدعوة الفاطمية باسم الخليفة الحافظ عبد المجيد، وهي الدعوة نفسها التي تقلدها أبوه حين وصله التقليد من قبل القاضي الرشيد سنة ٥٣٤هـ، فقام بأمر الدعوة المجيدية نسبة إلى الخليفة الفاطمي الحافظ عبد المجيد، ولا تذكر لنا الرواية اسم الشخص الذي قام بنقل التقليد بإسناد الدعوة إلى عمران بن محمد، وكيفية وصوله إليه، ونحن نستبعد أن يكون عمارة قد قام بذلك؛ فانه فارَقَ اليمن، ولعل سبب ذلك يعود لعجزه عن سداد الدين الذي كان بذمته لداعي الدعاة في اليمن عمران بن محمد[4].

كان الداعي عمران قائماً بالدعوة الفاطمية حتى وفاته كما ذكر ذلك الخزرجي[5] وأبو مخرمة[6]، مما يدل على استمرار علاقته الوثيقة مع الفاطميين لمدة طويلة.

---

[1] عمارة. المفيد ص ١٩٠.

[2] عمارة. النكت العصرية ص ٣٨ – ٤٠، الخزرجي. العقد الفاخر و٧٢ أ – ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٣ – ٤، حسن، د. حسن إبراهيم. الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، مط الأميرية، (القاهرة، ١٩٣٢م)، ص ١٧٥.

[3] إدريس. نزهة الأفكار و ٣٣ أ.

[4] ابن شعيل. عمارة اليمني ص ١٣٣، وقد لقبه بداعي الدعاة، أنظر عن هذا اللقب: لقمان. تاريخ عدن ص ٥٨.

[5] العقد الفاخر و ٧٢ ب.

[6] ثغر عدن ٢/ ١٨٦.

العلاقة مع بني مهدي في زبيد:

ذكرنا ان علي بن مهدي الرعيني زار الداعي محمد بن سبأ في مدينة ذي جبلة سنة ٥٤٩هـ، وقد طلب منه المساعدة ضد حكام زبّيد من النجاحيين لكن الداعي رفض التعاون معه.

ذكر المؤرخون[١] ان علي بن مهدي بعد رجوعه من ذي جبلة استقر في حصن الشرف[٢] واغتنم فرصة التناحر الداخلي في زبيد فدبر اغتيال القائد سرور الفاتكي[٣]، وهو يصلي في مسجده المعروف بمسجد سرور بزبيد، وذلك سنة ٥٥١هـ، وبمقتلهِ ضعف أمر الحبشة وتنافس العبيد في زبيد، وكان ابن مهدي قد حشد الجيوش الكبيرة وكسب الأنصار والمريدين الذين بايعوه، فهبط من الجبال وزحف بجنوده على زبيد ووقع القتال الشديد، واستمر على حصار زبيد حتى أجاع أهلها واضطروا إلى أكل الميتة، وقتل من رجالهم الكثير، إذ بلغت غزوات ابن مهدي اثنين وسبعين زحفا، وكان يُضْربَ بصبرهم المثل فيقال: "لن تصبر أمةَ على الحصار والقتال ما صبر أهل زبيد[٤]"، واستنجد أهل زبيد بالإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان صاحب صعدة، فانجدهم طمعاً في الملك وشرطوا له أن يملكوه، فاشترط عليهم أن يقتلوا مولاهم فاتك بن محمد بن فاتك، لكن الإمام رجع عن زبيد بعد أن دخلها؛ وذلك لعجزه عن نصرتهم وكان ذلك سنة ٥٥٣هـ[٥].

وقد تمكن علي بن مهدي من دخول مدينة زبيد فقضى على دولة الحبشة فيها، وذلك في يوم الجمعة ١٤ رجب سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م، كما ذكرت ذلك بعض الروايات[٦]، وبذلك أسس دولة بني مهدي في زبيد، وأقام بها بقية رجب وشعبان وشهر رمضان ثم مات في شوال منها، وبالتحديد أنه مات في ٦ شوال من سنة ٥٥٤هـ[٧]، فكانت مدة

---

[١] عمارة. المفيد ص ٢٣٢ – ٣، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٣أ، الوصابي. تاريخ وصاب ص ١٠٦ – ٧، الخزرجي. العقد الفاخر و ٤٢أ – ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٣، الشرفي. اللآلئ المضية ج ٢ و ١٣٠ ب، الوزير. جامع المتون و ١٧ ب، الكبسي. اللطائف السنية و٢٦ أ، ٢٧ ب – ٢٨ أ، شرف الدين. اليمن ص ٢١٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٢.

[٢] وهو من الحصون العظيمة من أعمال وصاب الأعلى، ومنه ظهر علي بن مهدي وهو في مخلاف وصاب من اليمن. الخزرجي. طراز (متحف) و ١٧٨ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٤ ب الديبع. بغية المستفيد ص ٦٥، الكبسي، اللطائف السنية و ٢٦ أ.

[٣] ترجمنا له في الفصل الثاني.

[٤] عمارة. المفيد ص ٢٣٣.

[٥] ينظر عن استنجاد أهل زبيد بالمتوكل على الله سنة ٥٥٣هـ: الوزير. جامع المتون و ١٨ أ، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٨ أ.

[٦] عمارة. المفيد ص ٢٣٣، الوصابي. تاريخ وصاب ص ١٠٧، الخزرجي. العقد الفاخر و ٤٢ ب، إدريس. نزهة الأفكار و٧أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٤، بغية المستفيد ص ٦٥.

[٧] الخزرجي. العقد الفاخر و ٤٢ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٥، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٠. وقيل توفي سابع شوال منها، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٣ أ، الديبع. بغية المستفيد ص ٦٥.

حكمه شهرين ووحداً وعشرين يوماً[1]، وكان من المسرفين الذين سعوا في الأرض فساداً[2].

كانت وفاة علي بن مهدي سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م بداية لمرحلة من المشكلات والمتاعب التي أحاطت بالداعي عمران بن محمد بن سبأ، فقد كان لظهور مذهب ابن مهدي أثره في قيام تلك المشكلات.

وكان علي بن مهدي على مذهب أبي حنيفة في الفروع، ثم أضاف لعقيدته التكفير في المعاصي، وكان على مذهب الخوارج، الذي تبنى جملة مبادئ منها: قتل كل من خالفه من أهل القبلة، واستباحة نسائهم وأولادهم، وقتل شارب الخمر والزاني ومن تأخر عن صلاة الجماعة، وسامع الغناء، والمنهزم من عسكره، ومن تأخر عن مجالس وعظه يومي الخميس والاثنين، وقد سَنَّ الخوارج هذا التشريع استناداً إلى عقيدتهم القائلة إن مرتكب الكبيرة يعد كافراً[3].

إننا لا نريد أن نناقش في صحة هذه العقيدة ومدى التزامها بالمبادئ التي جاءت من أجلها، إذ أن المطامع السياسية كانت دائماً تطغى على المبادئ والمثل التي تُنادي بها أمثال هذه الجماعات سواء اتخذت شكل أحزاب سياسية أم مذاهب وعقائد دينية، ولكننا نود الإشارة إلى خطر هذا المبدأ في منافسة بني زريع الذين كانوا يدينون بالعقيدة الفاطمية ويدعون لنشرها، وبعبارة أدق إيضاح مدى التأثير في العلاقات السياسية بين دولتين تدين كل منهما بمبادئ تخالف الأخرى.

لما توفي علي بن مهدي بمدينة زبيد دفن فيها، وعمل أولاده على قبره ضريحاً وصاروا يحجون إليه[4]، فتولى أولاده من بعده، فكان ابنه مهدي متولياً قيادة الجيوش والسرايا، وعبد النبي متولياً أمور المملكة وتدبيرها[5]، ويبدو انهما كانا متعاونين في ذلك، لكن السلطة الفعلية كانت بيد مهدي بن علي، إذ يذكر المؤرخون[6] إنه ولي الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٤هـ، ووُصِف بأنه ملك شَهمُ فتاكُ سَفاك وقد ادعى مهدي المُلك

---

[1] أنظر إضافة للمصادر السابقة: روضة الحجوري و٢٤٥ أ، ابن الوردي، عمر بن مظفر. تاريخ ابن الوردي المسمى: تتمة المختصر في أخبار البشر، ج ٢، منشورات المكتبة الحيدرية (النجف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ص ٨٧ – ٨، إدريس. نزهة الأفكار و ٧ أ، الديبع. بغية المستفيد ص ٦٥، الحجري. خلاصة من تاريخ اليمن ص ١٦، محمد حسن. قلب اليمن ص ٣١ – ٢.

[2] الديبع. بغية المستفيد ص ٦٥.

[3] عمارة. المفيد ٢٣٦ – ٧، الوصابي. تاريخ وصاب ص ١٠٧، العامري. غربال الزمان و ١١٥ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٢ – ٣.

[4] الخزرجي. كفاية و ٦٦ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٥، بغية المستفيد ص ٦٥.

[5] الخزرجي. نفسه، الديبع. قرة ص ٣٦٦. الوزير. جامع المتون و ١٨ ب، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٠، الشماحي. اليمن ص ١٢١.

[6] الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٣ أ، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٧٥ ب، كفاية و ٦٦ ب، إدريس . نزهة الأفكار و٧ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٧ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٦، يحيى. إنباء الزمن و ٥٢، غاية الأماني ص ٣١٣، الوزير، جامع المتون و ١٨ ب.

والإمامة ودعا إلى نفسه، ويَمَنّي نفسه المسير إلى مكة[١]؛ لأجل نشر دعوتـــه وتعريــف الناس به، وذكروا عنه أيضاً انه غزا البلاد ودوخ الملوك، فاستباح بلاداً كثيرة وأمـــوالاً جزيلة وسبي الحريم.

ونستدل مما ذكره المؤرخون عن مهدي بن علي هذا أنه كان سيئ السيرة، ســـفاكاً فتاكاً ووصفه البعض[٢] بأنه ممن سعوا في الأرض فساداً.

كانت علاقة مهدي بن علي مع بني زريع في عدن وتوابعها عدائية، ففي رواية[٣] انه أغارعلى لحج سنة ٥٥٦/ ١١٦١م، ويحددها الخزرجي[٤] في شهر شعبان منها، وكـــانت هذه الغارة الأولى عليها، وقد قتل كثيرا من أهلها وسبى الحريم، ونهب الأموال.

ونحن نعلم أن لحج كانت ضمن ممتلكات بني زريع، وربما لم يستطع مهدي بن علي الغارة على عدن، فاكتفى بالإغارة على لحج.

وذكر المؤرخون[٥] ان الإغارة الثانية على لحج سنة ٥٥٨هــ[٦]/ ١١٦٣م، في شـــهر رمضان منها على رواية الخزرجي[٧]، وقد قتل من أهل لحج في الغارتين عـــددا كبـــيرا وسبى الحريم ونهب أموالا جمة، وقيل إنه استولى على لحج ودخلها في هـــذه المـــرة، وذكر بجعازي[٨] انه ترك أثرا عميقا من الدم خلفه، دلالة على عنفه وسفكه للدماء.

وقد اكتفى بعض المؤرخين[٩] بالإشارة إلى أن مهدي بن علي أغار على لحج مرتيـــن دون تفصيل ذلك أو تحديد سني غارتيه تلك.

وفي غزو مهدي بن علي على لحج، قيلت أشعار منها قول ابن الـــهبيني[١٠]، علـــى لسان ابن مهدي[١١]:

ابلـــــغ قـــــرى تعكـــــر ولا جرمــــــا	ان الـــذي تكرهــون قـــــد دهمـــا
وقـــــل لجناتـــــــها ســـــــأبدلها	ســـيلا بأيسام مـــــأرب عرمــــا[١٢]

---

[١] الأصفهاني. الخريدة ٣/ ٦٤ – ٥، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٧٥ ب.

[٢] الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٤ أ، شرف الدين. اليمن ص ٢١٤، وقال عنه الديبع: "وعلى الجملة كان ابـــن مهدي وأولاده ممن سعى في الأرض الفساد". بغية المستفيد ص ٦٥.

[٣] الخزرجي. كفاية و ٦٦ ب، الحداد، تاريخ اليمن ص ٢٣٠، B ikhazi, Coins of Al – Yaman,P. 111.

[٤] نفس المصدر، وذكر د. صالح ان غارة بني مهدي الأولى على لحج والجند كانت سنة ٥٥٥هــ. بنو معن ص ٣٣٩.

[٥] يحيى. إنباء الزمن و ٥٢، غاية الأماني ص ٣١٥، الكبسي. اللطائف الســـنية و ٢٨ ب، العبدلـــي. هديـــة الزمن ص ٦٣، الحداد. تاريخ اليمن ص ٣٢٠.

[٦] وقيل انها سنة ٥٥٧هــ. Bikhazi, op, Cit, p.111.

[٧] كفاية و ٦٦ ب.

[٨] Bikhazi,op,cit,p.111.

[٩] الديبع. قرة العيون ص ٣٦٦، الوزير، جامع المتون، و ١٨ ب، لقمان تاريخ عدن ص ٥٦.

[١٠] من شعراء تهامة، شاعر علي بن مهدي صاحب زبيد، وأولاده بعده، يقول عمارة عنه: "وهو أمتن كلامـــا وأقوى نظاما من كثير مما سمعته بهم من شعرائهم"، ولم نجد له ترجمة، أو نعرف اسمه الكامل، عـــدا إنـــه ابن الهبيني التهامي. أنظر: عمارة. المفيد ص ٣٢٣، الأصفهاني. الخريدة ٣/ ٢٨٤.

[١١] وقيل ان هذه القصيدة تنسب إلى علي بن مهدي. الأصفهاني. الخريدة ٣/ ٦٥ – ٨، ٢٨٤.

[١٢] البيتان نقلا عن عمارة. المفيد ص ٣٢٣.

أتشـرب الخمـر فـي ربــى عــدن	والسمر والبيض في الحصيب ظمـأ[1]
كـلا ومـهدي فـارس بطـل	وصـدر حـيزوم يمـلا الحزمـا[2]

وقال آخر:

لمـن عسـكر بـالليل يعـدو بدهمـه	ويزهو بميمـون الزمـان وشـهمه
بـأبلج امـا جـادلوا فمحمـد	بيانـا وإمـا جـالدوا فـابن عمـه[3]

لم يكتف مهدي بن علي بالإغارة على لحج، فبعد خروجه من لحج اتجه إلى مدينة الجند التي كانت أيضا ضمن مملكة بني زريع في عهد الداعي عمران بن محمد بن سبأ، فحاصرها أربعة عشر يوما ثم دخلها كما ذكرت إحدى الروايات[4]، فقتـل كثـيرا ممـن وجدهم فيها من صغير وكبير ورماهم في بئر مسجدها، وأكثر من حريق دورهـا، كمـا احرق مسجدها على من فيه من الضعفاء وخربه، فهرب عنها سكانها بعد أن تعرضـت لمقتلة عظيمة، وذلك سنة ٥٥٨هـ[5]، ويحدد الديبع[6] تلك الوقعة يوم الاثنين ١٤ شـوال منها.

نعتقد ان قوة مهدي بن علي كانت كاسحة، وقد صاحبها أعمال القتل والنهب وهـدم الدور والمساجد، ويبدو ان موقف بني زريع في عهد الداعي عمران بن محمد بن سـبأ لم يكن حازما، ولعل ذلك يرجع إلى عدم توازن القوتين المتنافستين وان مهدي بن علـي قد أغرى القبائل بالأموال والغنائم من المناطق المفتوحة، لذلك أخذ في مهاجمة أمـلاك الزريعيين وإشاعة الخراب والدمار والقتل فيها، وامتدت غزواته إلى تعز وإب والجنـد والمعافر[7]، مما سبب إرباكا وقلقا شديدا لأمراء عدن من بني زريع وغيرهم من الأمـراء والملوك المجاورين.

وبسبب كثرة غارات مهدي بن علي وقتله عددا كبيرا من سكان المناطق التي قـام بغزوها على نحو ما ذكره المؤرخون[8] بأنه غزا البلاد ودوخ الملوك؛ اضطـر الداعـي

---

[1] أورد عمارة بعده بيتان. أنظر: المفيد ص ٣٢٤.

[2] عن البيتين الأخيرين أنظر: الخزرجي. كفاية و ٦٦ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٦، ولم يـرد البيـت الأخير في المفيد ص ٣٢٤.

[3] أنظر الخزرجي والديبع في الهامش ما قبله.

[4] يحيى. إنباء الزمن و٥٢، د. صالح. بنو معن ص ٣٣٩.

[5] الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٣ أ، الخزرجي العقد الفاخر و ١٧٥ ب، الأهدل. الجوهـر الفريـد و ٢٧٧أ، العامري. غربال الزمان و ١١٧ ب،الديبع. قرة العيون ص ٣٦٦. يحيى. إنباء الزمن و ٥٢ (وذكر ان عليا بن مهدي بن علي أغار على لحج وعدن)، الوزير. جامع المتون و ١٨ ب، الكبسي. اللطائف السنية و٢٨ ب.

[6] بغية المستفيد ص ٦٦.

[7] شرف الدين. اليمن ص ٢١٤، الثور. هذه هي اليمن ص ٢٩٦، Bikhazi,op, cit, p. 111.

[8] الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٣ أ، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٧٥ ب، كفاية و ٦٦ب، الأهـدل. الجوهـر الفريد و ٢٧٧ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٥، يحيى. إنباء الزمن و ٥٢، غاية الأماني ص ٣١٣، الوزيـر. جامع المتون، و ١٨ ب، العبدلي. هدية الزمن ص ٦٣، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٠.

عمران بن محمد بن سبأ لمصالحته على أن يدفع إليه مبلغا من المال لقاء عدم تعرضه إلى عدن والدملوة.

لا تحدد المصادر السنة التي تم فيها الصلح بين عمران ومهدي بن علي، ولا مقدار المال المدفوع لقاء ذلك، وفي حكاية[1] ان الداعي عمران صالحه عن عدن والدملوة بمال يدفعه إليه سنويا. ونرجح إن ذلك الصلح تم بعد التهديد المتواصل لغزو عدن، لكن مهدي بن علي لم يستطع ذلك، فقام بغزو الأجزاء التابعة للزريعيين مثل لحج والجند وبقية المناطق الخاضعة لنفوذ الدعي عمران، وأشاع فيها القتل والنهب، فاضطر الداعي إلى عقد ذلك الصلح، ونرجح أنه كان سنة ٥٥٨هـ، والتي اعتبرناها السنة التي تولى فيها الداعي عمران السلطة بعدن بصورة فعلية، اعتمادا على ما ذكره الحجوري[2] من انه ولي في شهر ذي الحجة منها.

ونشير هنا أيضا إلى أن مهدي بن علي اشترى حصني صبر وتعز من أحمد بن المنصور بن المفضل بعد توليه عليهما إثر وفاة أبيه منصور بن المفضل، وسكن أحمد بن المنصور في الجند حتى وفاته بها سنة ٥٦٣هـ[3]، وهذا يعني ان بني مهدي سيطروا على معظم أملاك بني زريع التي استولى عليها الداعي محمد بن سبأ بعد انتصاره على منصور بن المفضل وإرغامه على بيع معظم حصونه ومدنه سنة ٥٤٧هـ، كما أشرنا، وبذلك حل بنو مهدي محل بني زريع في السيطرة على حصون ومدن الصليحيين.

بعد غزو مهدي بن علي للجند، عاد إلى زبيد، فأصيب بمرض الطايرة الذي تفطر منها جسمه، حتى ظهر فيه شبه إحراق النار، وفي رواية[4] انه كان ينزل من تعز في محفة مفروشة بالقطن وبقي على هذا الحال حتى توفي بزبيد مستهل شهر ذي العقدة[5] سنة ٥٥٨هـ[6]، وبذلك انتهت حياة رجل شغف بأعمال القتل والنهب وسفك الدماء، حتى وضع ذلك المرض نهاية لها.

بعد وفاة مهدي بن علي تولى أخوه عبد النبي بن علي الحكم، وكان يعرف بالسيد والإمام على ألسنة العوام[7]. وقد وردت اختلافات عديدة بين المؤرخين حول مذهب عبد

---

[1] شرف الدين. اليمن ص ٢١٤ – ٥، الثور. هذه هي اليمن ص ٢٩٦.

[2] الروضة و ٢٤٤ ب.

[3] الجندي. السلوك ج٣ و١٠٣أ، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص٢٤١.

[4] الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٧ أ، الديبع. بغية المستفيد ص ٦٦.

[5] وفي رواية أنه توفي أول ذي الحجة سنة ٥٥٨هـ . الديبع. قرة العيون ص ٣٦٦، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٠، وقيل مات بذي الحجة سنة ٥٥٨هـ، الشماحي. اليمن ص١٢١.

[6] الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٣ ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٧٥ ب، الديبع. بغية المستفيد ص ٦٦، يحيى. إنباء الزمن و ٥٢، الوزير. جامع المتون و ١٨ ب، الكبسي. اللطائف السنية و٢٨ب، وقيل توفي بزبيد يوم الأحد ١٨ محرم سنة ٥٥٩هـ، وقبره في المشهد مع والده. الخزرجي. كفاية و ٦٧ أ، وذكر بجعازي وفاته في ١٨ محرم من تلك السنة. Bikhazi,op, cit, p. 111.

[7] الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٨٣، وذكر العامري أن العوام سمته عبد النبي. غربال الزمان و ١١٧ ب.

النبي هذا، ففي رواية[1] انه من أصحاب المصريين، وكان يلقب بالداعي على رواية الحنبلي[2]، وقيل كان باطنيا[3]، وإنه من دعاتهم[4]، وكان يلقب بالمهدي[5] ويسمى الإمام[6].

يتضح لنا مما سبق ان عبد النبي كان باطنيا إسماعيليا، أي انه كان من دعاة الفاطميين ومعتنقي مذهبهم، غير ان المؤرخين لا يوضحون علاقته مع الدولة الفاطمية، ولعل ذلك يرجع إلى اختلافه مع الفاطميين، بسبب تطرفه المذهبي ولذلك وصف بعض المؤرخين أباه علي بن مهدي بأنه كان خارجيا[7]، وتلك تسمية مجازية توضح خروجه على المذاهب السائدة في اليمن في عهده، ولعلها تعود أيضا إلى انه اقترف جرائم ومنكرات كثيرة أثارت استياء عاما منه ومن مذهبه في بلاد اليمن بصورة خاصة.

ذكرنا ان عبد النبي كان يساعد أخاه مهديا، فتولى أمور الدولة، وشارك أخاه في غزواته وحروبه، وبعبارة أخرى يمكننا القول انه اقتفى سيرته في الغزو والنهب والقتل[8]. ويبدو أن خلافا وقع بين عبد النبي وأحد إخوته المسمى: عبدالله، وأن ذلك الخلاف وقع في بداية حكم عبد النبي، ففي رواية[9] ان عبد النبي لبث يسيرا في حكمه وخدعه أخوه عبدالله وأسره[10]، وبقي في الأسر ثم خرج واستعاد الملك، وذكر المؤرخون[11] تولي عبدالله الحكم بعد عبد النبي ثم عودة الأخير، دون تحديد مدة حكمه و السنة التي وقعت فيها المشكلة.

---

[1] سبط ابن الجوزي، يوسف بن قيز وغلو. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ج ٨ ق١، ط١، (حيدر آباد الدكن، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) ص ٢٩٩، ابن تغري بردي. أبو المحاسن يوسف. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، (القاهرة، د. ت)، ص ٦٩.

[2] الحنبلي، أحمد بن إبراهيم. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، – تح: ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ٥١، وذكر ان عبد النبي كان يلقب بالمهدي وانه يرى رأي القرامطة، وانه داعية صاحب مصر. نفسه ص ٥١ – ٢.

[3] ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٧٢ – ٣.

[4] العامري. غربال الزمان و ١٢٢ أ، الجنداري. الجمع الوجيز و ٦٣ ب.

[5] ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٤، منشورات مكتبة القدسي، (القاهرة، ١٣٥٠هـ)، طبعة أوفست ص ٢٣٤.

[6] ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٣.

[7] ذكرنا هؤلاء المؤرخين عند دراستنا لظهور علي بن مهدي وعقيدته.

[8] يحيى. إنباء الزمن و٥٢، غاية الأماني ص ٣١٦، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٨ ب. Bikhazi, op, cit, P. 111.

[9] الخزرجي. العقد الفاخر و ١٧٥ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٧ أ، الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٣٠ ب، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٤٢.

[10] روى الجندي أن أخاه عبدالله حسده فلبث مدة وخلص. السلوك ج ٣ و ١١٤ أ.

[11] عمارة. المفيد ص ٢٣٣، روضة الحجوري و ٢٤٥ ب، ابن الوردي. تتمة المختصر ٢/ ٨٨، الوصابي. تاريخ وصاب ص١٠٧، إدريس. نزهة الأفكار و ٧ أ، الثور. هذه هي اليمن ص ٢٩٦، ترسيسي. اليمن ص ٩٨.

ويحتمل بجعازي[1] ان تلك المشكلة وقعت سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م، رغم تـأكيده ان المصادر لا تحدد تاريخها، وان عبدالله بن علي كان قادراً لفترة من الوقت على إخضاع عبد النبي وطرده من زبيد، لكن عبد النبي استعاد قوته بعد ذلك بزمن يسير. ولا توضح المصادر شيئاً عن أعمال عبدالله بن علي وطبيعة علاقته مع بني زريع في عدن، خلال المدة التي تولى فيها الحكم.

اقتفى عبد النبي سيرة أخيه مهدي بن علي، لذلك حاول، بعد توليه الحكم غزو عدن لكنه لم ينجح في محاولته تلك، فأمر أصحابه بالإغارة على ابين وإحراقها سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م[2]، وروى الخزرجي[3] انهم احرقوا قرية الضربة، كما احرقوا أبين يوم السبت ١٥ صفر سنة ٥٥٩هـ[4]. ولاشك ان تلك الغزوة تؤكد عدم التزام عبد النبي بالصلح الذي عقد بين الداعي عمران بن محمد وأخيه مهدي بن علي، وتوضح أيضاً النوايا العدائية التي كان يضمرها بنو مهدي حكام زبيد لبني زريع في عدن، وتجدر الإشارة إلى أن المصادر لم توضح موقف الداعي عمران من تلك الغزوة وكيفية مواجهتها.

كانت خطط عبد النبي تستهدف تنظيم الغارات على مدن الزريعيين بغية إضعافهم، وتذكر إحدى الروايات[5]، إنه أغار على الجوة[6]، وكانت فيها وقعة مشهورة في ذي الحجة سنة ٥٥٩هـ، ويروي الخزرجي[7] ان هذه الغارة كانت في بعض الأعياد فظفر بأهلها يومئذ، وفي ذلك يقول الشاعر ابن الهبيني أبياتاً منها:

في يوم عيد صحوا لولائم ... فيها فأضحوا للحِمام ولائما
وحرمتهم فيها مطاعم عندهم ... وتركتهم للمرهفات مطاعم[8]

نستدل من هذه الأبيات بأن عبد النبي قد انقض على أهل الجوة في صبيحة أحد الأعياد، فأحال فرحهم إلى حزن بعدما ترك أشلاء قتلاهم متناثرة. معبرا عن ولعه بالقتل وسفك الدماء.

ونستنتج من كثرة الغارات التي شنها عبد النبي على مدن الزريعيين، أنه كان يتمتع بقوة ضاربة، كما انه بدأ حكمه بنفس الأعمال القاسية والعنيفة التي كان يقوم بها أخوه

---

[1] op. cit, p. 111، وذكر أن عبد النبي حوصر من قبل أدعياء ابن أخيه عبدالله بن علي بن مهدي، وقد قصد بذلك ان عبد النبي هو عم عبدالله.

[2] أنظر: يحيى. إنباء الزمن و ٥٢، غاية الأماني ص ٣١٦، الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٣١ أ. الكبسي. اللطائف السنية و ٢٨ ب، العبدلي. هدية الزمن ص ٦٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٦.

[3] كفاية و ٦٧ أ.

[4] حدد الديبع أيضا إحراق أبين في ذلك التاريخ. بغية المستفيد ص ٦٧.

[5] طبقات الجعدي ص ١٦٩.

[6] من بلاد الصلو في مخلاف الحجرية، راجع عنها الفصل الثاني.

[7] كفاية و ٦٧ أ – ب.

[8] اورد الخزرجي خمسة أبيات تركنا الثلاثة الأولى منها لعدم وضوحها، أنظر عن غارة الجوة: الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٠، د. صالح، بنو معن ص ٣٣٩.

مهدي، ولذلك كان استمرار هذه الغارات وعدم ردعها بقوة مقابلة من قبل بني زريع، توضح لنا أن دولتهم لم تكن في وضع يساعدها على تلك المقاومة أولا، كما أن رقعتها كانت آخذة بالتقلص نتيجة اقتطاع أجزاء منها وضمها لبني مهدي ثانيا.

ويبدو ان قوة عبد النبي كانت كاسحة، وإن الداعي عمران بن محمد بن سبأ لم يستطع الوقوف بوجهه وصد هجماته، ولذلك ذكر المؤرخون[1] أنه أراد أن يحمي عدن والدملوة من هذا البلاء المتمثل بالخوارج وزعيمهم عبد النبي، فصالحه على جزية يؤديها له كل سنة مقابل عدم تعرضه لهما، ووافق عبد النبي على ذلك.

لا تحدد لنا المصادر السنة التي تم فيها الاتفاق، ولا مقدار المال السنوي الذي يدفعه الداعي عمران إلى عبد النبي، لكننا نرجح ان ذلك كان في أواخر سنة ٥٥٩هـ، وبعد غارة عبد النبي على الجوة وأبين، ونستدل ان أملاك الداعي عمران أصبحت قليلة وان رقعة نفوذ بني زريع قد تقلصت كثيرا؛ بسبب عدم القدرة على حمايتها وصد غارات بني مهدي عنها، كما إننا لا نجد إشارة إلى موقف الدولة الفاطمية التي كان بنو زريع يدينون بالولاء لها من هذه الغزوات، مما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه من ان ذلك الولاء كان سياسيا شكليا فقط.

ولابد لنا من الإشارة إلى ان الوضع السياسي في اليمن في خلال هذه الحقبة كان مضطربا، فالبلاد تعيش حالة من التجزئة والتناثر على هيأة دويلات وإمارات غالبا ما كانت علاقاتها متأزمة وغير مستقرة، ولذلك كانت كل منها تعاني مشكلاتها بنفسها وتواجهها مفردة بمواردها الذاتية.

وندلل على ما ذكرناه من إعطاء صورة للوضع السياسي في اليمن سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م، استنادا إلى ما ذكره المؤرخون[2] من أن ملك اليمن تفرق في تلك السنة، وانقسمت البلاد إلى دويلات وإمارات عديدة، فكان لبني زريع من عدن إلى أبين إلى تعز إلى الدملوة إلى نقيل صيد. وصار ملك الجوف لآل الدعام من أيام الناصر بن الهادي. وذمار ومخاليفها لسلاطين جنب. وصنعاء ومخاليفها إلى حدود الاهنوم والظاهر لعلي بن حاتم الذي وسع إمارته بعد وفاة أبيه الذي كان حاكما على صنعاء بالولاية من بني زريع[3]. وصعدة وماليليها للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان. والحريب وما حولها لآل عمر بن شرحبيل. وتهامة الشامية من تيش إلى وادي رعين للأشراف بني سليمان وزعيمهم غانم بن وهاس. وشهارة وما يليها لبني القاسم العياني. وزبيد ومخاليفها إلى حرض لعبد النبي بن علي.

---

[1] عمارة. المفيد ص ٢٣٣، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٧٣، ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٧٠، العبدلسي. هدية الزمن ص ٦٣، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص ٢٤١، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٦، معارك حاسمة ص ٨٠، Bi k hazi,op, cit, p. 111.

[2] روضة الحجوري و ٢٤٥ ب- ٢٤٦ أ، يحيى. إنباء الزمن و ٥٢ - ٣، غاية الأماني ص ٣١٦، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٨ ب - ٢٩ أ.

[3] وقيل انه (أي أبوه) من بني زريع. يحيى. إنباء الزمن و٥٣، والمقصود انه من همدان مثل بني زريع، وإنه كان على مذهبهم في الدعوة للفاطميين.

لقد استمر هذا التفكك السياسي في اليمن منذ تلك السنة حتى دخول الأيوبيين لليمن سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م بقيادة توران شاه، ويمكن اعتبار هذا التفكك من العوامل المهمة التي هيأت للأيوبيين دخول اليمن بسهولة وبدون أن يلقوا مقاومة شديدة.

وفاة الداعي عمران بن محمد

توفي الداعي عمران بن محمد بن سبأ في مدينة عدن سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م، على إجماع المؤرخين قدامى[1] ومحدثين[2]، وقام الشاعر العندي بنقل جثمانه من عدن إلى مكة بعد أن طلاه بالممسكات[3]، ودفن في إحدى مقابرها[4].

وقد علل الجندي[5] دفنه في مكة، بأن أكابر الملوك يودون الدفن بمكة ويبذلون مقابل ذلك أموالا فلا تحصل لهم، ويضيف ان دفنه بمكة دليل على توفيقه، واعتبر الأهدل[6] قيام العندي بنقل جثمان الداعي عمران ودفنه في مقابر مكة خير دليل على صحة محبته وحسن وفائه له[7].

وكان من مأثر الداعي عمران في عدن المنبر المنصوب في جامعها واسمه مكتوب عليه، وهو منبر له حلاوة في النفس وطلاوة في العين[8].

---

[1] عمارة. المفيد ص ١٩٠، الجعدي. طبقات ص ١٦٩، ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٥ أ، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٧٠، ابن خلدون. العبر مج ٤/٤٦٧، الخزرجي. العقد الفاخر و ٧٢ب، ١٨٢أ، كفاية و ٤٧ب، إدريس. نزهة الأفكار ٣٣أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ب، الديبع. قرة العيون ص ٣١٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٦، يحيى. إنباء الزمن و٥٣.

[2] العبدلي. هدية الزمن ص ٦٣، العرشي. بلوغ المرام ص ٢٨، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٦، ٢٨٤، العقيلي. المخلاف ج١ ق١/ ١٥٦، الحامد، تاريخ حضرموت ص ٣٥١، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢١، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٨، د. صالح. بنو معن ص ٣٣٩.

وروى الحجوري ان وفاته يوم الجمعة نصف النهار لثمان خلون من ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة. الروضة و ٢٤٥ أ، وفي رواية انه توفي بعد يوم الجمعة لتسع خلون من ربيع الآخر سنة ٥٦١هـ. أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/١٨٦.

[3] الممسكات من المسك، وهو ما يعطر به جسم الميت، روى ابن منظور أن المسك ضرب من الطيب مذكر، وثوب ممسك: مصبوغ به، وذكر انه جمع مسكة، ودواء ممسك: فيه مسك. اللسان ١٠/ ٤٨٦ – ٧ مادة مسك.

[4] وفي رواية أن الداعي مات بعدن، وحمله الأديب الشاعر الفاضل الكامل أبو بكر العندي والشيخ التاجر أبو الغنائم الحراني إلى مكة، وقبر في مقابرها. الجعدي. طبقات الفقهاء ص١٦٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٩.

[5] السلوك ج ٣ و ١٠٥ أ.

[6] الجوهر الفريد و ٢٧١ ب.

[7] ذكر لقمان ان العندي حزن لوفاة الداعي عمران فنقله إلى مكة المكرمة تكريما له ووفاء منه. تاريخ عدن ص ٢٨٤.

[8] الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٥ أ ـ ب، الخزرجي. كفاية و ٤٧ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣١٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٦، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٦، ٢٧١.

٥- نهاية بني زريع في عدن:

توفي الداعي عمران بن محمد، وترك ثلاثة أولاد صغاراً[١] دون البلوغ، هم: محمد وأبو السعود ومنصور[٢]، ولذلك جعل كفالتهم إلى الأستاذ أبي الدرجوهر المعظمي حاكم الدملوة[٣]، فقام بنقلهم من عدن إلى الدملوة للإشراف على تربيتهم وإدارة شؤون قصرهم، وقام بتدبير أمور الإمارة ياسر بن بلال بن جرير الذي كان نائباً لعمران على عدن ووزيراً له[٤].

إمارة ياسر بن بلال ٥٦٠-٥٦٩هـ/١١٦٤-١١٧٣م:

كان ياسر بن بلال القائم بعدن أي أميرها، والمدبر لأمور البلاد، لذلك وصفه المؤرخون[٥] بأنه وزير عمران ومُدَبر دولته، وقد تركزت سلطته بعد وفاة الداعي عمران فاصبح الحاكم الفعلي للبلاد؛ بسبب صغر أولاد عمران وعدم مقدرتهم على إدارة أمور البلاد، وربما عمل بلال على إبعادهم إلى الدملوة وجعل الإشراف عليهم من قبل جوهر تخلصاً منهم، وقيل انه حبسهم بالقصر واستبد بالأمر، ليكون له إمارة مستقلة[٦].

استطاع ياسر بن بلال أثناء خدمته لبني زريع في عدن أن يُكَّونَ له مكانة وشهرة، فقد وصفه المؤرخون[٧] بأنه رجل عظيم القدر مشهور الذكر، وإنه من الأجواد والأمجاد يثيب المادحين ولا يُخَيِّب القاصدين، وكان حازماً حسن السياسة شهماً، ليس هو دون أبيه في عزم ولا حزم، وأما الكرم فهو مشهور عنه، مذكور به.

---

[١] روى عمارة انه ليس فيهم من أدرك الحلم إلى تاريخ شهر محرم سنة ٥٦٤هـ. المفيد ص ١٩٠.

[٢] روى بعض المؤرخين ان الداعي عمران خلف ثلاثة أطفال دون ذكر أسمائهم. الخزرجي. العقد الفاخر و ١٨٢ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣١٩، العبدلي. هدية الزمن ص٦٣، العرشي. بلوغ المرام ص ٢٨، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٥٦، الشماحي. اليمن ص ١١٦، والعندي الشاعر قصيدة صرح بها بأسماء أولاد الداعي الثلاثة المذكورين أعلاه. أنظر: عمارة. المفيد ص ٣٥٣.
وذهب بعض المؤرخين إلى أن الداعي عمران خلف بعد وفاته ولدين فقط هما: محمد وأبو السعود. ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣، ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٦٧، إدريس. نزهة الأفكار و ٣٣ أ، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٥٢.

[٣] وقيل جعل كفالتهم لمدافع بن الشيخ بلال، وبعد وفاته كفلهم أخوه ياسر وجوهر المعظمي حاكم الدملوة. الوصابي. تاريخ وصاب ص ٧٠- ١، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٦، وفي رواية انه بعد وفاة عمران قام بالأمر بعض أقاربه. يحيى. إنباء الزمن و٥٣.
وذهب ابن خلدون إلى القول بأن ياسراً حبس محمد وأبا السعود ولدي الداعي عمران في القصر واستبد بالأمر. العبر مج ٤/ ٤٦٧، أنظر أيضا: الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٥٢، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٦، وذكر أن ياسراً ربما كان يسأمل في السيطرة على مُلك بني زريع ليتمكن من تأسيس دولة شبيهة بدولة نجاح في التهائم اليمنية.

[٤] عمارة. النكت العصرية ص ٩٢، الجندي. السلوك ج و ١٠٥ ب، الوصابي، تاريخ وصاب ص ٧٠ – ١، الخزرجي. العقد الفاخر و ٧٢ ب، كفاية و ٤٧ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣١٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٧، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص ٢٩٣، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٢، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٨.

[٥] الجندي. السلوك ج ١ و ١٤١، ج ٣، و١٠٥ ب، ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٦٧، الخزرجي. العقد الفاخر و ٧٢ ب، ١٨٢ أ، كفاية و ٤٧ ب، الأهدل. تحفة الزمن و ١٠٤ أ، الجوهر الفريد و ٢٧١ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣١٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤٢، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٥٦، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٦٨، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٢.

[٦] أنظر: ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٦٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٦، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٥٢.

[٧] عمارة. المفيد ص ١٩١، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٥ ب، الوصابي. تاريخ وصاب ص ٧١، الخزرجي. العقد الفاخر و١٨٢أ، كفاية و ٤٥أ، الأهدل. الجوهر الفريد و٢٧١ب، الديبع. قرة العيون ص ٣١١، ٣١٩، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٧، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٩.

وقد وفد إليه عدة من فضلاء الديار المصرية، منهم القاضي الرشيد بن الزبير وكان عالما فاضلا[1]، والأعز إبن قلاقس[2] الشاعر المصري المشهور، الذي مدحه بقصيدته المشهورة، والتي مطلعها:

سافر إذا حاولت أمرا ... سار الهلال فصار[3] بدرا

ومن مداح ياسر بن بلال الشاعر أبو بكر العندي الذي مدحه بقصيدة مطلعها:

سفر الزمان بواضح من بشره ... وافتر باسم ثغره عن ثغره[4]

وقال أيضا يمدحه بقصيدة مطلعها:

ذاك يبرين ونعمان ... قضب هيف وكثبان[5]

وكذلك مدح العندي ولدي الداعي عمران محمد وأبا السعود[6]، مما يوضح لنا بأنه مازال ملازما لبلاط الزريعيين منذ عهد محمد بن سبأ، ولعله كان يطمح في البقاء

---

[1] أوضحنا علاقته ببني زريع في عهد الداعي محمد بن سبأ خاصة.

[2] أبو الفتوح نصر الله بن عبدالله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الإسكندري الملقب القاضي الأعز، ولد سنة ٥٣٢هـ بالإسكندرية، كان شاعرا مجيدا فاضلا حسن الشعر جيد المقاصد، دخل اليمن فامتدح الوزير ياسر بن بلال فا كرمه واجزل صلته وفارقه، فركب البحر وسافر نحو مصر، فانكسر به المركب قرب جزيرة دهلك، وكان ذلك يوم الجمعة ١٥ ذي العقدة سنة ٥٦٣ هـ، فاستطاع النجاة ورجع إلى عدن وهو عريان فا كرمه، وكانت وفاته بعيذاب سنة ٥٦٧ هـ.

أنظر عن تفصيل ترجمة حياته: ابن خلكان. وفيات الأعيان ٥/ ٣٨٥ – ٨، ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٦٧ – ٨، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٧٩ أ – ب، كفاية و ٤٥ أ – ب، طراز (متحف) و ٩٧ ب، العامري. غربال الزمان و ١٢٠ أ – ب، الديبع. قرة العيون ١/ ٣١٤ – ٥ وهوامشهما، د. محمد كامل حسين. في أدب مصر ص ٢٢٢ فما بعد.

[3] ذكره د. محمد كامل حسين برواية أخرى: سافر إذا ما شئت قدرا... وذكر قصيدته تلك. نفس المرجع ص ٢٢٤ – ٦.

[4] عمارة. المفيد ص ٣٥٩ – ٣٦١، الأصفهاني. الخريدة ٣/ ١٦٨ – ١٧٢ (أوردها كاملة في ٤٣ بيتا)، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٨٢ أ – ب (٣٥ بيت)، وجاء في ديوان عمارة ان ذلك الشعر لعمارة اليمني. أنظر: الديوان ص ٢٢٢ (مطبوع مع النكت العصرية).

[5] عمارة. المفيد ص ٣٥٧ – ٩، وهي قصيدة طويلة في (٥٩) بيتا. الخزرجي. العقد الفاخر و ١٨٢ ب، وقد أورد منها (٣٠) بيتا.

[6] مدحهما في قصيدة مطلعها:

هو مفخر فوق السماك مخيم ... ومآثر من دونهن الأنجم

عمارة. المفيد ص ٣٥٤ – ٥، الأصفهاني. الخريدة ٣/ ١٩٠ – ٣، (أوردها كاملة في ٤٠ بيتا). ومدحهما في قصيدة أخرى يخاطب في آخرها ياسر بن بلال، إذ يقول:

ملكان في السبع السنين وقد علا ... مرماهما الشيب الكهول علاء

عمارة. المفيد ص ٣٥٥ – ٧، وهي قصيدة في (٣٤) بيتا.

وأشار العندي إليهما في قصيدة مدح بها ياسر بن بلال، إذ يقول:

للأميرين اللذين زهى ... بهما قصروايوان

عمارة. المفيد ص ٣٥٩، ومدح عمارة ياسرا. ديوان عمارة ص ٣٣٤. وتجدر الإشارة إلى أن العندي مدح أولاد الداعي عمران الثلاثة في قصيدة صرح بأسمائهم فيها. أنظر: عمارة. المفيد ص ٣٥٣.

بمركزه كشاعر وموظف لمدة أطول، لقاء الأموال السخية والهبات الكريمة شأنه شأن أي شاعر مداح.

بقي ياسر بن بلال حاكما على عدن ومدبرا لأمور البلاد بعد وفاة الداعي عمران، فاصبح نائبا لأولاده الصغار، وذكر بعض المؤرخين[1] أنهم نقلوا من عدن إلى الدملوة من قبل جوهر المعظمي، وبذلك صار ياسر أميرا على عدن ونائبا لبني زريع فيها، وبقي جوهر نائبا لبني زريع في الدملوة، واستمر ياسر على إمارته تسع سنين حتى انتهى بدخول الأيوبيين عدن بقيادة توران شاه سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م[2].

ذكر ابن خلدون[3] أن ياسرا كان آخر ملوك الزريعيين، وروى بعض المؤرخين[4] انه آخر وزرائهم. ومهما تكن صفته في الحكم، سواء أكان ملكا أم وزيرا، فانه كان الحاكم الفعلي للبلاد ومدبر أمورها، وترك من الآثار بعدن مسجده المعروف بمسجد إبن البصري الذي أطلق الناس عليه هده التسمية، لأن إبن البصري كان من تجار عدن ويقوم بالعناية به وإصلاحه، والحقيقة إن ياسرا هو الذي بناه[5].

العلاقة مع الفاطميين:

بعد وفاة الداعي عمران بن محمد، اقترح بعض رجال الدولة الفاطمية، أمثال الداعي إبن عبد القوي والأجل الفاضل وشاور والكامل أن يتبرعوا ابتداء بتسيير الدعوة لولدي صاحب عدن[6]، وطلب شاور إحضار عمارة اليمني وعرض الموضوع عليه واستشارته، يقول عمارة[7]: "فلما حضرت وأعلموني منعتهم وقلت ان أهل اليمن إنما يبعثون لكم الهدايا والتحف والنجاوى[8] ويتوالونكم لأجل الدعوة، فإذا تبرعتم بها فقد هونتم حرمتها فرجع الجميع عما كانوا عليه"، وكان ذلك في سنة ٥٦١ هـ/ ١١٦٦م[9].

---

[1] الجندي. السلوك ج ١ و ١٤٢، الأهدل. تحفة الزمن و ١٠٤ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤٢.

[2] الخزرجي. العقد الفاخر و ١٨٣ أ، كفاية و ٤٧ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣١٩، العبدلي. هدية الزمن ص ٦٣، العرشي. بلوغ المرام ص ٢٨، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٧.

[3] العبر مج ٤/ ٤٦٨، وذكر أيضا انه بقية ملوك بني زريع. العبر مج ٥/ ٦٣١.

[4] الخزرجي. كفاية و ٤٨ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٢٠، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٩. وفي رواية ان بلالا بن جرير ترك ولدين هما مدافع وياسر وهم آخر الدولة. ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٣.

[5] بناه الشيخ ياسر بن بلال حوالي سنة ٥٥٠ هـ، واشتغل فيه العالم الكبير الصغاني وزميله الفقيه سليمان بن بطال الركبي، وكان يسمى: مسجد السماع. أنظر عن هذا المسجد:

ا لجندي. السلوك ج ٣ و ٤٥ ب – ٤٦ أ، ١٠٥ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٥٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٦٨.

[6] ذكرنا بأن الداعي عمران ترك ثلاثة أولاد نعتقد أن أحدهم قد توفي في وقت مبكر.

[7] النكت العصرية ص ٩٢.

[8] النجاوى جمع مفردها الناجية والنجاة، وهي الناقة السريعة تنجو بمن ركبها، وقيل البعير ناج، ويقال: ناقة ناجية ونجاة: سريعة، وقيل تقطع الأرض بسيرها، وفي الحديث: إنما يأخذ الذئب القاصية والشاذة الناجية أي السريعة، وفي الحديث: أتوك على قلص نواج أي مسرعات. الجوهري. الصحاح ٦/ ٢٥٠١، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب مج ١٥، (بيروت، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦م)، ص ٣٠٦ مادة (نجا). وذكر ان البعير لا يوصف بكونه ناج.

[9] للتفصيل أنظر: النكت العصرية ص ٩٢ – ٣، ابن شعيل. عمارة اليمني ص ١٣٦.

نستدل من هذه الرواية بأن عمارة كان ذا مكانه مرموقة في الدولة الفاطمية، وأنه كان يستشار من قبل الخلفاء ووزرائهم، وقد أدرك صعوبة اقتراح هؤلاء الوزراء بتسيير الدعوة لولدي الداعي عمران بن محمد في عدن، وتحملهم تكاليفها، في حين كان أهل اليمن من الأمراء خاصة الذين ارتبطوا بالدولة الفاطمية هم الذين يبعثون الهدايا السنوية والتحف والإبل للخلفاء الفاطميين والدعاة في مصر اعترافا بتبعيتهم لهم، وخضوعهم لأوامرهم وتقديرا لمكانتهم، لذا نجد بأن عمارة اليمني رفض فكرة تبرع رجال الدولة الفاطمية بتكاليف الدعوة. التي اقترحوها، واعتبر ذلك منقصة وهوانا لها، لذلك عدلوا عن تلك الفكرة.

إننا نعتقد بأن اقتراح رجال الدولة الفاطمية بإرسال الدعاة إلى عدن يمثل جزءا من الخط العام الذي سلكه خلفاء الفاطميين، فقد وصل إلى اليمن ابن نجيب الدولة والقاضي الرشيد حاملين التقليد من الخلفاء الفاطميين إلى دعاتهم في اليمن[1]، ونضيف بأن موقف هؤلاء الرجال كان نابعا من تقديرهم للظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدعوة بعد وفاة الداعي عمران، وتولي ولديه صغيري السن الحكم من بعده تحت وصاية ياسر بن بلال[2]، ولعلهم أرادوا الإسراع بالدعوة خوفا من خروج الأمر من ولدي الداعي الصغيرين.

كانت العلاقة بين الفاطميين وبني زريع ظاهرية، إذ ان بني زريع برغم كونهم شيعة يدينون بالولاء الظاهري للفاطميين[3]، وكل من تولى منهم كان يسمى: الداعي[4]، أي يدعو الناس إلى المذهب الفاطمي، إلا أنهم كانوا غير متعصبين للمذهب، فقد استخدموا رجالاً قربوهم وأناطوا بهم مسؤوليات خطيرة رغم أنهم كانوا يختلفون معهم في المذهب، أمثال جوهر المعظمي الذي كان من رجال الداعي محمد بن سبأ وولده عمران، تولى كفالة أولاده الصغار السن وبقي مخلصا لبني زريع حتى دخول الأيوبيين لليمن[5]، وكذلك عمارة اليمني الذي كان سني المذهب حتى وفاته[6]، ونستدل من استخدام هؤلاء الرجال وتقريبهم على التسامح المذهبي الذي تميز به بنو زريع.

كانت العلاقة بين مصر واليمن في العصر الفاطمي قوية ومتينة، فقد كان الدعاة في اليمن يدينون بالولاء للخلفاء الفاطميين، ويخطبون ودهم، ويرسلون إليهم الهدايا

---

[1] ذكرنا ذلك في الفصل الثاني.

[2] كان عمرهما سبع سنين كما ذكرنا.

[3] الشيال. العلاقات بين مصر واليمن ص ٥٦١.

[4] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٧، وقد أوضحنا معنى الداعي في الفصل الثاني.

[5] راجع مصادر ترجمته ودوره مع أمراء عدن وبني أيوب في الفصلين الثالث والرابع.

[6] كان عمارة اليمني فقيها شافعي المذهب شديد التعصب للسنة. ابن خلكان. وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٣، وذكر عدة مؤرخين انه بقي على مذهبه ولم يعتنق المذهب الفاطمي حتى وفاته. وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٥، ابن العماد. شذرات الذهب ٤/ ٢٣٤، حسن إبراهيم. الفاطميون في مصر ص ١٧٦، حسين. في أدب مصر ص ٢١٩، ٢٢١، ابن شعيل. عمارة اليمني ص ١٣٥ – ٦.

ويحكمون باسمهم[1]. ونرى ان العلاقة بين الفاطميين وأمراء اليمن كانت شبيهة بالعلاقة بين خلفاء العباسيين والمتسلطين من الأمراء في الأقاليم البعيدة كالغزنويين والسلاجقة مثلا، فكان الأمراء يقدمون الهدايا للخليفة من أجل كسب رضاه عنهم وتوثيق علاقتهم به واحتراما له.

العلاقة مع بني مهدي حكام زبيد:

أصبحت المنافسة العدائية بين بني مهدي حكام زبيد وبني زريع حكام عدن أشد حدة بعد وفاة الداعي عمران بن محمد، رغم ما ذكرنا من عقد الصلح بينه وبين عبدالنبي بن علي بن مهدي، الذي تعهد بعدم التعرض إلى عدن والدملوة لقاء مبلغ سنوي من المال، ويبدو أن ذلك الصلح استثنى الأجزاء الأخرى التابعة لبني زريع من هجمات بني مهدي وأطماعهم التوسعية. فقد شن مهدي بن علي الغارة على لحج والجند، وأغار عبد النبي على أبين والجوة وحاول حصار عدن وغزوها[2]، وكان بنو مهدي ينتهزون الفرص للتوسع كلما وجدوا مجالا، رغم المصالحة مع بني زريع، وقد انتهزوا وفاة الداعي عمران بن محمد وتركه أولادا صغارا، فبدأوا سلسلة من الهجمات أثناء إمارة ياسر بن بلال على عدن.

وفي سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م، وبالتحديد في غرة شهر ربيع الأول منها، جرد عبدالنبي بن علي جيشا جرارا بقيادة أخيه أحمد بن علي لعمارة الجند، فابتدأ في عمارتها يوم السبت ٥ ربيع الأول من تلك السنة، واستمر في ذلك حتى أواخر الشهر، أي أنه بقي في عمارتها أقل من شهر[3].

ثم أغار أحمد بن علي على الجوة، وهي من ممتلكات بني زريع، وكان بها جيش الداعي عمران بن محمد بن سبأ، فوقع بينهما قتال شديد، انهزم على أثره جيش الداعي عمران، فدخلها أحمد بن علي وحرقها[4].

وكان عبد النبي قد قام بغارة على مدينة الجوة سنة ٥٥٩هـ في عهد الداعي عمران وقتل كثيرا من أهلها الذين فاجأهم صبيحة أحد الأعياد[5]، وقد ورد في الرواية[6] أن القتال وقع بين جيش الداعي عمران وجيش أحمد بن علي، ونعتقد ان المقصود بذلك وجود الجيش بتلك المدينة منذ عهد الداعي عمران واستمرت تسميته بعد وفاته، ولعله كان موجودا لحمايتها بعد مهاجمة عبدالنبي لها.

---

[1] أنظر عن تلك العلاقة: الشيال. العلاقات ص ٥٦١.

[2] سبق أن درسنا تلك الحوادث.

[3] الديبع. بغية المستفيد ص ٦٧، وقد انفرد بتحديد هذه المدة.

[4] أنظر عن عمارة الجند وإحراق الجوة: الخزرجي. كفاية و ٦٧ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٧، بغية المستفيد ص ٦٧، يحيى. غاية الأماني ص ٣١٧.

[5] ذكرنا ذلك قبل صفحات.

[6] أي رواية غزو الجوة من قبل أحمد بن علي سنة ٥٦١هـ.

محاولات عبد النبي بن علي توسيع نفوذه:

بعد عمارة أحمد بن علي لمدينة الجند رجع إليها عبدالنبي وأقام بها في شهر جمادى الآخرة سنة ٥٦١هـ[١]/ ١١٦٦م، وكانت هذه المدينة قد تعرضت للدمار وقتل كثير من أهلها في غارة مهدي بن علي أخي عبد النبي سنة ٥٥٨هـ، ولذلك أعيد تعميرها بأمر عبد النبي.

استمر عبدالنبي في التوسع والغزو، فأخذ شريافا وتالبة وتعز وصبر، وذكر الحداد[٢] أنه غزا مدينة ذي أشرق[٣] التي كانت خاضعة لبني زريع، فاستولى عليها وعلى البلاد التابعة لها، وفي رواية[٤] أنه اشترى حصن التعكر من ولاة بني زريع سنة ٥٦١هـ[٥]، ثم عاد عبد النبي بعد توسع سيطرته على تلك الأجزاء إلى زبيد[٦].

استمر عبد النبي في التوسع، ففي سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م، وبعد عودته إلى زبيد رجع إلى مخلاف جعفر، وأخذ حصن المجمعة، ثم استولى على مدينة إب[٧]. وكان عبدالنبي قد حاصر المخلاف والمجمعة في شهر ربيع الأول سنة ٥٦١هـ على رواية الجعدي، لذلك فإن سيطرته عليهما تمت بعد حصارهما مسبقا، وذكر الجعدي[٨] أيضا ان عبد النبي استولى على مخلاف التعكر سنة ٥٦٢هـ، فزالت دولة بني زريع منه، وبسيطرته على تلك المدن والحصون تكون دولة بني زريع قد فقدت الكثير من مواقعها المهمة، فتقلصت رقعتها وضعفت كثيرا[٩].

إثر هذه الانتصارات سار عبدالنبي نحو عدن وحاصر أهلها، في محاولة للاستيلاء عليها، لكنه فشل في تحقيق هدفه[١٠].

---

[١] الديبع، قرة العيون ص ٣٦٧، بغية المستفيد ص ٦٧.

[٢] تاريخ اليمن ص ٢٣٠.

[٣] من أعمال مخلاف جعفر في لواء إب. الحداد. تاريخ اليمن ص٢٣٠.

[٤] إدريس. نزهة الأفكار و ٣٢ أ.

[٥] ورد أن استيلائه على ذلك الحصن كان سنة ٥٦٢هـ، كما سنذكره.

[٦] أنظر عن توسع عبد النبي وعودته إلى زبيد: الديبع. قرة العيون ص ٣٦٧ – ٨، الوزير. جامع المتون و١٨ ب.

[٧] الخزرجي. كفاية و ٦٧ ب، وحدد أخذه إب يوم الخميس ١٥ ربيع الأول منها.

[٨] طبقات الفقهاء ص ١٨٣.

[٩] أنظر عن توسع عبد النبي وسيطرته على مدن وحصون اليمن: الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٨٣، الخزرجي. كفاية و ٦٧ ب، العامري. غربال الزمان و ١١٧ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٨، يحيى. غاية الأماني ص ٣١٧، الوزير. جامع المتون و ١٨ ب، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٩، وقيل أن عدن والدملوة لم تفعلا شيئا في ظل حاكميهما ياسر بن بلال وجوهر المعظمي في مواجهة بني مهدي الذين استولوا حتى عام ٥٦٢هـ على جميع مدن وحصون بني زريع وبقايا الصليحيين في اليمن، بل ان جوهرا اضطر إلى مصالحة عبد النبي حفاظا على الدملوة رغم مناعتها القوية. د. محمد أمين صالح. بنو معن ص ٣٣٩، ولم يذكر لنا نوع تلك المصالحة ومصادره حول هذا الخبر الذي لم نطلع عليه.

[١٠] الديبع. قرة العيون ص ٣٦٨، بغية المستفيد ص ٦٧، الوزير. جامع المتون و ١٨ ب.

لم يكتف عبد النبي بالسيطرة على هذه الأجزاء، بل استمر في ضم أجزاء أخرى من أملاك بني زريع لدولته، فقد ذكر المؤرخون[1] أن عبدالنبي واصل غاراته على كثير من المدن والحصون خاصة التابعة لبني زريع، فقد استولى على معاقل الداعي عمران بن محمد، وهي: سامع ومطران ويُمَيْن وهي حصون إقليم المعافر، وانتقل إليه معقل اليمن الذي ليس بعد التعكر وحب سواه، وهو حصن السمدان وبه يُضرب المثل في المنَعَة والحَصانة.

كما انتقل لعبد النبي ملك بني سليمان من الأشراف، وملك بني وائل سلاطين وحاظة، وكل معقل من هذه المعاقل له أعمال واسعة، هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من انتقال حصن التعكر وأمواله ومدينة ذي جبلة وهي مقر الدعوة وكرسي الملك لبني الصليحي وكذلك مدينة الجند وأعمالها، وحصن المجمعة وأمواله وحصون أخرى كثيرة، وبذلك اجتمع لعبد النبي ملك الجبال والتهائم وذخائرها.

ذكر المؤرخون[2] أنه انتقل لعبدالنبي جميع ملك وذخائرها، فقد حصل في خزائنه ذخائر خمس وعشرين دولة من دول اليمن، توارثت تلك الذخائر بالتتابع، باستثناء عدن التي عَقَدَ مع أهلها معاهدة يدفعون بموجبها الأموال له.

ورغم صيغة المبالغة التي أوردها المؤرخون في ذلك، فإنها تدل على توسع عبد النبي الكبير في اليمن، ذكر أحد المؤلفين المحدثين[3] ان الإمام المتوكل أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٥٦٦هـ، كان ينشر الخوف في أجزاء مختلفة من اليمن، ولذلك فإن سيطرة الخوارج ملوك زبيد تشير إلى أنهم سيطروا على أراضٍ كثيرة أبعد من وادي زبيد أو مخلاف تعكر ومخلاف جعفر.

كان عبد النبي قد شارك أخاه مهدياً في غزواته، إذ أنه كان يقوم بمهمة إعداد السرايا للغزو، فتعلم خبرة عسكرية قبل توليه الحكم، وبعد توليه اهتم كثيراً بالغزو وما يتبعه من القتل والدمار، واكتفى بعض المؤرخين[4] بالإشارة إلى أن لعبد النبي وإخوته من بني مهدي وقائع مشهورة في لحج وأبين ومخلاف الساعد في بني سليمان الأشراف، وانهم سفكوا دماء المسلمين، وسبوا ذراريهم، وأشاروا على الخصوص لدور عبد النبي في ذلك.

---

[1] عمارة. المفيد ص ٢٣٥ – ٦، الوصابي. تاريخ وصاب ص ١٠٨، الخزرجي. كفاية و ٧١ أ، إدريس. نزهة الأفكار و ١٧ أ – ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٣، الشرفي. اللآلىء المضيئة ج ٢ و ١٣٢ أ، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص ٢٣٩، ٢٤١، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٤٢.

[2] عمارة. المفيد ص ٢٣٣ – ٤، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٧٣، الوصابي. تاريخ وصاب ص ١٠٨، ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٧٠، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٣، العرشي. بلوغ المرام ص ١٨، ٤١، محمد حسن. قلب اليمن ص ٣٢، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٧، Bikhazi, op, cit, p.111

[3] Bikhazi, Ibid, p, 112.

[4] الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٨٣ – ٤، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٤ أ، الخزرجي. العقد الفاخر و١٧٥ ب، الأهدل، الجوهر الفريد و ٢٧٧ أ – ب، الديبع. بغية المستفيد ص ٦٦ – ٧.

وفي أثر الانتصارات المتلاحقة التي حققها عبدالنبي بن علي بن مهدي، أخذ يبث السرايا والجنود في كل جهة، ولم يبق إلا عدن التي كانت تحت حكم ياسر بن بلال، وكانت الدملوة تحت سيطرة جوهر المعظمي، الذي كان وصيا على أولاد سيده الداعي عمران، وحافظا لحصن الدملوة حفظا مرضيا، وأمره نافذ في عدن ونواحيها، وهو مصالح لبني مهدي بذلك عن مال يحمله إليهم كل عام[1].

لا توضح لنا المصادر موقف ياسر بن بلال في عدن من توسع عبدالنبي بن علي وازدياد خطره بتوسع نفوذه على حساب أملاك بني زريع التي كانت تحت سيطرتهم، ويبدو لنا ان موقفه كان سلبيا أو موقف المتفرج والمستسلم لا غير، ولعل ذلك يرجع إلى ازدياد قوة عبدالنبي بحيث أصبحت كاسحة، وليس هناك من يصدها أو يعترضها.

كان عبد النبي يطمح – إثر تلك الانتصارات – في غزو عدن والسيطرة عليها، وقد حاول ذلك من قبل لكنه لم يستطع فاكتفى بالإغارة على أبين وإحراقها سنة ٥٥٩هـ في عهد الداعي عمران بن محمد، وهذا يعني أنه حاول للمرة الثانية غزو عدن والاستيلاء عليها[2].

ذكر المؤرخون[3] أن عبد النبي سار نحو عدن وحاصر أهلها أياما دون طائل، واتخذ بنو زريع موقفا حازما لمواجهته، فقد بعثوا السلطان حاتم بن علي بن سبأ بن أبي السعود[4] إلى سلطان همدان علي بن حاتم[5] في صنعاء يستنجده ضد بني مهدي، ذكر الديبع[6] ان عبد النبي انسحب عن حصار عدن في ذي القعدة سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م، فخرج صاحبها السلطان حاتم إلى صنعاء مستنصرا بالسلطان علي بن حاتم الهمداني، وفي رواية[7] انه وصل إلى صنعاء يوم الاثنين ٦ ذي القعدة من تلك السنة، فخرج السلطان علي إلى لقائه وقابله بالإتحاف والإسعاف، وأجابه إلى ما طلب من النصرة.

---

[1] الجندي. السلوك ج ١ و ١٤١، الأهدل. تحفة الزمن و ١٠٤ أ، ابو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤٢.

[2] الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٠.

[3] الخزرجي. كفاية و ٦٧ ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٣٤ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٨، بغية المستفيد ص ٦٧، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤٧، يحيى. غاية الأماني ص ٣١٩، الوزير. جامع المتون و ١٨ أ، العرشي. بلوغ المرام ص ١٨، العقيلي. المخلاف ج١ق١/ ١٦٢، الشماحي. اليمن ص ١٢١ – ٢، الحداد. تاريخ اليمن ص٢٢٠ – ١، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٣٦، ٢٤٢، د. صالح . بنو معن ص ٣٤٠.

[4] ذكرنا انه خلف والده علي الأعز بن سبأ، لكنه لم يستطع الوصول إلى الحكم، بسبب قيام بلال بن جرير المحمدي باستدعاء عمه محمد بن سبأ من الجند إذ كان لاجئا عند الأمير منصور بن المفضل فتولى السلطة. ولا نعلم شيئا عن حياة حاتم بن علي. إذ ترجم له أبو مخرمة وذكر فقط قيامه بالتوجه إلى صنعاء وطلب النجدة من السلطان علي بن حاتم الهمداني. ثغر عدن ٢/ ٤٧.

[5] تولى الحكم على صنعاء ومخاليفها بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٦هـ، واستمر في الحكم حتى سنة ٥٦٩هـ، وقد ساهم في نجدة بني زريع ضد محاولة عبد النبي غزو عدن. أنظر عنه: إدريس. نزهة الأفكار و ٣٤ أ، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٥٩، الشماحي. اليمن ص ١١٦، الثور. هذه هي اليمن ص ٢٩٣ وهامشها.

[6] بغية المستفيد ص ٦٧.

[7] كفاية و ٦٧ ب، الشرقي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٣١ ب.

وعلل د. سليمان[1] تلبية السلطان علي بن حاتم الهمداني لدعوة السلطان حاتم بن علي الزريعي ونصرته، بأن السلطان عليا كان كالزريعيين (سلاطين عدن)، من عشيرة يام. ونحن نؤيد ما ذهب إليه د. سليمان؛ ذلك لأن العصبية القبلية كانت ميزة من ميزات الحياة الاجتماعية والسياسية في اليمن وقتذاك.

وذهب الحداد[2] إلى أن ذلك التحالف ضد العدو المشترك عبدالنبي، كان أيضا بسبب انتمائهما المذهبي وطاعتهما للفاطميين في مصر، ونحن نعتقد أن ذلك كان عاملا مهما في تحالفهما.

لا توضح لنا المصادر منصب حاتم بن علي بن سبأ الزريعي – ابن عم الداعي عمران وحفيد الداعي سبأ – لكن المؤرخين ذكروا لقبه: السلطان وصاحب عدن[3]، لكننا لا نجد في المصادر ما يشير إلى أنه كان حاكما على عدن، وربما كان من رجال بني زريع البارزين فكلف من قبل أولاد الداعي عمران بمهمة السفارة إلى صنعاء ومقابلة السلطان علي بن حاتم الهمداني أميرها وطلب النجدة والنصرة منه ضد عبدالنبي بن مهدي الذي ازداد خطره وأخذ يهدد عدن، إذ تذكر الرواية[4] أنه حاصرها بجيش كان مرابطا في الرعارع بلحج، والتي كانت على مقربة من عدن.

ذكر الشماحي[5] أنه بمقدور عبد النبي التغلب على جميع الإمارات والعلويين من مخلاف صعدة وجميع الشمال بمساعدة السلطان علي بن حاتم، لكن عبد النبي تحول فجأة من الشمال لمنازلة الداعي عمران[6]– كما ذكر – وأخذ معظم بلاده.

وذكر الشماحي[7] ان الصراع في هذه السنة (٥٦٨هـ) كان بين الداعي عمران بن محمد وعبدالنبي بن علي بن مهدي، وهذا خطأ يجب الإشارة إليه قبل خوضنا في الصراع بين بني زريع وعبد النبي، ويذكر الحداد[8] ان الداعي عمران هو الذي وصل إلى صنعاء ثم غادرها لأجل كسب قبائل أخرى معه في معركته، وهذا خطأ وخلط، إذ اننا ذكرنا وفاة الداعي عمران بن محمد سنة ٥٦٠هـ.

---

[1] تاريخ اليمن ص ٢٤٢.

[2] تاريخ اليمن ص ٢٢١.

[3] الخزرجي. كفاية و ٦٧ ب، ويقول الديبع: "فخرج صاحبها [عدن] السلطان حاتم بن علي بن الداعي سبأ بن أبي السعود الزريعي". بغية المستفيد ص ٦٧، يحيى. غاية الأماني ص ٣١٩، الثور. هذه هي اليمن ص ٢٩٣، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٣٦، ٢٤٢.

[4] الخزرجي. كفاية و ٦٨ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٢، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٤٣.

[5] اليمن ص١٢١.

[6] هذا خطأ – كما سنوضحه – والصواب: أولاد الداعي، أو جيشهم.

[7] اليمن ص ١٢١ – ٢. .

[8] تاريخ اليمن ص ٢٢١ – ٢٢٩.

دفعت حركة عبد النبي بن علي التوسعية بعض السلاطين في اليمن إلى التحالف ضده، وهم: علي بن حاتم الهمداني سلطان صنعاء، وعبدالله بن يحيى الجنبي والشيخ زيد بن عمر اليعبري، مما اضطره إلى الانسحاب إلى زبيد[1].

اشترط السلطان علي بن حاتم الهمداني في موافقته على نصرة بني زريع – حين وصل إليه السلطان حاتم بن علي الزريعي – أن تؤيده قبيلتا جنب ومذحج، فمضى حاتم بن علي إلى ذمار، ونال وعودا من السلطان عبدالله بن يحيى الجنبي والشيخ زيد بن عمر – رئيسا القبيلتين بالانضمام لهذا التحالف –[2]، ونعتقد ان السلطان علي بن حاتم أراد أن يجمع عددا كبيرا من رجال القبائل لمواجهة جيش عبدالنبي وضمان النصر عليه، فطلب ذلك ولقي بني زريع استجابة من رؤساء تلك القبائل – كما سنذكر.

التحالف ضد عبد النبي:

بعد أن التقى حاتم بن علي الزريعي بالسلطان علي بن حاتم الهمداني بصنعاء وحصل على موافقته بنصرة بني زريع ضد النبي بن علي وفك الحصار عن مدينة عدن، اتجه حاتم إلى بلاد جنب في ذمار وقصد السلطان عبدالله بن يحيى الجنبي والشيخ زيد بن عمر وطلب نصرتهما، فأجاباه إلى ما طلب، فكتب حاتم بن علي الزريعي إلى السلطان علي بن حاتم يخبره بما اجمع عليه القوم من نصرته، فخرج السلطان علي بن حاتم من صنعاء بمن معه من قبائل همدان وسنحان وبني شهاب ونهد وغيرهم.

ويحدد الخزرجي[3] خروجه من صنعاء يوم السبت الثالث عشر من شهر صفر سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، فوصل ذمار وأقام بها ثلاثة أيام، ثم سار منها قبل خروج السلطان عبدالله بن يحيى والشيخ زيد بن عمر ومن معهما، وتقدم السلطان علي بن حاتم ونزل في منطقة السحول[4] وبقي حتى وصله حليفاه، واجتمع الكل من القبائل هنالك حتى يوم ٢٧ من صفر، فساروا مجتمعين ونزلوا في عقبة إب[5].

وقد قسم عبد النبي بن مهدي جيشه إلى ثلاثة أقسام ، فلما التقى الجمعان دارت معركة شديدة قتل فيها عدد كبير من أصحاب عبدالنبي، وكانوا من خيرة جيشه واسر نحو مائة من العبيد أصحاب الحراب، وغنموا نحو ستين فرسا، إضافة إلى كميات من السلاح، ثم قصد جيش المتحالفين ذي جبلة وكان بها قسم من جيش عبدالنبي فدخلوها ووجدوها خالية، إذ انهزم منها جيش عبد النبي ليلا، فدخل السلطان علي بن حاتم مدينة ذي جبلة واستولى عليها وعلى ما وجد فيها من أموال وخيول وسلاح تركها جيش عبد

---

[1] الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٠، الشماحي. اليمن ص ١١٩.
[2] حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٤٢، الشامي. إمارة آل زريع ص ١٠٥.
[3] كفاية و ٦٨ أ.
[4] ذكر الخزرجي ان ذلك كان في موضع من السحول يقال له الشائع. كفاية ورقة ٦٨ أ.
[5] عقبة إب، ذكر الخزرجي انها تقع بين إب والمعاين. كفاية ورقة ٦٨ أ.

النبي فيها، روى الخزرجي[1] أن السلطان أقام بمدينة الجند إلى يوم الأحد السادس من شهر ربيع الأول ٥٦٩هـ.

ثم واصل الحلفاء زحفهم حتى وصلوا الجند يوم الاثنين السابع من شهر ربيع الأول في تلك السنة، فوجدوها خالية من الجيوش والرعايا فدخلها بعض الجيش وأقام السلطان علي بن حاتم خارج المدينة إلى يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول سنة ٥٦٩هـ[2]/ ١١٧٣م، وعرف السلطان علي أن عبدالنبي مقيم في حصن تعز، وقد اجتمع إليه أصحابه، فزحف الحلفاء نحو تعز، وكان عبد النبي قد تحصن بحصنها فلما وصلوا تعز وجدوا أن جيش عبدالنبي متجمع في ذي عدينة[3]، فوقع قتال شديد، كانت الدائرة فيه على أصحاب عبدالنبي، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وعقر كثير من خيولهم وأخذ منها نحو مائة فرس، ونهب من سلاحهم وعددهم شيىء كثير، كما نهبت عدينة نهبا عظيما، وكان عبدالنبي في أعلى الحصن فرأى كتيبة تبرق، فقال إن صدق ظني فهذا علي بن حاتم فأجابوه: نعم، فانشد يقول:

واعلم بني بأن كل قبيلة ستذل إن نهضت لها قحطان

وفي أثر ذلك رجع السلطان علي بن حاتم إلى الجند في جيشه، وأمر بخراب دار المملكة فيها، والتي بناها الداعي المتوج المكين محمد بن سبأ الزريعي[4]، وطلب السلطان علي إشاعة الدمار فيها، ووصلت الأخبار بهرب جيش عبدالنبي الذين كانوا بالرعارع محاصرين لعدن، وبعد ذلك عاد السلطان علي بن حاتم إلى صنعاء، وانهزم عبد النبي إلى زبيد، وكان السلطان علي قد رغب في ملاحقة عبد النبي ودخول زبيد، ولكنه عدل عن ذلك[5].

نتائج القتال:

انتهت المعارك بين جيش عبدالنبي بن علي وجيوش حلفاء بني زريع من سلاطين اليمن، بانتصار الحلفاء في عدة معارك، وانهزام جيش عبدالنبي وتكبده خسائر كثيرة في الرجال والأموال من الخيول والسلاح، وكان من أهم المدن التي انسحب عنها بعد

---

[1] كفاية و ٦٨ أ، وذكر د. صالح ان الجيوش المتحالفة انزلت الهزيمة ببني مهدي في ربيع الأول سنة ٥٦٩هـ. بنو معن ص ٣٤٠.

[2] كفاية و ٦٨ أ.

[3] ذي عدينة: بضم العين وضم الدال المهملتين وسكون الياء التحتانية ثم نون وهاء، وهي سوق ومحل التجار والجم الغفير. أبو مخرمة. النسبة و١٤٩.

[4] أمر السلطان علي بن حاتم بخراب دار المملكة يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٥٦٩هـ. الخزرجي. كفاية و ٦٨ ب.

[5] أنظر عن تفاصيل تلك الحوادث: الخزرجي. كفاية و ٦٧ ب – ٦٨ ب، إدريس نزهة الأفكار و ٣٤ أ – ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٦٨ – ٣٧٢، بغية المستفيد ص ٦٧، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤٧؛ يحيى. غاية الأماني ص ٣١٩ – ٣٢٠، الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٣١ ب، الوزير. جامع المتون و ١٨ ب، العرشي. بلوغ المرام ص ١٨، الجرافي. المقتطف ص ٧٢، Bikhazi, op, cit,p.112.

انكسار جيشه: إب وذي جبلة والجند وعدينة وتعز، فانهزم وعاد إلى مدينة زبيد، وبقي لبني الداعي عمران عدن وكانت بيد ياسر بن بلال والدملوة بيد جوهر المعظمي.

وقد رجع السلطان علي بن حاتم إلى صنعاء، رغم رغبته في متابعة فلول عبدالنبي وجيشه المنهزم، وقيل ان سبب ذلك امتناع حليفيه رئيسي قبيلتي جنب ومذحج السلطان عبدالله بن يحيى الجنبي والشيخ زيد بن عمر اليعبري من متابعة عبدالنبي، فعاد السلطان علي إلى صنعاء[1]، وفي رواية[2] أن عبدالنبي جمع الجيوش حين علم بانسحابهما مع من كان معهما من الرجال، وأراد محاربة السلطان علي بن حاتم، لكن الأخير جمع رجالا محاربين من قبيلته همدان وكان معه أخوه بشر بن حاتم وقد تحملا في ذلك عناء وشدة لكنهما تميزا بشجاعة ونجدة فائقة، وطلعا إلى نقيل صيد، وأمرا بضرب الحصار والإنفاق على الجيش وجمعا الجموع للحرب، وهم السلطان علي بن حاتم بالعودة إلى ميدان الحرب، فلما أدرك عبدالنبي استعداده للقتال، راسله طالبا منه المصالحة، فوافق السلطان علي بن حاتم على ذلك بشرط أن لا يعترض عبدالنبي بني زريع في عدن وأعمالها والدملوة وحصن حب، ثم عاد السلطان علي بن حاتم إلى صنعاء سنة ٥٦٩هـ.

لا توضح لنا المصادر سبب عودة رئيسي قبيلتي جنب ومذحج وامتناعهما عن متابعة عبدالنبي إلى زبيد، ولعل ذلك يرجع إلى المتاعب والصعوبات التي لقياها في الحروب مع عبدالنبي، وربما لمتابعة شؤون إمارتيهما والعمل على توطيد الأمن والاستقرار في الأجزاء الخاضعة لهما بعد غيابهما، كذلك لا توضح دور السلطان حاتم بن علي الزريعي وموقفه خلال تلك المعارك وما آل إليه أمره بعد انسحاب عبدالنبي عن حصار مدينة عدن، لذلك أصبحنا نجهل بقية سيرة حياته ونهايته.

وبرغم أن ذلك التحالف أدى إلى انسحاب عبدالنبي من مخلاف جعفر ثم من تعز وعودته إلى زبيد[3]، وبرغم أن النصر قد حالف الحليفين (حاتم بن علي الزريعي وعلي بن حاتم الهمداني) ومساعديهم من قبيلتي جنب ومذحج، إلا أن تلك الحرب قضت على كثير من الأبطال من الجانبين المتحاربين، كما أنها عمقت الخلافات بينهما، مما هيأ الظروف للأيوبيين بدخول اليمن، والقضاء على مجموعة من الإمارات اليمنية كل على حدة[4]، وقد أوضحنا ان بلاد اليمن كانت مجزأة إلى إمارات ودويلات تباينت علاقاتها فيما بينها بين علاقات وثيقة وعدائية.

بعد عودة عبد النبي إلى زبيد والسلطان علي بن حاتم إلى صنعاء، تخلصت عدن من خطر عبدالنبي، وعاد الاستقرار إليها، وقد استمر الحال هكذا قليلا، إذ وصل السلطان توران شاه الأيوبي إلى اليمن في شهر شوال سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، فأزال تلك

---

[1] حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٤٣.

[2] إدريس. نزهة الأفكار و ٣٤ أ - ب.

[3] الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٠.

[4] المرجع نفسه ص ٢٢١.

الدويلات المتناحرة في اليمن وقضى عليها جميعا[1]، وكانت دولة بني مهدي في زبيد قد استمرت في الحكم مدة خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام[2]، وقيل غير ذلك[3].

يمكننا أن نستخلص أهم الخصائص الجوهرية لإمارة بني زريع في عدن، فطبيعة تلك الإمارة كانت وراثية من حيث نظام الحكم الذي يشبه إلى حد كبير النظام الملكي، ويتضح ذلك بجلاء في تسلسل من تولى حكمها بعد وفاة الداعي سبأ بن أبي السعود وحتى دخول الأيوبيين إلى اليمن.

وكان الصراع بين أفراد هذه الأسرة أحد خصائصها متمثلا في الصراع بين ولدي الداعي سبأ علي ومحمد ثم الصراع بين أولاد علي وعمهم محمد بن سبأ، وكذلك الصراع مع جيرانهم وبصورة خاصة مع بني مهدي حكام زبيد، والإمام أحمد بن سليمان في صعدة ونواحيها، وكانت علاقتهم مع الفاطميين في مصر قائمة على الدعوة للخليفة الفاطمي في اليمن، لكنها علاقة كانت ابرز صفاتها أنها ظاهرية وشكلية.

واتصف رجال هذه الإمارة بحب التوسع وشراء المدن والحصون ويتضح ذلك بصورة خاصة في عهدي سبأ بن أبي السعود وولده محمد، وكانوا يميلون ميلا شديدا إلى إغداق الأموال وبذلها على الفقهاء والشعراء وغيرهم طلبا للشهرة، وحب مديح الشعراء الذين مدحوهم ووصفوهم بأوصاف تنسجم مع مقاييس العصر ومثله السائدة والمحبوبة عند الناس، كما أن أمراء هذه الأسرة اعتمدوا على رجال من الموالي والعبيد أمثال بلال بن جرير وأولاده وجوهر المعظمي وريحان المحمدي وغيرهم، واتصفوا أيضا بالتسامح الديني وعدم التعصب المذهبي فقربوا رجالا يخالفونهم في المذهب وأناطوا بهم مسؤوليات مهمة أمثال جوهر المعظمي وعمارة اليمني.

[1] سيكون ذلك موضوع دراستنا في الفصل القادم.

[2] الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٨٤، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٤ أ، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٧٥ ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٧ ب، ٣٢ أ، الديبع. بغية المستفيد ص ٦٧، وقيل وثلاثة أيام. الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٧ ب.

[3] قيل خمس عشرة سنة وكسرا. العامري. غربال الزمان و ١١٧ ب، وقيل خمس عشرة سنة وشهرين وأربعة عشر يوما. الديبع. قرة العيون ص ٣٧٣.

الفصل الرابع

عدن في العهد الأيوبي

٥٦٩ - ٦٢٧هـ/ ١١٧٣ - ١٢٢٩م


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

تعريف بالفصل:

ندرس في هذا الفصل أحوال عدن السياسية خلال المدة التي استقر فيها الأيوبيــــون في اليمن بين ٥٦٩ - ٦٢٧هـ/ ١١٧٣ - ١٢٢٩م، ونوضح طبيعة السياسة الأيوبيـــة تجاه اليمن، متمثلة في موقفها من الحركات السياســـية والمذهبيـــة المعارضـــة لـــهم، وإرسالهم النواب وتعيينهم الأمراء على مدن اليمن المهمة ومنها عدن وزبيـــد وتعـــز، والاستعانة ببعض الموالي في إدارة شؤون الدولة خلال الفترات التـــي تمـــيزت بتولـــي سلاطين صغار السن مثل الناصر أيوب بن طغتكين، والتي تعتبر فترات ضعف وانحـــلال في تاريخ اليمن والدولة الأيوبية.

أحوال اليمن السياسية قبل الفتح الأيوبي:

تفرق شمل بلاد اليمن وتجزأت إلى دويلات وإمارات متناحرة. فكانت عدن وأبين وتعز ومخلاف الجند لبني زريع، وصنعاء وبلاد الظاهر حتى بلاد الاهنوم في حاشد للسلطان علي بن حاتم الهمداني، وكانت قبل ذلك لأبيه بالولاية من بني زريع، وبلاد زبيد وأطرافها إلى حدود حرض لعبدالنبي بن علي بن مهدي. وكانت صعدة والجوف بيد الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، والمخلاف السليماني بيد الشريف غانم بن يحيى بن وهاس، وشهارة وما يليها لبني القاسم العياني، وكانت ذمار ومخاليفها لسلاطين جنب ومشايخها[1]، وقد تميزت العلاقات بين معظم تلك الدويلات والإمارات بكونها متوترة وعدائية، فتعرض أغلبها لغزو ونهب بني مهدي حكام زبيد سيما في عهد عبدالنبي بن علي بن مهدي، كما تجلت مظاهر التجزئة والتنافر بين تلك الإمارات في خلافاتها المذهبية بشكل بارز، كالمذهب الفاطمي الإسماعيلي الذي تبناه بنو زريع في عدن وسبقهم في ذلك الصليحيون بذي جبلة وصنعاء، كما تبنى ذلك المذهب سلاطين بني حاتم في صنعاء، ومذهب الزيدية الذي قام بنشره في صعدة وأعمالها الإمام أحمد بن سليمان، والمذهب الذي سمي بالمذهب الخارجي الذي تبناه بنو مهدي في زبيد، والذي نعتقد بأنه سمي بذلك، لأنه كان خارجاً على مذهب الدولة الأيوبية والمذاهب الأخرى في اليمن[2].

مما سبق نستدل على أن الفوضى وعدم الاستقرار كانت من مميزات الحياة السياسية في اليمن قبيل الفتح الأيوبي، فكان من السهولة أن تدخلها قوة خارجية فتسيطر عليها.

أسباب الفتح الأيوبي لليمن:

اختلف المؤرخون في تحديد الأسباب التي دفعت الأيوبيين إلى فتح اليمن، فقد رأى ابن حاتم[3] ان سبب تجهيز الحملة يرجع إلى ان بلاد اليمن كانت مجزأة غير موحدة، ومقسومة بين العرب[4]، وكل موضع فيها ملك مستقيم بذاته، والأمر فيها كما قال الشاعر:

وتفرقوا فرقاً فكل قبيلة   فيها أمير المؤمنين ومنبر

---

[1] بدأ انقسام بلاد اليمن منذ سنة ٥٥٩هـ، وقد أوضحنا ذلك في الفصل الثالث واستمرت الحالة قبيل الفتح الأيوبي، أنظر: روضة الحجوري و ٢٤٥ ب – ٢٤٦ أ، يحيى. إنباء الزمن و٥٢ – ٥٣، غاية الأماني ص ٣١٦، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٨ ب – ٢٩ أ، الجرافي. المقتطف ص ٧٣، د. أحمد فخري. اليمن ماضيها وحاضرها ص ١٥٣، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٧، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٤٦.

[2] أشرنا لتلك المذاهب في الفصلين الثاني والثالث.

[3] الأمير بدر الدين محمد بن حاتم الهمداني. السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، – تح: ركس سمث، منشورات مكتبة لوزاك، (لندن، ١٩٧٤م)، ص ١٥ – ٦.

[4] ذكرنا انقسام بلاد اليمن سياسياً قبل الفتح الأيوبي.

ويضيف ان ذلك الوضع دفع السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى المبـــادرة بفتحـــها[1]، فأرسل أخاه توران شاه[2] لتنفيذ تلك المهمة.

وذكر مؤرخون آخرون[3] ان سبب الفتح يرجع إلى أن السلطان صلاح الدين الأيوبي، بلغه إن رجلا يسمى: عبدالنبي تغلب على معظم بلاد اليمن[4]، ودعا إلى نفســـه، وكـــان يسمى بالإمام[5] ويلقب بالمهدي[6]، زعم أنه سيملك الأرض كلها، وأن ملكه يسير مســـير الشمس، فأثار غضب السلطان إضافة إلى ما اتصف به من الظلم والفتك، وقـــد انتشـــر ذكر أفعاله واقترف كثيرا من أعمال القتال والنهب وتخريب المدن والقرى أثنـــاء مـــدة حكمه.

وذهب مؤرخون آخرون[7] إلى إن الأمير قاسم بن غانم بن وهاس السليماني التمـــس من السلطان صلاح الدين تجهيز حملة إلى اليمن للقضاء على عبدالنبي، وعدد له أفعاله المسبقة ومنها إغارته على مدينة حرض ونهبها ونهب قراها وبلادها، وقتل أخيه الأمير وهاس بن غانم سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م، وذكر له سؤ سيرة بني مهدي وقبائحهم فـــي اليمن، وعاهده على المعونة والاستعداد معه في حملته للقضاء عليهم.

ويذكر ابن تغري بردي[8] أن توران شاه كان أكبر سنا من أخيه صلاح الدين، وكـــان الأخير يحترمه ويرجحه على نفسه، وكان في نفسه من الملك، ويرى انـــه أحـــق مـــن أخيه، وتصدر منه كلمات في سكره ضد أخيه صلاح الدين، وبلغ ذلـــك صـــلاح الديـــن، فأغزاه بلاد النوبة في جمادى الأولى سنة ٥٦٨هـــــ/ ١١٧٢م ليفتحـــها، فوجدهـــا لا تساوي التعب، وعاد منها بغنائم كثيرة[9]، وأضاف ان صلاح الدين أبعد توران شاه حيـــن بعثه إلى اليمن، وذلك حين عرف بسوء سيرته وإيقاعه به في كلامه عند سكره.

---

[1] أنظر أيضا: الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٧.

[2] سنترجم له في الصفحات التالية.

[3] سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ٨/ ٢٩٩، ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٣ – ٤، الخزرجي. طـــراز (متحف) و ٢١٦ أ، المقريزي، أحمد بن علي. السلوك لمعرفة دول الملـــوك، ج ١ ق ١، – تـــح: محمـــد مصطفى زيادة، مط دار الكتب، (القاهرة، ١٩٣٤م)، ص ٥٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهـــرة ٦/ ٦٩، الديبع. بغية المستفيد ص ٦٩، مجهول. قلائد الجمن ص ٩٧.

[4] كان عبدالنبي صاحب التهائم والجبال من تعز إلى ذخر إلى سوى ذلك، عدا عدن والدملوة وصنعاء، فإنـــها كانت بأيدي أهلها من بني زريع وبني حاتم. السمط الغالي ص ١٦.

[5] ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٣.

[6] ابن العماد. شذرات الذهب ٤/ ٢٣٤، وقد ذكرنا ذلك في الفصل الثالث.

[7] روضة الحجوري و ٢٤٦ أ، إبن حاتم. السمط الغالي ص ١٦، الوزير. جامع المتون و ١٩ أ، الجرافـــي. المقتطف ص ٧٣.

[8] النجوم الزاهرة ٦/ ٨٧.

[9] أنظر عن غزو توران شاه للنوبة وإبعاده والتخلص منه: الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥٠ – ١.

وذكر مؤرخون آخرون[1] سببا آخر لتجهيز حملة توران شاه إلى اليمن، خلاصته أن السلطان صلاح الدين أراد أن يحصل على مملكة غير مصر، لأنه كان يخشى أن يخرجه نور الدين زنكي عن مصر، فأراد ان يؤمن له بلدا يلتجئ إليه عند الخوف، إن قاتله نور الدين وهزمه، فلم تعجبه النوبة، فجهز أخاه توران شاه بحملة إلى اليمن. إننا نستبعد تخوف صلاح الدين من قيام نور الدين زنكي بحربه وطرده من مصر، ذلك ان قوته كانت ضاربة، وشخصيته بارزة، ونفوذه قوي ومؤثر، وكان من القادة الذين أعتمدهم نور الدين زنكي، فكان قضاؤه على الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، من أشهر مظاهر جدارته العسكرية وحنكته السياسية. ونرجح ان السلطان صلاح الدين قد بلغ من القوة والمقدرة العسكرية حدا دفعه إلى التوسع، ويرجع سبب ذلك بالدرجة الرئيسية إلى قوة جيشه الذي خاض تجارب حروب كثيرة أحرز فيها انتصارات رائعة، ففكر في استخدام ذلك الجيش الذي امتاز بالكثرة والقوة في فتح بلاد اليمن[2]، وندعم رأينا بما ذكر الخزرجي[3]، من أن السلطان صلاح الدين تقررت له قواعد الملك، فكثر جنده، وكان جيشه قويا، وذلك بعد استيلائه على مصر، فجهز أخاه إلى اليمن.

ويعلل المقريزي[4] سبب تجهيز الحملة إلى اليمن، بطموح توران شاه، الذي لم يقتنع بما حصل عليه من الإقطاع في مصر، بل أحب التوسع، وفي ذلك يقول: "وكان شمس الدولة [توران شاه] مع ذلك جوادا كثير الإنفاق فلم يقنع بما له من الإقطاع بمصر[5]، واحب التوسع، فأستأذن صلاح الدين في المسير، فأذن له...". وهذا تعليل معقول ولكنه ليس السبب الوحيد. ولعل عمارة اليمني هو الذي أغرى توران شاه باليمن، واطلعه على ما فيها من ثروات وما يسودها من ضعف وفوضى، فقد حرضه على فتحها بقصيدة مدحه فيها[6]، وبين له صفات بلاد اليمن وأحوالها.

وذكر الحبشي[7] سببا لإرسال توران شاه إلى اليمن، وهو ان السلطان صلاح الدين وجد في سواحل البحر الأحمر اليمنية منفذا خطيرا للصليبيين يهدد سلامة الأماكن المقدسة في الحجاز، لذلك أراد السيطرة عليها، بغية سد هذه الثغرة بوجه الصليبيين

---

[1] الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٧ أ، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٦ ب، ابن الوردي، تتمة المختصر ٢/ ١١٧.

[2] قيل ان السلطان صلاح الدين عزم على إرسال سرية إلى اليمن، وذلك لكثرة جيشه وقوته. ابن خلكان. وفيات الأعيان ١/ ٣٠٦، ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٤.

[3] طراز أعلام الزمن (متحف)، و ٢١٦ أ.

[4] السلوك ج ١ ق ١/ ٥٣

[5] كانت اقطاعه مدينة قوص في مصر، وكان دخلها مائة ألف دينار سنويا، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥١. وتجدر الإشارة هنا إلى ناحية مهمة هي ان اليمن أصبحت إقطاعا لتوران شاه بعد فتحها، لذلك كانت ترسل له الأموال وهو في الشام، واستمر الحال حتى وفاته.

[6] المقريزي. السلوك ج١ق٥٢/١، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥٠ – ٥١، وذكر منها (١١ بيتا) ومطلع القصيدة كما ورد في المصدرين:

العالم [كذا] مذ كان محتاج إلى العلم وشفرة السيف تستغني عن القلم

[7] عبدالله محمد. جوانب من الحياة الاقتصادية، الكلمة، ع ٥١ – ٥٢، ص ٨٢.

وإيقاف محاولاتهم الهادفة إلى السيطرة على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة بالدرجة الرئيسة.

مما سبق يمكننا أن نلخص أسباب الحملة الأيوبية على اليمن ونجملها بما يلي:

- أهمية بلاد اليمن وكثرة مواردها الاقتصادية بسبب الموانئ العديدة فيها على البحر الأحمر والبحر العربي مثل عدن والمخا وزبيد.
- موقع بلاد اليمن وأهميته والخوف من السيطرة الصليبية.
- القضاء على المناوئين للأيوبيين من أنصار الفاطميين (بقايا بني زريع والصليحيين)، وكذلك المتطرفين من بني مهدي حكام زبيد، وغيرهم.
- طموح توران شاه في التوسع واعتبار اليمن إقطاعاً له يجبي أموالها ويصرفها على رغباته الخاصة، كما كانت مدينة قوص[1] إقطاعاً له في مصر[2].
- رغبة السلطان صلاح الدين في التخلص من توران شاه، أو إبعاده عن مصر.

حملة توران شاه إلى اليمن:

اختلف المؤرخون في كيفية تسيير حملة توران شاه[3] إلى اليمن ومصدر الإيعاز له فيها، فالجندي يورد رواية[4] أن رجلاً فقيها من أهل اليمن اسمه ابن النسّاخ[5] كتب رسالة بليغة إلى الخليفة العباسي ببغداد الناصر الدين الله أحمد بن الخليفة المستضيئ بالله

---

[1] مدينة كبيرة عظيمة واسعة، وهي قصبة صعيد مصر، أهلها أصحاب ثراء واسع، وهي محط التجار القادمين من عدن ومعظمهم من أهل قوص، وتتصف المدينة بشدة الحر، لقربها من البلاد الجنوبية. الحموي، معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

[2] أنظر: الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥١.

[3] توران شاه ومعناه ملك الشرق، وصحفه بعضهم إلى مروان شاه، وشروان شاه، وهو ابن أيوب بن شاذي الملك المعظم ابن الأفضل شمس الدولة شقيق صلاح الدين، وأكبر أخوته. الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥٠.

وترجم له الخزرجي فسماه: السلطان الملك المعظم شمس الدين توران شاه بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب فخر الدين، كان ملكاً ضخماً شجاعاً شهماً فارساً مقدماً عشمشما صمصاماً. طراز (متحف) و٢١٦ أ – ب.

وهو شمس الدولة توران شاه بن شاذي بن مروان الأيوبي ثم الكردي، فالأيوبي نسبة إلى والده وكان يلقب بالملك الأفضل ويُكنى بأبي السكن، ولي قلعة تكريت هو وأخوه أسد الدين شيركوه، وتوفي والدهما...الخ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٧ ب. وقيل لقب بالملك المعظم لقهره وعليته. الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٤أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٧ ب، وذكر المؤرخون ان توران شاه يعني: ملك المشرق. ابن خلكان. وفيات الأعيان ١/ ٣٠٩، العامري. غربال الزمان و ١٢٣ ب، الوزير. جامع المتون و ١٩ أ، مجهول. قلائد الجمن ص ١٠٢.

[4] السلوك ج ٣ و ١١٦ أ – ب، ونقلها عنه: الديبع. قرة العيون ص ٣٧٥ – ٦.

[5] الحسن بن محمد النساخ من رجال أوائل القرن السابع الهجري. أيمن فؤاد. مصادر تاريخ اليمن ص ١١٧، وكان نابغة دهره ونادرة عصره. متفوقاً في النثر والنظم وفنون الأدب. مشاركاً في الفنون والعلوم، الاكوع (محقق). هامش قرة العيون ص ٣٧٥.

يشكو فيها من ابن مهدي (ولعله عبدالنبي بن علي بن مهدي)، ويذكر قبيح سيرته وسوء عقيدته، وكتب مع الرسالة قصيدة طويلة يقول في مطلعها[1]:

فيا غاديـــا نحـــو العـــراق محثحثـــا رحيـــل زكـــاة والحيـــاة نصـــاب

فلما وصلت الرسالة إلى الخليفة العباسي، كتب إلى السلطان الملك النـــاصر صـــلاح الدين يوسف بن أيوب يأمره بتجهيز أخيه توران شاه إلى اليمن.

وذهب مؤرخون آخرون[2] إلى أن السلطان صلاح الدين كتب إلى نورالديـــن زنكـــي يستأذنه في إرسال جيش إلى اليمن، فأذن له، فعهد إلى أخيه توران شاه بقيادة الحملة.

ومهما يكن من أمر الطريقة التي تم بواسطتها الاقتناع بضرورة إرسال حملة إلـــى اليمن، فأننا نعتقد ان تنسيقا وتعاونا متبادلا قد تم بين الخليفة العباسي ببغداد وصـــلاح الدين من جهة، وبين صلاح الدين ونور الدين زنكي من جهة أخرى، لإرسال حملة إلـى اليمن وفتحه وإنقاذه من حالة الفوضى وعدم الاستقرار التي كان يعانيها، بالإضافة إلـى العوامل والأسباب التي ذكرناها عن دوافع الحملة.

أما طريق الحملة نحو اليمن، فإن المصادر تؤكد ان خروج توران شـــاه كـــان مـــن مصر. فقد ذكر الحنبلي[3] أن توران شاه توجه من مصر، وقيل من قوص في شهر رجب سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م فوصل مكة ولقي استقبالا وترحيبا بالغا من أميرها عيسى بـــن فليته الحسني (٥٥٧ – ٥٧٠هـ) الذي صعد الجبل و أخذ مفاتيح الكعبة معــــه، فجـــاء توران شاه وطاف وصعد على باب الكعبة، ثم سار إلى اليمن.

وتصف إحدى الروايات[4] سير حملة توران شاه نحو اليمن بتفصيل ودقة أكثر، فتذكر أنه سار بجيوشه عن طريق النيل حتى قوص، ثم عن طريق البر حتى عيذاب[5]، وواصل سيره عن طريق البحر حتى جدة، ثم عن طريق البرمرة أخرى حتى مكة، فلما وصلـــها زار الكعبة واعتمر فيها، وكان ذلك بصحبة أحد أشرافها.

إن الروايتين المشار إليهما أعلاه توضحان لنا إن الحملة قد انطلقـــت مـــن مصـــر واتبعت طريقي البحر والبر، وفي هذا وصف دقيق للطريق التجارية ذاتها التـــي كـــانت

---

[1] وهي قصيدة في (١٢) بيتا ذكرها الديبع.

[2] سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ٨/ ٢٩٩، ابن تغري بردي. النجوم الزاهـــرة ٦/ ٦٩، الحنبلـــي. شـــفاء القلوب ص ٥٠، البطريق، د. عبدالحميد. من تاريخ اليمن الحديث، منشورات معهد البحـــوث والدراســـات العربية – جامعة الدول العربية، (القاهرة، ١٩٦٩م)، ص ١٤.

[3] شفاء القلوب ص ٥١. أنظر عن أمير مكة: الفاسي. العقد الثمين ج ٥/ ٤٦٦ – ٤٦٧.

[4] إبن خلدون. العبر مج ٥/ ٦٣٠ – ١، سعداوي، د. نظير حسان. التاريخ الحربي المصـــري فـــي عـــهد صلاح الدين الأيوبي، مط لجنة البيان العربي، منشورات مكتبة النهضة المصرية، (القـــاهرة، ١٣٧٧هـــ/ ١٩٥٧م)، ص ٤٤.

[5] عيذاب: بلد على الساحل بازاء جدة. الصغاني. التكملة ١/ ٢٠٥، وذكر الحموي انها بليـــدة علـــى ضفـــة البحر الأحمر، وهي مرسى المراكب القادمة من عدن إلى الصعيد. معجم ٤/ ١٧١، واختلف في تحديدهـــا، فالبعض يجعلها من حدود مصر وأعمالها، وبعضهم يجعلها في بلاد البجة، وبعضـــهم يجعلـــها مـــن بـــلاد الحبشة، وعيذاب فرضة تجار اليمن والحجاج الذين يتوجهون من مصر في البحر فيركبون منه إلى جـــدة. أبو الفدا. تقوم البلدان ص ١٢٠ – ١.

مسلوكة في ذلك العصر[1]، كما توضح لنا الروايتان موقف صاحب مكة الذي كان إلى جانب الأيوبيين ومؤيد لهم، وهذا يؤكد لنا ان بلاد الحجاز كانت خاضعة – ولو بصورة اسمية وظاهرية – لنفوذ الدولة الأيوبية في مصر، وعلى علاقة جيدة معها، وأنها كانت على عداء مع أمراء اليمن وحكامها.

كان خروج توران شاه من مصر في غرة شهر رجب سنة ٥٦٩هـ[2]، على رأس جيش تعداده نحو ثلاثة آلاف فارس[3]. إلا إن المصادر لا توضح لنا تكوينه وعناصره.

كانت وجهة الجيش الأيوبي نحو مدينة زبيد، للقضاء على عبدالنبي بن علي بن مهدي وإزالة ملكه. وقد دخل توران شاه اليمن، وكان أول من لقيه من أهلها الأمير قاسم بن غانم بن يحيى السليماني من المخلاف السليماني، حيث سار إلى حرض واجتمع به، في محل يسمى: أبي تراب[4]، فشكا إليه من عبدالنبي، الذي قتل أخاه الأمير وهاس بن غانم، وقد نهضا بالجيوش من حرض في سلخ رمضان سنة ٥٦٩هـ واتجها نحو زبيد.

ونستنتج مما سبق أن تعاوناً ومؤازرة تامة قد تمت بين السلطان توران شاه والأمير قاسم بن غانم، ولعل الأخير جهز جيشاً من الأشراف السليمانيين للحرب إلى جانب جيش توران شاه واتجها معاً نحو زبيد لملاقاة عبد النبي بن علي وحربه.

وصل توران شاه والأمير قاسم بن غانم إلى مدينة زبيد يوم السبت ٧ شوال سنة ٥٦٩هـ، وكان القتال مع حكامها بني مهدي وفي مقدمتهم عبدالنبي بن علي يوم الأحد، فانتصر توران شاه عليهم، ودخل مدينة زبيد يوم الاثنين ٩ شوال ٥٦٩هـ[5]. ويتفق المؤرخون[6] على أن دخول المدينة كان في شهر شوال وإن اختلفوا في تحديد اليوم.

---

[1] سنعود لدراسة تلك الطريق عند العلاقة بين عدن ومصر في العصر السادس.

[2] ابن خلكان. وفيات ١/ ٣٠٦، الخزرجي. طراز (متحف)، و٢١٦ أ، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، ج ٢، خ فوتوستات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب/ جامعة بغداد، رقم (٨٧٣) مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم (٣٨٦٣)، ورقة ٨٥ ب، المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٥٣، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥١، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٤.

[3] يحيى. غاية الأماني ص ٣٢١، الجرافي. المقتطف ص ٧٤.

[4] ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٦، الخزرجي. كفاية و ٦٨ ب. وفي رواية ان توران شاه نزل أول الأمر في صبيا من بلاد الشريف قاسم بن غانم السليماني، فاستقبله بحفاوة، وانضم لجيشه الأشراف. إدريس. نزهة الأفكار و ٧ أ، يحيى، غاية الأماني ص ٣٢١.

[5] ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٦، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٤ أ، الخزرجي. طراز (متحف) و ٢١٦ ب، كفاية و ٦٩ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٢ – ٣، لقمان. تاريخ عدن، ص ٦٤، شرف الدين. اليمن ص ٢١٧، وفي رواية ان توران شاه استولى على زبيد في ٧ شوال سنة ٥٦٩هـ. المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٥٣، الديبع. بغية المستفيد ص.٦٩ (وذكر ذلك سنة ٥٩٩هـ، وهو خطأ مطبعي).

[6] الخزرجي. طراز (متحف) و ٩٧ ب، وذكر الكبسي استيلائه على زبيد قهراً بالسيف سنة ٥٦٩هـ. اللطائف السنية و ٣٠ أ، وفي رواية ان توران شاه دخل اليمن في شوال سنة ٥٦٩هـ. الحمزي. كنز الأخيار و١٨٧ أ.

وقد اختلف المؤرخون حول مصير عبدالنبي بن علي أمير زبيد، وما آل إليه أمره بعد دخول توران شاه إلى زبيد، فذكر بعضهم[1] أنه قتل من قبل توران شاه بعد قبضه عليه، وذكر آخرون[2] أنه اسر بعد القبض عليه واسر معه أيضاً أخوته[3]، وفي رواية[4] أن توران شاه أسره واسر معه زوجه الحرة، وكانت ذات أموال جليلة، فاخذ توران شاه بعض أموالها وذخائرها، وذكر الحنبلي[5] ان عبدالنبي انهزم حين عرف بمجيئ توران شاه إلى اليمن، ثم رجع إلى زبيد، ويقال إنه طلب الأمان، فأسره وأوصى بحفظه، ثم ذهب إلى صنعاء، وقيل قتل، وقيل بل انهزم إلى صنعاء، فحلف توران شاه بأنه لا يتركه إلا ويقبض عليه ويحرقه، كما فعل بأبيه، إذ وصل إلى قبره ونبشه وأحرق عظامه. وفي اعتقادنا أن هذه الرواية مبالغ فيها كثيراً، إذ لا يعقل ان يقبض توران شاه على عدوه اللدود عبد النبي ويتركه يهرب إلى صنعاء، ونعتقد بأن عبدالنبي قد أسر ثم قتل بعدئذ[6].

أما بالنسبة إلى مدينة زبيد، فان الجيش الأيوبي بعد أن دخلها قام بنهبها، فنهب الجند ما فيها من أموال وخيول وسبوا الحريم وقبضوا على عبدالنبي واخوته[7]، وفي رواية[8] ان الأمير قاسم بن غانم عاد بلاده بعد إكمال فتح مدينة زبيد، وذلك يوم الجمعة ١٣ شوال من سنة ٥٦٩هـ. وبذلك قضى توران شاه على دولة بني مهدي في زبيد[9]،

---

[1] سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ٨/ ٣٠٠، الخزرجي. كفاية و ٧٢ ب، العامري. غربال الزمان و ١٢٢ أ، أبن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٧٢ – ٣، ابن العماد. شذرات الذهب ٤/ ٢٣٤، الكبسي. اللطائف السنية و ٣٠ أ.

[2] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٦، الخزرجي. كفاية و ٧٢ ب (وذكر روايات عديدة منها أنه لم يزل في الأسر إلى أن مات، وقيل قتل بعد الأسر)، قلقشندي. صبح ٥/ ٢٩. يحيى. غاية الأماني ص ٣٢١، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٧، شرف الدين. اليمن ص ٢١٧.

[3] وقيل أسره المعظم ومات في أسره. ابن ايبك الدواداري. كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٧، المسمى: الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب، – تح: د. سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م)، ص ٥٧.

[4] ابن الأثير. الكامل ١١/ ٣٩٧، ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٤، وذكر ابن خلدون أسر عبدالنبي وزوجه. العبر مج ٥/ ٦٣١.

[5] شفاء القلوب ص ٥٢.

[6] سنوضح ذلك في الصفحات التالية.

[7] ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٦ – ٧، الخزرجي. كفاية و ٦٩ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٢ – ٣.

[8] ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٧.

[9] أنظر: الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٨٤، ابن الأثير. الكامل ١١/ ٣٩٦ – ٧، الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي. التاريخ المنصوري المسمى: تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، خ مصورة ومفهرسة غير محققة، نشرها بطرس غريازنويج، دار النشر للآداب، (موسكو، ١٩٦٠م) ورقة ٨٧ أ، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ٨/ ٢٩٩، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٤ أ، ابن أيبك، كنز الدرر ٧/ ٥٧، ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٣ – ٤، الخزرجي. طراز (متحف) و ٩٧ ب، ٢١٦ أ – ب، كفاية و ٤٢ ب، القلقشندي. صبح ٥/ ٢٩، المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٥٣، الديبع. قرة العيون ص ٣٠٣.

وقد أقام فيها إلى أن دخل شهر ذي القعدة سنة ٥٦٩هـ[1]، ثم نهض إلى حصن تعز وأخذه[2]، وحاول السيطرة على حصني صبر وذخر فقاتل أهلهما ولم يتمكن منهما، ثم نهض إلى الجند فدخلها وملكها، وكانت هذه المدن والحصون من ممتلكات عبدالنبي بن علي بن مهدي فضمها إلى ممتلكاته وأخضعها لسيطرته[3]. وبعد هذه الفتوحات والانتصارات واصل سيره لفتح مدينة عدن.

سيطرة توران شاه على عدن:

واصل توران شاه إكمال فتح بلاد اليمن، فاتجه نحو عدن التي كانت وقتذاك تحت سيطرة ياسر بن بلال بن جرير مولى الداعي عمران بن محمد بن سبأ، والوصي على أولاده من بعده.

حدد بعض المؤرخين[4] دخول توران شاه عدن يوم الجمعة ٢٠ ذي العقدة سنة ٥٦٩هـ، وقد تمت السيطرة عليها بعد قتال أميرها ياسر بن بلال الذي هزم بعد انكساره وعدم قدرته على مقاومة الجيش الأيوبي، وقام جنده بنهب مدينة عدن وما فيها، ثم منعهم توران شاه من ذلك قائلاً[5]: "ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها[6]"، وقد سار توران شاه في الناس سيرة حسنة عادلة، فأحبوه وأقام فيها أياماً[7].

---

[1] ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٧، الخزرجي. كفاية و ٧٢ ب، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٦٩، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٦ – ٧، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢١، العرشي. بلوغ المرام ص ٤١، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٧، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٤٣، شرف الدين. اليمن ص٢١٧ – ٨.

وذكر بعض المؤرخين دخول توران شاه إلى اليمن في شهر ذي القعدة سنة ٥٦٩هـ الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٧ ب، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٤، معارك حاسمة ص ٨٣، البطريق. تاريخ اليمن ص ١٤.

[2] ذكر الحداد أن توران شاه تقدم إلى مخلاف جعفر واخضع ما لم يتم إخضاعه فيه، كما تسلم من نائب آل زريع في جبل صبر ومن نائبهم في جبل ذخر (جبل حبشي) الجبليين المذكورين، وكانا من امنع المعاقل آنذاك. تاريخ اليمن ص ٢٣٨.

[3] أنظر عن تلك الفتوحات: ابن حاتم. السمط الغالي ص١٧، الخزرجي. كفاية و ٧٢ ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٧ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٦ – ٧، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٤، معارك حاسمة ص ٨٣.

[4] ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٧، الخزرجي. كفاية و ٧٢ ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٧ ب، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٣، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٤٣.

وروى الخزرجي ان جيش توران شاه دخل عدن يوم الجمعة الثامن عشر وقيل التاسع عشر من ذي القعدة سنة ٥٦٩هـ. طراز (متحف) و ٢١٦ ب، وقيل انه دخلها وأخذها في شهر ذي القعدة سنة ٥٦٩هـ، الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٧ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٦.

[5] ابن الأثير. الكامل ١١/ ٣٩٧ – ٨.

[6] أنظر هذا النص مع بعض الاختلافات: ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٧٦، ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٤، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٤٩، مجهول. قلائد الجمن ص ٩٧ – ٨.

[7] الخزرجي. طراز (متحف) و ٢١٦ ب، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٧، البطريق. من تاريخ اليمن ص ١٤ – ٥، وذكر الكبسي استيلاء توران شاه على عدن سنة ٥٦٩هـ، اللطائف السنية و ٣٠أ.

نستنتج مما سبق أن جند توران شاه نهبوا عدن في أول دخولهم إياها، فلما أسرفوا أصدر السلطان أمره بالكف عن النهب والسلب والتخريب[1]، موضحاً لهم أهمية مدينة عدن كميناء تجاري يدر موارد كثيرة تساهم في عمارة البلاد والانتفاع بدخلها.

أما بخصوص مصير أولاد عمران بن محمد والشيخ ياسر بن بلال، فالروايات متباينة حولهم، ذكر بعض المؤرخين[2] ان توران شاه بعد فتحه مدينة عدن قبض عليهم وعلى الشيخ ياسر مولاهم[3]. ونعتقد ان هذه الرواية ضعيفة وغير دقيقة، إذ أن أولاد عمران لم يكونوا في عدن عند دخول توران شاه إليها[4]، بل كانوا في حصن الدملوة مع جوهر المعظمي الذي قام بنقلهم من عدن إلى الدملوة بعد وفاة عمران[5]، وبقوا فيها حتى سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م[6].

بعد دخول توران شاه إلى عدن، هرب ياسر بن بلال إلى الدملوة، والتحق بأولاد عمران بن محمد فيها عند الشيخ جوهر المعظمي، على رواية عدد من المؤرخين[7]، والتي نعتقد أنها هي الأرجح والأقرب إلى الصواب من سابقتها كما نستدل من سياق الحوادث التي سندرسها، وقد أنحى ابن الأثير[8] وإبن كثير[9] باللائمة على ياسر، لتركه عدن وهربه منها، وذكرا أن بمقدوره مقاومة الأيوبيين والوقوف أمام زحفهم، وذلك لو بقي في عدن ولم يخرج منها، فيعودوا خائبين، لكن جهله هو الذي حمله على الخروج ومباشرة قتالهم. وتؤكد لنا هذه الرواية أن ياسرا خرج من عدن وقاتل الجيش الأيوبي عند مشارفها أو خارجها، وفي رأينا أن ياسرا لم يكن بمقدوره مقاومة الأيوبيين وصد زحفهم على عدن إلا لبعض الوقت ثم يضطر للاستسلام؛ بسبب كثرة الجيش الأيوبي وقوته، إلى جانب ضعف إمارة بني زريع في عدن في أواخر عهدهم بصورة خاصة، إذ أن عبدالنبي بن علي قد سبب لهم متاعب كبيرة. إذ غزاهم كثيرا واضطرهم إلى عقد

---

[1] ذكر د. حسن سليمان ان توران شاه فتح عدن عنوة واستباحها لجنوده. تاريخ اليمن ص ٢٤٣، ثم منعهم من نهبها. نفسه ص ٢٤٩.

[2] ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٧، الخزرجي. كفاية و ٧٢ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٦، العبدلي. هدية الزمن ص ٦٥.

[3] ذكر الحنبلي ان قتالا جرى بين توران شاه وياسر بن بلال صاحب عدن فأسره فيه. شفاء القلوب ص ٥٢.

[4] روى إدريس أن ياسرا نقلهم إلى الدملوة بعد دخول توران شاه إلى عدن. نزهة الأفكار و ٧ ب.

[5] راجع الفصل الثالث بخصوص هذا الموضوع ومصادره.

[6] سنوضح بقاء جوهر واولاد عمران في الدملوة حتى ذلك التاريخ وكيفية بيع حصن الدملوة في عهد السلطان طغتكين.

[7] الجندي. السلوك ج ٣ و ١٠٥ ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٨٣ أ، كفاية و ٤٧ ب – ٤٨ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣١٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٧، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٢.

[8] الكامل ١١/ ٣٩٧.

[9] البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٤، أنظر أيضا: مجهول. قلائد الجمن ص ٩٨.

الصلح معه، لقاء دفعهم المال السنوي له، وتعهده بعدم التعرض إلى عـــدن والدملـــوة بسوء[1]، لذا فإن اعتصام ياسر بن بلال لا يمكن أن يحقق أثرا في إزالة الخطر الأيوبي.

بدخول توران شاه إلى عدن وسيطرته عليها، تكون دولة بني زريع، هـــي الدولـــة الثانية التي أسقطها الأيوبيون في اليمن بعد دولة بني مهدي في زبيد[2]، وقد استمر حكم بني زريع قرابة ثلاثة وتسعين عاما، كانت حافلة بالحوادث الكثيرة في تاريخ اليمن.

ذكر أبو مخرمة[3] ان دولة الدعاة الزريعيين في عدن وغيرها قد زالـــت بعـــد تملـــك توران شاه عدن في شهر ذي القعدة سنة ٥٦٩هـــ، وقد أقام توران شاه في عدن حتـــى منتصف شهر ذي الحجة منها[4]، ثم عاد إلى زبيد ليواصل فتوحاته في الجبال من قـــلاع وحصون[5].

استيلاء توران شاه على بقية ممتلكات بني زريع:

سار توران شاه إلى أرض المعافر[6]، فحارب حصن يمين[7]، وفيه يومئذ منصور بـــن الداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود الزريعي، فهرب منـــه القـــائمون علـــى إدارتـــه وحراسته، واستسلم الحصن لجيش توران شاه فتسلمه[8].

واصل توران شاه تقدمه لإخضاع معاقل وحصون بني زريع، فاتجـــه إلـــى حصـــن الدملوة وفيها أولاد[9] عمران بن محمد بن سبأ ومولاهم جوهر المعظمي[10]، فرماها جيش توران شاه بالمنجنيقات، لكنها لم تؤثر فيها، لذلك تركها ولم يستطع أن يحصـــل علـــى شيئ منها لمناعتـــها وحصانتـــها، فتقدمـــوا إلـــى ذي جبلـــة، وأقـــاموا فيـــها مدة[11]،

---

[1] راجع بهذا الخصوص الفصل الثالث.

[2] العرشي. بلوغ المرام ص ٤١، الثور. هذه هي اليمن ص ٢١٨، الشماحي. اليمن ص ١٢٣.

[3] ثغر عدن ٢/ ١٨٧، ويقول الأهدل: "وانقضت دولة آل زريع عن عدن وغيرها بحيث لم يبق إلا الدملـــوة بيد جوهر". الجوهر الفريد و ٢٧١ ب.

[4] الخزرجي. كفاية و ٧٣ ب.

[5] أنظر عن تفاصيل فتوحات توران شاه: إبن حاتم. السمط الغالي ص ١٧ – ٩، الخزرجي. طراز (متحـف) و ٢١٦ب، كفاية و ٧٣ ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٧ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٧٨، بغيـــة المســـتفيد ص ٦٩، سعداوي. التاريخ الحربي ص ٤٤، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٧.

[6] من أرض الحجرية قرب صنعاء، راجع الفصل الثاني.

[7] كأنه تصغير يمن، حصن مشهور شمال قرية ذبحان. استحدثه علي بن زريع. الحموي، معجم البلـــدان ٤/ ٤٤٩، الأكوع. البلدان اليمانية ص ٣٠٠.

[8] وتسلموا حصني منيف والسمدان. أنظر: ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٠، الجندي. السـلوك ج ٣ و ١١٤ أ، الخزرجي. طراز (متحف) و ٢١٦ ب، كفاية و ٧٤ ب، الديبع. قرة العيـــون ص ٣٧٩، يحيـــى. غايـــة الأماني ص ٣٢٥.

[9] ذكر الخزرجي ان فيها الأميرين ولدي الداعي عمران. كفاية و ٧٤ ب، وهو الصحيح.

[10] سماه ابن حاتم: جوهر العمراني. السمط الغالي ص ٢٠، وهي نسبة إلى سيده الداعي عمران بن محمد.

[11] الخزرجي. طراز (متحف) و ٢١٦ ب، كفاية و ٧٤ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٠ – ١، يحيى. غايـــة الأماني ص ٣٢٥، الكبسي. اللطائف السنية و ٣٠ ب، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٢، ٢٣٨.

وفي رواية[1] أنهم أقاموا فيها إلى رابع شعبان سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م. ورغم تأكيد المؤرخين على أن الجيش الأيوبي بقيادة توران شاه لم يستطع التقدم أو الحصول على شيئ في الدملوة بعد حصارها، ذكر ابن حاتم[2] إن الأيوبيين لم يكن لهم طمع فيها، لذلك صالحوا جوهر، ثم عادوا وتقدموا إلى ذي جبلة. والذي نرجحه أن توران شاه فشل في تحقيق هدفه بالسيطرة على الدملوة وإخضاعها لمملكته، واستمر الحال حتى دخول السلطان طغتكين إلى اليمن، فاشترى الدملوة من جوهر المعظمي سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م[3].

مقتل ياسر بن بلال وعبدالنبي بن علي:

ذكرنا ان ياسر بن بلال تمكن من الهرب من عدن بعد دخول توران شاه إليها، والتجأ إلى حصن الدملوة الذي كان فيه جوهر المعظمي وولدا الداعي عمران.

ذكر المؤرخون[4] إن ياسراً خرج من الدملوة إلى ذي عدينة متنكراً وكان معه عبده مفتاح الملقب بالسداسي، وذلك بعد عام تقريباً من هربه من عدن إلى الدملوة، فتعرف عليهما بعض الناس ووشى بهما إلى توران شاه الذي قبض عليهما، وجاء بهما إلى عدن، وشاءت الصدف أن يلتقي ياسر مع عبدالنبي بن علي في الأسر، إذ خصصت لكل واحد منهما خيمة.

ويقال أن توران شاه أمر بقتل ياسر بن بلال وعبده مفتاح السداسي فقتلا معاً، وكان ذلك سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، وفي رواية[5] أن بعض الناس توسط للإبقاء على حياة ياسر بن بلال، فقبل توران شاه شفاعتهم وأطلق سراحه، وذلك في شهر رجب من تلك السنة، ونميل إلى الأخذ بالرواية الأولى التي ذكرت مقتل ياسر وعبده السداسي في مدينة ذي عدينة، ونستبعد إطلاق سراحه من قبل توران شاه، وذلك لأن الأخير أراد استئصال الأمراء الذين كانوا يحكمون اليمن، خاصة أولئك الذين يخالفونه في مذهبهم والذين كانوا على المذهب الباطني أو الدعاة للمذهب الفاطمي.

أما بالنسبة إلى عبدالنبي بن علي بن مهدي وأخويه أحمد ويحيى فإنهم جميعاً قتلوا بأمر من توران شاه، حين كان مقيماً في ذي جبلة، وذلك إثر بلوغه أنباء وقوع خلاف في تهامة، ولعل ذلك كان من قبل اتباع عبدالنبي أو أقاربه من أجل إثارة المشاكل في

---

[1] ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٠، الخزرجي. كفاية و ٧٤ ب.

[2] السمط الغالي ص ٢٠.

[3] سنفصل دراسة هذا الموضوع في عهد السلطان طغتكين بن أيوب.

[4] ابن المجاور المستبصر ص ١٢٦، الحموي. التاريخ المنصوري و ٨٨ أ، الأفضل. العطايا السنية و ١٥ ب، ابن خلدون. العبر مج ٥/ ٦٣١، الخزرجي. كفاية و ٤٨ أ، العقد الفاخر و١٨٣ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣١٩ – ٣٢٠. لقمان. تاريخ عدن ص ٥٧.

[5] روضة الحجوري و ٢٤٦ أ، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٥ أ، الأفضل. العطايا السنية و ١٥ ب، (وذكر ان توران شاه قدم عدن هو والغز ولزم ياسر بن بلال وعبده السداسي فوسطهما)، الخزرجي . كفاية و ٧٦ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ ب، ٢٧٨ ا، الديبع. قرة العيون ص ٣٨١ – ٢، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٧.

زبيد وحواليها وتخليص عبدالنبي وأخويه من الأسر، وكان هؤلاء قد شنقوا على بـــاب الخان بزبيد قبل سفر توران شاه من اليمن إلى الشام[1]، وحدد إبن حاتم[2] مقتلـــهم يـــوم الثلاثاء ٧ رجب سنة ٥٧٠هـ[3].

بعد مقتل عبدالنبي وأخويه عاد توران شاه إلى زبيد[4]، وبقي فيها مدة، وفي روايـة[5] أنه بقي إلى تمام الحول أي لمدة سنة ثم غادر اليمن، وبعد أن استتب له أمـــر اليمـــن، عهد إلى أطباء الحملة اختيار مكان صحيح الهواء والماء ليتخذه سكنا، فوقع اختيـــارهم على مكان تعز، فاختط فيها المدينة ونزلها بجيشه وأصبحت مقرا لمملكتـــه أي اتخذهـــا عاصمة[6].

مغادرة توران شاه لليمن:

دخل توران شاه مدينة زبيد بعد مقتل عبدالنبي وأخويـــه، فـــي ١٣ شـــعبان ســـنة ٥٧١هـ، فقام بتنظيم أمور البلاد، والقضاء على المعارضة الذين سماهم الخزرجـــي[7]: أهل البغي والفساد، والذين نعتقد بأنهم من أنصار عبدالنبي واتباعه الباقين فـــي تلـــك المدينة.

ذكر المؤرخون[8] أن توران شاه استطاع السيطرة على بـــلاد اليمـــن وفتـــح معظـــم حصونها وقلاعها ونشر الأمن فيها، وقد مكث في اليمن مدة عام، لكنـــه لـــم يســـتطبها فاشتاق إلى مصر، وكتب رسالة إلى أخيه السلطان صلاح الدين يتشوق فيها إليه وإلـــى مصر، وبعثها مع أحد الرسل[9] فعاد الرسول ومعه جواب السلطان يأذن له بالسفر مـــن

---

[1] الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٥ أ، الخزرجي. كفاية و ٧٤ ب، ٧٦أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٨ أ، الديبع. قرة ص ٣٨٠.

[2] السمط الغالي ص ٢٠، أيضا : حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٤٣.

[3] أنظر عن مقتل عبدالنبي سنة ٥٧٠هـ: التاريخ المنصوري و ٨٧ ب، الوزير. جامع المتون و ١٩ أ.

[4] روى الخزرجي بأن دخوله إلى زبيد كان يوم ١٣ شعبان سنة ٥٧١هـــ، طـــراز (متحـــف) و ٢١٦ ب، كفاية و ٧٤ ب.

[5] يحيى. غاية الأماني ص ٣٥٢ (حوادث سنة ٥٧٠هـ)، وذكر ابن حاتم أن توران شاه غادر اليمـــن فـــي شهر رجب سنة ٥٧١هـ بعد مقتل ياسر بن بلال في رجب سنة ٥٧٠هـ. السمط الغالي ص٢٠.

[6] اتخذ زبيد عاصمة له ثم استوخمها، وبحث عن مكان صحيح الهواء فوقع اختيار الأطباء على تعـــز. إبـــن خلدون. العبر مج٥ / ٦٣٢، ٦٤٧، سعداوي. التاريخ الحربي ص ٤٤.

[7] طراز (متحف) و ٢١٦ب، كفاية و ٧٤ب.

[8] ابن أيبك. كنز الدرر ٦٢/٧، الخزرجي. طراز (متحف) و ٢١٦ب، كفايـــة و ٧٦أ، العقـــد الفـــاخر و ٨٨أ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج١، باعتناء: الشيخ محمد بســـيوني عســـل، مطبعـــة الـــهلال، (القاهرة، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)، ص٢٩، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٧ب – ٢٧٨أ، إدريس. نزهة الأفكـــار و ٧ب، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٧٦/٦، الحنبلي. شفاء القلوب ص٥٣ – ٥٤، الديبع. قرة العيـــون ص ٣٨٠ – ٣٨١، بغية المستفيد ص٧٠، الكبسي. اللطائف السنية و ٣٠ب، العبدلي. هديـــة الزمـــن ص٦٧، الثور. هذه هي اليمن ص٢٩٩، سعداوي. التاريخ الحربي ص٧٧ – ٧٨.

[9] أنظر عن الرسالة ورد صلاح الدين عليها: الجندي. السلوك. ج ٣ و ١١٤ أ – ب، الديبع. قـــرة العيـــون ص ٣٨٠ – ٣٨١، الوزير. جامع المتون و ١٩ أ.

اليمن، ويحدد ابن حاتم[1] سفره من اليمن في شهر رجب سنة ٥٧١هـ، ويبدو إنه اتجه إلى الشام، فقد ذكر بعض المؤرخين[2] بأنه وصل إلى دمشق في شهر ذي الحجة من تلك السنة، وكان السلطان صلاح الدين في حلب مشغولا بحرب الإفرنجة الصليبيين، فلما استتبت الأمور وعاد السلطان صلاح الدين إلى مصر، أناب توران شاه على دمشق وأعمالها في بلاد الشام[3].

عين توران شاه نوابا على مدن اليمن المهمة قبل مغادرتها[4] وكانوا يرسلون له الأموال السنوية إلى بلاد الشام[5]، وهؤلاء النواب هم: عثمان الزنجيلي على عدن وأعمالها[6]، وياقوت التعزي على تعز وأعمالها، ومظفر الدين قايماز على مخلاف جعفر وحصن التعكر وذي جبلة والجند، وسيف الدين مبارك بن منقذ الكناني من أمراء شيزر على زبيد وأعمالها وجميع تهامة، وكان هؤلاء النواب من قادة توران شاه ومن الأمراء الذين رافقوه في حملته على بلاد اليمن وشاركوه في فتحها[7]، كذلك عين توران شاه نائبا له في كل حصن وقلعة من بلاد اليمن[8].

إمارة الزنجيلي على عدن:

عين توران شاه نوابا في بلاد اليمن قبل مغادرتها[9]، فكان عز الدين[10] أبو عمرو

---

[1] السمط الغالي ص ٢٠.

[2] ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٢٩٣، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٧٦، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥٤، وقيل وصل دمشق في رمضان.

[3] عاد توران شاه إلى مصر سنة ٥٧٤هـ، ثم طلب من أخيه صلاح الدين أن يوليه بعلبك، وكانت لشمس الدين بن المقدم، فتسلمها بعد حرب السلطان لأميرها الذي امتنع عن تسليمها، وفي ذي القعدة سنة ٥٧٥هـ، ترك بعلبك وعاد إلى مصر وطلب من أخيه السلطان صلاح الدين أن يوليه الإسكندرية فأجابه. ابن خلدون. العبر مج ٥/ ٦٤٨، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥٤.

[4] ابن الأثير. الكامل ١١/ ٣٩٨، ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٠ – ٢١، الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٥، ج ٣ و ١١٥ أ، ابن أيبك. كنز الدرر ٧/ ٥٧، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٧٦، ابن خلدون. العبر مج٥/ ٦٣٢، ٦٤٧، الخزرجي. العقد الفاخر و ٨٨ أ، كفاية و ٧٦ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٢ – ٣، بغية المستفيد ص ٦٩ – ٧٠، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٣٨، ٦٩.

[5] ذكر بعض المؤرخين ذلك دون ذكر أسماء النواب. الخزرجي. العقود ١/ ٢٩، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥٤، العامري. غربال الزمان و ١٢٣ ب، الوزير. جامع المتون و ١٩ أ.

[6] سندرس إمارته تفصيلا.

[7] الديبع، قرة العيون ص ٣٨٢ – ٣، بغية المستفيد ص ٦٩.

[8] إبن الأثير. الكامل ١١/ ٣٩٨، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٧٦، مجهول. قلائد الجمن ص ٩٨.

[9] ذكرنا هؤلاء النواب والمصادر التي أشارت إليهم، راجع هامش (٣) أعلاه.

[10] ورد لقبه هذا في كثير من المصادر والمراجع. أنظر: ابن الفوطي، كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد. تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج ٤ ق ١، – تح: د. مصطفى جواد، مط الهاشمية، (دمشق، ١٩٦٢م)، ص ٢٣٦ – ٧، الجندي. السلوك ج ٢، و١٧٥، ابن ايبك. كنز الدرر ٧/ ٧٥، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٧٦، الحنبلي. شفاء القلوب ص ١٩٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٣١، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٥، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٥١ – ٢، مجهول. قلائد الجمن ص ٩٨، ويرد لقبه: فخر الدين. ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٧، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٧٧، ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٣٠٩، الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج ٦، – تح: فؤاد سيد، (القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ص ٣٤، النعيمي، أبو المفاخر عبدالقادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، – تح: جعفر الحسني، مط الترقي، (دمشق، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، ص ٥٢٦.

عثمان بن علي[1] الزنجيلي[2] التكريتي[3] نائبه في عدن وأعمالها[4]، وهذا يعني أنه كان نائباً على ولحج وأبين والشحر وحضرموت وهي أعمال عدن وتوابعها، مما يدل على قـــوة شخصيته ومكانته السامية عند توران شاه، واعتماده عليه في ضبـــط تلـك المنطقـــة وإدارتها.

وقد ذكر بعض المؤرخين[5] تولي الزنجيلي على عدن وأعمالها قبل أن يغادر تـــوران شاه اليمن، وفي رواية[6] أنه تولى سنة ٥٧٠هـــ/ ١١٧٤م، وبذلك يعتبر الزنجيلـــي أول والٍ على عدن وأعمالها في العصر الأيوبي، وبخصوص حياة الزنجيلي فليس لدينا مـــا يشير إلى تفاصيلها، لذلك فإننا لا نعرف تاريخ ومكان ولادته ونشأته الأولـــى، وطبيعـــة حياته العائلية الخاصة، وكل ما نعرفه عنه انه كان من جملة الأمراء الذين قدِموا إلـــى اليمن بصحبة توران شاه[7].

أما البلد الذي ينتسب إليه الزنجيلي، فهنالك اختلافات حوله، فالزنجيلي نســـبة إلـــى زنجيلة إحدى قرى دمشق[8]، ولعله ولد ونشأ في تلك القرية، فقد سمي: عثمان الزنجيلي الشامي[9]، وذكر ابن المجاور[10] بأنه: الزنجيلي التكريتي، ولعله لقب بالتكريتي لأنه تديّـــر

---

[1] اختلف في اسمه، فيسمى: أبو عثمان عمر بن عثمان بن علي. ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٥، ويسمى: عز الدين عثمان بن عبد العزيز الزنجاري الأمير. ابن الفوطي. تلخيـــص ج ٤ ق ١/ ٢٣٦ ويسميه أيضاً: عثمان بن عبدالله المعروف بـــابن الزنجيلـــي المصـــري. نفســـه ص ٢٣٧، ويسمى: عز الدين ابن عثمان الزنجيلي. حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٥١.

[2] نسبة إلى زنجيلة قرية من قرى دمشق الشام، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٣١، ونقل ذلك عنـــه: الحـــامد. تاريخ حضرموت ص ٤٣٠، بامطرف. الشهداء السبعة ص ٢٣، فؤاد سيد (محقق). طبقـــات الجعـــدي ص ٢٠٤ هامش، ويرد مُصحّفاً فيقال: الزنجبيلي نسبة إلى قرية زنجبيلة قرب دمشق. لقمان. تاريخ عـــدن ص ٦٥، والزنجاري. ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٠، ابن الفوطي. تلخيـــص ج ٤ ق ١/ ٢٣٦، الخزرجـــي. طراز (غربية) و ١٣٠ ب، باعلوي. المشرع الـــروي و ١٥٩ أ، بـــامطرف. الشـــهداء الســـبعة ص ٢٣، سعداوي. التاريخ الحربي ص ٧٨، الحـــامد. تـــاريخ حضرمـــوت ص ٤٠٨، ٤١٠، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٥٠، ويرد: السنجاري. السمط الغالي ص ٢٠ – ٤، ويسمى: عثمان السهيلي. الجنـــدي. الســـلوك ج ١ و ١٢٧.

[3] انفرد ابن المجاور بذكر لقبه هذا. المستبصر ص ١٢٧، ١٤١.

[4] وفي رواية ان توران شاه ولي على زبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ، وعز الدين عثمان الزنجيلي علـــى باقي البلاد. ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة ٦/ ٦٩.

[5] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٧، ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٠، ابن خلدون. العبر مـــج ٥/ ٦٣٢، باوزير، سعيد عوض بن طاهر. صفحات من التاريخ الحضرمي، مـــط الســـلفية، (القـــاهرة ١٣٧٨هـــ/ ١٩٥٩م)، ص ٨١.

[6] الجعدي. طبقات الفقهاء ص ٢٠٤.

[7] الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٥، الديبع، قرة العيون ٣٨٢ – ٣، بغية المستفيد ص ٦٩، السقاف، عبدالله بـــن محمد بن حامد. تاريخ الشعراء الحضرميين، ج ١، مط حجازي، (القاهرة، ١٣٥٦هـــ/ ١٩٣٧م)، ص ٥٦، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٥، ذكر انه كان ضابطاً في جيش توران شاه.

[8] أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٣١، وقد ذكرنا ذلك في ترجمته.

[9] باوزير. صفحات ص ٨٦، السقاف. تاريخ الشعراء ١/ ٥٦.

[10] المستبصر ص ١٢٧.

مدينة تكريت في العراق واستوطنها، لذلك عرف بالزنجيلي التكريتي، مثلما عرف بالزنجيلي المصري[1]، لأنه كان من جملة الأمراء الذين رافقوا الجيش الأيوبي في فتح مصر والقضاء على الدولة الفاطمية فيها، فعرف بالمصري، لأنه تدير مصر، ووصف بأنه كان شجاعاً مقداماً، فولاه توران شاه على عدن[2].

غزوات الزنجيلي على حضرموت:

تمهيد:

ذكرنا ان الدولة الصليحية تمكنت من بسط نفوذها في كل أرجاء اليمن وذلك سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٤م، في عهد الداعي علي بن محمد الصليحي، وبذلك توحدت البلاد، وأصبحت حضرموت والشحر ضمن ممتلكات الصليحي، حيث كانت حضرموت آخر ما استولى عليه الصليحي من بلاد اليمن، بسبب بُعدها، إذ انضمت إليه سنة ٤٥٥هـ بعد استيلائه على عدن واستخلافه بني معن بها، فكانت حضرموت تحت سيطرتهم إضافة إلى الشحر وأبين ولحج، ولم يحكم الصليحيون الشحر وحضرموت حكماً مباشراً، إنما بقي بنو معن يحكمونها نيابة عنهم[3].

كان النواب المحليون على الشحر وحضرموت، في عهد الصليحيين والدول اليمنية التي أعقبتهم، يدفعون كل عام الإتاوات من الذهب والعنبر الأصلي، وكانت تلك الإتاوات تعبيراً عن ولائهم وارتباطهم بدولة اليمن التي كانت عواصمها متعددة ومتنقلة بين زبيد وتعز وصنعاء وعدن، إلا أن تلك العواصم لم تتدخل في التصرفات المطلقة لأولئك الحكام، إضافة إلى عدم محاولتها إصلاح الأوضاع القائمة في حضرموت ونواحيها.

لم تستمر قبضة الصليحي على حضرموت طويلاً، وأخذت في الضعف تدريجياً، ثم انتهت بتولي بني معن أمراء عدن، وقد مر معنا أن بني معن كانوا نواباً للصليحي ثم لولده أحمد المكرم على عدن وأعمالها، إلا أنهم حاولوا الاستقلال والانفصال بعد مقتل الصليحي، غير انهم فشلوا في مسعاهم ذلك، فقبض عليهم المكرم وأخرجهم من عدن، وولى مكانهم الأخوين العباس والمسعود ولدي المكرم، وبذلك تأسست أسرة حاكمة جديدة في عدن وأعمالها – ومنها حضرموت – هي أسرة بني المكرم الجشمي اليامي الهمداني منذ سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م تقريباً.

---

[1] ترجم له ابن الفوطي، وسماه: عز الدين عثمان بن عبدالله المعروف بابن الزنجيلي المصري الأمير. تلخيص ج٤ ق ١/ ٢٣٧، وترجم له أيضاً باسم: عز الدين عثمان بن عبدالعزيز الزنجاري الأمير، وذكر انه توجه إلى اليمن. نفس المصدر ص ٣٠٠، وهذه الترجمة تشابه الترجمة الأولى من حيث المعلومات، وهما لعثمان الزنجيلي أمير عدن هذا.

[2] ابن الفوطي. تلخيص ج٤ق١/ ٢٣٧.

[3] لقد درسنا قيام الدولة الصليحية في اليمن، واستخلاف الصليحي لبني معن على عدن وأعمالها وهي: ابين ولحج والشحر وحضرموت في الفصل الثاني، للإطلاع انظر: الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٥٣ – ٤٥٤.

وعندما ضعف حال الصليحيين انقسمت حضرموت إلى ثلاث نواح مستقلة هي: تريم وشبام والشحر[1]، فقامت في الناحية الأولى سلطنة آل قحطان، أولهم قحطان بن العسوم بن أحمد المري الحميري الحضرمي[2] ومركزهم مدينة تريم، ويسميهم الشاطري[3]: آل راشد، ويعرف دورهم السياسي في حضرموت بالدور الراشدي[4].

وفي مدينة شبام قامت سلطنة آل الدغار، أولهم الدغار بن أحمد بن أبي العلاء بن مرداس الحضرمي[5].

وقامت سلطنة آل فارس[6] التي اتخذت من مدينة الشحر مركزاً لها، وكان أول سلاطينها عبد الباقي بن فارس بن راشد بن إقبال الكندي الحضرمي[7]، وكانوا يعرفون أيضاً بآل إقبال[8].

إن هذا التقسيم السلاطيني لحضرموت عاملاً مهماً من عوامل إضعافها وإثارة القلاقل والفتن فيها، لأن أولئك الحكام الحضارمة راحوا يقتتلون فيما بينهم، فساءت أحوال حضرموت، وساد الرعية الظلم والبطش، فكانت البلاد تعيش حالة من الفوضى وعدم الاستقرار[9].

وبالإضافة إلى الاضطرابات الداخلية كانت حضرموت في صراع مستمر مع الطامعين من حكام اليمن الأقوياء، فلا تكاد تتخلص من احتلال حتى تنشب فيها أظفار احتلال آخر، ولا تهدأ فيها حرب ألا لتندلع نيران حرب أخرى، ولا تنتهي من هجوم إلاّ لتواجه هجوماً أشد منه وأنكى، فقد تعرضت في تاريخها الطويل لهجمات أمراء آل زياد واليعافرة اليمنيين، ثم كانت هدفاً لغزوات القرامطة وآل زريع والصليحيين في القرن

---

[1] الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٤، با مطرف. الشهداء السبعة ص ٢٣.

[2] قامت دولة بني قحطان في الناحية الشرقية من حضرموت ومركزها مدينة تريم، وقد بقي قحطان بن العوم واليا على تريم إلى ما بعد سنة ٤٤٠هـ، ومن أولاده أحمد وأبو الغارات محمد. الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٥، الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر. أدوار التاريخ الحضرمي، ج ١، مطابع دار الكتاب، (بيروت، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)، ص ١٦٥ – ٦.

[3] أدوار التاريخ الحضرمي ١/ ١٦٤ فما بعد.

[4] يبدأ هذا الدور من ٤٠٠ – ٧٠٠هـ تقريباً، وهو منسوب إلى السلطنة الراشدية التي أسسها آل راشد وهم أسرة من بني قحطان إحدى القبائل الحميرية، فهو المراد حين ينسبون إليه، لا إلى قحطان الأول وان كان مرجع نسبهم كعرب قحطانيين إليه، وآل راشد هؤلاء هم أبناء عمومة لبني الدغار الهذيليين سلاطين شبام وأعمالها ويلتقون معهم في النسب. الشاطري. أدوار ١/ ١٦٤، أنظر عن تفاصيل تاريخ دولة آل قحطان في تريم: الشاطري. أدوار ١/ ١٦٤ – ١٧٠، البكري. تاريخ حضرموت ١/ ٧٩ – ٨١، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٥ – ٤١٦، باوزير. صفحات ص ٨٠.

[5] يسميهم صالح الحامد: بني الدعار، وذكر تفاصيل دولتهم وحكامها. تاريخ حضرموت ص ٤١٧ – ٤٢٣، أنظر عنهم أيضاً: الشاطري. أدوار ١/ ١٧١.

[6] وتسمى: سلطنة الفارس بن اقبال ومركزها الشحر، مدينتها الاسعى. تاريخ حضرموت ص ٤٠٤.

[7] توفي عبدالباقي بن فارس بمأرب سنة ٥٤٧هـ. تاريخ حضرموت ص ٤٢٤، للتفصيل عن هذه الدولة وتاريخها. أنظر: الشاطري. أدوار ١/ ١٧١ – ٢، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٢٤ – ٧.

[8] الشاطري. أدوار ١/ ١٧١، با مطرف. الشهداء السبعة ص ٢٣.

[9] بامطرف. الشهداء السبعة ص ٢٣.

الخامس الهجري/ ١١م[١]، وكان آل راشد من الأسر الحضرمية البـــارزة التـــي شـــقت طريقها إلى الحكم في موجة الفوضى والتناحر على السلطة في البلاد[٢]، وذلك قبل دخـول الأيوبيين إلى اليمن[٣].

الغزوة الأولى سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م:

ظلت حضرموت على تلك الأوضاع حتى الفتح الأيوبي لليمن سنة ٥٦٩هـــ، ففـــي خبر[٤]، أن توران شاه فتحها سنة ٥٧١هــ، واستناب بها الأمير هارون الكردي[٥].

كانت حضرموت من توابع عدن، وقد أسندت إدراتها إلى عثمـــان الزنجيلـــي أمـــير عدن، ذكر السقاف[٦] وباوزير[٧] ان الزنجيلي لما وجد في نفسه قوة، طمع في الاســـتيلاء على حضرموت، لذلك جهز قوة كبيرة من اليمنيين ومن الأتراك الذين يقال لهم: الغــز[٨]، وسار على قيادتهم إلى حضرموت، وفي خبر[٩]، ان هذه القوة حملت في سبع سفن لـــه، أي ان تلك السفن اتجهت إلى حضرموت من عدن بطريق البحـــر، ويؤكـــد ذلـــك إبـــن حاتم[١٠]، فقد ذكر إن عثمان الزنجيلي سار إلى حضرموت من عدن على طريـق أحور[١١]، وذكر المؤرخون الحضارمة[١٢] أنه تقدم أولا إلى الشحر فاحتلها، ثم زحف بجيشـــه إلـــى

---

[١] باوزير. معالم تاريخ الجزيرة ص ٢٧٣ – ٤، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٦٤.

[٢] باوزير. صفحات من التاريخ الحضرمي ص ٨٠.

[٣] أنظر عن هذه المقدمة لتاريخ حضرموت: الشاطري. أدوار ١/ ١٦٤ – ١٧٢، بـــاوزير. صفحـــات ص ٨٠، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٣٤١ – ٣٦٤، ٤٠٣ – ٤٢٧، بامطرف. الشهداء السبعة ص ٢٢ – ٣، في سبيل الحكم، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٤م)، ص ١١.

[٤] سعداوي. التاريخ الحربي المصري ص ٧٧.

[٥] لا نعرف عن هذا القائد شيئا ولم نجد ترجمة له، ولعله أحد رجال توران شاه ومن قادة جيشـــه، كمـــا أن المصادر التي وقفنا عليها لم تذكر استيلائه على حضرموت، ولم تذكر أيضا تفاصيل استيلاء حكـــام اليمـــن عليها سواء في العصر الأيوبي أو العصور التي سبقته، مما يجعل معلوماتنا حول هـــذه المنطقـــة ضعيفـــة وقليلة وشبه مجهولة، وقد أشار السيد سعيد عوض باوزير إلى تلك الظاهرة التـــي يعـــاني منـــها التـــاريخ الحضرمي. أنظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ٧٩.

[٦] تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ٥٦.

[٧] صفحات ص٨١.

[٨] استعمل بعض المؤرخين هذا المصطلح للدلالة على كرههم وحقدهم على جيش الأيوبييـــن الـــذي دخـــل بلادهم خاصة المؤرخين الحضارمة. أنظر: يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٧، بـــاوزير. صفحـــات ص ٨١، الشاطري. أدوار ١/ ١٧٣، السقاف. تاريخ الشعراء ١/ ٥٦، وقد ذكر الأخير ان الغـــز عســـاكر مصريـــة جهزها السلطان صلاح الدين الأيوبي في معية أخيه توران شاه حين أرسله للاستيلاء علـــى اليمـــن ســـنة ٥٦٩هـــ، والغز بمعنى الغزاة.

[٩] السقاف. تاريخ الشعراء ١/ ٥٦.

[١٠] السمط الغالي ص ٢٢، وأضاف أن الزنجيلي قتل أهل الدوقتين من بلاد حضرموت واستولى عليها جميعا.

[١١] من أعمال عدن وتقع على البحر العربي، راجع عنها الفصل الأول.

[١٢] البكري. تاريخ حضرموت ١/ ٨١، الشـــاطري. أدوار ١/ ١٧٣، الســـقاف. تـــاريخ الشـــعراء ١/ ٥٦، باوزير. صفحات ص ٨١.

الداخل فاعترضته قوة عسكرية من آل راشد ومن القبائل الموالية لهم، وأسفرت المعركة عن اضطرار القوة الحضرمية إلى التقهقر، فتقدم الزنجيلي إلى تريم ومريمة وشبام واحتلها دون مقاومة شديدة.

ويحدد المؤرخون[1] تلك الحملة سنة ٥٧٥هـ[2]/ ١١٧٩م، وفي أقوال[3] كان دخول الزنجيلي إلى مدينة تريم في ٤ ذي الحجة سنة ٥٧٥هـ، ويذكر الشاطري[4] أنها كانت في عهد توران شاه، وان الأخير هو الذي أرسل قوة من الجيش بقيادة عثمان الزنجيلي للسيطرة على حضرموت وإخضاعها.

وقد لقي الزنجيلي وجيشه مقاومة من قبل الحضارمة، فقد لقيه راشد بن شجعنة[5] ومعه أبو الرشيد بن راشد بن أحمد[6] عند غيل باوزير، وأسفرت المعركة عن انكسارهما فقبض عليهما عثمان الزنجيلي.

بعد دخول الزنجيلي وجيشه مدينة تريم، قبضوا على عبدالله بن راشد[7] وأخيه أحمد وابن أخيه أبا أحمد بن شجعنة بن راشد، ونقلوا إلى عدن، وذكر يحيى[8] ان عثمان الزنجيلي قبض على أمراء حضرموت من بني شجعنة، وبعد أن أكمل الزنجيلي إخضاع حضرموت لسيطرته عاد إلى عدن، وعين أخاه الأسود أو سويداً نائباً له هناك[9]، وفي خبر[10] ان الزنجيلي أبقى آل راشد على ملكهم في حضرموت بشرط أن يدفعوا الأموال

---

[1] الجعدي. طبقات الفقهاء ص ٢٢٠ – ١، الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٥، الخزرجي. العقد الفاخر و ٢٢٥ ب، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٧، الشاطري. أدوار ١/ ١٧٣، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٨، باوزير. صفحات ص ٨١، بامطرف. الشهداء السبعة ص٢٣.

[2] وفي رواية ان الغزوة كانت سنة ٥٧٤هـ. باعلوي. المشرع و١٥٩ أ، مجهول. قلائد الجمن ص ١١٣.

[3] السقاف. تاريخ الشعراء ١/ ٥٦، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٨، ٤٣٠، ٤٤٩ (نقلا عن تاريخ شنبل)، وذكر ان دخول الغز إلى تريم كان بعد صلاة الجمعة لأربع ليال خلت من ذي الحجة من تلك السنة.

[4] أدوار ١/ ١٧٣.

[5] تولى الإمارة في تريم سنة ٥٤٧هـ، واستمرت ولايته على تريم وناحيتها ثمان وثلاثين سنة، ومن أعماله بناء مقبرة تريم سنة ٥٦٦هـ، وقارة العرجنوبي تريم. الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٨.

[6] هو ابن السلطان راشد بن أحمد صاحب شبام من آل الدغار، ولما قبض عليه الزنجيلي عاد إلى الشحر ولم يستطع الرجوع إلى مقر حكمه في شبام، فتوفي بظفار سنة ٥٩٠هـ. الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٨، ٤١٠، ٤٢٠، ٤٥١، باوزير. صفحات ص ٨١.

[7] ولد بتريم سنة ٥٥٣هـ، وكان من سلاطين بني راشد المشهورين بالعلم والفقه والعدل، وقد سمي وادي حضرموت بوادي ابن راشد على اسمه، تولي السلطنة بتريم سنة ٥٩٣هـ بعد مقتل أخيه السلطان شجعنة بن راشد، وطرده عمر بن مهدي سنة ٦١٦هـ عن تريم، ثم قتل في تلك السنة. باوزير. صفحات ص ٨٠، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤١١ – ٥، ٤٥٨، الشاطري. أدوار ١/ ١٦٧ – ٨، ٢٠٧ – ٢١٠، بامطرف. الشهداء السبعة ص ٩٦ هامش.

[8] غاية الأماني ص ٣٢٧.

[9] ذكر البكري أن الزنجيلي جعل عمر بن مهدي واليا على حضرموت من قبله. تاريخ حضرموت ١/ ٨١، وذكر يحيى أن الزنجيلي عاد إلى عدن بعد أن عين عليها عاملا من عنده (لم يذكر اسمه). غاية الأماني ص ٣٢٧.

[10] الشاطري. أدوار ١/ ١٧٣، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٤٠.

السنوية إليه وينفذوا أوامره، وكانت هذه الحملة الأولى للزنجيلي على حضرموت سنة ٥٧٥هـ[١]/ ١١٧٩م، وفي خبر[٢] ان استيلاء الزنجيلي على حضرموت لأول مرة كان سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، وقبض فيها على عبدالله بن راشد وجماعة من أمراء حضرموت، ونعتقد ان تلك الحكاية غير صحيحة، وهي تعني ان تلك الحملة قد تمت في السنة الأولى من حكم الزنجيلي على عدن وربما قبل مغادرة توران شاه لليمن، ولم يرد ما يدعمها في المصادر الأولية، مما يجعلنا نتردد في قبولها.

نتائج غزوة الزنجيلي الأولى:

كان من نتائج غزوة الزنجيلي الأولى على حضرموت سنة ٥٧٥هـ، القضاء على السلطنات الثلاث فيها، والتي تمركزت في تريم وشبام والشحر،[٣] وقد وضعت الغزوة حداً لانقسام حضرموت، وأعادت توحيدها[٤].

وينفرد السقاف[٥] بذكر استيلاء الغز – وهم جيش الزنجيلي – على الجانب الجنوبي لمدينة تريم فقط، في حين بقي الجانب الشمالي منها تحت سيطرة القبائل القحطانية التي بقيت في منازلها، فاستمرت المناوشات الحربية بين الجانبين، وأصبحت تلك المدينة مركزا للفوضى والاضطراب المستمرين، ونعتقد أن ذلك كان في الأيام الأولى لدخول الجيش الأيوبي إلى مدينة تريم، ثم أكمل سيطرته عليها ونشر الأمن والاستقرار فيها بعدئذ.

ذكر المؤرخون[٦] ان عثمان الزنجيلي اخضع حضرموت لسلطته بعد مقاومة شديدة من قبل سكانها، فقام في تلك الغزوة بقتل عدد كبير من الفقهاء والعلماء خاصة في مدينة تريم، بتهمة تحريضهم لآل راشد على مقاومة وجود الجيش الأيوبي في بلادهم، وقد انعكس عمل الزنجيلي هذا في مؤلفات مؤرخي اليمن القدامى والمحدثين خاصة الحضارمة منهم، فأعربوا عن سخطهم وحقدهم على الزنجيلي، ووصفوه بأوصاف تنم

---

[١] أنظر عن هذه الحملة: يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٧، باعلوي. المشرع الروي و ١٥٩ أ، الشاطري. أدوار ١/ ١٧٣، السقاف. تاريخ الشعراء ١/ ٥٦ وهامشها، باوزير. صفحات ص ٨١، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٨، ٤٣٠، بامطرف. الشهداء السبعة ص ٢٣، مجهول. قلائد الجمن ص ١١٣.

[٢] العبدلي. هدية الزمن ص ٧٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٨، معارك حاسمة ص ٨٤.

[٣] ذكر الحامد أن عثمان الزنجيلي استولى على حضرموت سنة ٥٧٥هـ، وأزال آل فارس فيمن أزالهم من ملوكها. تاريخ حضرموت ص ٤٢٥.

[٤] بامطرف. الشهداء السبعة ص ٢٣.

[٥] تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ٥٦ وهامشها.

[٦] الجعدي. طبقات الفقهاء ص ٢٢٠ – ١، الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٥، الخزرجي. العقد الفاخر و ٨٨ ب، ٢٢٥ ب، الشاطري. أدوار ١/ ١٧٣، باوزير. صفحات ص ٨١، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٣١، مجهول. قلائد الجمن ص ١١٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٧، معارك حاسمة ص ٨٣.

عن مشاعرهم ومواقفهم منه، واعتبروه من الذين سعوا في الأرض فساداً[1]، ووصفه الحامد[2] بأنه كان رجلاً قاسياً سفاكاً للدماء، وطبيعي ان مثل تلك الأحكام والمواقف تمثل وجهة نظر سكان البلاد نحو قوة خارجية غازية. وإلى جانب القسوة تُذكر للزنجيلي الأعمال الخيرية والعمرانية ذات النفع العام للسكان والتي قام بها أثناء مدة إمارته في عدن، فقد ذكر المؤرخون[3] بأنه أوقف الأوقاف في عدن ومكة ودمشق من الدكاكين والمدارس إضافة إلى المسجد الذي بناه على الخان بعدن والمعروف بمسجد الزنجيلي[4].

قد يكون من المناسب أن نورد رأي الجندي عن الزنجيلي، إذ يقول[5]: "ولقد كنت لما قدمت عدن ورأيت ما وقفه هذا الأمير الزنجيلي على الحرم والمسجد الذي بناه على الخان بعدن استعظمت أمره واستكثرة[كذا] خيره حتى رأيت ما ذكره بن[6] سمرة من قتله للفقهاء والقراء فصغر وحقر ما فعله من خير في جنب ما فعله من شر[7]، "وقال أيضاً[8]: "فظاهر أفعاله الفسق الشنيع وأمرُ آخرته إلى الله عز وجل". ولا شك أن ما ذكره الجندي يمثل رأي واحد من مؤرخي اليمن المعروفين، وفي قوله تعبير عن السخط والحقد على الزنجيلي، ويوضح أيضاً بأن ما بذله الزنجيلي على الأعمال الخيرية لا قيمة له، بسبب قتله الفقهاء والقراء وأمراء البلاد، وإذلال الناس.

الغزوة الثانية سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م:

لم يستمر الاتفاق الذي تم بين الأمير عثمان الزنجيلي وسلاطين حضرموت طويلاً، لإنهاء حالة الحرب هنالك، بعد تعيين أخي الزنجيلي نائباً له بحضرموت وعودة الزنجيلي إلى عدن، ونعلل ذلك بسبب شعورهم بعدم الاستقلال وإنهم يحكمون من قبل أناس غرباء عنهم، بالإضافة إلى أن روح الاستقلال التي كانوا يحملونها – منذ القدم وحتى الآن – قد فقدت بنظرهم، بسبب تلك السيطرة الأجنبية.

---

[1] أنظر: الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٦ أ، الخزرجي. كفاية و ٧٧ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٩ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٤، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٣١، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٨، ٤٣٠، لقمان. تاريخ عدن ص٦٧.

[2] تاريخ حضرموت ص ٤٣٠.

[3] تراجع مصادر ترجمته والمصادر المذكورة آنفاً.

[4] أنظر عنه: الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٥، ج ٣ و ٦٠ أ، ١١٦ أ، الخزرجي. طراز (متحف) و ٢٣٦ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٦٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٧، ٢٦٧، وقام الزنجيلي ببناء قرية اللخبه المسماة اليوم: بير أحمد. راجع الفصل الأول.

[5] السلوك ج ٢ و ١٧٥.

[6] كذا، وهو الجعدي مؤلف كتاب: طبقات فقهاء اليمن.

[7] أنظر ذلك النص مع بعض الاختلافات: أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٣٢، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٧.

[8] السلوك ج٢ و ١٧٦.

كانت تلك العوامل مجالاً ومتنفساً للحضارمة بأن يعبروا عن عدم خضوعهم ورضاهم على طبيعة ونوع الحكم الذي وجد بين ظهرانيهم، فذكر المؤرخون[1] أن آل راشد اظهروا الاستقلال وخلعوا الطاعة، لأن ذلك الحكم لم يرق لهم، وحدد الحامد[2] شهر محرم من سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م بداية لانتفاضة أهل حضرموت على الغز، فلما عرف الزنجيلي بذلك، جهز قوة أخرى قوة لإخضاعهم، قيل أن قيادتها أسندت إلى سويد (ويسمى الأسود) أخي الزنجيلي على ما ذكره الحامد[3]، وقد تمكن هذا من دخول مدينة تريم، وألقى القبض على السلطان راشد بن شجعنة وابنه شجعنة[4] وساقوهما أسيرين إلى عدن[5]، وقام سويد بقتل علماء وفقهاء تريم متهماً إياهم بتحريض آل راشد على الثورة، وهذا ما حدا ببعض المؤرخين الحضارمة[6] أن يذكروا مقتل علماء وفقهاء تريم في هذه الغزوة من قبل جيش الزنجيلي وذلك في سنة ٥٧٦هـ. وبرغم فشل محاولة الاستقلال هذه، إلاّ أنها تعد عاملاً من عوامل الاستمرار في المطالبة بالاستقلال ورفض الوجود الأجنبي.

ذكر البكري[7] ان عثمان الزنجيلي عاد إلى عدن وجعل آل راشد نواباً عنه في حضرموت يبعثون إليه الأموال السنوية، وذلك بعد حملته سنة ٥٧٦هـ، ونعتقد أن تداخلاً وتشابهها قد اتضح في خلط المؤرخين بين غزوتي الزنجيلي المتتاليتين سنة ٥٧٥هـ و٥٧٦هـ، إذ أن هذا الاتفاق قد أبرم بعد الغزوة الأولى، وإذا ما تم هذا الاتفاق مرة ثانية بعد غزوة سنة ٥٧٦هـ، فإنه يدل دلالة واضحة على مرونة عثمان الزنجيلي وإدراكه حتمية الفشل الذي ينتظره في تثبيت سلطته في حضرموت، إذا ما استمر في اتباع سياسة القوة ضد الحضارمة، لتحقيق ذلك الهدف.

وفي تلك السنة (٥٧٦هـ) عاد السلطان راشد بن شجعنة وابنه شجعنة من أسرهم في عدن، وعاد معهما أبو الرشيد بن راشد صاحب شبام وعبدالله بن راشد أخي

---

[1] يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٧، الكبسي. اللطائف السنية و ٣٠ ب، العيدلي. هدية الزمن ص ٧٤، الشاطري. أدوار ١/ ١٧٥، البكري. تاريخ حضرموت ١/ ٨١، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٣١، باوزير. صفحات ص ٨١، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٨.

[2] تاريخ حضرموت ص ٤٥٠.

[3] نفسه ص ٤٣١.

[4] ذكر الحامد أخباراً مرتبكة تشير إلى عودة راشد بن شجعنة وأبو الرشيد وشجعنة بن راشد في سنة ٥٧٦هـ بعسكر من الغز إلى الاسعى، ثم دخلوا تريم مع سويد أخي عثمان الزنجيلي في شهر ربيع الآخر منها، حيث قتلوا جماعة من أهلها، وقبض سويد على راشد بن شجعنة وابنه شجعنة وحملوهما إلى عدن ثانية. تاريخ حضرموت ص ٤٠٨، ٤٥٠.

[5] ذكر الشاطري انه تم أسر السلطان عبدالله بن راشد وأخيه أحمد. أدوار ١/ ١٧٥، ونعتقد أن ذلك كان في الغزوة الأولى سنة ٥٧٥هـ.

[6] الشاطري. أدوار ١/ ١٧٥ – ٦، باوزير. صفحات ص ٨١ – ٢، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٣١، ٤٥٠.

[7] تاريخ حضرموت ١/ ٨١.

شجعنة[1]، وذلك بعد انتهاء غزوة الزنجيلي الثانية، ونميل إلى الاعتقاد بأن الأوضاع السياسية في عدن خاصة واليمن عامة كان لها دور في اتخاذ تلك الخطوة، لتخفيف حدة التوتر بين الحضارمة والزنجيلي، خاصة بعد وفاة السلطان توران شاه في الإسكندرية في تلك السنة، فترك عثمان الزنجيلي ميدان القتال والمشكلات في حضرموت وعاد إلى عدن، ليواجه مشكلات أخرى مع نواب اليمن الذين عينهم السلطان توران شاه[2].

استقلال حضرموت سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م:

لم يستقر جيش الزنجيلي في حضرموت طويلاً، بعد غزوته الثانية سنة ٥٧٦هـ، إذ وقعت هنالك انتفاضة في شهر شوال من تلك السنة[3]، فقد تجمعت العرب وقاتلوا الغز (جيش الأيوبيين) وهزموهم، وقد ثارت روح الحمية العربية متمثلة بصاحب شبام وقتذاك عبدالباقي بن أحمد بن راشد الدغار[4] الذي نهض لإنقاذ تريم من أيدي الغز، فدخلها وحاصرهم فيها، وفي تلك الأثناء خرج من عدن السلطان شجعنة بن راشد وأخوه عبدالله. وذكر الحامد[5] إنهما اجتمعا في جبل كحلان[6] بعد عودتهما من عدن يوم السبت ٢١ محرم سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م، ودخل عبدالله تريماً يوم الأحد ٢٢ محرم، ثم دخلها أخوه شجعنة يوم الاثنين ٢٣ محرم، وملك شجعنة تريماً في ذلك العام، وهذا يعني أن حكمها عاد إلى آل قحطان وكذلك عاد راشد بن شجعنة من أسره في عدن ووصل تريم في شهر رجب سنة ٥٧٧هـ[7].

ونفهم من التعاون والتآزر بين آل قحطان في تريم وآل الدغار في شبام قوة العصبية القبلية والشعور بالمصير المشترك بين هؤلاء الأمراء وقوفاً ضد الغزاة، وكانت الحمية قد أثارت مشاعر الأمير عبدالباقي بن أحمد الدغار أمير شبام لمساندة انتفاضة أهل تريم ضد الزنجيلي وجيشه، هذا بالإضافة إلى صلة القربى بينهما، فقد ذكر الشاطري[8] أن آل راشد هم أبناء عمومة لبني الدغار الهذليين سلاطين شبام وأعمالها، ويرتبطون معهم برابطة النسب.

ولا توضح لنا المصادر كيفية عودة السلطان شجعنة بن راشد وأخيه عبدالله من عدن إلى تريم، ولعل ذلك تم بعد محاصرة أمير شبام عبدالباقي بن أحمد للجيش

---

[1] أنظر: الشاطري. أدوار ١/ ١٧٥، باوزير. صفحات ص ٨٢، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٢١، وذكر خروج شجعنة بن راشد وأخيه عبدالله من عدن سنة ٥٧٦هـ. نفسه ص ٤٥٠.

[2] سندرس علاقات الزنجيلي وصراعه مع أمراء اليمن.

[3] حددها الحامد. أنظر: تاريخ حضرموت ص ٤٣١، ٤٥٠.

[4] السلطان عبدالباقي بن أحمد بن راشد بن أحمد بن الدغار، ويظهرانه تولى بعد القبض على عمه أبي الرشيد بن راشد وإقصائه عن وطنه. الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٢٠ – ١.

[5] تاريخ حضرموت ص ٤٠٩، ٤٥٠.

[6] جبل قرب تريم في جنوبها، تلتقي عنده مياه عدم وسر، وهما واديان في حضرموت الداخل. باوزير صفحات ص ٨٢، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٩، ٤٥٠.

[7] أنظر: الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٩، ٤٢١، ٤٣١ – ٢، ٤٥٠، باوزير. صفحات. ص ٨٢.

[8] أدوار التاريخ الحضرمي ١/ ١٦٤.

الأيوبي، وإجباره على عودة الأخوين من الأسر في عدن، وبذلك عاد حكم آل قحطان إلى تريم بتولي شجعنة ذلك، ونستدل من عودتهما على تعلق الناس بهما واشتداد مشاعر الاستقلال ورفض الخضوع للتبعية الأجنبية في بلادهم، مما يؤكد قوة الروابط والصلات القبلية التي كانت تعم المجتمع الحضرمي وقتذاك، وكان لتعاون آل قحطان وآل الدغار دور كبير في عودة حكم هاتين القبيلتين إلى كل من تريم وشبام.

كان من نتائج استقلال آل قحطان وعودة حكمهم إلى تريم، أن تشجع ملوك الشحر آل فارس بن إقبال على الاستقلال أيضاً[1]، فعاد ملكهم ولعله محمد بن فارس[2]، فملك الشحر سنة ٥٧٧هـ، وبذلك ضعف شأن الغز في بلاد حضرموت، وذكر بامطرف[3] أن انتفاضة الحضارمة سنة ٥٧٦هـ كانت ذا تأثير مهم وفعال في عودة حكم آل قحطان على تريم وآل الدغار على شبام وآل فارس على الشحر، وهذا يعني عودة حضرموت إلى سابق تقسيمها القبلي إلى ثلاث إمارات مستقلة.

أما موقف الزنجيلي من استقلال حضرموت، فلم يكن واضحاً، سوى أخباراً[4]، ذكرت بأنه أرسل جيشاً لمحاربة آل راشد حين أظهروا الاستقلال، ولعل ذلك كان في بدء محاولة استقلالهم في انتفاضة شهر شوال سنة ٥٧٦هـ، ونفهم مما ذكره بعض المؤرخين الحضارمة[5] أن بقية أجزاء حضرموت ظلت تعاني من الاحتلال، وكانت هدفاً للغزو بين حين وأخر، إذ وقعت عدة انتفاضات في أجزاء متعددة، لكنها كانت تجابه بقوة وعنف، واستمر الحال هكذا حتى دخول القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي).

الزنجيلي وأمير زبيد:

استمر نواب توران شاه في اليمن بإرسال الأموال السنوية إليه، وهو مقيم في الشام، وكان كل منهم مسؤولاً عن إدارة شؤون ولايته وتدبير أمورها، لكن ذلك لم يستمر طويلاً، فقد وقع خلاف بين هؤلاء النواب ونائب زبيد خطاب بن منقذ، لذلك تكون حلف ضم الزنجيلي وياقوت التعزي ومظفر الدين قايماز. وسار هؤلاء المتحالفون الثلاثة إلى زبيد وحاصروها أياماً، لكن خطاب ومن معه دبروا حيلة في الهرب، وتمكنوا ليلاً من فتح باب على طريق تجمع جيوش الحلفاء، مخترقين تلك الباب، بعد أن كبدوهم خسائر في الأرواح، كما انهم سلبوا وغنموا غنائم كثيرة، وعرفت تلك الباب بـ: باب النصر[6].

---

[1] الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٠٩، ٤٥٠.

[2] نفسه ص ٤٢٥، وذكر أن فارس تشجع فملك بلاده الشحر، ص ٤٣٢.

[3] الشهداء السبعة ص ٢٣.

[4] البكري. تاريخ حضرموت ١/ ٨١.

[5] الشاطري. أدوار ١/ ١٧٦، باوزير. صفحات ص ٨٢، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٣٢، بامطرف. الشهداء السبعة ص ٢٣ – ٤.

[6] ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٢٢.

لا توضح هذه الرواية السنة التي وقعت فيها محاولة الأمراء المتحالفين غزو مدينة زبيد، والتي باءت بالفشل، غير أنها تكشف لنا عن المحاولة الأولى لتحقيق ذلك الهدف، وهنا تكمن أهميتها، لأنها جاءت منفردة بحوادثها.

وذكر المؤرخون[1] رواية أخرى تخالف الرواية السابقة، ذلك ان توران شاه غادر اليمن وترك النواب فيه، فكان كل واحد منهم يدبر أمور جهته، وبسبب الخلاف بين الزنجيلي أمير عدن وخطاب أمير زبيد[2]، ولعدم قدرة الزنجيلي على غزو زبيد وطرد خطاب منها، بالإضافة إلى عدم استقرار الأوضاع الداخلية في اليمن، فقد أرسل السلطان صلاح الدين أميراً يقال له خطلبا[3]، لحرب خطاب أمير زبيد، فوصل خطلبا إلى عدن عن طريق البحر، فاستقبله أميرها عثمان الزنجيلي، وسار معه إلى تعز والجند، واجتمع به ياقوت التعزي ومظفر الدين قايماز، وقصدوا زبيد لحرب أميرها خطاب وإخراجه عنها، فلما عرف خطاب بمسيرهم إليه، ترك زبيد هارباً، التجأ إلى حصن قوارير[4]، فدخل خطلبا زبيد وملكها.

بعد دخول خطلبا زبيد، عاد النواب الثلاثة كل إلى جهته، إلا أن الأمور سرعان ما تغيرت لصالح خطاب، فقامت مراسلة بينه وبين خطلبا انتهت إلى علاقة ومودة بينهما، ولم يستطب خطلبا الإقامة بزبيد، فقد اشتد عليه المرض وأشرف على الموت، فراسل خطاباً طالباً منه العودة إلى زبيد وتسليمها، وفعلاً عاد خطاب إلى زبيد سراً في الليل، فدخلها وبرز للناس بعد ذلك. وتجدر الإشارة إلى اختلاف المؤرخين حول تحديد السنة التي وقع فيها الخلاف بين خطاب والنواب المتحالفين، فذكر بعضهم[5] دخول خطلبا إلى زبيد وتملكها سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م، وهذا يدل على أنه وصلها قبل وفاة توران شاه.

إننا نعتقد ان تحديد وصول خطلبا إلى زبيد، في تلك السنة، غير دقيق، لأن معظم المشكلات القائمة بين نواب توران شاه في اليمن، قد بدأت وازدادت كما ذكر

---

[1] ابن الأثير. الكامل ١١/ ٤٧٢، ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٢ – ٣، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٥ ب – ١١٦ أ، ابن ايبك، كنز الدرر ٧/ ٧٠، أبن عبدالمجيد. بهجة الزمن. ص ٧٧، ابن خلدون. العبر مج ٥/ ٦٤٨ – ٩، الخزرجي. العقد الفاخر و ٨٨ أ – ب، كفاية و ٧٧ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٩ أ، المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٧٥ – ٦، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٦، بغية المستفيد ص ٧٣ – ٤، سعداوي. التاريخ الحربي ص ١٣١، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٥١ – ٢.

[2] لم توضح المصادر أسباب ذلك الخلاف.

[3] من قادة جيش السلطان صلاح الدين الأيوبي، اختلفت المصادر في اسمه وكنيته، فسمي: فارس الدين خطلبا. بهجة الزمن ص ٧٧، ويسمى:صارم الدين قطلغ ابة. العبر مج ٥/ ٦٤٩، ويسمى: سيف الدين خلطبيا. كفاية و ٧٧ ب، وهذا تصحيف. وسمي أيضا: قتلغ أبه. الكامل ١١/ ٤٧٢، العبر مج ٥/ ٦٤٩، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٥١.

[4] يقول الحموي: "كأنه جمع قارورة: من حصون زبيد باليمن". معجم البلدان ٤/ ٤١١.

[5] ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٣، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٧٧، الخزرجي. كفاية و ٧٧ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٦، بغية المستفيد ص ٧٣، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٧٥.

المؤرخون[1] بعد وفاته سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م، وكان من أهم مظاهرها ان النواب – في اليمن – استقلوا كل في جهته، وقطعوا إرسال الأموال السنوية التي كانوا يبعثونها إليه حين كان في الشام أو في مصر، ويرجع سبب ذلك إلى عدم وصول المسؤولين الأيوبيين إلى اليمن، لتفقد أحوالها والإطلاع على مشكلاتها، فادعى كل من هؤلاء النواب الملك لنفسه، وذكر اسمه على المنابر[2]، وهذا يعكس لنا ظاهرة انحلال النظام السياسي في اليمن، وميل النواب إلى الاستقلال وتجزئة البلاد والعودة بها إلى سابق عهودها من التفكك السياسي والحروب المستمرة.

مما سبق نرجح ان إرسال خطلبا إلى اليمن لحرب خطاب بن منقذ ومساندة عثمان الزنجيلي، كان بعد وفاة توران شاه سنة ٥٧٦هـ، وهنا لابد لنا من الإشارة إلى ناحية مهمة، هي أن توران شاه بعد احتلاله اليمن أصبحت إقطاعاً[3] له، لهذا كانت الأموال ترسل منها بواسطة النواب إليه وهو في الشام، فلما توفي عادت اليمن إلى رئيس الدولة الأيوبية السلطان صلاح الدين، الذي تدخل شخصياً لوضع حد للفوضى وعدم الاستقرار، الذي سببه تناحر هؤلاء النواب فيما بينهم، ومحاولتهم الاستقلال كل في جهته.

وندعم رأينا هذا مما ذكره بعض المؤرخين[4] من أن السلطان صلاح الدين بعث خطلبا للقضاء على خطاب أمير زبيد والسيطرة على ممتلكاته، سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م، ويبدو أن الزنجيلي قام بمحاولة حرب خطاب منذ سنة ٥٧٦هـ، في نفس السنة التي توفي فيها توران شاه أو بعد وفاته، فلم يستطع الظفر به؛ لأنه كان يلتجأ إلى حصن قوارير، واستمر الحال هكذا حتى سنة ٥٧٧هـ[5]، إذ أرسل صلاح الدين خطلبا إلى اليمن. ونرجح انه أرسل في أواخرها[6]، فقد ذكر الحجوري[7] ان خطلبا أرسل من مصر ووصل إلى اليمن يوم الاثنين من شهر محرم سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م.

---

[1] كانت وفاة توران شاه بالإسكندرية سنة ٥٧٦، أنظر: ابن الاثير. الكامل ١١/ ٤٦٨، روضة الحجوري و ٢٤٦ أ، الخزرجي. طراز (متحف) و ٢١٦ ب، العسجد المسبوك ج ٢ و ٩١ أ، كفاية و ٧٦ ب، العقود ١/ ٢٩، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٨ ب، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥٥، العامري. غربال الزمان و ١٢٣ ب، الديبع. بغية المستفيد ص ٧٠، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٣٨، الكبسي. اللطائف السنية و ٣٠ ب، العبدلي. هدية الزمن ص ٧٣، البكري. تاريخ حضرموت ١/ ٨١، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٤٠، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٥١، وقيل ان وفاته سنة ٥٧٤هـ. الديبع. قرة العيون ص ٣٨٣ – ٤، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٧٥، وهذا خطأ.

[2] أنظر بالإضافة إلى المصادر اعلاه: الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٥ ب، أبو مخرمة . ثغر عدن ٢/ ١٣١، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٧.

[3] كانت مدينة قوص في مصر إقطاعاً لتوران شاه، وكان دخلها مائة الف دينار سنويا. الحنبلي. شفاء القلوب ص ٥١.

[4] ابن الأثير. الكامل ١١/ ٤٧٢، ابن أيبك. كنز الدرر ٧/ ٧٠، المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٧٥ – ٦، سعداوي. التاريخ الحربي ص ١٣١.

[5] ذكر الأهدل أن حرب الزنجيلي لخطاب كانت بعد وفاة خطلبا سنة ٥٧٦هـ، لكنه لم يستطع دخول زبيد، لتحصن خطاب في حصن قوارير. الجوهر الفريد و ٢٧٩ أ، ونعتقد إن ذلك خطأ، والصواب ان الحرب تمت بعد وفاة توران شاه سنة ٥٧٦هـ لا وفاة خطلبا.

[6] ذكر العقيلي وفاة خطلبا أثناء حصاره زبيد سنة ٥٧٧هـ، المخلاف ج ١ ق ١/ ١٧٥.

[7] الروضة و ٢٤٦ ب.

ويوضح إبن الأثير[1] أن الدافع الذي دفع السلطان صلاح الدين إلى إرسال خطلبا إلى اليمن هو خوفه من طمع أهلها، بسبب الاختلاف بين أصحابه فيخرجونهم منها، وهذا يؤكد لنا تدهور أحوال اليمن الداخلية بعد وفاة توران شاه، فتدخل صلاح الدين لإيقاف محاولة نواب اليمن الاستقلال والانفصال عن الدولة الأيوبية.

الزنجيلي وقايماز:

ذكرنا ان النواب في اليمن استهوتهم الرغبة في الاستقلال والانفصال كل في جهته، واتضح ذلك بمظاهر عبرت عن رغبتهم تلك، بعد وفاة توران شاه، وذكر المؤرخون[2] ان النواب استمروا على هذا الحال مدة يسيرة، فكان كل منهم مستقلاً في جهته حافظاً لها، إلا مظفر الدين قايماز، فقد كان ضعيفاً لم يستطع الضبط والسيطرة على ما عهد إليه من مخلاف جعفر وذي جبلة والجند والتعكر[3]، فلما عرف عثمان الزنجيلي بضعفه، جهز حملة استولى فيها على بلاده.

يروي الخزرجي[4] أن الزنجيلي استولى على الجند[5]، وبقي فيها ثمانية أيام، ثم اتجه إلى المخلاف (مخلاف جعفر) وتسلمه سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، ويوضح الأهدل[6] إن الزنجيلي استولى أيضاً على حصن التعكر[7]، وأسر قايماز حتى مجيئ السلطان طغتكين بن أيوب إلى اليمن[8]، وهذا يعني ان الزنجيلي، في الأيام الأخيرة من إمارته على عدن، استولى على أجزاء واسعة من ممتلكات قايماز وضمها إلى أملاكه.

ويبدو أن الزنجيلي عين أخاه عمر بن علي أميراً على حصن التعكر، بعد سيطرته عليه، ذكر الجندي[9] والخزرجي[10] أن السلطان طغتكين بعث حملة إلى ذلك الحصن تمثلت في استعادته من عمر بن علي أخي عثمان الزنجيلي.

---

[1] الكامل ١١/ ٤٧٢.

[2] الجندي، السلوك ج ٣ و ١١٥ ب، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٧٧، الخزرجي. العقد الفاخر و ٨٨ أ، كفاية و ٧٦ ب – ٧٧ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٨ ب، الديبع. قرة ص ٣٨٤، بغية المستفيد ص ٧٣، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٧، الكبسي. اللطائف و ٣٠ ب، العبدلي. هدية الزمن ص ٧٤، البكري. تاريخ حضرموت ١/ ٨١، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٨.

[3] وقيل كان ياقوت التعزي على التعكر وتعز وأعمالها، وقايماز على ذي جبلة وأعمالها. الديبع. قرة ص ٣٨٣، الشماحي. اليمن ص ١٢٤.

[4] كفاية و ٧٧ أ.

[5] وقيل ان الزنجيلي استولى على الجند. وكانت من نصيب ياقوت التعزي. ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٣، وهذا خطأ إذ أن الجند كانت من عمل قايماز. الخزرجي. العقد الفاخر و ٨٨ أ، راجع ما ذكرناه عن عمل كل نائب في اليمن بعد مغادرة توران شاه له.

[6] الجوهر الفريد و ٢٧٨ ب.

[7] ذكر الخزرجي أن الزنجيلي طلع المخلاف فتسلم حصن التعكر سنة ٥٧٨هـ. العقد الفاخر و ٨٨ أ.

[8] سندرس هذا الموضوع بالتفصيل.

[9] السلوك ج ٣ و ١١٧ ب.

[10] طراز (غربية) و ١٣٠ ب، كفاية و ٧٨ أ.

أما علاقة الزنجيلي بخطاب بن منقذ أمير زبيد، فقد بقيت عدائية، فكان خطاب على حذر ويقظة شديدين منه، وبقي الحال هكذا حتى مجيئ السلطان طغتكين إلى اليمن، الذي حسم ذلك الصراع الطويل والمرير بينهما.

والخلاصة ان تمرد نواب الأيوبيين في اليمن يعود إلى عوامل عديدة، منها: وفاة السلطان توران شاه، فشعروا وكأن ارتباطهم بالدولة الأيوبية قد انتهى، ذلك لأنه هو الذي عينهم نواباً من قِبلهِ، وتأصلت تلك الفكرة، بسبب عدم إرسال الأيوبيين من يتفقد أحوال اليمن بعد مغادرة توران شاه لها ثم وفاته، إضافة إلى غرور هؤلاء النواب وطمعهم في الاستحواذ على المناطق الخاضعة لسيطرتهم وجباية الأموال الطائلة منها لتحقيق مآربهم الخاصة، وبصفتهم رجال حرب لا رجال إدارة ودولة؛ طمعوا في الاستقلال والانفصال كل في جهته، فخطب لهم على المنابر، وتشبهوا بالخلفاء والسلاطين، مما أثار روح الحسد والمنافسة فيما بينهم، وتطورت إلى إثارة مشكلات وحروب، سببت الويلات والكوارث في البلاد بسبب ما نجم عن تلك الحروب من خراب ودمار وقتل ونهب، مما أدى إلى تفكك البلاد داخلياً وانقسامها وضعفها.

وصول السلطان طغتكين إلى اليمن:

استمر الصراع بين عثمان الزنجيلي أمير عدن وخطاب بن منقذ أمير زبيد دون أن يحسم، سيما وان الأمير خطلبا الذي أرسله السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى اليمن للقضاء على خطاب، لم يحقق غرضه ذلك، بل انه سلم زبيد إلى خطاب قبل وفاته، مما زاد في تدهور الأوضاع السياسية وعدم الاستقرار في اليمن، وقد أدرك السلطان صلاح الدين خطورة تلك الأوضاع، فأرسل أخاه سيف الإسلام طغتكين[1] لوضع حد لتلك المشكلات.

وقد أوضح المؤرخون الأسباب والظروف التي دعت السلطان صلاح الدين لإرسال أخيه طغتكين إلى اليمن، ففي رواية[2] أن عثمان الزنجيلي كتب إلى السلطان صلاح الدين يذكر له قوة خطاب بن منقذ، ويطلب منه إرسال رجل من مقربيه يضع حداً للاضطراب والفتن، وذكر المؤرخون[3] ان السلطان صلاح الدين أرسل أخاه طغتكين إلى اليمن،

---

[1] سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخي صلاح الدين، كان ينعت بالملك العزيز ويلقب بظهير الدين، وهو أول من تسمى بسيف الإسلام، وقد استولى على أكثر بلاد اليمن، وكان محمود السيرة مع ظلم وتعسف، قدم إليه الشاعر ابن عنين ومدحه بقصيدة مشهورة، ومن أعماله اختطاط مدينة المنصورة التي توفي فيها سنة ٥٩٣هـ. أنظر ترجمته: الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٠ أ، ابن أبي عذيبة، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المقدسي. إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، خ مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب، جامعة بغداد رقم (٢٤٨)، ورقة ٦٦ – ٧، ٦٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٠١ – ٤، الجرافي. المقتطف ص ٧٥.

[2] إبن الأثير. الكامل ١١/ ٤٨٠، ابن الفوطي. تلخيص ج ٤ ق ١/ ٢٣٧، إبن خلدون. العبر مج ٥/ ٦٤٩، مجهول. قلائد الجمن ص ١٠٥.

[3] ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد. رحلة ابن جبير المسماه: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، منشورات دار التراث، (بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص ١١٠، ابن الأثير. الكامل ١١/ ٤٨٠، ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٣٠٩، الخزرجي. العقود اللؤلؤية ١/ ٢٩، الوزير. جامع المتون و ١٩ ب، مجهول، قلائد الجمن ص ١٠٥، سعداوي. التاريخ الحربي ص ١٣٥، لقمان. معارك حاسمة ص ٨٤.

لاختلاف النواب فيها ووضع حد للفتن والفوضى هنالك، خاصة بعد وفاة تـوران شـاه، واختلاف نائبيه عثمان الزنجيلي أمير عدن وخطاب بن منقذ أمير زبيد[1].

ويروي ابن الوردي[2] بأن السلطان صلاح الدين سيّر أخاه طغتكين إلى اليمن، بسبب عودة عثمان الزنجيلي وخطاب بن منقذ إلى ولايتيهما، وذلك بعد وفاة نائب صلاح الدين (ويقصد به خطلبا) الذي عزلهما، ويتضح لنا مما ذكره المؤرخون ان السبب الرئيسي لإرسال طغتكين إلى اليمن هو تدهور الأوضاع السياسية فيها، بسبب اختلاف نواب توران شاه فيما بينهم وإثارة المشكلات والحروب التي أدت إلى تدهور أوضاع البلاد السياسية وانتشار الفوضى وعدم الاستقرار، فقرر السلطان صلاح الدين وضع حد لتلك الأوضاع المتردية بإرسال أخيه السلطان طغتكين.

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي أرسل فيها السلطان صلاح الدين أخاه طغتكين إلى اليمن، كما اختلفوا في تحديد السنة التي وصل فيها، فقد ذكر بعض المؤرخين[3] انه قدم إلى اليمن سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م، ونعتقد ان ذلك لا يمكن قبوله، سيما إذا عرفنا ان السلطان توران شاه توفي فيها، وابتدأت الخلافات بين نوابه بعد وفاته، فكان الزنجيلي مشغولاً بقمع محاولات الاستقلال في حضرموت خلال تلك السنة وما بعدها، وفي رواية[4] ان السلطان صلاح الدين أمر أخاه طغتكين بالمسير إلى اليمن سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م، فأخذ يستعد لذلك[5]، وذكر الديبع[6] انه وصل إلى زبيد في أواخر تلك السنة[7]، وقيل انه قدم إلى اليمن فيها[8]، ونعتقد ان طغتكين استعد للتوجه إلى اليمن في سنة ٥٧٧هـ، وربما وصلها في بدء السنة التالية[9].

---

[1] يؤكد لقمان بأن انتشار الفوضى في اليمن وعدن وحضرموت واستبداد النواب فيها بعد وفاة تـوران شـاه هي أسباب إرسال طغتكين لليمن. تاريخ عدن ص ٦٨.

[2] تتمه المختصر ٢/ ١٣٠ – ١.

[3] العامري. غربال الزمان و ١٢٣ أ، الجنداري. الجامع الوجيز و ٦٥ أ، الحجري. خلاصـة مـن تـاريخ اليمن ص ١٧.

روى ابن المجاور أن سيف الإسلام دخل إلى عدن، فأوقف ابن الزنجيلي جميع الأملاك على مكـة سـنة ٥٧٥هـ. المستبصر ص ١٣٠، ونعتقد ان هذه الرواية غير دقيقة وضعيفة.

[4] ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٨٦.

[5] وقيل ان طغتكين سار إلى اليمن سنة ٥٧٧هـ. قلائد الجمن ص ١٠٣.

[6] قرة العيون ص ٣٨٦، وذكر الوزير أنه وصل زبيد سنة ٥٧٧هـ. جامع المتون و ١٩ ب.

[7] وفي رواية ان مسير طغتكين إلى اليمن كان في شهر محرم سنة ٥٧٨هـ. سبط ابـن الجـوزي. مـرآة الزمان ٨/ ٣٦٨.

[8] د. محمد أمين صالح. بنو معن ص ٣٢٤.

[9] ذكر ابن أيبك ملك طغتكين لليمن سنة ٥٧٨هـ، كنز الدرر ٧/ ٧٣.

وذكر مؤرخون آخرون[1] ان طغتكين خرج من مصر متوجهاً إلى اليمن سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، وكانت حملته مكونة من ألف فارس وخمسمائة راجل[2]، فدخل مكة معتمراً في شهر رمضان منها، وقد استقبل من قبل الأمير مكثر أمير مكة الذي رافقه أثناء طوافه بالبيت[3]، وبعد إكماله العمرة، توجه إلى اليمن، وقبل أن يصل زبيد، لقيه أميرها خطاب بالكدراء[4]، ففرح به وترجل له، وحدد بعض المؤرخين[5] دخوله إلى زبيد يوم السبت ١٣ شوال سنة ٥٧٩هـ[6]/ ١١٨٣م، فأقام بها أياماً[7]، ونحن نرجح ما ذكره المؤرخون[8] من وصول السلطان طغتكين إلى اليمن، ودخوله مدينة زبيد سنة ٥٧٩هـ، بعد خروجه من مصر سنة ٥٧٨هـ، ونستبعد توجهه إلى اليمن ووصوله إليها سنة ٥٧٦هـ، أو سنة ٥٧٧هـ.

اتبع طغتكين مع خطاب سياسة المهادنة والملاطفة، لأسباب ترتبط بمصلحة الدولة الأيوبية في القبض على بقية النواب، بعد تطمينهم، وكسب ودهم بصورة مؤقتة؛ ليتسنى له تصفيتهم والقضاء عليهم تدريجيا.

ويبدو أن خطابا قد شعر بأن سياسة طغتكين تجاهه، كانت مصطنعة وقلقة، ذلك أنه لم يبق في زبيد – بعد دخول طغتكين – مدة طويلة، إذ طلب منه السماح له بالسفر إلى

---

[1] ابن الأثير. الكامل ١١/ ٤٨٠، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ٨/ ٣٦٨، ابن أيبك. كنز الدرر ٧/ ٧٣، ابن الوردي. تتمة المختصر ٢/ ١٣٠ – ١، ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٣٠٩، الخزرجي. طراز (غربية) و ٩٩ أ – ب، العسجد المسبوك ج ٢ و ٩٢ أ، المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٧٨، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٩١، الجنداربي. الجامع الوجيز و ٦٥ ب، سعداوي. التاريخ الحربي ص ١٣٥.

[2] حدد ذلك العدد: الخزرجي. كفاية و ٧٧ ب، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٨، الكبسي. اللطائف السنية و ٣١ أ، وقيل: خمسمائة جبلي. ابن عبدالمجيد . بهجة الزمن ص ٧٨.

[3] لتفصيل ذلك أنظر: إبن جبير. الرحلة ص ١١٠ – ٣.

[4] مدينة على وادي سهام اختطها الحسين بن سلامة. راجع التمهيد للفصل الثاني.

[5] الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٧، الخزرجي. طراز (غربية)، و ١٣٠ ب، كفاية و٧٧ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٠ أ، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/ ١٠١، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٨.

[6] جعل الخزرجي ذلك تاريخاً لدخول طغتكين إلى اليمن.العقود اللؤلؤية ٢٩/١، وقيل كان وصول طغتكين إلى اليمن ودخوله زبيد في شهر شوال سنة ٥٨١هـ. مجهول. تاريخ اليمن، تح: ياجيما، ص٢، وهذا وهم.

[7] إبن حاتم. السمط الغالي ص ٢٤، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٧٧ – ٨، الخزرجي. طراز (غربية) و ١٣٠ ب، العقد الفاخر و٨٨ ب، كفاية و٧٧ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٠أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٦، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٨، الوزير. جامع المتون و ١٩ ب، لقمان. معارك حاسمة ص ٨٤.

[8] جعل الخزرجي دخول طغتكين إلى اليمن في شهر شوال سنة ٥٧٩ هـ. العقد الفاخر و ٨٨ ب، أنظر عن دخول طغتكين اليمن في تلك السنة: ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٤، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢ ب، ٢٩ أ، إدريس. نزهة الأفكار و ٧ ب – ٨ أ، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٨، الجرافي. المقتطف ص ٧٥، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٥٠، الشماحي. اليمن ص ١٢٤.

وذكر بعض المؤرخين ان طغتكين توجه إلى اليمن سنة ٥٧٩ هـ، ووصلها في تلك السنة، ودخل مدينة زبيد في أواخرها. ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٣، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٧٨، الخزرجي. طراز (غربية) و ١٣٠ ب، الكبسي. اللطائف السنية و ٣١ أ، لقمان تاريخ عدن ص ٦٨.

الشام[1]، فأجابه بالموافقة، لذلك قام خطاب بإخراج أمواله وأثقالـــه استعداداً للسـفر، وجمعها خارج زبيد، ولما عاد لوداع طغتكين في زبيد، قبض عليه وصادر أمواله[2]، التي قدرت أقيامها بنحو ألف ألف دينار[3] (مليون دينار) أو اكثر، ثم سجنه في بعض القلاع[4].

وفي رواية[5] أنه خنق بعد ليالٍ من سجنه في حصن تعز[6]، ومهما تكن الطريقة التـي تم بها القضاء على خطاب بن منقذ، فانها توضح لنا وجود خطة مسبقة للتخلص منـه، ولعل ذلك يرجع إلى عداء السلطان صلاح الدين له ولأخيه مبارك الذي عينه توران شاه نائباً على زبيد عند دخوله لليمن، لكنه غادرها مع توران شاه، وعين أخاه خطاباً عليها، وقد قبض السلطان صلاح الدين على مبارك بن منقذ في مصر بعد وفاة تـوران شـاه، وصادر أمواله وسجنه سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م[7]، ولعل صلاح الدين أمر أخاه طغتكيـن بالقبض على خطاب وسجنه ثم قتله.

بعد استيلاء طغتكين على مدينة زبيد، تقدم نحو مدينة تعز، وكان يـاقوت التعـزي أميراً عليها، إذ تم تعيينه عليها قبل مغادرة توران شاه اليمن، فأبقاه على عمله[8].

---

[1] قيل أن طغتكين هو الذي أمره بالمسير إلى الشام. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ص٦/٩١.

[2] وفي حكاية أن طغتكين سمح له بالسفر بعدما صادر كل أمواله. حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٥٢.

[3] قدر قيمتها بعض المؤرخين: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ٨/ ٣٦٨، ابن كثير. البدايـة والنهايـة ١٢/ ٣٠٩، المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٧٨، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٩١، حسن سليمان. تـاريخ اليمن ص ٢٥٢.

[4] الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٧ أ، ابن الوردي. تتمة المختصر ٢/ ١٣١، ابن خلدون. العبر مـج ٥/ ٦٤٩، الخزرجي. العقد الفاخر و ٨٨ ب، كفاية و٧٨ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٠ أ. الحنبلي. شـفاء القلـوب ص ١٩٩، الجنداري. الجامع الوجيز و ٦٥ ب، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٨، مجهول. قلائـد الجمـن ص ١٠٣، ١٠٦.

[5] ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٤، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٧٨.

[6] اختلف المؤرخون في كيفية وفاته، فذكر بعضهم ان طغتكين اودعه في سجن تعز، ثـم قتلـه فيمـا بعـد بصورة سرية. الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٠ أ، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٨، الوزير. جامع المتـون و ١٩ ب، وذكر مؤرخون آخرون انه قتل في سجنه. سبط ابن الجوزي. مرآة الزمـان ٨/ ٣٦٨، الجنـدي. السلوك ج ٢ و ١٧٦، ج ٣ و ١١٧ أ، إبن أيبك. كنز الدرر ٧/ ٧٣، ابن تغري بردي. النجوم الزاهـرة ٦/ ٩١. وذكر الديبع أن طغتكين قبض عليه وأخذ أمواله وحبسه بحصن تعز، ثم أمر بقتله فقتـل سـراً سـنة ٥٧٩هـ. قرة العيون ص ٣٨٧، وربما قتل في أواخرها. الخزرجي. العقد الفاخر و ٨٨ ب، وقيل أنه قتـل في شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٠هـ، وأن طغتكين مثّل به بعد مقتله. المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٨٨.

[7] وقد بقي مبارك في السجن حتى وفاته، أنظر عن مصادرته وسجنه: الجندي. السـلوك ج ٣ و ١١٥ ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ٨٨ أ، كفاية و٧٧ أ – ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٨ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٦، مجهول. قلائد الجمن ص ١٠٤.

وفي رواية أن السلطان صلاح الدين بعث الخادم بهاء الدين قراقوش إلى اليمن، للقبض على مبـارك بـن كامل بن منقذ، وطلب منه المال. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٨٩ (حوادث سنة ٥٧٧هـ).

[8] أنظر عن علاقة طغتكين وياقوت: الجندي. السلوك ج ٣ و١١٨ أ، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمـن ص ٧٨، الخزرجي. العقد الفاخر و ٨٨ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٠ أ – ب، الديبع. قرة العيـون ص ٣٨٧، الكبسي. اللطائف السنية و ٣١ أ، وذكر العقيلي أن طغتكين القى القبض عليه وصادر أمواله. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٧٦.

أما مظفر الدين قايماز النائب في ذي جبلة ونواحيها، فقد بعث إليه طغتكين أحد قادته (لم يذكر اسمه) فأخذها منه[1]. وذكر العقيلي[2] أن طغتكين صادر أمواله بعد القبض عليه، ثم أعاده إلى الخدمة، فولاه على ذمار[3] سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م أو السنة التي بعدها[4]، كما بقي ياقوت التعزي في خدمته.

هروب الزنجيلي من عدن وإمارة ابن عين الزمان:

أدرك عثمان الزنجيلي نائب عدن ما جرى لخطاب بن منقذ، نائب زبيد، من سجن ومصادرة وقتل على يد السلطان طغتكين، فاستعد للهرب من عدن، وجمع أقمشته وأمواله، وشحنها بالمراكب، وغادر عدن بطريق البحر، وذلك في يوم الأحد السادس من شهر ذي القعدة[5] سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م[6]، فأمر السلطان بمتابعته بالمراكب في البحر[7]، وقطع الطريق عليه، فتمكنوا من الاستيلاء عليها، وأخذوا كل ما فيها من الأموال، ولم يسلم منها سوى المركب الذي كان فيه عثمان الزنجيلي[8].

---

[1] ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٧٨.

[2] المخلاف ج ١ ق ١/ ١٧٦.

[3] اسم قرية على مرحلتين من صنعاء، ينسب إليها نفر من أهل العلم، وقال قوم: ذمار اسم صنعاء. الحموي. معجم البلدان ٣/ ٧.

[4] ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٧، ٣٠، الخزرجي. كفاية و ٧٩ ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٨ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٩، الكبسي. اللطائف السنية و ٣١ أ.

[5] أنظر عن هذا التحديد: الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٧ ب، الخزرجي. كفاية و ٧٨ أ.

[6] ذكر بعض المؤرخين خروج الزنجيلي من عدن في شهر ذي القعدة سنة ٥٧٩هـ. الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٠ أ، العبدلي. هدية الزمن ص ٧٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٩، معارك حاسمة ص ٨٤، وذكر الحامد أنه سار من عدن سنة ٥٧٩هـ. تاريخ حضرموت ص ٤٥٠.

[7] وفي رواية أن السلطان طغتكين أمر بالتقاء مراكب الزنجيلي من ساحل زبيد، ولم يسلم منها غير المركب الذي هو فيه، وأخذت بقية المراكب. الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٦، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٣٢، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٩، معارك حاسمة ص ٨٤.

[8] أنظر عن تفصيل هربه: ابن الأثير. الكامل ١١/ ٤٨٠ – ١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ٨/ ٣٦٨، ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٤، ابن الفوطي. تلخيص ١/ ٢٣٧، الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٦ ب – ١١٧ أ، ابن أيبك. كنز الدرر ٧/ ٧٣، ابن الوردي. تتمة المختصر ٢/ ١٣١، ابن خلدون. العبر مج ٥/ ٦٤٩، الخزرجي. كفاية و ٧٨ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٩ أ، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٩١، الحنبلي. شفاء القلوب ص ١٩٩، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٧، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٣٢، الكبسي. اللطائف السنية و ٣١ أ، العبدلي. هدية الزمن ص ٧٤، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٥٢، مجهول. قلائد الجمن ص ١٠٦.

ويقال أنه استقر في الشام[1]، أو في العراق[2]، أو أن السلطان صلاح الدين عفا عنه وألحقه بمعيته[3]، وقد استقر الزنجيلي بدمشق[4]، وبقي فيها حتى وفاته[5].

أصبحت مدينة عدن تحت سيطرة السلطان سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، فعين واليا عليها ابن عين الزمان سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م[6]، غير ان معلوماتنا عنه تكاد تكون مجهولة تماما[7]، ولم تسعفنا المصادر بمعلومات توضح لنا حياته، أو أعماله في عدن أثناء توليه إمارتها.

---

[1] ابن الأثير. الكامل ١١/ ٤٨٠، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ٨/ ٣٦٨، ابن الوردي. تتمة المختصر ٢/ ١٣١، ابن خلدون. العبر مج ٥/ ٦٤٩، الخزرجي. كفاية و ٧٧ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٩ أ، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٩١، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٥٢، مجهول. قلائد الجمن ص ١٠٥.

[2] ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٤، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٧٨، الخزرجي. كفاية و ٧٨ أ، يحيى. غاية الأماني ص ٣٢٨، الكبسي. اللطائف السنية و ٣١ أ، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٧٦.

[3] ابن أيبك. كنز الدرر ٧/ ٧٣.

[4] ذكر بعض المؤرخين أنه وصل إلى بلاد الشام، وسكن مدينة دمشق. وبنى خارجها مدرسته المعروفة بالمدرسة الزنجيلية. ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٣١٠، الخزرجي. كفاية و ٧٧ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٤، النعيمي. الدارس ١/ ٥٢٦.

[5] كانت وفاة الزنجيلي في دمشق سنة ٥٨٨هـ، ودفن في مدرسته الزنجيلية يوم وفاته. الخزرجي. كفاية و ٧٧ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٥، وفي رواية أن وفاته سنة ٥٨٣هـ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٣٢، وذكر بعض المؤرخين وفاته بدمشق في سوريا. لقمان. تاريخ عدن ص ٦٩، معارك حاسمة ص ٨٤، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٥٢.

[6] الجندي. السلوك ج٣ و ١١٨ أ، الخزرجي. طراز (غربية) و ١٣٠ ب، كفاية و ٧٨ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٠ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٧، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٠١، ١٣٢، العبدلي. هدية الزمن ص ٧٤، الحامد. تاريخ حضرموت ص ٤٥٠.

[7] هنالك شخص آخر يسمى: عين الزمان، يقول أبو مخرمة: "ولعله الذي ولاه سيف الإسلام عدن". ثغر عدن ج٢/١٦، وسماه: عين الزمان. ثغر عدن ٢/ ١٥ – ٦، ١٣٢، أنظر أيضا: لقمان. تاريخ عدن ص ٦٩، ٧٤.

وقد خلط لقمان بينه وبين أحمد بن منير الطرابلسي الملقب عين الزمان مهذب الملك، المولود بطرابلس سنة ٤٧٣، كان شاعرا كثير الهجاء، خبيث اللسان، ينشد الأشعار في أسواق طرابلس بالشام، وتوفي بمدينة حلب سنة ٥٨٤هـ خطأ، أنظر: تاريخ عدن ص ٦٩، وبالرجوع إلى مصادر ترجمته وجدنا أن لا علاقة لهذا الرجل بإمارة عدن مطلقا، وأن لقمان وقع في خلط وأخطاء كثيرة، وذكرت المصادر عن أحمد بن منير الطرابلسي ولادته بطرابلس الشام سنة ٤٧٣هـ، ووفاته في مدينة حلب سنة ٥٤٨هـ، مما يؤكد أن لا علاقة له مطلقا بإمارة عدن، وقد دفن في حلب، كانت وفاته في شهر جمادى الآخرة من تلك السنة. أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله. التاريخ الكبير، مج ٢، مط روضة الشام، (دمشق، ١٣٣٠هـ)، ص ٩٩، ابن خلكان. وفيات ١/ ١٥٩، وذكر الأخير وفاته بدمشق سنة ٥٤٧هـ، وفي رواية أنه توفي سنة ٥٤٥هـ. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٥/ ٢٩٩، أنظر عن ترجمته: ابن عساكر. التاريخ الكبير ٢/ ٩٧ – ٩، ابن خلكان. وفيات ١/١٥٦ – ١٦٠، الخزرجي. طراز (متحف) و ٩٤ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٥ – ٦، الجنداري. الجامع الوجيز و ٦٠ ب.

سيطرة طغتكين على بقية حصون بني زريع:

أ- حصن حب سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م:

إثر استيلاء السلطان طغتكين على تهامة وكثير من مدن وحصون اليمن سنة ٥٧٩هـ، أخذ يتتبع بقايا بني زريع، المعتصمين في حصون وقلاع جبلية منيعة، لا يمكن الوصول إليها والسيطرة عليها بسهولة، بسبب بعدها ومناعتها.

كان حصن حب[1] من الحصون التي بقيت تحت سيطرة بني زريع، وفيه وقتذاك السلطان الأجل زياد بن حاتم[2] بن علي بن سبأ بن أبي السعود الزريعي، فحاصره طغتكين مدة عام تقريباً، فاستنجد السلطان زياد – وهو محاصَر – بالسلطان علي بن حاتم الهمداني أمير صنعاء، فجمع له السلطان علي رجالاً من همدان ومن أجاب دعوته من القبائل، كما استنجد السلطان زياد بالسلطان عبدالله بن يحيى الجنبي والشيخ عمران بن زيد بن عمر الجنبي رئيساً جنب، ووجه إليه السلطان علي بن حاتم أخاه السلطان بشر[3] في جيوش كثيرة، وكان ذلك في أواخر شهر ذي الحجة سنة ٥٨١هـ[4]/ ١١٨٥م.

ان استعانة السلطان زياد بن حاتم الزريعي ببني حاتم الهمدانيين، توضح لنا عمق الصلات والروابط القبلية بينهما، إذ أن كلاً منهما ينتسب إلى قبيلة همدان[5]، ونستدل أيضاً من مساعدة السلطان علي بن حاتم وأخيه بشر سلاطين صنعاء ورئيسا قبيلة جنب للسلطان زياد بن حاتم، على قوة تلك الروابط، رغم سقوط إمارة بني زريع في عدن وآل حاتم في صنعاء سياسياً، بدخول توران شاه إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، وإخضاع اليمن لسلطة الدولة الأيوبية وجعله جزءاً منها، ويعكس لنا ذلك التحالف أيضاً، عداء تلك القبائل وأمرائها لسلطة الدولة الأيوبية في اليمن، ووقوفهم ضدها.

وصلت الجيوش الكثيرة الحليفة للسلطان علي بن حاتم الهمداني، بقيادة أخيه السلطان بشر إلى ذمار، وقد اجتمع بهم الشيخان عبدالله بن يحيى وعمران بن زيد الجنبيين، وانضما برجالهم إلى تلك الجيوش، غير أن ذلك التحالف لم يكن ذا تأثير فعال ضد السلطان طغتكين، وفي رأينا ان أهم أسباب فشل ذلك التحالف، هو طبيعة العلاقات

---

[1] حب: حصن مشهور في مخلاف بعدان وأعمال إب، وأحد الحصون الثلاثة المشهورة في ذي جبلة، ويقع إلى الشرق قليلاً من إب، الاكوع. البلدان اليمانية ص ٨١.

[2] من بني زريع أمراء عدن، قيل كان صدراً من الصدور. الاكوع (محقق). قرة العيون ص ٣٨٨ هامش.

[3] ويضيف الخزرجي أيضاً: ولديه عمراً والفضل ابني حاتم في عساكر جمة. كفاية و ٧٨ ب.

[4] الخزرجي. كفاية و ٧٨ ب.

[5] سبق للسلطان حاتم بن علي الزريعي والد زياد أن استعان ببني حاتم سلاطين صنعاء ضد عبدالنبي بن علي الذي حاول غزو عدن فلم يستطع. راجع الفصل الثالث.

القبلية نفسها، التي تقوم على العصبية والتماسك من جهة، وعلى التنافس والثارات والأحقاد والعداوات[١] من جهة أخرى.

وروى ابن حاتم[٢] أن الحصار بقي وطال انتظار طغتكين لحصن حب دون أن يحصل على شيئ، وبسبب قرب موسم الحج، قرر التوجه إلى مكة، وحدد الديبع[٣] والوزير[٤] ذلك سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، وقد سبق ان ذكر الخزرجي[٥] بأن السلطان طغتكين كان محاصرا لحصن حب واستنجد السلطان زياد بن حاتم الزريعي بالسلطان علي بن حاتم والشيخ عبدالله بن يحيى والشيخ عمران بن زيد بن عمر الجنبي، وكان ذلك الحصار في آخر شهر ذي الحجة من سنة ٥٨١هـ، لذا فاننا نرجح أن يكون الحصار قد سبق ذلك التاريخ بمدة، وكان التحالف قد تم قبل شهر ذي الحجة من تلك السنة بمدة مناسبة، وفشل بجهود السلطان طغتكين.

ومهما يكن من أمر، فان السلطان طغتكين غادر الحصن إلى مكة، ويستمر ابن حاتم[٦] في روايته فيذكر أنه أسند قيادة حصار حصن حب والإشراف على نقاط الحراسة العسكرية المخصصة لذلك إلى الأمير همام الدين أبو زيان[٧]، فبقي على حصاره، ولما رجع طغتكين من مكة[٨]، نزل بنفسه وحاصر حصن حب، وقد اشتركت عوامل عديدة على افتتاحه، منها: قوة الجيش الأيوبي المحاصر له وإحكام حصاره، وطول مدة الحصار، وعدم وصول نجدات للمحاصرين داخل الحصن لمواصلة المقاومة والصمود،

---

[١] روى ابن حاتم بأن السلطان علي بن حاتم واخاه بشر جاءا بعساكر جمة، واجتمعا في ذمار بالشيخ عبدالله بن يحيى وعمران بن زيد، ولقيهم السلطان أسعد بن علي بن عبدالله الصليحي صاحب حصن قيضان، وعمل على تفرقة الجيوش، فاجتمع بقبائل مذحج وجنب وغيرهم إلى السحول، ففسد أمرهم، ولم يحصلوا على شيئ مما أملوه. السمط الغالي ص ٢٥.

وروى الخزرجي أن رؤساء جنب وصلوا إلى السحول، فحمل الشيخ علي بن محمد بن ابراهيم على تفرقتهم، مستغلا وجود حقد قديم بين السلطان عبدالله بن يحيى وعمران بن زيد، لذلك قامت قبيلة جنب بخذلان رئيسها الشيخ عمران بن زيد والانتقاض عليه، فأشار بشر بن حاتم على قبيلة همدان بالرحيل وترك ذلك التحالف، وكانت عودة القبائل من همدان وجنب إلى أماكنها بعد نحو عشرين يوما، بسبب تخاذل قبيلة جنب وعدم طاعتها لسلاطينها في مقاومة السلطان طغتكين الذي كان محاصرا لحصن حب، كفاية و ٧٨ ب، أنظر أيضا: الديبع. قرة العيون ص ٣٨٨ - ٩، وفي رواية أن السلطان طغتكين راسل رؤساء القبائل وتمكن من تفرقتهم عن السلطان علي بن حاتم، ولذلك بإنفاق الأموال عليهم من جهة، واللجوء إلى التهديد والوعيد لهم من جهة أخرى، فافترقوا عنه، لذلك عاد السلطان علي بن حاتم إلى صنعاء وحصونها، إذ خاف على نفسه وقومه من خذلان رؤساء جنب له، إدريس. نزهة الأفكار و ٨ أ.

[٢] السمط الغالي ص ٢٥.

[٣] قرة العيون ص ٣٨٨.

[٤] جامع المتون و ١٩ ب.

[٥] كفاية و ٧٨ ب، وأوردنا روايته هنا لمتابعة التسلسل التاريخي للحوادث.

[٦] السمط الغالي ص ٢٥ – ٦.

[٧] يبدو أنه من القادة الاكراد أو الاتراك ضمن جيش السلطان طغتكين، واختلف المؤرخون في تسميته، فيسمى: الهمام أبو زيا. ابن حاتم. السمط ص ٢٥، الخزرجي. كفاية و ٧٨ ب، وسماه الديبع بالتسمية المذكورة أعلاه. قرة العيون ص ٣٨٨.

[٨] يبدو لنا ان العلاقات كانت طيبة بين الحجاز والأيوبيين في مصر واليمن، ويتضح ذلك من تردد السلاطين الأيوبيين في ذهابهم ومجيئهم بين مصر والشام، إضافة إلى اليمن في أداء فريضة الحج والعمرة لبيت الله الحرام في مكة واستقبال أمراء مكة لهم بحفاوة كبيرة.

إضافة إلى قلة الإمدادات الغذائية لصعوبة وصولها إلى الحصن، وبسبب تلك العوامل، تم افتتاح الحصن صباح يوم الأربعاء من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٨٢هـ[١]/ ١١٨٦م.

لقد تم افتتاح حصن حب عنوة وبقوة السيف، وأن معركة رهيبة رافقت عملية افتتاحه، يقول ابن حاتم[٢]، وهو يصف افتتاح طغتكين له: "أخذه قهراً بالسيف، وقتل جميع من كان به، ولم يسلم منهم إلا من لا يُعْرف أو دخل في زي الجند الذين له، أو طرح نفسه بين القتلى، وتزلزلت لذلك اليوم جميع اليمن"، وقال الخزرجي[٣] "وقتل جميع من كان فيه وما سلم منهم إلاّ مَنْ لم يُعْرف وتزلزل جميع اليمن لذلك اليوم[٤]". ويقول إدريس[٥]: "أخذ الحصن قهراً بالسيف وقتل من كان فيه ولم يسلم منهم إلا من دخل العسكر فلم يعرف فارتج لذلك اليمن".

استطاع طغتكين افتتاح حصن حب وإخضاعه لسيطرته بعد حصار استمر أكثر من سنة[٦]، ولم يوضح المؤرخون الذين ذكروا حوادث افتتاحه[٧] شيئاً عن مصير السلطان زياد بن حاتم بن علي الزريعي، ولعله كان خارج الحصن أو تمكن من الهرب، وربما قتل مع من قتل في الهجوم على الحصن، هذا وقد استمر السلطان طغتكين في افتتاح بقية حصون اليمن التي رفضت الخضوع لسيطرته، ومنها الحصون التي كانت تحت سيطرة أخيه توران شاه، فاستولى عليها جميعاً وأضاف لها حصوناً أخرى، كما استولى على حصن قيضان[٨] بعد حصار استمر ستة أشهر وكان فيه السلطان أسعد بن علي بن عبدالله الصليحي وأولاده[٩]، واستعد طغتكين لحصار حصن الدملوة الذي كان فيه جوهر المعظمي مولى بني زريع أمراء عدن السابقين ومعه ولدي الداعي عمران بن محمد بن سبأ آخر أمرائهم.

---

[١] ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٦، ولم يذكر تاريخ ذلك اليوم من شهر جمادى الآخرة ٥٨٢هـ، وذكر الديبع افتتاح الحصن في شهر جمادى فقط من تلك السنة. قرة العيون ص ٣٨٨، في حين ذكر أبو مخرمة افتتاحه في جمادى الآخرة سنة ٥٨٢هـ، ثغر عدن ٢/١٠١.

[٢] السمط الغالي ص ٢٦.

[٣] كفاية و ٧٨ ب.

[٤] أنظر بهذا المعنى أيضاً: الديبع. قرة العيون ص ٣٨٩.

[٥] نزهة الأفكار و ٨ أ.

[٦] حدد هذه المدة: أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٠١.

[٧] أنظر عن حصار حصن حب وافتتاحه: ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٥ – ٦، الخزرجي. كفاية و ٧٨ أ – ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٨ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٨ – ٩، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٠١، الوزير. جامع المتون و ١٩ ب.

[٨] قيضان: حصن خارب في جبل بني الحارث من أعمال يريم على مقربة من بعدان. الأكوع. البلدان اليمانية ص ٢٢٨.

[٩] أنظر: ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٥، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٠ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٨٧ – ٣٩٠.

ب- حصن الدملوة سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م:

ذكرنا بأن الداعي محمد بن سبأ ولى جوهراً المعظمي على حصن الدملوة، وبعد وفاته تولى الحكم ولده عمران الملقب بالمكرم، فأبقى جوهراً على ولايته، ولما كانت وفاة الداعي عمران جعله وصياً على أولاده، وكانوا يومئذ صغاراً، فنقلهم من عدن إلى الدملوة وقام بكفالتهم أحسن قيام، وكان ذلك بمساعدة الشيخ ياسر بن بلال بن جرير وزير عمران ومدبر دولته[1].

كان جوهر المعظمي قد بقي مع أولاد الداعي عمران بن محمد بن سبأ في الدملوة بعد دخول توران شاه إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ، ثم سيطرته على عدن وقضائه على حكم بني زريع فيها، فحاول توران شاه بعد فتحه عدن السيطرة على الدملوة، لكن محاولته لم يكتب لها النجاح[2]، واستمر بقاء أولاد الداعي عمران في الدملوة طوال هذه المدة حتى مجيئ سيف الإسلام طغتكين بن أيوب لليمن سنة ٥٧٩هـ، واستيلائه على معظم أجزائه.

بعد نجاح طغتكين في إخضاع كثير من المدن والحصون في اليمن، وتوالي انتصاراته عليها، صرف همه لحصار حصن الدملوة[3]، وباشر ذلك العمل بنفسه دون الاتكال على أحد من أمرائه، ولعل ذلك يرجع إلى أهمية ذلك الحصن، وصعوبة الاستيلاء عليه، إضافة إلى أنه يرمز لبقايا وجود سياسي لبني زريع متمثلاً بولدي الداعي عمران بن محمد بن سبأ ومولاهم جوهر المعظمي، كما أن بقاءهم مستقلين بالدملوة يمثل خروجاً على سلطة الدولة الأيوبية التي أخضعت معظم أجزاء اليمن لنفوذها.

ذكر المؤرخون[4] أن طغتكين تقدم بنفسه إلى الدملوة وحاصرها، وبدأ الحصار في سنة ٥٨٤هـ[5]/ ١١٨٨م، وكان فيها يومئذ جوهر المعظمي مولى الدعاة بني زريع،

---

[1] سبق أن ذكرنا تفاصيل ذلك في الفصل الثالث، أنظر أيضا: الأفضل. العطايا السنية و ١٥ ب، الخزرجي. طراز (متحف) و ٢٢٠ أ – ب، هامش غاية الأماني ص ٣٣١، هامش طبقات الفقهاء للجعدي ص ٢٢٧.

[2] ذكرنا ذلك في صفحات سابقة.

[3] إدريس. نزهة الأفكار و ٨ ب.

[4] الجندي. السلوك ج ١ و ١٤٢، الأفضل. العطايا السنية و ١٥ ب، الخزرجي. طراز (غربية) و ١٣١ أ، كفاية و ٧٩ ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٨ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٩٠ – ١، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤٢ – ٣، ١٠١، يحيى. غاية الأماني ص ٣٣١، الوزير. جامع المتون و ١٩ ب، الكبسي. اللطائف السنية و ٣٢ أ، معجم الحجري و ١١٥، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٩ – ٧٠، معارك حاسمة ص ٨٤ – ٥، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٢٢.

[5] وفي رواية أن جوهر المعظمي باعها لسيف الإسلام لبضع وستين وخمسمائة. الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧١ ب، ثم ذكر أخذ سيف الإسلام للدملوة من جوهر المعظمي في ربيع الآخرة سنة ٥٨٤هـ! و ٢٨٠ ب، ونؤكد بأن ما ذكره أولا غير صحيح مطلقا.

وأولاد الداعي عمران بن محمد بن سبأ. وذكر ابن حاتم[1] وإدريس[2] أن الحصار استمر أربعة عشر شهراً[3].

ولما أدرك جوهر المعظمي تصميم السلطان طغتكين على أخذ الدملوة، اتفق معه على بيع الحصن بعشرة آلاف دينار ملكية[4]. واشترط جوهر أن لا يطلع إليه نـائب ولا ينزل هو من الحصن حتى يكون عيال سيده قد جاوزوا البحر، وأن لهم الحق بالسفر من أي مكان أرادوا، فوافق طغتكين على ذلك[5].

وبعد أن توثق جوهر من طغتكين وقبض المال، جهز عيال سيده الداعي عمران بن محمد من البنين والبنات إلى ساحل المخأ[6]، واتبع جوهر الحيلة في التستر والهرب، فتنكر بزي امرأة منهم وخرج ومعهم، ورافقه من كان لائذا في الدملوة، وقد نقل جوهر مع عيال سيده نفائس ذخائرهم، وكل ما في الحصن من قماش وأثاث وغيره، في سفن أعدها وسار بها إلى أرض الحبشة.

اتخذ جوهر المعظمي خطوة أخرى تدل على ذكائه وبعد نظره، فقد ترك في الدملوة نائبا له[7]، وقيل كاتبا[8]، يسير الأمور، وابقى عنده مجموعة من الأوراق مختومة وعليها توقيعه، ليوهم طغتكين ويطمنه بأنه مازال موجودا في الحصن، وفي رواية[9]، أن جوهرا ترك بالدملوة المعلم أحمد الصلوي[10] وجارية ويقال خادم حبشي، بعد مغادرته لها.

---

[1] السمط الغالي ص ٢٩.

[2] نزهة الأفكار و ٨ ب.

[3] وقيل أنه حاصرها لمدة ست سنين. ابن المجاور. المستبصر ص ١٥٣، العقيلي. المخلاف السليماني ج١ ق ١/ ١٩٩، ونعتقد بأن هذه الرواية مبالغ فيها كثيرا وضعيفة لا يمكن قبولها.

[4] هي الدنانير التي ضربها الملك أحمد المكرم الصليحي، وبقيت متداولة في العهد الأيوبي، راجع دراستنا عنها في الفصل الخامس. وفي رواية أن طغتكين اشترى حصن الدملوة من جوهر بعشرة آلاف دينار من الذهب. ابن حاتم. السمط الغالي ص ٢٩، إدريس. نزهة الأفكار و ٨ ب، وقيل أن سيف الإسلام طغتكين اشترى الدملوة من القائد كافور بمائة ألف دينار. ابن المجاور. المستبصر ص ١٥٣، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٩٩. وليست لدينا معلومات عن القائد كافور هذا!!

[5] الأفضل. العطايا السنية و ١٥ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٤٢، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٩، وعللوا موافقة طغتكين على شروط جوهر، بصعوبة أخذ الحصن قهرا.

[6] موضع باليمن على ساحل البحر بين زبيد وعدن. الحموي. معجم البلدان ٥/ ٦٧، وقيل أنها بلدة معروفة على ساحل البحر الأحمر شرقي تعز، وهي مرفأ مشهور ولها أعمال كثيرة. معجم الحجري و ٣١٧.

[7] الخزرجي. طراز (غربية) و ١٣١ أ، أبو مخرمة، ثغر عدن ٤٢/٢، يحيى. غاية الأماني ص٣٣١، الكبسي، اللطائف السنية و٣٢أ، لقمان. تاريخ عدن ص٧٠، وذكر الديبع أن جوهرا ترك كاتبه في الحصن، وسماه بعد ذلك: النائب. قرة العيون ص٣٩١.

[8] الجندي، السلوك ج١ و١٤٢، الأفضل. العطايا السنية و١٥ ب، الخزرجي. كفاية و٧٩ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٩١، الوزير. جامع المتون و١٩ب.

[9] ابن المجاور. المستبصر ص١٥٤، العقيلي. المخلاف ج١ ق١/ ٢٠٠.

[10] ذكر ابن المجاور صفته: المعلم، ولعله من أهل الصلو في بلاد الحجرية.

وبعد مفاوضات طويلة، وأخذ ورد وعصيان واستسلام، دخل السلطان طغتكين بنفسه حصن الدملوة، في سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م[١].

عزل إبن عين الزمان سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م وإمارة المعتمد التكريتي:

لا تذكر المصادر التي اشارت إلى تعيين ابن عين الزمان أميرا على عدن -، بعد هرب عثمان الزنجيلي منها في شهر ذي القعدة سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م[٢] -، ما عمله خلال مدة إمارته -، ولعل ذلك يرجع إلى أن حكم اليمن كان يدار مركزيا من قبل السلطان طغتكين الذي انشغل بحروب ووقائع عديدة ضد بقايا الصليحيين وبني زريع. ونرجح ان عدن كانت تعيش في هدوء واستقرار سياسي[٣]، تمارس دورها ونشاطها في المجال التجاري، خلال تلك المدة.

وقد ورد تحديد تاريخ عزل ابن عين الزمان أمير عدن في سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م على ما ذكر العبدلي[٤] والحامد[٥]، ولا نعلم مصادرهما التي اعتمداهما في تحديد هذه الرواية المهمة، وذكر العبدلي[٦] تولي فارس الدولة أميرا على عدن من بعده، وليست لدينا معلومات توضح لنا شخصية هذا الأمير الجديد.

نرجح أن السلطان طغتكين عين على عدن الأمير رضي الدين محمد بن علي التكريتي الملقب بالمعتمد، بعد عزل ابن عين الزمان، رغم أن مترجميه[٧] لا يحددا السنة التي ولي فيها على عدن، ويبدو أنه كان أميرا على عدن في سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م[٨]، ولعله استمر على إمارة عدن منذ سنة ٥٨٥هـ، لكن المصادر لا توضح لنا أبرز الحوادث خلال سنوات إمارته تلك، في حين ذكرت أنه قام بعدد من الإصلاحات في عدن، وبنى كثيرا من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ذات النفع العام للسكان، كما جدد

---

[١] أنظر عن التفاصيل: ابن المجاور. المستبصر ص١٥٤، إبن حاتم. السمط الغالي ص٣٠ - ١، الخزرجي. طراز (غربية) و١٣١أ، كفاية و٧٩ ب - ٨٠أ، إدريس، نزهة الأفكار و٨ب - ٩أ، الديبع، قرة العيون ص ٣٩١ - ٢، أبو مخرمة. ثغر عدن ٤٢/٢ - ٣، يحيى، غاية الأماني ص٣٣٢، الوزير. جامع المتون و١٩ب - ٢٠أ ،الكبسي، اللطائف السنية و٣٢أ - ب، معجم الحجري و١١٥، العقيلي. المخلاف ج١ ق١/ ٢٠٠، لقمان. تاريخ عدن ص٧٠، معارك حاسمة ص٨٥، الحداد. تاريخ اليمن ص٢٢٢.

[٢] ذكرنا هذا الموضوع آنفا.

[٣] بعد تخلص طغتكين من خطاب بن منقذ أمير زبيد وعثمان الزنجيلي أمير عدن صفت زبيد وعدن له. ابن الأثير. الكامل ١١/ ٤٨١، العبدلي. هدية الزمن ص ٧٤، مجهول. قلائد الجمن ص ١٠٥ - ٦، وقيل أن بلاد اليمن عامة صفت لسيف الإسلام طغتكين. ابن الوردي. تتمة المختصر ٢/ ١٣١، ابن خلدون. العبر مج ٥/ ٦٤٩، مجهول. قلائد الجمن ص ١٠٥.

[٤] هدية الزمن ص ٧٤.

[٥] تاريخ حضرموت ص ٤٥١.

[٦] هدية الزمن ص ٧٤.

[٧] ابن المجاور. المستبصر ص ١٣١ فما بعد، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢٢٣.

[٨] المستبصر ص ١٣٧، ثغر عدن ٢/ ٢٢٣، وذكرا أنه أمر في تلك السنة بقتل الكلاب السائبة في عدن، بعد شكوى تقدمت بها إحدى نساء البرابر، لأن كلبا تعرض لولدها.

بعضا منها[1]، هذا وقد ذكر المعتمد أميرا على خلال عهد الاتـابك سـنقر[2]، والمسـعود الأيوبي[3]، لكن مدة إمارته عليها اتصفت بالغموض، ونرجح أنه تولى عليها في سـنوات متقطعة، فكان يعزل عنها ويعاد إليها.

وفاة السلطان طغتكين:

توفي السلطان سيف الإسلام طغتكين بن أيوب في شهر شوال من سنة ٥٩٣هـ[4]/ ١١٩٦م، وحدد بعض المؤرخين[5] وفاته يوم الأربعاء ٢٦ شوال منها[6]، وكـانت وفاتـه بمدينة المنصورة[7]، ثم نقل إلى حصن تعز ودفن فيه[8]، وقد دام حكم السـلطان طغتكيـن زهاء أربع عشرة سنة ونصف، وقام خلالها بأعمال وخدمات كثيرة للدلالة الأيوبية فـي اليمن، إضافة إلى خدماته في المجالات الاقتصادية للسكان في مدينة عـدن وغيرهـا[9]، وقد تولى الملك بعده ولده المعز إسماعيل.

عدن في عهد المعز إسماعيل بن طغتكين:

تولى الحكم بعد وفاة السلطان طغتكين ولده إسماعيل الملقب بالمعز، وقد اتصف بكونه رجلا شجاعا وشاعرا فصيحا، كما اتصف بالتهور، وكان يهتم بمجالس الشعراء وحلقات

---

[1] سندرس إصلاحاته في الفصلين الخامس والسادس.

[2] سندرس تولي سنقر على اليمن وإمارته على عدن، وزيارته لها خلال حكم المعتمد الذي أقام له وليمة قـدم فيها نبيذا زكي الرائحة مصنوع في عدن. المستبصر ص ١٣١. وسندرس موضوع صناعة النبيذ في عـدن في الفصل السادس.

[3] سندرس هذا الموضوع في أواخر الفصل.

[4] ابن حاتم. السمط الغالي ص ٤٠، الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٧ ب، الخزرجي. طراز (غربيـة) و ١٠١ ب، ١٣١ أ – ب، العسجد المسبوك ج ٢ و ١٠١ أ، كفاية و ٨١ ب، ابن تغري بردي. النجوم الزاهـرة ٦/ ١٤١، الحنبلي. شفاء القلوب ص ١٩٩، ٢٧١، العامري. غربال الزمان و ١٢٨ ب، الديبع. قرة العيون ص ٣٩٥، ٣٩٩، بغية المستفيد ص ٧٥، الوزير. جامع المتون و ٢٠ ب، الجنداري. الجامع الوجـيز و ٦٥ ب، مجهول. تاريخ اليمن، ص ٢، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٤٢، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٧٧.

[5] الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨١ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٠٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٧١، معـارك حاسمة ص ٨٥.

[6] وقيل أن وفاته سنة ٥٩٠هـ. الكبسي. اللطائف السنية و٣٣ ب، الجرافي. المقتطف ص ٧٥، وفي روايـة أنه توفي سنة ٥٩٤هـ. روضة الحجوري و ٢٤٦ ب.

[7] هي مدينة تقع قبلي مدينة الجند وعلى أميال منها، اختطها طغتكين سنة ٥٩٢هـ، وبنى فيها قصرا كبـيرا وحماما، وبنى للعسكر فيها بيوتا كثيرة، الديبع. قرة العيون ص ٣٩٥، أبو مخرمة. ثغـر عـدن ٢/ ١٠٣، وقيل اختطها سنة ٥٩٠هـ، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ٢٠٠، وذكر الحجري أنها بلدة قـرب الدملـوة اختطها طغتكين سنة ٥٧٧هـ. المعجم و ٣٣٣، وهذا وهم وخطأ.

[8] ذكر المؤرخون أنه دفن في خانقاه وقيل في مدرسته المعروفة بالسيفية. راجع مصادر وفاته آنفا.

[9] سندرس إصلاحاته الاقتصادية وضربه للعملة وغيرها في الفصلين القادمين.

اللهو أكثر من اهتمامه بالحكم، وعرف بسرعة البطش وشدة العقوبة وسفك الدماء، ثم اختلط عقله وادعى الخلافة لنفسه[1].

ومن الطبيعي ان حاكما بهذه الصفات لا يمكن ان يسير أمور البلاد بصورة صحيحة، فانتشر الاضطراب وعمت الفوضى أرجاءها، لذلك فان أخبار عدن وأحداثها خلال مدة حكمه تكاد تكون مجهولة وغامضة، سيما ما يتعلق بإدارتها ومن كان عليها، ذكر لقمان[2] ان المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي كان حاكما لعدن ونائبا لبني أيوب فيها من أيام إسماعيل بن طغتكين، وربما خلف عين الزمان (كما يسميه) في نيابتها وحكمها[3]، وقد زارها الاتابك سنقر مولى الملك المعز متفقدا أحوالها، وأقام المعتمد وليمة له[4].

إن ما ذكره لقمان عن المعتمد التكريتي يوضح بأنه تولاها منذ عهد السلطان طغتكين بعد عزل ابن عين الزمان سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، واستمر على إمارتها في عهد المعز إسماعيل، ولا تساعدنا معلومات ترجمة المعتمد[5] على تحديد السنة التي تولى فيها إمارة عدن ولا نهاية إمارته وسنة وفاته، إنما اكتفت بذكر إصلاحاته وأعماله العمرانية.

وقد انفرد ابن حاتم[6] بذكر والي عدن من قبل المعز الأيوبي، وهو: شجاع الدين مهكار بن محمود[7]، ولا تسعفنا المصادر بشيئ عن تاريخ إمارته وأهم أعماله في عدن خلال مدة إمارته، ونرجح أنه تولاها بعد عزل المعتمد التكريتي.

انتهى عهد المعز إسماعيل بن طغتكين بقتله في أطراف مدينة زبيد، وذلك يوم الأحد ١٨ رجب سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م[8].

---

[1] ادعى المعز إسماعيل بن طغتكين الخلافة والانتماء لبني أمية، وقد بدأت دعوته في حصن شخب من مخلاف عمار في ناحية النادرة، وهو من أرفع حصون اليمن وأمنعها. معجم الحجري و ٢١٠ - ٢١١، وسنذكر مصادر ترجمة المعز وكيفية مقتله.

[2] تاريخ عدن ص ٧١، ٧٤.

[3] ذكرنا أن إسم ذلك الأمير: ابن عين الزمان، وقد عزل سنة ٥٨٥هـ.

[4] ابن المجاور. المستبصر ص ١٣١، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٥، ولم يحددا السنة التي زار فيها الاتابك سنقر عدن في عهد المعتمد.

[5] أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢٢٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٤، وسنوضح إصلاحاته في فصول لاحقة.

[6] السمط الغالي ص ٨٥، وذكر عزله وتولي برعش إمارة عدن من بعده.

[7] سنوضح علاقة مهكار مع الاتابك سنقر في الصفحات التالية.

[8] قتل المعز خارج زبيد على يد الأكراد، ولعلهم من الجند الذين جلبهم توران شاه معه في حملته لفتح اليمن، أنظر عن تفصيل حياة المعز وكيفية مقتله: روضة الحجوري و ٢٤٦ ب، ابن حاتم. السمط الغالي ص ٤٣ - ٥، ٨١ -٢، الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٧ ب، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٢١ أ - ب، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٧٩ - ٨٠، الخزرجي. العقود اللؤلؤية ١/ ٢٩، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٢٧١ - ٢، العامري. غربال الزمان و ١٣٠ ب، الديبع. قرة العيون ص ٤٠١ - ٤، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٩ - ٢٠، الوزير. جامع المتون و ٢٠ ب - ٢١ أ، الكبسي. اللطائف السنية و ٣٤ أ، ٣٦ أ - ب، الجنداري. الجامع الوجيز و ٦٩ ب، ٧٠ ب، مجهول. تاريخ اليمن ص ٣، زبارة. أئمة اليمن ١/ ١٢٤.

عهد الاتابك سنقر وسيطرته على عدن:

بعد مقتل المعز إسماعيل بن طغتكين اعتلى عرش اليمن اخوه الملك الناصر أيوب، وكان صغير السن،[١] روى الكبسي[٢] أنه كان طفلا في عشر سنين أو نحو ذلك، متوليا في تعز، فقام بالنيابة عنه في تسيير أمور الحكم الاتابك[٣] سيف الدين سنقر[٤]، وذكر ابن حاتم[٥] أن سنقر رباه، لأنه كان زوج أمه، وبذلك استطاع سنقر حكم البلاد في عهد الملك الناصر أيوب[٦].

وكان للاتابك سنقر عدن ومخلاف جعفر ومخلاف تعز وصنعاء وأعمالها[٧]، وفي رواية[٨] أنه استولى على عدن في شعبان سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م.

أصبحت عدن جزءاً من ممتلكات الاتابك سنقر، روى ابن حاتم[٩] أنه سار إلى عدن وملكها، وولى عليها الشريف برعش[١٠]، بعد عزل أميرها شجاع الدين مهكار بن محمود، الذي تولى إمارتها من قبل المعز بن إسماعيل بن طغتكين، وأعطى سنقر لمهكار الأمان وعشرة آلاف دينار بعد عزله، وأبقاه من جملة جيشه، ثم ولاه على زبيد. ولهذه الرواية أهمية كبيرة، لأنها تنفرد بذكر معلومات عن عدن وإمارتها في هذه المدة التي اتصفت بالغموض، ونستدل من الرواية أيضاً أن الأمير مهكار كان شخصية مرموقة ذات تقدير واحترام عند الاتابك سنقر، وأنه قائد عسكري يعتمد عليه سنقر، لذا

---

[١] رُتب الملك الناصر في المُلك سنة ثمان وقيل تسع وتسعين وخمسمائة، وقام باتابكيته مملوك والده سيف الدين بكتمر سنقر، ثم مات سنقر بعد أربع سنين، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٢٧٢.

[٢] اللطائف السنية و ٣٧ أ.

[٣] لفظة تطلق على من يربي أولاد الملوك خاصة، فكان سنقر أتابكاً للملك الناصر أيوب أي: مربياً له. الجندي. السلوك ج ٣ و ١٢٢ أ، الخزرجي. طراز (متحف) ٢٠٩ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٣ ب، الديبع. قرة العيون ص ٤٠٥، الوزير. جامع المتون و ٢١ أ.

[٤] ويسمى: الأمير سيف الدين الاتابك سنقر بن عبدالله الأيوبي، كان أحد مماليك طغتكين بن أيوب وكان من صالحيهم، يحب فعل الخير وإسداء المعروف، استولى على حكم اليمن بعد مقتل الأكراد للمعز إسماعيل بن طغتكين في شهر رجب سنة ٥٩٨هـ. الاكوع، إسماعيل بن علي. المدارس الإسلامية في اليمن، منشورات جامعة صنعاء، طبع دار الفكر، (دمشق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ص ٢٤، وكان الاتابك سيف الدين سنقر هارباً من المعز إسماعيل في حصون حجة، فوصل إلى مولاه الناصر بن طغتكين وهو طفل يقيم بحصن تعز، كان الأمير سنقر شجاعاً حسن السياسة، راسل الأكراد وصالحهم، وأقطع الأمير وردشار صنعاء فسار إليها، وللأمير حسام الدين بكتمر تهامة. روضة الحجوري و ٢٤٦ ب، ابن حاتم. السمط الغالي ص ٨٤ – ٥، الحمزي. كنز الأخيار و١٨٧ ب، الجندي. السلوك ج ٣ و ١٢٢ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٣ ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٤٨ أ، الوزير. جامع المتون و٢١ أ، الكبسي. اللطائف السنية و ٣٧ أ.

[٥] السمط الغالي ص ٨٤.

[٦] عن ترجمة الملك الناصر أيوب وحكمه، أنظر: الخزرجي. طراز (متحف) و ٢٠٩ أ – ب، العقود اللؤلؤية ١/ ٢٩.

[٧] الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٧ ب، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص٨٠.

[٨] مجهول المؤلف. تاريخ اليمن، – تح: ياجيما، ص٣.

[٩] السمط الغالي ص ٨٥.

[١٠] اكتفى ابن حاتم بتسميته: برعش. السمط ص ٨٥، وسماه: الشريف برعش. السمط ص ١٠٤.

فاننا نرجح أن عزله عن إمارة عدن لم يكن عقاباً له، إنما استوجبت ظروف البلاد الاستفادة من خدماته في مجالات أخرى، لكن تلك الرواية لا تعطينا فكرة عن شخصية الشريف برعش أمير عدن الجديد، هذا وتجدر الإشارة إلى أن ابن حاتم اكتفى بذكر الأميرين مهكار وبرعش، دون توضيح أعمالهما في عدن في المجالين الاقتصادي والعمراني خلال مدة إمارتهما التي هي الأخرى كانت غامضة وغير محددة بالسنة التي تولى فيها كل منهما إمارة عدن.

لم تكن علاقة الأمير برعش مع الاتابك سنقر على وفاق[1]، بل انه أظهر الخلاف عليه مستغلاً انشغاله بقمع الفتن والمشكلات في أجزاء عديدة من اليمن[2]، وقد جرد لعدن الشهاب الجزري[3]، يشغل من بها لحين عودته من زبيد، فتقدم الجزري نحو عدن وحاصرها، فخرج إليه صاحبها، فكسره ونهب جيشه.

وكان الشهاب الجزري قد عين قائداً في لحج، اسمه: بكتمر[4]، فنزل بها، وحين علم بكتمر بخروج صاحب عدن (برعش)، تقدم إليها، وكان الجزري قد سبقه في دخولها، ولما فات بكتمر دخول عدن، لإسكات فتنة برعش، صرف همته إلى المتأخرين من أهلها الذين خرجوا مع أميرها (برعش)، فمنعهم من دخولها، وقتلهم وسلبهم، وبقي الحال هكذا حتى عودة سنقر من زبيد[5].

---

[1] كان سبب الخلاف بين سيف الدين سنقر وبرعش أمير عدن، أن الأخير قد خان وخالف واضمر الكيد والغدر، ذلك أن سنقر لما عرف بخبر الأكراد، وخلافهم في تهامة، أراد أن يصرف الأموال على الجيش، فارسل فخر الدين بكتمر السيفي إلى عدن ليقبض المال من برعش، فأحضر الأكياس، وطلب بكتمر أن يعدها، فاعتذر برعش بعذر قائلاً: "النقاد يتقدم صحبتك"، فتقدم النقاد صحبته، فلما وصل إلى الاتابك، فتحوا الأكياس فإذا هي فلوس وحديد، فضاق صدر الاتابك، وكان مشغولاً بحرب الأكراد، فلم يستطع التوجه إلى عدن، بل جرد لها شهاباً الجزري يشغل فيها إلى حين عودته من زبيد. ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٠٤.

[2] كانت زبيد مضطربة، بسبب تسلط الأكراد عليها بعد مقتل المعز إسماعيل. الديبع. قرة العيون ص ٤٠٦، وكتب سنقر إلى علم الدين وردشار (ويسمى: وردسار) بن سامي، بالتوجه إلى زبيد من صنعاء للاستعانة به فأجابه، وكان وردشار من القادة المتقدمين والمقربين لسنقر، فأقام معه على الجلالة والإكرام أياماً، وقد أقطعه سنقر صنعاء من نقيل سرح إلى البون، وساق إليه عشرين ألف دينار وعشرين مملوكاً وعشرين حصاناً، واتفقا على النزول معاً إلى زبيد. أنظر: ابن حاتم. السمط الغالي ص ٨٥، ٩٥ – ٦، الوزير. جامع المتون و ١٢١ أ.

[3] كان صاحب صنعاء عند مقتل المعز إسماعيل بن طغتكين. ابن حاتم. السمط الغالي ص ٨٤.

[4] الأمير فخر الدين بكتمر السيفي، نسبة إلى سيده الأتابك سيف الدين سنقر، الذي ولاه جميع تهامة عدا زبيد والكدراء. ابن حاتم. السمط الغالي ص٨٥، ١٠٤، الديبع. قرة العيون ص٤٠٥، الوزير. جامع المتون و١٢١أ (ويسميه: الأمير حسام الدين بكتمر).

[5] تمكن سنقر ووردشار من دخول مدينة زبيد، والقضاء على المتمردين فيها من الأكراد، وكان دخوله إليها من باب سهام قهراً يوم الأحد ١٥ ذي القعدة سنة ٥٩٩هـ، وأمر سنقر بضرب رقاب من قبض عليهم من الأكراد، ثم عاد مع وردشار إلى صنعاء، بعد أن عين على زبيد الأمير مهكار بن محمود الملقب: شجاع الدين. ابن حاتم. السمط الغالي ص١٠٣ – ١٠٤.

وبعد أن اخضع سنقر زبيد، عاد إلى عدن وضرب الحصار عليها، وضيق على أهلها، وقطع المواد عنهم، فضجوا وضاق برعش لضيقهم، فاضطر إلى مراسلة الاتابك وطلب الأمان منه، فأجابه لذلك، وغادر برعش عدن[1].

بعد دخول الاتابك سنقر إلى عدن وخروج برعش عنها، عين أحمد بن عبدالله بن عبدالوهاب أميرا عليها[2]، ولا توضح لنا المصادر دور هذا الأمير الجديد في عدن، ولا أعماله وإصلاحاته فيها، كما لا نعرف شيئا عن السنة التي تولى فيها، أو السنة التي انتهت فيها إمارته على عدن.

كان الاتابك سنقر حين دخل إلى عدن في عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين[3]، اشترى نصف المملاح[4] بألف دينار، بعد أن جار على أهله جورا كبيرا، وعد عمله هذا من أعمال الظلم التي قرنت بسيرته[5].

اتجه الاتابك سنقر على طريق عدن، ثم ملك بلاد حضرموت، ودخل موضعا يقال له حصن الزنبيل، وعاد للتهيؤ للحج، وكان قد تزود للخروج للحج، فحال الموت دون ذلك[6].

توفي الاتابك سنقر سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م[7]، وعلى وجه التحديد في شهر جمادى الأولى منها[8]، ودفن بمدرسته في مدينة تعز، وروى بعض المؤرخين[9] أنه قتل سنة ٦٠٨م، قتله أهل براش[10].

---

[1] أنظر عن تفصيل تلك الحوادث: ابن حاتم. السمط الغالي ص١٠٤ – ١٠٥؛ وذكر أن سنقر أعطى برعش أمير عدن حصنا يقال له: الرماء في أعالي لحج، فمات فيه بعد شهر أو شهرين.

[2] ابن حاتم. السمط الغالي ص١٠٥، وذكر أن سنقر بقي في عدن أياما ثم عاد منها.

[3] لا تحدد المصادر السنة التي دخل فيها إلى عدن.

[4] موضع خارج عدن يجمد فيه الملح، راجع الفصل الأول.

[5] ابن المجاور. المستبصر ص ٩٢، ١٤٨، الخزرجي. كفاية و ٨٢ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٩٨، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٢، مجهول. قلائد الجمن ص ٩٢. راجع هذا الموضوع في الفصل السادس.

[6] ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٤٧.

[7] الحمزي. كنز الأخيار و ١٨٧ ب، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٨١، الخزرجي. كفاية و ٨٦ أ، الديبع. قرة العيون ص ٤٠٨، الكبسي. اللطائف السنية و ٤٠ أ، الأكوع. المدارس الإسلامية ص ٢٤، وذكر أنه دفن في المدرسة الاتابكية التي أنشأها.

[8] مجهول. تاريخ اليمن، – تح: يا جيما، ص ٣.

[9] الوزير. جامع المتون و ٢١ أ، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٤٤، الأكوع. المدارس الإسلامية ص ٢٤.

[10] هنالك روايات أخرى عن وفاة الاتابك سنقر، فقد ذكر بعض المؤرخين وفاته بحصن تعز في شهر جمادى الآخرة سنة ٦٠٧هـ، ودفن بذي هزيم في مدرسته التي أنشأها هناك. الجندي. السلوك ج ٣ و ١٢٢ أ، الخزرجي. كفاية و ٨٦ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٤ أ، الديبع. بغية المستفيد ص ٧٧، يحيى. غاية الأماني ص ٣٩٥، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٧٩، وذكر أن ولايته استمرت تسع سنوات تقريبا. وذكر الأكوع أن قرية ذي هزيم تعرف الآن بهزيم، تقع في الغرب الجنوبي من مدينة تعز، وقد بنى فيها الأتابك سنقر مدرسة عرفت بالمدرسة الاتابكية، لم يبق منها الآن إلا آثارها. المدارس الإسلامية ص ٢٤.

وقيل أن وفاة سنقر كانت في مدينة تعز، في شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٩هـ. ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٤٧، الخزرجي. كفاية و ٨٦ أ، الأكوع. المدارس الإسلامية ص ٢٤.

وبراش جبل متصل بجبل نقم من جهة الشرق، مطل على مدينة صنعاء، وهو أيضا اسم لعدة جبال تحمل اسم براش. الأكوع. البلدان اليمانية ص٣٨.

عدن في أواخر العهد الأيوبي:

انحدرت أوضاع اليمن السياسية بعد وفاة الاتابك سنقر نحو التدهور والانحلال، فقد استقل الملك الناصر أيوب بن طغتكين في الحكم، وعين غازي بن جبريل مدبراً للمملكة، وكان غازي مقطعاً جهة لحج في عهد سنقر، وقد وصف بسوء السيرة، فقام بتدبير موت الملك الناصر بالسم، وذلك في شهر محرم سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م[١]. واستمر تدهور الأحوال السياسية في اليمن، بتولي سليمان بن تقي الدين الملقب بالصوفي الحكم، وكان ضعيفاً فازدادت المشكلات الداخلية في عهده، وكثرت الفتن والإضطرابات وعدم الاستقرار في البلاد[٢].

ولم يكن نصيب عدن خلال مدة حكم الملك الناصر وسليمان الصوفي من أخبار المؤرخين واضحاً، بل اتصفت بالغموض، سوى غارة سليمان بن موسى الحمزي[٣] على لحج وأبين سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م، إذ قصد لحج وأخذها، وأقام بالرعارع أياماً ثم عاد إلى بلده[٤]. وكانت لحج وأبين من توابع عدن وأعمالها.

وقد تولى الحكم بعد سليمان الصوفي الملك المسعود يوسف[٥] بن الملك الكامل محمد بن العادل الأيوبي[٦]، وذلك سنة ٦١١هـ[٧]، بعد تدهور أحوال اليمن، وخلوها من سلطان قاهر بعد موت الملك الناصر أيوب[٨].

---

[١] عن تفصيل هذه الحوادث انظر: ابن حاتم. السمط الغالي ص١٤٨ – ١٥٤، الجندي. السلوك ج٣ و١٢٢ ب، ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ص٨١، الخزرجي، كفاية و٨٦ب، العقود اللؤلؤية ١/ ٢٩ –٣٠، الأهدل. الجوهر الفريد و٢٨٤ أ، الحنبلي. شفاء القلوب ص٢٧٢، الديبع. قرة العيون ص٤٠٩ – ٤١٠، بغية المستفيد ص٧٧ – ٧٨ ، الوزير. جامع المتون و٢١ أ، الكبسي. اللطائف السنية و٤٠ ب، زبارة. أئمة اليمن ١/ ١٣٥.

[٢] أنظر عن عهد سليمان الصوفي ونهايته: الحمزي. كنز الأخيار و١٨٧ ب، ابن حاتم. السمط الغالي ص١٦٦، الجندي . السلوك ج ٣و١٢٢ ب، الخزرجي، العقد الفاخر و١٩٨ب، كفاية و٨٧ أ، الأهدل. الجوهر الفريد و٢٨٤أ – ب، الوزير. جامع المتون و٢١ب.

[٣] ويسمى: علم الدين سليمان بن موسى الحمزي. أنظر: الحمزي. كنز الأخيار و١٨٧ ب، ابن مظفر. الترجمان المفتح و١٥٨ ب، ويسميه الخزرجي: سليم بن موسى الحمزي. كفاية و٨٧ب.

وكان سليمان الحمزي عاملاً للإمام عبد الله بن حمزة الزيدي على ذمار. يحيى. غاية الأماني ص٤٠٣، وذكر ابن مظفر أن الإمام ولاه الجوف وأعماله. الترجمان المفتح و١٥٨ ب.

[٤] أنظر عن هذه الغارة: الحمزي. كنز الاخيار و١٨٧ ب، ابن عبد المجيد، بهجة الزمن ص٨١، الخزرجي. كفاية و٨٧أ، الديبع. قرة العيون ص٤١١، يحيى. غاية الأماني ص٤٠٣، زبارة . أئمة اليمن ١/ ١٤١.

[٥] ويعرف باقسيس ويلقب بأطسز، وهو اسم تركي، الحنبلي. شفاء القلوب ص٣٦٢، وذكر الأكوع أنها كلمة تركية معناها بالعربية : ماله اسم، ويقال سمي بذلك لأن الملك الكامل ما كان يعيش له ولد، فلما وُلِدَ ابنه هذا، قال بعض الحاضرين في مجلسه من الأتراك أنه في بلادهم إذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه اطسيس، والناس يقولون اقسيس، فسماه بذلك، هامش قرة العيون ص٤١٢ – ٣.

[٦] كان ملكاً سعيداً هماماً سديداً ، وكان متزوجاً ببنت الاتابك سنقر المعروفة ببنت جوزة. أنظر عن ترجمته: الخزرجي. العقد الفاخر و١٩٨ب، كفاية و٨٧ب، الأهدل، الجوهر الفريد و٢٨٤ ب، الوزير. جامع المتون و٢١ ب.

[٧] انظر عن وصوله اليمن وتوليه الحكم: ابن حاتم. السمط الغالي ص١٦٧، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص٨١، الخزرجي، كفاية و٨٧ أ ، الحنبلي، شفاء القلوب ص ٣٦٢.

[٨] ذكر هذا التعليل: الخزرجي. العقد الفاخر و١٩٨ ب.

لم تكن أحوال عدن وأخبارها واضحة وبارزة في أواخر العهد الأيوبي، سوى ما ذكره لقمان[1] من أن الملك المسعود حين استعد للسفر إلى مصر منتصف رمضان سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، عين نور الدين عمر بن رسول نائباً لبني أيوب في اليمن واقر رضي الدين محمد بن علي التكريتي نائباً له في عدن، وقد ذكر ابن المجاور[2] أن التكريتي جدد بناء القيصارية في عدن على اسم الملك المسعود، وهذا يعني أن إمارة رضي الدين التكريتي على عدن قد أعيدت له ثانية، فقد سبق أن تولاها منذ عهد المعز بن طغتكين، ولا توضح لنا المصادر السنة التي ولي فيها والمدة التي قضاها في إمارته الثانية، كما لا توضح لنا أبرز أعماله خلالها، ولا السنة التي عزل فيها، فبقيت هذه الأمور المهمة غامضة ومجهولة.

ويبدو ان إمارة المعتمد التكريتي على عدن قد انتهت في حدود سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م، أو ربما قبلها، ففيها وبالتحديد يوم الأربعاء ٢٦ رجب منها، كان دخول نور الدين عمر بن علي بن رسول إليها[3]، وهذا يعني أنه أصبح أميراً عليها، وان إمارة المعتمد التكريتي قد انتهت، وكان نور الدين قد أصبح صاحب الكلمة العليا في اليمن بعد قبض المسعود على اخوته ونفيهم إلى مصر، فعينه قائداً للجيش ووثق به ثقة مطلقة[4].

وقد تعرضت عدن كسائر مدن اليمن الأخرى في عهد المسعود إلى ظلم وتعسف الولاة ونهبهم ومعاملة سكانها بقسوة وعنف شديدين، ففي ٢ شعبان سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م، دخل الأمير نور الدين عمر بن رسول مدينة عدن، واستخدم القوة في معاملة من كان بها من غريب وقريب، قوي وضعيف، رجل وامرأة حرة ومفسودة، وتجلى ظلم الأمير نور الدين وعسفه في تلاعبه بأسعار الكثير من البضائع والمنتجات الواردة إلى عدن والصادرة منها، وألحقَ بالتجار وأصحاب المصالح الاقتصادية أضراراً بالغة، ووصل التعسف حدا لا يطاق من التلاعب بالأوزان وضمان معظم مصالح السكان الحيوية من قبل الدولة، إلى أشخاص ضامنين منها لقاء أجور يدفعونها ثم يستوفونها من السكان بفرض الأجور العالية وتحميلهم الأعباء الباهضة، مما أدى إلى تدهور أحوالهم المعيشية وتعرضهم لأنواع الظلم والتعسف[5].

ويبدو أن الأمير نور الدين غادر عدن تاركاً عليها أميراً، فقد ورد أن إمارة عدن كانت في سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م، للأمير ناصر الدين بن فاروت وقد تولى إضافة لها إمارة الحاج في تلك السنة[6]، ولعل ابن فاروت استمر أميراً على عدن حتى نهاية الدولة الأيوبية في اليمن، إذ أن المصادر لا تذكر لنا أميراً على عدن من بعده.

---

[1] تاريخ عدن ص٧٣، معارك حاسمة ص٨٦.

[2] المستبصر ص ١٣٠، وسندرس إصلاحاته في الفصول القادمة.

[3] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٧، لقمان. تاريخ عدن ص٧٤.

[4] لقمان. تاريخ عدن ص ٧٣ – ٧٤.

[5] أنظر: ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٧ – ٨، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٤، وسنعود لدراسة أحوال عدن الاقتصادية ودور السياسة الداخلية للدولة الأيوبية عليها، وذلك في الفصل الخامس.

[6] ابن المجاور. المستبصر ص ٤٩ – ٥٠، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢٣٧.

ان اضطراب الأحوال السياسية في اليمن في أواخر عهد الملك المسعود الأيوبي يمكن أن يكون سبباً في عدم إشارة المصادر إلى عمل ذي أهمية تذكر قام به الأمير ناصر الدين بن فاروت، ولعل هذا الأمير انشغل - كغيره - في مشكلات وصعاب كانت تعاني منها الدولة في معظم مجالات الحياة، لذا فانه لم يقم بعمل سياسي أو عمراني أو اقتصادي يستحق الذكر في عدن.

ويتضح لنا من إحدى الروايات[1] أن إبن فاروت عين أميراً للحجاج في شهر ذي القعدة من سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م، ولعله عين بذلك المنصب لحماية الحجاج من قطاع الطرق واللصوص، وفرض الأموال الباهضة على الحجاج من قبل قراصنة البحر، فكان تعيين الأمير ناصر الدين لوضع حد لتجاوزات هؤلاء الخارجين على النظام، ولحماية الحاج من ظلمهم وتعسفهم[2].

ويبدو أن الأمير ناصر الدين كان يقيم في قرية رباك[3] القريبة من عدن، فقد روى ابن المجاور[4] وأبو مخرمة[5] أنه عمر بستانا حسنا برباك، وغرس بها شجر النارنج والاترنج والموز والنارجيل (جوز الهند)، كما حفر بها آباراً عديدة، ونعتقد أن إصلاح ابن فاروت لتلك البستان وغرسها بأشجار الفاكهة وحفرهِ الآبار بها، لم يكن للصالح العام بل أن ذلك الاهتمام يبدو لمصلحته الشخصية في الأعم الأرجح، وتجدر الإشارة إلى أن المصادر لا تذكر مدة حكم الأمير ناصر الدين ولا سنة وفاته، فبقيت تلك الأمور غامضة ومجهولة.

نهاية الأيوبيين في اليمن:

تعيين نور الدين عمر بن رسول نائباً في اليمن:

ذكرنا عودة الملك المسعود من مصر إثر سماعه وقوع المشكلات بين بني رسول الذين كانوا نوابه ومقربيه في اليمن وعلى رأسهم الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، وبين المعارضين للحكم الأيوبي في اليمن، فلما عاد المسعود قبض على إخوة نور الدين عمر ونفاهم إلى مصر، وأبقى نور الدين الملقب بالمنصور، وكان ذا علاقة

---

[1] نفس المصدرين السابقين.

[2] نقل لنا ابن المجاور رواية على لسان ابن فاروت بهذا الخصوص، فقال: "رأيت في المنام ليلة الثلاثاء ثالث عشرة ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة كأني حدثني الأمير ناصر الدين فاروت والي عدن وفي هذا التاريخ تولى إمرة الحاج إضافة إلى ولايته الأولى وكان الحاج قد رجع من مكة إلى اليمن وكأنه يقول: كل من حج ورجع إلى الهند يوزنه عبدالغفور بن أحمد بن محمد الصناديقي البصري، جزية عن كل رأس اثنين وتسعين مثلي [كذا] ولو أن الحاج عُقال لما سافروا إلى الهند إلا في مركبي حتى كنت أعطيهم مقرعتي فيأمن القوم من شر عبد الغفور في أخذ الجزية منهم" المستبصر ص ٤٩ - ٥٠.

[3] من قرى عدن الزراعية، راجع عنها الفصل الأول.

[4] المستبصر ص ١٠٥.

[5] ثغر عدن ١/ ٢٠، ٢/ ٢٣٧، أيضاً: مجهول. قلائد الجمن ص ٩٢.

حميمة به، فقد عينه أميراً على مكة سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، ووثق به ثقة مطلقة، فكان نائبه في اليمن، بعد القبض على اخوته سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م[١].

ويتضح لنا أن إجراء الملك المسعود بالقبض على إخوة نور الدين عمر ونفيهم إلى مصر وهم مقيدون، قد تم بعلم ومعرفة أخيهم، ويروي الأهدل[٢] والديبع[٣] أن نور الدين اشترط مقابل تعيينه نائباً للمسعود في اليمن، إبعاد اخوته عنه، وهم بدر الدين الحسن وفخر الدين أبو بكر وشرف الدين موسى، فسفرهم المسعود عن طريق البحر من عدن إلى مصر، ويحدد لقمان[٤] القبض على الأميرين بدر الدين الحسن وفخر الدين أبي بكر، وإرسالهما مقيدين إلى مصر، وأضاف أن نور الدين عمر هو الذي أشار على المسعود القبض عليهما، حتى لا يكونا سبباً في عرقلة مشروعاته، وربما أنه أراد أن يثبت بذلك ولاءه لبني أيوب، ولعل بعض ما ذكره لقمان في سبب قبض المسعود على بني رسول يوضح أن أخاهم بدر الدين أراد أن يثبت للملك المسعود إخلاصه له وكسب ثقته وصدقه والتعبير عن ولائه المطلق له، ولعله أراد تصريف الأمور لوحده دون مشاركة اخوته، لئلا يثير وجودهم شكوك الأيوبيين بأن بني رسول خططوا وتشاوروا من أجل السيطرة على اليمن وتقسيمها فيما بينهم.

ازدادت مكانة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول عند الملك المسعود الأيوبي، روى ابن حاتم[٥] وإدريس[٦] أنه جعل نور الدين أستاذ داره وولاه اليمن إلى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، ثم أراد السفر إلى مصر، وطلب من أمير صنعاء الحسام لؤلؤ[٧] أن يكون نائبه في اليمن لكنه اعتذر، وقبل المسعود عذره، وقال لعمر بن رسول: "قف في اليمن عاملاً حتى يأتيك أمرنا"، فأجابه عمر بالموافقة، وأقامهُ المسعود على نيابة اليمن حتى يرسل غيره، وسافر المسعود إلى مصر وحالت المنية دون أن يعمل شيئاً[٨].

وذكر الحداد[٩] نص العهد الذي أعطاه الملك المسعود للأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، فقال له: "إني قد عزمت على السفر وقد جعلتك نائبي، فان مت فأنت أولى بالملك حتى من أخوتي، لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد، وإن عشت فأنت على حالك، وإياك أن تترك أحداً يدخل اليمن من أهلي ولو جاء الملك والدي مطوياً في كتاب".

---

[١] ذكرنا ذلك آنفاً، ويحدد الحمزي القبض على بني رسول سنة ٦٢٦هـ. كنز الأخيار و ١٨٨ أ.
[٢] الجوهر الفريد و ٢٨٤ ب.
[٣] بغية المستفيد ص ٧٩.
[٤] تاريخ عدن ص ٧٣ – ٧٤.
[٥] السمط الغالي ص ١٩٤ – ١٩٥.
[٦] نزهة الأفكار و ٥٢ أ.
[٧] ذكرنا أنه كان أميراً على زبيد في عهد المسعود. إدريس. نزهة الأفكار و ٥٠ ب.
[٨] سنوضح سفر المسعود ووفاته في مكة.
[٩] تاريخ اليمن السياسي ص ٢٥٠.

ونستدل من هذا العهد ان المسعود وضع ثقته الكاملة والمطلقة للأمير نور الدين عمر، وأوضح المسعود ان الأخير خدمهُ خدمةً كبيرة وقدم له المشورة والنصح في كثير من أمور دولته، إلى حد تفضيله على إخوته، وصرح له المسعود بوضوح بانتقال الحكم إليه في حالة وفاته، كما حذره من السماح لأي أحد بدخول اليمن حتى لو جاء أبوه، مما يؤكد ثقة المسعود بالأمير نور الدين ونقل الحكم إليه باختياره.

وكان سبب مغادرة الملك المسعود لليمن للمرة الثانية والأخيرة هو موت عمه السلطان المعظم عيسى بن الملك العادل، سلطان الشام، فاتجه المسعود إلى مصر بدعوة من الملك الكامل ليخلف إبن عمه على الشام[1]، ففرح المسعود بذلك فرحاً شديداً، واستعد لمغادرة اليمن إلى مصر ومنها إلى الشام.

مغادرة المسعود لليمن:

استعد المسعود لمغادرة اليمن إلى مصر ومنها إلى الشام، بعد موت عمه المعظم سلطان الشام، وذكر المؤرخون[2] أنه حين عزم على السفر إلى مصر، استناب الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول على اليمن، وسلمه جميع أمورها واستحلف له الجند، ثم تجهز بجهاز عظيم لم يسبقه إليه ملك[3]، حتى قيل أن أثقاله حملت في خمسمائة مركب[4]، وقيل إن عددها سبعون مركباً[5]، وقد جمع المسعود تلك الأموال قبل سفره، ذلك أنه أعلن في الموانئ اليمنية أنه من أراد السفر إلى مصر، فليسافر صحبة الملك المسعود، وقد أغراهم بتخليصهم من العشور[6]، وأقبل التجار من كل ناحية بأنواع البضائع، فاجتمع بهم المسعود في عدن طالباً منهم أن يبيعوه البضائع التي عندهم ويخلصهم من العشور، فباعوها عليه وأخذها منهم دون أن يدفع أثمانها، بل كتب لهم بها إلى اليمن، بأن حول أثمانها بحوالات كل إلى بلده، فاعترضوا وصاحوا، لكن ذلك لم

---

[1] كان موت عمه المعظم سنة ٦٢٥هـ، ابن ايبك. كنز الدرر ٧/ ٢٩٧، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٣٦٤، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٥٠، وجعل سبط ابن الجوزي وفاته سنة ٦٢٤هـ.مرآة الزمان ٨/ ٦٤٤ فما بعد، وذكر أن موت المعظم بلغ الملك المسعود يوسف سنة ٦٢٥هـ. نفس المصدر ص٦٥٨.

[2] سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ٨/ ٦٥٨، ابن ايبك. كنز الدرر ٧/ ٢٩٧، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٣٦٤، يحيى. غاية الأماني ص ٤١٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٥ – ٦.

[3] من ذلك ألف خصي وخمسة صناديق من فاخر الثياب والأقمشة والملبوس، وثلاثمائة بهار من العود الرطب والعنبر الفاخر، وأربعمائة سرية، ومن الجواهر واللآلئ والأحجار النفيسة مالا ينحصر، وسبعون ألف ثوب صيني معلم بالذهب ومن الصنائع مالا ينحصر عدده. لقمان. تاريخ عدن ص ٧٥ – ٦.

[4] ابن أيبك. كنز الدرر ٧/ ٢٩٧، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٣٦٤، ومعه ألف وسبعمائة خادم، ومائة قنطار عنبر خام، ومائة قنطار عود قاقلي، ونوافج مسك، وبراني مسك، ومائة ألف ثوب حرير، ومائة صندوق من الجواهر والأموال، أنظر أيضا: مرآة الزمان ٨/ ٦٥٩.

[5] لقمان. تاريخ عدن ص ٧٦.

[6] ويقال تكاملت التجار بزبيد فأمرهم أن يكتبوا سائر ما معهم، وقال: "إنما القصد حمايتكم من الزكاة بالديار المصرية، فكتبوا له جميع ما معهم". إبن أيبك. كنز الدرر ٧/ ٢٩٧.

ينفعهم، فلم يلتفت المسعود إليهم، ولم يحصل أكثرهم على شيئ[1].

والواقع أن عمل المسعود تجاه التجار يوضح لنا أن المصادرة كانت جزءاً من مظاهر الظلم والتعسف الذي كان متبعاً من قبل سلاطين الأيوبيين في اليمن سواء تجاه التجار أو تجاه سائر السكان، ومما زاد في فداحة المصيبة التي وقعت على أولئك التجار، أن أغلبهم لم يكونوا من أهل اليمن، بل كانوا غرباء جاءوا إلى عدن وزبيد للعمل، فمنهم كانوا من الهند والصين وغيرهما[2]، وكان بعضهم يشتغل أجيراً بأموال لا تعود له مما اضر بهم ضرراً شديداً.

وقد سافر المسعود بهذا الموكب الضخم من زبيد إلى مصر، ويحدد ابن حاتم[3] والخزرجي[4] سفره في الأيام الأخيرة المتبقية من شهر ربيع الأول سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م.

وفاة الملك المسعود الأيوبي:

سافر المسعود من اليمن إلى مصر، فلما وصل مكة اشتد عليه المرض، وتوفي فيها، وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاته وسببها، فقد حدد بعض المؤرخين[5] وفاته بمكة يوم الاثنين ١٤ جمادى الأولى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، وأوصى أن يدفن بين الغرباء فيها، وكان عمره حين وفاته سبعا وعشرين سنة[6]، ويروي الأهدل[7] أنه توفي بحلي[8] ونقل إلى مكة ودفن فيها.

وذكر مؤرخين آخرون[9] أنه مات مسموماً من أبيه، وذلك في شهر رجب أو شعبان من سنة ٦٢٥هـ[10]/ ١٢٢٧م، وقد حدد الحمزي[11] والخزرجي[12] وفاته في شهر ربيع

---

[1] وفي رواية ان الهواء ضرب بعض المراكب فعادت إلى زبيد وأخذها أصحابها. سبط إبن الجوزي. مرآة الزمان ٨/ ٦٥٩، إبن أيبك. كنز الدرر ٧/ ٢٩٧.

[2] سنوضح أهمية ميناء عدن في التجارة العالمية مع تلك البلدان، وتنوع سكان عدن في الفصل السادس.

[3] السمط الغالي ص ١٩٤.

[4] كفاية و ٩٠ ب.

[5] ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٩٤، الخزرجي. كفاية و ٩٠ ب، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٦، معارك حاسمة ص ٨٦، وذكر ابن عبد المجيد وفاته بمكة في ١٣ جمادى الأولى سنة ٦٢٦هـ. بهجة الزمن ص ٨٥، وذكر الخزرجي وفاته في شهر جمادى فقط منها. العسجد المسبوك ج ٢ و ١٤٤ ب.

[6] ذكر الحنبلي أن سنه كان ستا وعشرين سنة، لأن مولده سنة ٦٠٠، وملك اليمن ١٤ سنة. شفاء القلوب ص ٣٦٥، وذكر لقمان أن عمره (٢٧) سنة. معارك حاسمة ص ٨٦.

[7] الجوهر الفريد و ٢٨٤ ب.

[8] حلي: مدينة باليمن على ساحل البحر، بينها وبين السرين يوم واحد، وبينها وبين مكة ثمانية أيام. الحموي. معجم البلدان ٢/ ٢٩٧.

[9] الجندي. السلوك ج ٣ و ١٢٣ أ، الخزرجي. كفاية و ٩٠ ب ، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٤ ب، الديبع. بغية المستفيد ص ٧٩.

[10] وقيل أنه توفي سنة ٦٢٥هـ. الكبسي. اللطائف السنية و ٤٣ ب، العرشي. بلوغ المرام ص ٤٢.

[11] كنز الأخيار و ١٨٨ أ.

[12] كفاية و ٩٠ ب، وذكر شهر ربيع فقط.

الأول سنة ٦٢٦هـ، ونعتقد أن هذه الرواية ضعيفة ولا يمكن قبولها، إذ أن الخزرجي نفسه ذكر أن المسعود غادر زبيد إلى مصر أواخر شهر ربيع الأول سنة ٦٢٦هـ، فكيف يحدد وفاته في نفس الشهر بعد أن قطع مسافة من زبيد إلى مكة تحتاج إلى عدة أيام، ونرجح أن الصواب لعله يكون في شهر ربيع الآخر، ونحن نميل إلى أن وفاة المسعود الأيوبي كانت سنة ٦٢٦هـ، كما ذكر معظم المؤرخين[1]. بغض النظر عن اختلافهم في تحديد اليوم والشهر الذي توفي فيه.

وذكر سبط ابن الجوزي[2] أن أباه الملك الكامل فرح بموت ولده المسعود، وأضاف أنه عوقب سريعاً وضربه القدر ضرباً وجيعاً لسوء أفعاله، وذكر ابن ايبك[3] أن فعله مع التجار كان من اقبح أفعاله. وبموته انتهت الدولة الأيوبية في اليمن وأسس الأمير نور الدين عمر بن رسول في أعقابها دولة جديدة عرفت بالدولة الرسولية منذ سنة ٦٢٧هـ، وامتاز بنو رسول بعلمهم وتقدم منصبهم في المُلك وعلو همتهم وشدة بسالتهم وثبات آرائهم[4].

والخلاصة فان طبيعة الحكم الأيوبي لليمن عامة وعدن خاصة، قد تميزت باتباع القوة لتثبيت سلطة الدولة، وفرض سياستها فرضاً على السكان، ويرجع سبب ذلك إلى اشتداد حركات المعارضة في اليمن ضد الوجود الأيوبي الذي اعتبروه وجوداً أجنبياً دخيلاً عليهم جردهم من استقلالهم وجعلهم تابعين. وتمثلت تلك المعارضة على طول السنوات التي أعقبت دخول الأيوبيين إلى اليمن وسيطرتهم عليها، وعبرت تلك المعارضة عن نفسها بشكل انتفاضات عنيفة مسلحة وتمرد ومقاومة شديدة. وقد ساعد على استمرارها طبيعة بلاد اليمن الجغرافية ووعورة مواصلاتها، وتعدد المذاهب الدينية فيها، وقد جرد السلاطين الأيوبيون الحملات العسكرية المتوالية لضرب تلك الحركات وقمعها.

لقد انعكست تلك السياسة على أحوال السكان في اليمن، فكانوا يتحملون أعباءها، واستمرت أحوالهم سيئة بل انحدرت إلى الأسوء، وقامت الدولة بإجراءات عديدة لتغطية نفقات تلك الحروب، كان أبرزها زيادة الرسوم والضرائب الجمركية وضمان معظم

---

[1] روضة الحجوري و ٢٤٧ أ، سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان ٨/ ٦٥٨ – ٩، ابن حاتم. السمط الغالي ص ١٩٥، إبن ايبك. كنز الدرر ٧/ ٢٩٧، إدريس. نزهة الأفكار و ٥٢ أ، الحنبلي. شفاء القلوب ص ٣٦٥، العامري. غربال الزمان و ١٣٦ أ، الديبع. قرة العيون ص ٤٢١، يحيى. غاية الأماني ص ٤١٨، الثور. هذه هي اليمن ص ٣٠٢، لقمان. معارك حاسمة ص ٨٦.

[2] مرآة الزمان ٨/ ٦٥٩، وذكر من سوء أعمال المسعود ضربه الحرم بالبندق.

[3] كنز الدرر ٧/ ٢٩٧.

[4] انظر عن نهاية الدولة الأيوبية وقيام دولة بني رسول:

الحمزي. كنز الأخيار و١٨٨ أ، ابن عبدالمجيد. بهجة الزمن ص ٨٥ – ٦، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٨٥ ب، إدريس. نزهة الأفكار و ٥٢ أ – ٥٣ أ، الديبع. بغية المستفيد ص ٨١ – ٢، الوزير. جامع المتون و ٢٢ ب، الكبسي. اللطائف السنية و ٤٣ ب، باوزير. صفحات ص ٨٥، شرف الدين. اليمن عبر التاريخ ص ٢٢١، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٦ – ٧، معارك حاسمة ص ٨٦.

مرافق الحياة اليومية، مما أدى إلى قيام طبقة محتكرة جشعة استغلت الناس وفرضت الأسعار الباهضة والرسوم الكثيرة على المواد الغذائية والكمالية.

ولا ريب أن غرض الأيوبيين من فتح بلاد اليمن هو توسع نفوذهم والقضاء على بقايا المذاهب المعارضة لسياستهم من أنصار الفاطميين في عدن وغيرها، وبني مهدي المتطرفين في زبيد وأعمالها، وكذلك كان أحد أغراض ذلك الفتح هو الحصول على الأموال الكافية منها، سيما وأنها تتمتع بموقع استراتيجي ممتاز على البحر الأحمر، وتتصف بكثرة الموانئ ذات الأهمية الكبيرة مثل: عدن والمخا وغلافقة وغيرها، فارتبطت طبيعة الحكم الأيوبي وسياسته تجاهها بذلك الغرض، وتحمل السكان أعباءها ومصائبها.

وتمثلت أطماع حكم اليمن في هذا العهد بالصراع بين النواب الذين أرادوا التوسع والحصول على الأموال الطائلة، فحاول كل منهم الاستقلال في منطقته، وجرد السلاطين الأيوبيون حملات للقضاء على تلك المحاولات، كما قام بعض القادة من مماليك السلاطين بالسيطرة على الحكم ومحاولة الانفصال والاستقلال بل وصل الحد إلى قتل أحد السلاطين وهو الملك الناصر أيوب من قبل غازي بن جبريل للسيطرة على البلاد، وتولى بعض هؤلاء السلاطين الحكم وهم صغار السن فكانوا ضِعافاً ومُسَيّرين من قبل مماليكهم، مما أدى إلى تدهور أحوال البلاد الداخلية، وعدم قدرة الدولة على إصلاح أحوالها المختلفة إصلاحاً يتناسب وطبيعة تلك البلاد وتحقيق أماني سكانها في العيش بسلام ورفاه.



الفصل الخامس

ميناء عدن وفعالياته الاقتصادية

تعريف بالفصل:

يتناول هذا الفصل أهمية عدن كسوق عالمي من خلال علاقاتها مع العالم الخارجي، والأنشطة التجارية والإدارية المتبعة في مينائها، من رسو المراكب فيه حتى وصول البضائع إلى السوق.

ونقدم دراسة شاملة للعشور التجارية المفروضة على البضائع، فنبين أنواعها ومقاديرها والتغيرات التي طرأت عليها، كما ندرس العملة المتداولة ودورها في تحديد أثمان البضائع التي تترتب عليها مقادير العشور المقررة والمعاملات الأخرى كالأوزان والمكاييل ومقاييس الطول والمساحة وغيرها، وبذلك نقدم صورة واضحة للنشاط الاقتصادي داخل ميناء عدن والسوق التجارية فيه.



١- عدن سوق عالمي:

مقدمة تاريخية:

اشتهرت اليمن في عالم التجارة خلال عصور ما قبل الإسلام كممر بحري مهم للمراكب التجارية المحملة بالبخور والتوابل، وأصبحت البلد الذي يستطيع نقل تجارة الشرق إلى الغرب وبالعكس، وذلك بحكم موقعها الاستراتيجي المهم، وبواسطة هذه التجارة تعرف اليمن على حضارة اليونان والرومان والبابليين والفينيقيين[١].

كانت عدن سوقاً وميناءً لكبار تجار اليونان والرومان، فكانوا يقصدونها في رحلات منتظمة من مصر، وكان لهم فيها جالية من صغار التجار سرعان ما ازدادت بمرور الزمن، كذلك كانت عدن مركزاً لتبادل السلع الأفريقية والهندية والمصرية، ومكاناً تبحر منه السفن إلى الهند[٢].

قبل ظهور الإسلام كان للعرب أسواقهم المتعددة في أنحاء الجزيرة العربية، وكانت تلك الأسواق حولية تقام مرة أو مرتين في السنة، واشتهر منها سوق دومة الجندل الذي يقام في الأول من شهر ربيع الأول، وسوق هجر وهو المشقر الذي يقام في شهر ربيع الآخر، وسوق الشحر التي تقام في النصف من شعبان، وسوق عدن التي تقام بعد الفراغ من سوق الشحر في الأيام العشر الأول من شهر رمضان، وفي رواية[٣] أن قاصد هذه السوق لا يحتاج إلى حراسة؛ بسبب قيام حكومة مركزية منظمة فيها قبل الإسلام، (أي خلال المدة التي حكم فيها التبابعة ملوك اليمن)، وتدفع عشور هذه السوق إلى ملكها من حمير. وهذا يدلنا على تقدم مدينة عدن وانتظام أحوالها السياسية والاقتصادية قبل ظهور الإسلام، وبعد سوق عدن تقام سوق صنعاء التي تستمر من منتصف شهر رمضان حتى أواخره، كما تقام سوق حضرموت ابتداءً من منتصف شهر ذي القعدة حتى أواخره، وربما قامت هي وسوق عكاظ في يوم واحد فيتوزع الناس في الذهاب إلى السوقين[٤]. وانتشار هذه الأسواق التجارية في مناطق متعددة من بلاد العرب، وانتظامها، وتنوع أنشطتها، دليل على اهتمام العرب بالتجارة منذ اقدم العصور.

---

[١] أنظر عن علاقة اليمن التجارية مع تلك البلدان والحضارات: د. جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/ ٢٧٧ – ٢٨٠، حوراني. العرب والملاحة ص ٧٩ – ٨٣، ١٥٦، الحبشي، جوانب، الكلمة، ع ٥١ – ٥٢، ص ٨٣ – ٤.

[٢] د. جواد علي. المفصل ٧/ ٢٧٣ – ٤، العبدلي. هدية الزمن ص ١٧، حوراني. العرب والملاحة ص ٩٤ – ٥، أباظة. عدن ص ٢٦، الحبشي. اليمن الجنوبي ص ٥.

[٣] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد. الأزمنة والأمكنة، ج ٢، ط ١، (حيدر آباد الدكن، ١٣٣٢هـ)، ص ١٦٤، جواد علي، المفصل ٧/ ٣٧٤، الأفغاني، سعيد. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط ٢، منشورات دار الفكر، (دمشق، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)، ص ٢٦٩ – ٢٧٠.

[٤] أنظر عن أسواق العرب تلك: التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد. الامتاع والمؤانسة، ج ١، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، ط ٢، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٣م)، ص ٨٣ – ٤، المرزوقي الأزمنة والأمكنة ٢/ ١٦١ – ١٧٠، القلقشندي. صبح الأعشى ١/ ٤١٠ – ١، الآلوسي. بلوغ الأرب ١/ ٢٦٦، جواد علي. المفصل ٧/ ٣٧١ – ٧، الأفغاني. أسواق العرب ص ٢٣٢ فما بعد، الحبشي. جوانب ص ٨٧ – ٨٩.

ظل ميناء عدن محتفظاً بمكانته في التجارة العالمية، بل تحول بعد الإسلام إلى مستودع ضخم للبضائع القادمة من مصر وشرق أفريقيا والهند بعد أن جعلها التجار الممر الرئيسي لهم.

أدركت الإمارات الإسلامية التي استقلت بحكم اليمن أهمية عدن ومميزاتها، فقد قام الأمير محمد بن زياد مؤسس الإمارة الزيادية في زبيد بنشر الأمن حول عدن، فاتجهت السفن التجارية إليها، بسبب قربها من موانئ المحيط الهندي بعد أن كانت تفضل الاتجاه إلى الموانئ اليمنية الأخرى والحجازية على البحر الأحمر[1].

في أثناء ازدهار الخلافة العباسية تحولت مراكز التجارة والتبادل الاقتصادي بين الشرق والغرب تدريجياً من جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر إلى منطقة الخليج العربي والطرق الشرقية المارة عبر عاصمة الخلافة، مما أثر بصورة مؤقتة على الموقع الاقتصادي لميناء عدن[2].

كان من نتائج ذلك التحول الذي نجح العباسيون في تحقيقه في عصر خلافتهم الأول، فقدان طريق البحر الأحمر نشاطه، فاصبح دوره التجاري ثانوياً، لذلك ازدهرت موانئ الخليج العربي مثل سيراف[3] والبصرة والابلة ثم قيس (كيش)[4].

أصبحت مدينة سيراف بسبب هذا التحول التجاري من أهم مدن العالم التجارية بين القرنين الثالث والرابع الهجريين، وكانت سفن الهند والصين تحط فيها، فأصبحت مركز تجميع وتصريف للتجارة العالمية[5].

---

[1] أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ٩، أباظة. عدن ص ٢٧.

[2] أنظر عن ذلك التحول: يعقوب، عادل إبراهيم (المترجم). التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط (دراسات مختارة)، وهي بحوث المؤتمر الاقتصادي المتعقد في لندن بين ٤ – ٦ تموز عام ١٩٦٧م، دار الحرية للطباعة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الموسوعة الصغيرة رقم (٥٦)، (بغداد، ١٩٨٠م)، ص ٣٤ – ٥، ٤٣، القوصي. سيراف وكيش ص ٥٣، الحبشي. جوانب،الكلمة، ص ٨٦، سلطان ناجي (عرض) عدن تحت الحكم البريطاني تأليف البروفيسور آر. جي. جافين، الكلمة، ع ٤٦، (صنعاء، ١٩٧٨م)، ص ٧٩.

[3] سيراف: هي مدينة جليلة على الساحل الشرقي للخليج العربي كانت قديماً فرضة الهند، وهي في سفح جبل عالٍ جداً، وليس للمراكب فيها ميناء فالمراكب إذا قدمت إليها كانت على خطر إلى أن تقرب منها نحو فرسخين في موضع يسمى نابد وهو خليج يقع بين جبلين، وقد اشتهرت سيراف بدورها الجميلة المبنية بخشب الساج على طبقات وكانت تكلف غالياً ويعملون فيها البساتين وتتصف سيراف بشدة الحرارة، لأنها تقع على شاطئ حار مجدب، شانها شان عدن. الحموي. معجم البلدان ٣/ ٢٩٥، حوراني. العرب والملاحة ص ٢٠٧، وتقع خرائب سيراف الآن على مسافة ميل من غربي قرية بند ر طاهري ومسافة (٢٠٠) ميل جنوب شرقي ميناء بوشير الفارسي الشهير، ومازالت هذه الخرائب قائمة حتى الآن ومن السهل الوصول إليها بالسيارة من بوشهر. القوصي. سيراف ص ٦٦ هامش.

[4] القوصي. سيراف ص ٥٣ – ٤، وذكر أن تلك الموانيء حلت محل مينائي الفرما والقلزم في استقبال سفن الشرق الاقصى، وقد ترجمنا لكيش في الفصل الثاني.

[5] القوصي. سيراف ص ٥٣ – ٤، وقد أفاض في وصف ازدهار سيراف وثراء أهلها ص ٥٥ – ٧.

وظلت سيراف مزدهرة حتى منصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ثم بدأت تفقد مكانتها التجارية العالمية، بتحول السفن التجارية منها إلى ميناء جزيرة كيش (قيس)، وبسبب عوامل أخرى، تركها معظم سكانها فأصابها فقر بعد غنى وذل بعد عز[1] ازدادت الأهمية التجارية لجزيرة كيش بسبب موقعها الممتاز في الخليج العربي[2] خاصة بعد تدهور ميناء سيراف فاحتلت مكانتها كمحطة كبرى لتجارة الشرق العالمية خلال النصف الثاني من القرن الرابع وطوال القرن الخامس الهجري، فانعكست مظاهر الثراء على حكامها وأهلها وازدهرت مظاهر العمران فيها، فكانت معاملة حكامها للتجار الواردين إليها طيبة في بادىء الأمر، لكن تلك المعاملة تغيرت في بداية القرن السادس الهجري، فقسوا على التجار المسافرين في بحر عمان بفرض الضرائب العالية على بضائعهم والعمل على زيادتها زيادة كبيرة، مما أدى إلى تحول الكثير من تجار الشرق من ميناء كيش إلى ميناء عدن، ففقدت كيش أهم مورد من موارد ثروتها[3].

وتجدر الإشارة إلى أن ميناء عدن لم يتأثر كثيرا، ولمدة طويلة، بسبب تحول طرق التجارة إلى موانئ الخليج العربي، بل سرعان ما استعاد مكانته التجارية السابقة، بسبب اضطراب الأحوال الأمنية في العراق ومنطقة الخليج العربي[4]، فأخذ يجذب التجار من موانئ الخليج العربي، وكان ازدهاره كارثة على ميناء كيش الذي بدأ يفقد مكانته التجارية إثر تحول سفن تجار الشرق إليه. وقد دفع هذا الوضع حاكم جزيرة كيش، – بعد نفاد صبره – إلى مهاجمة ميناء عدن، واستخدم القوة لتدميره، لكن محاولته باءت بالفشل الذريع سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م[5].

ومما ساعد على انتعاش ميناء عدن، قيام الخلافة الفاطمية في مصر، فتحول ميزان السلطة السياسية في البحر الأحمر والبحر العربي من بغداد نحو القاهرة. لقد انتعش النشاط الاقتصادي لعدن وأصبحت من جديد همزة الوصل بين الشرق والغرب في معظم

---

[1] يرجع تدهور سيراف ونهاية أمرها إلى ثلاثة عوامل:
تدمير الزلازل لها سنة ٣٦٦هـ أو ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م، انتهاء نفوذ البويهيين السياسي في العراق ففقد الميناء رعايتهم واهتمامهم بعمرانه، ازدهار ميناء جزيرة كيش وتحول السفن إليه. للتفصيل أنظر: القوصي. سيراف ص ٥٨ – ٥٩.

[2] تقع جزيرة كيش ويسميها العرب: (قيس) في الخليج العربي على خط ٥٤° شرقا، ٣٠. ٢٦° شمالا. القوصي. سيراف ص ٥٩ – ٦٠، Goitein . Two Eyewitness p. 247.

[3] القوصي. سيراف ص ٦٠ – ٦١، Goitin, Ibid, p. 248.

[4] عادت للبحر الأحمر أهميته التجارية الأولى في القرنين الرابع والخامس الهجريين، بسبب تعرض التجارة للخطر في الخليج العربي بعد قيام حركة الزنج وحركة القرامطة في العراق والبحرين، وبسبب تدهور أحوال الخلافة العباسية السياسية والاقتصادية بعد سيطرة القادة الأتراك على السلطة فيها وإثارة الاضطرابات في الدولة وشل نشاطها التجاري، في ذات الوقت ساءت معاملة السلطات الصينية للتجار العرب، الأمر الذي أدى إلى توقف هؤلاء التجار عن ارتياد موانئ الصين وقصر نشاطهم التجاري على الهند والبحر الأحمر مما كان له أثره في عودة النشاط إلى ميناء عدن. أنظر: التاريخ الاقتصادي ص ٣٤ – ٣٥، ٤٣ – ٤٤، القوصي. سيراف وكيش ص ٦٩، الحبشي. جوانب ص ٨٦.

[5] ذكرنا تفاصيل ذلك في الفصل الثاني، أنظر أيضا: القوصي. سيراف ص ٦١ – ٥.

الأمور التجارية والاقتصادية، خاصة عندما أصبحت اليمن تدخل ضمن ولاء الفاطميين ونفوذهم أثناء قيام الدول الموالية لهم كالصليحيين والزريعيين[1].

لقد أدى تدهور الأحوال السياسية في شمالي البلاد العربية لأسباب داخلية وخارجية[2]، واضطراب حبل الأمن في الخليج العربي (بسبب ظهور حركات الخوارج والزنج والقرامطة) إلى نزوح كثير من رؤوس الأموال والفعاليات الاقتصادية إلى الجنوب، فراجت أسواق القاهرة والإسكندرية سيما في عهد الفاطميين، وقد بقي مركز عدن على حاله الأول متيناً لا يتزعزع، وكان الفاطميون قد حفزوا المد التجاري مع أوروبا عبر برنامج مكثف لبناء السفن، فتحولت الطرق إلى الجنوب الشرقي من البحر المتوسط عبر مصر إلى البحر (الأحمر) فإلى الشرق عن طريق عدن[3].

ولإيضاح مكانة عدن وطبيعة الحركة التجارية فيها، نورد وصف صلاح الدين الحكيم[4]، حيث يقول[5]: "ولا يخلو أسبوع من عدة سفن وتجار واردين عليها وبضائع شتى ومتاجر منوعة والمقيم بها في مكاسب وافرة وتجائر مربحة، ولحط المراكب عليها و إقلاعها مواسم مشهورة...".

ونستدل من هذا الوصف على نشاط الحركة التجارية بعدن، بسبب كثرة المراكب الواردة إليها اسبوعياً وكانت تلك السفن تحمل البضائع المتنوعة من مختلف الأرجاء، وكان للمراكب التي تحط وتقلع منها مواسم معروفة عند أهلها فكانوا يخرجون لرؤيتها ويفرحون بوصولها، لأنها تعمل على نشاط السوق فيها وتبادل السلع وكثرة الأرباح. وتشكل حركة المراكب مظهراً بارزاً من مظاهر التجارة الداخلية والخارجية لعدن، فبعضها تأتي من داخل اليمن ومعظمها الأخرى تأتي من خارجها.

ارتبط تاريخ عدن بتاريخ البحر الأحمر، الشريان المهم للمواصلات الدولية بين الشرق والغرب، فهي بحكم موقعها الممتاز تسيطر على مدخله الجنوبي وتتحكم فيه، لذلك عرفت بأنها: "جبل طارق الشرق The Gibraltar of The East"[6]، لأنها همزة الوصل بين الشرق والغرب، وملتقى قارتي آسيا وأفريقيا، كما تعتبر السوق الكبير للجزيرة العربية[7]، وارتبط أيضاً بتاريخ الركن الجنوبي الغربي للجزيرة العربية، وقد استمر هذا الركن عرضة لتغييرات متتابعة نتيجة الاضطرابات الداخلية والمؤثرات

---

[1] سلطان ناجي، الكلمة ع ٤٦/ ٧٩، عن : Gavin, op, cit.

[2] أشرنا لتلك الأسباب آنفاً.

[3] التاريخ الاقتصادي ص ٤٣ – ٤.

[4] هو الحكيم صلاح الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن البرهان المتوفى سنة ٧٤٣هـ، وقد نقل أخباراً كثيرة عن طبيعة اليمن وأسواقها ومتاجرها. أيمن فؤاد سيد. مصادر تاريخ اليمن ص ١٤٥ – ١٤٦.

[5] أنظر: القلقشندي. صبح الأعشى ٥/ ١١، أيضاً: العبدلي. هدية الزمن ص ٢٠، لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠٦، كحالة. جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٣٦٥.

[6] عرف اللورد فالنتيا عدن بأنها: جبل طارق الشرق في أكثر من موضع في كتابه، وأشار لذلك أيضاً (جوردون وتر فيلد) في كتابه: سلاطين عدن. د. فاروق اباظة. عدن ص ٢٣، الريحاني، أمين. ملوك العرب، رحلة في البلاد العربية، ج ١، ط٢، مط العلمية، (بيروت، ١٩٢٩م)، ص ٣٤٣.

[7] الاكوع. اليمن الخضراء ص ٨٥، الثور. هذه هي اليمن ص ٤٧٢، الريحاني. ملوك العرب ١/ ٣٤٣.

الخارجية، وكانت عدن مركزاً للسيطرة على هذا الجزء كله، مما جعلها أول نقطة يحرص الفاتحون على الاستيلاء عليها والتحصن فيها، كما كانت آخر نقطة يحرص المغلوب على التشبث بها والدفاع عنها حتى يضطر لتسليمها أخيراً[1].

وعرفت عدن أيضاً بأنها "عين اليمن The Eye of Yemen"[2]؛ لأنها تعتبر أهم منفذ طبيعي لها على بَحر العرب والمحيط الهندي، فضلاً عن تحكمها في طريق البحر الأحمر.

٢- خبرة أهل عدن التجارية:

لما كانت عدن ميناءً تجارياً مهماً ذا حركة نشطة، فقد اشتهر أهلها بخبرة تجارية متميزة، فكان كثير منهم يعملون في الميناء بمختلف الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بالعمل التجاري كالبيع والشراء وما يتبعهما من السمسرة أي الوساطة التجارية، كما تديّر هذه المدينة أي سكنها جمع كبير من الناس من جنسيات مختلفة، بسبب طبيعة أعمالهم في الميناء من استيراد وتصدير والتقاء بالعملاء والوكلاء التجاريين، فنتج عن ذلك اختلاط أجناس متعددة فيها[3]، وهذه صفة تتميز بها معظم الموانئ والمدن الواقعة على السواحل، فتصبح ملتقىً لأجناس متباينة من السكان، كما تتعرض أمثال هذه المدن لمؤثرات متنوعة تنعكس على مجتمعها نتيجة انتقال كثير من القيم والعادات الاجتماعية والخلقية الخاصة بالسكان المهاجرين للمدن التجارية والساحلية الواقعة على البحار والمحيطات.

كانت الحركة التجارية مركزة في جبل صيرة وساحلها وكانت السفن تلقي مراسيها، وقد أمدنا ابن المجاور[4] بمعلومات طريفة عن حياة عدن قبل أكثر من ثمانية قرون، فكان هناك حراس[5] يقفون في أعلى جبل المنظر وحصن الخضراء على جبل الخضراء وعيونهم الحادة البصر ترقب في أفق البحر البعيد السفن التجارية القادمة إلى ميناء عدن، وكانوا لا يتمكنوا من رؤية السفن إلا وقت طلوع الشمس وغروبها، لوقوع شعاع الشمس على سطح البحر، فيتضح على بُعد مسافة الشيئ القادم.

كانوا هؤلاء الحراس يجلسون – في أغلب الأحيان – على الصخور البارزة في الجبلين المذكورين في مواجهة البحر، وكل واحد منهم يضع أمامه عوداً أي عصا مثبتة، فإذا رأى شيئاً في البحر، دقق النظر في الطرف الأعلى للعصا، وحين يتحرك يميناً ويساراً وإلى الأعلى والأسفل عرف أنه ليس إلا طائراً، وإن كان خيال الشيئ مستقيماً ويتحرك ببطء، أدرك الحارس أنها سفينة مقبلة، عند ذلك يخبر صاحبه القريب

---

[1] أباظة. عدن ص ٢٣ – ٢٤.

[2] وقد سماها كراهام بهذه التسمية. أباظة. عدن ص ٢٤، العبيدي. الحركة الوطنية ص ١٧.

[3] تراجع دراستنا عن سكان عدن في الفصل السادس.

[4] المستبصر ص ١٣٨. ونقل عنه: لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٢ – ٤، الحبشي. جوانب، الكلمة ص ١٠٦ – ٧.

[5] يسميهم ابن المجاور: الناظرون، ويذكر مفردهم: الناطور.

منه وهو يصرخ بأعلى صوته: هيريا[1]، فيسمعه الحارس الذي يليـــه فيصـــرخ هيريـــا، وهكذا ينتقل الصراخ بين الحراس حتى يصل الصوت إلى آخر حـــارس فـــي الفرضـــة، ويسرع هذا إلى دار الوالي ليحيطه علماً بخبر قدوم سفينة، ثـــم يذهـــب إلـــى موظفـــي الجمرك ويوصل إليهم خبر الوصول، ليكونوا على استعداد لاستقبالها، وتجدر الإشـــارة إلى أن أصوات الحراس تستمر مدوية من أعلى ذروة الجبل هيريا، هيريا، هيريا حتـــى تصل المنازل ويسمعها معظم الناس في المدينة، فيسرعوا إلى صعود الجبال وســـطوح المنازل لمشاهدة السفينة القادمة، مبتهجين بقدومها، ويذكر لقمان[2] أن الحراس يوقدون النار على قمة جبل المنظر لإشعار أهالي القرى المجاورة بقدوم سفينة، وبذلك يمكننـــا تصور أهمية قدوم سفينة للميناء وأهمية تلك السفينة وتأثيرها على حياة ســـكان عـــدن المعيشية التي تعتمد بالدرجة الأساسية على السفن التجارية القادمة إليها.

إن مهمة الحراس الذين ينتظرون قدوم سفينة إلى ميناء عدن تعد مهمة شاقة جـــداً يبذلون فيها جهداً كبيراً ومعاناة مرهقة، فإذا ثبت أن الشيئ الذي رآه كان ســـفينة أي أن رؤيته صحيحة، كوفئ بأن يُعطى ديناراً ملكياً[3] من دائرة الجمرك في الميناء، وفي خبر[4] أنه يحصل على دينار آخر من والي المدينة مكافأة له، كما أن الحارس يعاقب إن كـــان كاذباً، أو إذا خانه النظر، ولم يكن الشيئ القادم سفينة، وعقوبته أن يضرب عشر جلدات على ظهره، ويدلنا هذا الإجراء على أن الحارس يجب أن يكون دقيقاً في عمله صادقـــاً في خبره، وأن المكافأة يحصل عليها بعد جهد كبير وعمل جاد، ولا شك أنهم قد كســـبوا خبرة في ذلك المجال نتيجة عملهم الطويل في مراقبة السفن والإخبار بوصولها.

عندما تقترب السفينة من جبل صيرة يستقبلها المُبشرون وهم يركبون الســـنابيق[5]، وإذا اقتربوا من السفينة يصعدون إلى ظهرها ويحيون ربانها، ثم يسألونه عن البلد الذي قدم منه، وأنواع البضائع التي يحملها، وأسماء الركاب القادمين معـــه، وبعـــد أن يـــرد الرَبان على تحيتهم وأسئلتهم يسألهم عن البلد واسم والي المدينة وأسعار البضائع، ثـــم يغادر المبشرون ظهر السفينة وينزلون إلى المدينة فيبشرون أهالي الركـــاب القـــادمين ويهنئونهم بسلامة العودة فيحصلون على البشارة كما يعزون أهل من لم يعد منـــهم أو من مات في سفره، كما أنهم يزورون التجار ويخبرونهم بألوان البضائع التـــي تحملـــها السفينة فينالون الأجر من أولئك التجار. وتجدر الإشارة إلى أن كاتب الجمرك يُدَون كـــل المعلومات التي يُدلي بها ربان السفينة وبعد الانتهاء يوقع الربان عليها. وتحوي تلـــك المعلومات تفاصيل أسماء البضائع التي تحملها السفينة، واسم الربان وأسماء التجـــار،

[1] هتاف ابتهاج أو استحسان أو تشجيع حماسة، تعبيراً عن الفرح، الترحيب، الإعجاب، وتكون التحية بـترديد هذه الكلمة عدة مرات.

[2] تاريخ عدن ص ٢٩٤.

[3] هو الدينار الذي ضربه أحمد المكرم الصليحي وسنتناوله بالدراسة في موضوع العملة.

[4] لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٤.

[5] نوع من المراكب الصغيرة، راجع الفصل الأول عنها.

فيرجع المبشرون كلهم دفعة واحدة ويسلمون الوالي رقعة كـــاتب الجمـرك ويعطونـــه المعلومات المتعلقة بالسفينة التي وصلت بصورة تفصيلية.

بعد انتهاء عملية تسجيل محتويات السفينة من البضائع والتجار القـــادمين ترســو السفينة عند دائرة الجمرك في الميناء، فيصعد إليها نائب السلطان، وهو والي المدينـــة، يرافقه الكشاف، وهو المفتش الذي يفتش الرجال واحداً واحدا بدقة متناهية، يبحث بيـن طيات ملابسهم وعمائمهم وكل أجسامهم. وقد وصف لنا ابن المجاور ذلك التفتيش بكـل دقة، فيقول[١]: "ويصل التفتيش إلى العمامة والشعر والكمين وحـــزة السـراويل وتحـت الآباط..."، أما بالنسبة إلى النساء فهناك عجوز تفتشهن بنفس الطريقـــة المتبعـــة فـي تفتيش الرجال من حيث الدقة[٢]، ولعل سبب كون التفتيش شديداً ودقيقاً يعود إلى ضبـــط عمليات تهريب لكثير من المواد الصغيرة الحجم الخفيفة الوزن الغالية الثمـــن كـــالذهب مثلاً، إضافة إلى الشكوك من التجسس أو نقل الرسائل السرية مثلاً.

نزول التجار إلى المدينة:

بعد أن ينتهي تفتيش التجار القادمين على ظهر السفينة، وكذلك بقية المسافرين من الرجال والنساء، ينزلون في اليوم الثاني إلى الجمرك[٣]، أي أن التفتيش يتم في يوم واحد وهم داخل السفينة، ثم ينزلون إلى رصيف الميناء.

ويبدو أن هنالك إجراءات معينة تتبع بخصوص البضائع التي يســـتصحبها التجـــار معهم على ظهر السفينة، تذكر الرواية[٤] أن الأقمشة والبضائع تنزل إلى الفرضـــة بعـــد ثلاثة أيام حيث تعرض على موظفي الجمرك ليجري العد والوزن بخصوصها، ومن ثـــم يقدر رئيس الجمرك قيمة كل بضاعة ليفرض عليها ما يراه مناسباً من الضرائب.

إن تنزيل البضائع بعد ثلاثة أيام يرجع إلى دقة التفتيش في الميناء الذي يجرى على الرجال والنساء خوفاً من التهريب والتأكد من هوية القادمين لأنه من المحتمل أن يكـون بينهم جواسيس أو حملة رسائل سرية، مما يتطلب تدقيقاً كافياً بشأنهم.

ونفهم من ابن المجاور أن العد والوزن اتصف بالدقة والشدة، إذ يقول[٥]: "وبعد ثلثـة [ثلاثة] أيام تنزل الأقمشة والبضائع إلى الفرضة تحل شدة شدة وتعد ثوباً ثوباً..."، وهذا الإجراء يوضح لنا عملية ضبط كميات البضائع الواصلة، والتي يتـــم بموجبـــها تحديـــد واستيفاء العشور التجارية، ومن المتحمل أن التأخير يعود أيضاً إلى ازدحـــام الميـنـــاء بالمراكب التجارية وانتظار الدور لكل مركب، حتى يتم تفريغه وتسجيل البضـــائع التـــي يحملها.

[١] ابن المجاور. المستبصر ص ١٣٩.
[٢] أنظر عن تفاصيل المعلومات اعلاه: المستبصر ص ١٣٨ – ١٣٩، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٤ – ٥.
[٣] ابن المجاور. المستبصر ص ١٣٩، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٥.
[٤] نفس المصدرين السابقين.
[٥] المستبصر ص ١٣٩.

ونفهم أن التفتيش كان دقيقاً وشديداً إلى درجة كبيرة، وربما وقعت مآسي إنسانية في الميناء نتيجة ذلك التفتيش الصارم وعدم التساهل في الرسوم الباهضة، قال إبن المجاور[1]: "وحينئذ يظهر على التاجر الحِراف ويقتله الحزن ويبقى في وادي الدبور بما يعملون معه من الفعل الذي يطير منه البركة والسعادة".

نستنتج من هذا النص مدى المعاناة التي يعاني منها التاجر بسبب التفتيش والرسوم العالية فيصيبه اليأس والحزن وتنقلب سعادته إلى ألم ومأساة، ويشبه ابن المجاور خروج الإنسان من البحر كخروجه من القبر، ويوضح حال التاجر في الميناء، فيقول[2]: "وخروج الإنسان من البحر كخروجه من القبر والفُرضة كالمحشر فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد، فإن كان رابحاً طاب قلبه وإن كان خاسراً اغتم...".

٣- عشور التجارة:

لأجل إعطاء صورة واضحة عن النشاط التجاري لميناء عدن، نورد أدناه مقدار العشور التي كانت تفرض على البضائع الواردة للميناء كما رصدها ابن المجاور في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، فقد ذكر هذا المؤرخ أن تلك الضرائب والقوانين كانت قد استجدت أيام دولة بني زريع، وقد نظمها رجل يهودي، إذ يقول[3]: "ويقال أول من استجده فلان اليهودي، وقيل خلف[4] اليهودي النهاوندي[5]، فبقيت الخلق تجري على قواعدهم وضرائبهم...".

ذكر لقمان[6] أن نائبي عدن في عهد المكرم أحمد الصليحي، وهما العباس ومسعود إبنا المكرم الجشمي اليامي الهمداني فكرا في إنشاء الدواوين وتنظيم الضرائب على الصادرات والواردات، ولعلهما استشارا أهل الفكر في مثل تلك الأمور فوجدا في ذلك الشخص اليهودي القدرة على تنظيمها.

إن مصدرنا الأولية وفي مقدمتها تاريخ المستبصر لإبن المجاور لا تحدد لنا السنة التي تم فيها تطبيق تلك الضرائب فعلياً، كما لا تحدد عهد الأمير الذي طبقت فيه، لكننا نحتمل أن تطبيقها بدأ بعد استقلال بني زريع وانفرادهم في حكم عدن، والراجح أن ذلك تم في عهد الداعي محمد بن سبأ، وقد استمر العمل بتلك النظم بعد نهاية حكم بني زريع وقيام الدولة الأيوبية في اليمن، إذ أن كثيراً من الضرائب قد استجدت في عهدها، وقد

[1] المصدر نفسه والصفحة. والحرف هو الحرمان، والمحرف الذي ذهب ماله، فهو منقوص الحظ. ابن منظور. لسان العرب مج ٩/٤٣، مادة (حرف).

[2] نفسه ص ١٢٨ - ١٣٠، وبين الصفحتين صورة لمدينة عدن (ص١٢٩).

[3] نفسه ص ١٤٠.

[4] ذكر لقمان عن ابن المجاور أن أول من نظم الضرائب في أيام بني زريع يهودي اسمه خلج المهوندي. تاريخ عدن ص ٢٩٦.

[5] نسبة إلى نهاوند وهي مدينة عظيمة تقع مقابل همذان بينهما ثلاثة أيام، وهي أقدم مدينة في الجبل وقد فتحت سنة ١٩هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. الحموي. معجم ٥/ ٣١٣ - ٤.

[6] تاريخ عدن ص ٢٩٦.

أشار ابن المجاور إليها صراحة مثل عشور الشواني[1] التي استجدت في عهد السلطان الأيوبي طغتكين، وعشور الحديد والخيول اللتين استجدتا في عهدي المعز والناصر ولدي طغتكين.

ان ما ذكره ابن المجاور يعني أن البدء بتطبيق تلك الضرائب والقوانين المستجدة كان في عهد دولة بني زريع في عدن[2] واستمر العمل بها في العهد الأيوبي، ولذلك سندرسها خلال العهدين المذكورين، وسنبدأ بتوضيح عشور الشواني أولاً قبل البدء بدراسة أنواع العشور المفروضة على البضائع الواردة إلى ميناء عدن من أرجاء متعددة من العالم. وبذلك تكون البضائع التي فرضت عليها عشور الشواني هي البضائع التي شملتها تلك العشور في العهد الأيوبي فقط، كما سنشير إلى العشور الأخرى التي استجدت ونشير إلى السلطان أو الأمير الذي استجدت في عهده.

أ- عشور الشواني:

لم تكن لبني زريع - أمراء عدن، معرفة باستعمال السفن الحربية، وبقيت الحال إلى دخول توران شاه بن أيوب إلى اليمن واستيلائه على عدن سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، فجاء معه بسفن حربية كانت تسمى: "الشواني"[3].

بعد مغادرة السلطان توران شاه اليمن سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، ولي على عدن نائباً عنه هو الأمير عثمان بن علي الزنجيلي التكريتي فبقيت عنده الشواني إلى أن هرب من عدن، ودخل سيف الإسلام طغتكين بن أيوب اليمن سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، فكانت تلك الشواني ما تزال باقية في ميناء عدن.

وقد تقدم أحد الأهالي الأذكياء بسؤال إلى السلطان طغتكين قائلاً له: "وبم تستحل أخذ العشور من التجارة؟"، قال: "أجري على ما كانت عليه ملوك بني أيوب فيما تقدم من الأيام"، وقد رد ذلك التاجر على السلطان طغتكين بأنهم كانوا يستعملون القوة في فرض الرسوم على الناس، واقترح عليه أن يأخذها بطريقة يشكرونه عليها، ولما طلب منه طغتكين بيان رأيه، أجابه بأن يخرج هذه الشواني إلى البحر لحماية التجار وتجارتهم من السراق، ولصوص البحار فيدفع التجار العشور مقابل حراسة الشواني لأموالهم، وذلك أفضل من بقاء تلك السفن عاطلة في المرسى تتلف الشمس أخشابها، فاستحسن طغتكين ذلك الرأي، وأخرج الشواني إلى بحر الهند تجوب فيه لحراسة المراكب التجارية بعد اشتداد نفوذ القراصنة في البحر، وقد أصبح رسم الشواني نافذ المفعول منذ عهد

---

[1] سنوضح هذه العشور.

[2] يقول ابن المجاور: "ثم ضرائب وقوانين استجدت من أيام دولة بني زريع". المستبصر ص ١٤٠.

[3] الشواني: وهي أقدم أنواع السفن وتسمى الشيني وكانت أهم قطع الأسطول الروماني، ووردت في التاج للزبيدي الشونة المركب المعد للجهاد في البحر، والجمع الشواني لغة مصرية، وكانت الشواني في العصور الوسطى أهم قطع الأسطول الإسلامي لأنها أكبر السفن وأكثرها استعمالاً لحمل المقاتلة للجهاد، وعليها أبراج وقلاع وتحمل في المتوسط نحو (١٥٠) رجلاً. سعاد ماهر. البحرية ص ٣٥٢، عبدالعليم، ابن ماجد الملاح ص ١٥٣، الحبشي. جوانب ص ١٢٥.

السلطان طغتكين في اليمن[1]، ونحن نرجح أن يكون ذلك سنة ٥٧٩هـ، وهي السنة التي دخل فيها اليمن وتمكن من إخضاعه للسلطة الأيوبية وقضى على المتمردين والانفصاليين فيه بعدئذ، واستمر الحال حتى سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م[2]، فالغي في عهد الملك المسعود يوسف.

أما رسم الشواني فكان بسيطاً ونسبته ١% أي يؤخذ دينار من كل مائة دينار عند تقدير قيمة البضاعة[3]، وقد كان هذا الرسم يؤخذ سواء قامت السفينة بالحراسة فعلاً أم لم تقم، ثم زيد رسم الشواني إلى ١٠% والغي فيما بعد[4].

ب- عشور البضائع:

نورد أدناه قائمة بمقدار العشور المفروضة على البضائع الواردة إلى ميناء عدن والصادرة منه حسبما رصدها إبن المجاور[5] في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي):

أ- بضائع فرضت عليها العشور وذلك على وزن البهار[6] الواحد:

١- الفلفل[7]: يؤخذ على البهار ثمانية دنانير عشور ودينار شواني، وخروجه على الفرضة دينارين، أي أن مجموع عشور بهار الفلفل= (١١) دينار، والخروج على الفرضة يعني نقل البضاعة من دائرة الجمرك بالميناء إلى المدينة.

---

[1] ذكر الحبشي خطأ ان هذه الضريبة حدثت في عهد توران شاه. جوانب، الكلمة، ص ١٠٨.

[2] أنظر عن رسم الشواني: ابن المجاور. المستبصر ص ١٤١ – ٢، لقمان. تاريخ عدن ض ٧٠ – ١، ٢٩٦ – ٧، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٩٨ – ٩، الحبشي. جوانب ص ١٠٨.

[3] العقيلي. المخلاف ج١ ق ١/ ١٩٩.

[4] سنتحدث عن إلغاء رسم الشواني في صفحات قادمة.

[5] عن تفاصيل هذه العشور أنظر: ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٠ – ١، ونقلها عنه: العقيلي. المخلاف السليماني ج ١ ق ١/ ١٩٧ – ٨، الحبشي. جوانب ص ١٠٩ – ١١٠.

[6] البهار: وهو من الأوزان، اختلف فيه، فقيل أنه يزن (٣٠٠) من، وذكر المقدسي أن وزنه (٣٠٠) رطل وهذا الوزن بالرطل المكي الذي يزن (٢٦٠) درهماً، أي الوزن المضاعف وبذلك يكون وزن البهار (٢٤٣,٧٥) كغم، وذكر ابن خردا ذبة وابن فضل الله العمري أن البهار يساوي نظرياً (٣٣٣) من، والمقصود به المن البغدادي الذي يزن (٢٦٠) درهماً، وبناء عليه يكون وزن البهار (٢٧٠,٥٦٢) كغم وذلك على حساب وزن الدرهم بمعدل (٣,١٢٥ غم)، المقدسي. أحسن التقاسيم، ص ٩٩، هنتس. المكاييل ص ٢٠ – ٢١ وذكر الأخير أنواعاً مختلفة من البهار في هرمز ولار ومكة ومخا. أنظر ص ٢١ – ٣، وذكر لقمان أن اختلافا حصل في وزن البهار، فقيل أنه يساوي حمولة جمل وأنه يتراوح بين ٣٠٠، ٤٠٠، ٦٠٠ رطل. تاريخ عدن ص ٥٤، ٣٠٠، أنظر أيضا: دوزي. تكملة المعاجم ١/ ٤٦٣، وقيل أن البهار هو مائة رطل ونصف مائة وخمسين رطل ونصف في ذلك الزمان. مجهول المؤلف. قلائد الجمن ص ٩٠.

[7] شجرة تنبت في بلاد الهند، لها ثمر يكون في بداية ظهوره طويلاً كاللوبياء وهو الدار فلفل، ويستعمل الفلفل مع الغذاء ولأغراض طبية عديدة. المظفر الرسولي، يوسف بن عمر بن علي بن رسول. المُعتمد في الأدوية المفردة، ط ٣، صححه وفهرسه مصطفى السقا، منشورات دار المعرفة، (بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ص ٣٦٧ – ٩.

٢- الأنكزة: وهو الحلتيت[١]، ثمانية دنانير عشور.
٣- قشر المحلب[٢]: ثلاثة دنانير ونصف عشور.
٤- الطباشير[٣]: واحد وعشرون دينارا إلا ثلث عشور، ودينار شواني.
٥- عود الدفواء[٤]: ويؤخذ عليه عشور وشواني تساوي نصف المبلغ المفروض على بهار الطباشير[٥].
٦- الهيل: سبعة دنانير عشور.
٧- الكتان: سبعة دنانير ونصف عشور.
٨- الفوة[٦]: إثنا عشر دينارا، وقد استجد في أيام دولة الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، وكان مقدار عشور بهار الفوة قبل ذلك دينارين ويقال ثلاثة دنانير.
٩- الحمر[٧]: يؤخذ على البهار ثلاثة جوز[٨] عشور[٩].

[١] الحلتيت هو صمغة الأنجذان لها قوة تجذب جذبا بليغا وتنفس اللحم وتذيبه، وهو أكثر ألبان الشجر حرارة ولطافة، وهو مادة طبية مهمة يستعمل لمعالجة الكثير من الأمراض. المظفر. المعتمد ص ١٠٠ - ١، وذكر الدينوري أنه اسم عربي أو معرب، ولا ينبت الحلتيت ببلاد العرب. كتاب النبات ص ١٤٢.

[٢] المحلب: هو شجر يابس أبيض النور وثمره يقع في الطيب، وهو أنواع: أبيض، وأسود، وأخضر صغير الحبة وكبيرها مثل الجلبانة، يستعمل في المسوحات والنقاوات، وأجوده أبيضه، وأنقاه وأذكاه رائحة وله استعمالات طبية كثيرة. المظفر. المعتمد ص ٤٨٦ - ٧.

[٣] هو شيئ يكون في جوف القنا الهندي، يجلب من ساحل الهند كله، وأكثره في منطقة سند ابور، شكله مستدير شكل الدرهم، وسرعان ما يحترق عند احتكاك بعضه ببعض بريح شديدة تهب عليه وله منافع طبية كثيرة. المظفر. المعتمد ص ٣٠١ - ٢.

[٤] يبدو أنه نوع من البخور لكونه يسمى: عود الدفواء.

[٥] ذكر الحبشي أن رسومه عشر دنانير ونصف. جوانب ص ١٠٩.

[٦] الفوة: هي عروق نبات لونها أحمر، يستعملها الصباغون وتعرف بفوة الصباغين، طعمهما مر، ولها استعمالات طبية كثيرة. المظفر. المعتمد ص ٣٧١ - ٢.

[٧] هو التمر الهندي، وهو بالسراة كثير وكذلك ببلاد عمان، ورقة مثل ورق الخلاف (الصفصاف) ويقال له البلخي، الدينوري. كتاب النبات ص١٣٤، ويسمى القاريط، ويقال القراريط: حب الحمر، وهو التمر الهندي، وقد ورد ذكره في شعر حسان بن ثابت. الصغاني. التكملة ٤/ ١٦٣ مادة قرط، وذكر المظفر الرسولي أن الحمر هو التمر الهندي وهو حامض يتداوى به وشجره عظام كشجر الجوز، وثمره قرون مثل قرون ثمر القرظ، يطبخه الناس وله فوائد طبية كثيرة. المعتمد ص ٥٢، ١٠٦.

[٨] الجوز من أجزاء الدينار الملكي الذي كان متداولا في عدن ويتكون من أربعة أرباع، وكل ربع ثلاثة جوز، والجائز يساوي ثمانية فلوس. إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٥، وسنعود لدراسة العملة وأجزائها فيما بعد.

[٩] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٠، ويضيف أن العشور تؤخذ على العشرة مقاطع من الحمر بمقدار دينارين ونصف، وعلى العشر العقدات نصف وربع جائز.

ب- بضائع فرضت عليها العشور على وزن الفراسلة[1]:

١- الكافور[2]: خمسة وعشرون ديناراً ونصف وسدس عشور.

٢- القرنفل[3]: عشرة دنانير عشور وشواني دينار.

٣- الزعفران[4]: ثلاثة دنانير وثلث عشور[5].

ج- بضائع أخرى فرضت عليها العشور بصيغ متنوعة:

١- النيل[6]: يؤخذ على قطعة النيل أربعة دنانير شواني وخروجه من الفرضة ربع[7].

٢- العوـــلي السندابوري[8]: يؤخذ عليه ثمانية دنانير عشور وديـنـــار شــواني، وإذا صدر من المدينة يؤخذ عليه نصف دينار عشور، وهو لضامن دار النبيذ، ولم تحدد المصادر الكمية من هذه المادة التي فرضت عليها عشور الميناء وعشور الشواني هل هي البهار، الفراسلة، القطعة، ونستدل أنها مادة ذات صلة بصناعة النبيذ التـي ازدهرت بعدن ولها دار خاصة بها تضمن من الدولة[9].

٣- رأس الضأن: يؤخذ عليه ربع[10] دينار عشور.

٤- رأس الرقيق: يؤخذ على الرأس ديناران، وإذا صدر من المدينة يؤخذ عليه نصف دينار عشور، وهذا يدل على ازدهار تجارة الرقيق بين عدن وأرجاء العالم[11].

---

١ هي وحدة وزن ذكر ابن المجاور. انها تساوي عشرة أمنان وتساوي عشـــرين رطــلاً. المســتبصر ص ١٤٠، وذكر هنتس. أنها تساوي ١/٢٠ من البهار، وهي في كل الأحوال (١٠) امنان. المكــــاييل والأوزان ص ٢١، ٤٠.

٢ هو صمغ شجر لونه أحمر وخشبه أبيض رخو يضرب إلى السواد، ويوجد في اجواف الشجر في خـــروق ممتدة على طولها، وهو أصناف منها القيصوري والرياحي ثم الازاد والاســـفرل والأزرق وهـــو المختلـط بخشبه والمتصاعد من خشبه، ويدخل الكافور في الطيب وله استعمالات طبية عَديدة، المظفر. المعتمـــد ص ٤٠٤ – ٥.

٣ هو ثمرة وعيدان يستعملان جميعاً، ويجلب من أرض الهند، أجوده الرؤوس ذوات الشـــعب وهـــو حـــار يابس، ويستعمل كثيرا في أنواع الأدوية. المظفر. المعتمد ص ٣٨٠ – ٣٨١.

٤ الزغفران معروف ولا ينبت في أرض العرب. الدينوري. كتـــاب النبـــات ص ٢٠١، ويذكـــر أيضـــا أن الريهقان هو الزعفران. نفس المصدر ١٩٤، والورس في معنى الزعفران. عمارة. المفيـــد ص ٥٩، ومـــن أسمائه الكركم ويستعمل في الطعام ولأغراض طبية عديدة. المظفر. المعتمد ص ٢٠٢ – ٤.

٥ ويقال ثلاثة دنانير ونصف. الحبشي. جوانب، الكلمة، ص ١٠٩.

٦ ويسمى النيلج، وهو العظلم الذي يستعمله الصباغون، وهو نبات له ساق وفيه صلابة وله شـــعب رقـــاق، ولونه يميل إلى الغبرة والزرقة، وله منافع طبية كثيرة. المظفر. المعتمد ص ٥٣١ – ٢.

٧ ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٠، ولعله ربع دينار.

٨ لم نحصل على تعريف هذه المادة إذ وردت مُصَحّفة وغير واضحة، صورتها (العويلي). المســـتبصر ص ١٤١، وسندابور موضع ساحل الهند من بلاد كلى ذكرنا أن الطباشير كان يجلب منه، أنظر المظفر. المعتمد ص ٣٠١، وقد يكون لهذه المادة علاقة بمادة الطباشير.

٩ سنقوم بدراسة خاصة للصناعة في عدن، ومنها صناعة النبيذ في الفصل السادس.

١٠ ذكر ابن المجاور مبلغ ربع فقط. المستبصر ص ١٤١.

١١ سنتحدث عن تجارة الرقيق في صفحات قادمة.

٥- **الثوب الظفاري**: أي الثوب المصنوع في ظفار باليمن، يؤخذ عليه عشور ربع دينار وجائز[1].

٦- **شقق الحرير**: وهي من عمل مدينة زبيد، يؤخذ على الواحدة منها نصف دينار وجائز.

٧- **الشقة البيضاء**[2]: وعشور الواحدة منها ثمن دينار.

٨- **الشقة السوسي**[3]: وعشورها ثلاثة قراريط.

٩- **فوط السوسي**: عشورها ربع وجائز.

١٠- **السباعي**[4]: وعشورها ديناران ونصف، وهنالك بضائع كثيرة فرضت عليها العشور في العهد الأيوبي[5]، واعتبر العقيلي[6] ما ذكرناه من عشور مفروضة على الثياب وشقق الحرير وغيرها بمثابة عشور مفروضة على الصادرات في العهد الأيوبي.

ت- عشور مستجدة في العهد الأيوبي:

ذكرنا أن العشور المفروضة على بهار الفوة أصبحت إثني عشر ديناراً وذلك في عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، وكانت قبل ذلك دينارين وقيل ثلاثة دنانير[7]، وقد استجدت عشور أخرى خلال العهد الأيوبي[8]، وهي:

١- **عشور الحديد**: وقد بلغت نصف ثمنه، أي ٥٠%، وقد استجد هذا في عهد السلطان طغتكين بن أيوب، وذلك سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م.

---

١ ابن المجاور. المستبصر ص ١٤١، وذكر الحبشي أنه يؤخذ عليه ربع دينار ضمان. جوانب، ص ١٠٣، وذكر العقيلي أن رسمه ربع دينار فقط. المخلاف. ج ١ ق ١/ ١٩٨.

٢ الشقة البيضاء صنع زبيد. العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٩٨.

٣ السوسي نسبة إلى مدينة سوسة بالمغرب، وهي مدينة عظيمة، ومنها يخرج إلى السوس الأقصى ومنه إلى القيروان، وفي سوسة دار الصناعة، والحياكة فيها كثيرة ويغزل بها الغزل. الحموي. معجم ٣/ ٢٨١ - ٣، وهذا يدلنا على وجود علاقات تجارية بين سوسة وعدن.

٤ ذكر ابن المجاور مقدار تلك العشور على كورجة السباعي. المستبصر ص ١٤١، والسباعيات هي نوع من الأردية طول الواحدة منها سبعة أذرع في عرض أربعة أذرع، وهي صنفان من الحرير الخالص وآخر ممزوج بالكتان. ابن المجاور. المستبصر ص ٨٩.

٥ يؤخذ عشور من اللاك الربع ويقال الثلث ودينارين استظهاراً، وعلى كورجة المحابس أربعة دنانير، وعلى كورجة الأحواك دينارين ونصف - (ذكر العقيلي أنه يؤخذ على كورجة الحرك صنع زبيد دينارين. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٩٨) - ، وكذلك السباعي وعلى كورجة الثياب الخام الهندي دينارين ونصف، وعلى سواسي الكتان الكبار جائزين وقيراط، وعلى الصغير جائزين وفلسين، وعلى كل قفعة ذرة (ذكر العقيلي قفعة الذرة والدخن. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٩٨) ثمن دينار. ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٠ - ١.

٦ المخلاف السليماني ج ١ ق ١/ ١٩٨.

٧ ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٠.

٨ للتفصيل أنظر: المستبصر ص ١٤٠ - ١، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٩، العقيلي. المخلاف السليماني ج ١ ق ١/ ١٩٧ - ٨، الحبشي. جوانب ص ١١٠.

٢-الحصان: وكان يؤخذ عشور على الرأس الواحد خمسون ديناراً إذا دخل ميناء عدن، وقد استجد ذلك في عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين، ويؤخذ على الرأس سبعون دينارا إذا صدر من عدن إلى الخارج بطريق البحر، وهذا يمثل سياسة تجارية متطورة أساسها حماية أنواع الخيول الأصيلة من الانقراض ووضع حد لتصديرها وهي سياسة عربية صائبة تدل على رقي التفكير وبعد النظر، ذكر العقيلي[1] أن رفع عشور تصدير الخيول إلى (٧٠) ديناراً للرأس الواحد يمثل نظرة اقتصادية معمول بها في الوقت الحاضر في احدث الأنظمة الجمركية، وذلك برفع الضريبة على المادة التي تحتاجها البلاد عند تصديرها، والتخفيض على ما يرد منها، ونعتقد أن ذلك التعليل غير مقنع، والأرجح أن الدولة اهتمت برفع العشور المفروضة على دخول وخروج الخيول؛ للحصول على المبالغ الطائلة، وذلك لخدمة أغراضها في تلك المرحلة.

٣- المراكب: يؤخذ على المركب الذي يباع بعدن رسوم مقدارها ١٠% يدفعها بائع المركب[2].

٤-ضريبة البيوت: حين يباع بيت يدفع المالك ربع قيمته، وبعضهم يقول ثلث قيمته، يضاف إلى ذلك ديناران للإعلان الرسمي[3].

يتضح لنا من استعراض أنواع البضائع التي تصل ميناء عدن أن معظمها عبارة عن مواد غذائية حياتية وأخرى تستخدم للأغراض الطبية، كما أنها ترد من أرجاء عديدة من العالم عن طريق البحر مما يؤكد لنا قوة الصلات التجارية بين عدن وتلك المناطق، ونستدل من مقدار العشور المفروضة على تلك البضائع الواردة إلى عدن والصادرة منها أنها تشكل موارد مالية طائلة ترد ميناء عدن سنوياً، وهذه الأموال تفسر لنا الأسباب التي أدت بأمراء عدن إلى دفع مبلغ مقداره مائة ألف دينار سنوياً للصليحيين نظير حكمهم عدن وجباية مواردها[4]، ونرجح بأن تلك الأموال الطائلة كانت كافية إلى حد ما لتسديد تلك الالتزامات السنوية إضافة إلى مصاريف الإمارة ونفقاتها المتنوعة، ولذلك يمكننا الرد على ما ذكره العقيلي[5] من أن واردات عدن في عهد إمارة بني زريع لا تتعدى المائة ألف دينار أو المائة والخمسين ألف سنويا في الأكثر، وندعم رأينا هذا بأن واردات عدن تزيد كثيراً على المبالغ المذكورة وذلك من خلال دراسة العشور وأنواعها على مختلف البضائع والمواد التي تصل ميناء عدن، واستمرار العمل في

---

[1] المخلاف ج ١ ق ١/ ١٩٧.

[2] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٠.

[3] لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٨.

[4] كان ذلك منذ تولي بني معن الحميريين إمارة عدن، راجع التمهيد السياسي في بداية الفصل الثاني، وكذلك كان الحال مع بني المكرم الجشمي اليامي، راجع الفصل الثاني.

[5] المخلاف ج ١ ق ١/ ١٩٦.

ميناء عدن في معظم أيام السنة، بسبب أهمية موقع عدن وطبيعتـها كميناء تجاري عالمي[1].

اتضح لنا من خلال دراسة أنواع العشور المفروضة على البضائع الواردة ميناء عدن أن خمس مواد فقط قد فرضت عليها عشور الشواني، وهي: الفلفل والطباشير والقرنفل والعوسلي السندابوري والنيل، ولعل ذلك يرجع إلى أن تلك المواد كانت تجلب من الهند ويتطلب جلبها توفير الحماية الكافية لتأمين وصولها عن طريق المحيط الهندي إلى ميناء عدن بواسطة الشواني، ولذلك أضيفت عليها تلك العشور، كما أن تلك المواد كانت من الأهمية لاستعمالها من قبل السكان في مجالات متعددة مع الطعام وللأغراض الطبية، فزاد الطلب عليها.

ث- المواد المعفية من العشور:

درسنا العشور التي فرضت على كل صنف من أصناف البضائع التجارية والرقيق والحيوانات خلال عهدي بني زريع والأيوبيين في عدن، وكان لتلك العشور تعرفة رسمية تحدد مقدارها على تلك الأصناف، كما أن هنالك بضائع استدعت حاجة البلاد الاقتصادية تشجيع توريدها وذلك بإعفائها من العشور، وكان غالبها من المواد التموينية الضرورية ذات الصلة والمساس بحياة الجمهور الأكبر من السكان، وتنقسم تلك المواد حسب البلدان الواردة منها إلى قسمين:

أ- الواصل من ديار مصر[2]، وتشمل المواد التالية: الحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون الرقي والأشنان[3] والقطارة[4] وزيت الزيتون وزيت الحار والزيتون المملح وكل ما يتعلق بالنقل[5] وعسل النحل إذا كانت قليلاً[6].

---

[1] سنوضح أهمية عدن التجارية وزيادة مواردها المالية وعلاقاتها التجارية الخارجية في هذا الفصل والفصل السادس.

[2] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٢، العقيلي. المخلاف السليماني ج ١ ق ١/ ١٩٨، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٨، الحبشي. جوانب ص ١١١.

[3] الاشنان الحرض، ويجمع اشانين، وأجناس الاشنان كثيرة وأكلها من الحمض، الدينوري. كتاب النبات ص ٤١، وذكر دوزي أن الاشنان معرب شنان وهو الحرض بالعربية أو الفسول، أو الخمام في الشام وهو من الغسولات، وهو جنبة ملحية تنبت بالأراضي الملحية، وأغصانها كثيرة العقد، وتستعمله العرب هو أو رماده في غسل الثياب، وغسل الأيدي بعد الطعام. تكملة المعاجم ١/ ١٤٦.

[4] القطارة بالضم ما قطر من الحب ونحوه، أي قطارة الحب وقطارة الشيئ ما قطر منه، وتقطير الشيئ إسالته قطرة قطرة. الجوهري. الصحاح ٢/ ٧٩٦، ابن منظور. لسان العرب ٥/ ١٠٥ مادة قطر.

[5] النقل: بالضم، ما يتنقل به على الشراب، ويروي ابن منظور أنه بالفتح: النقل وحكى ابن بري عن ابن خالويه قال: النقل بفتح النون الانتقال على النبيذ والعامة تضمه، وقال ابن دريد: النقل، بفتح النون والقاف، الذي يتنقل به على الشراب. الجوهري. الصحاح ٥/ ١٨٣٤، ابن منظور. لسان العرب ١١/ ٦٧٦ مادة نقل.

[6] هنالك مواد أخرى معفوة من الضرائب كالعطور والسليط ولوز الحلويات إن كان قليلا. لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٨.

ب- الواصل من الهند[1]: كل ما يصل بطريق البحر[2] كالهليلج[3] المربى والاكرار والمخاد والمساور والانطاع[4] والأرز الكجري[5] والسمسم والصابون، ومن البضائع المغر[6] الكلاهي[7] والنشم[8] وحطب القرنفل وثياب العرابية[9]، ومن معاملسة الشجر التمر المقلف[10]، ويعفى أيضاً السمك المملح إن كان بلا رأس، وإن كان برأس أخذ عليه، وهذا يؤكد لنا أن رأس تلك الأسماك كان ثميناً ذا قيمة عالية وأنه كان مرغوباً عند السكان كغذاء، وتعفى من العشور النعال الهندية إن كانت بلا شِراك (سيور) وإن كانت بشراك فرضت عليها العشور، ولعلها استوردت من الهند لتشجيع صناعة تكميلية لها في عدن يعمل بها عدد من السكان.

ويعفى من العشور أيضاً التيس والمعز، وقد روى لنا ابن المجاور[11] ما يوضح إعفاء التيوس من العشور في حادثة طريفة، ذلك أنه وصل من الحبشة مجموعة من الغنم عدوها، فلما اشتغل العدادون بالعد قام تيس وشق الجمع ثم جلس وراء ظهر ياسر بن بلال بن جرير المحمدي[12] والأصح وراء الداعي عمران بن سبأ[13]، وعندما انتهوا

---

[1] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٢ – ٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٩ والمصادر الأخرى المذكورة.

[2] ذكر لقمان أن كل المواد الواردة من الهند تعفى من العشور إذا كان سيعاد شحنها من عدن بحراً. تاريخ عدن ص ٢٩٩، ونعتقد أن هذا الإعفاء يشمل البضائع فقط. لكنه لا يشمل السفن التي تمر وتتوقف في الميناء إذ تستوفى منها ضرائب العبور أو التوقف في الميناء أي الترانزيت.

[3] ويسمى الاهليلج وهو اسم جنس مادته اهليلجة، ويسمى هليلج وهو مادة تستعمل كمسهل وأصنافه عديدة: الكابلي نسبة إلى كابل وهو كبير، والأصفر وهو أحسن أصنافهُ لونه أصفر يقرب من الحمرة والهندي ومنه صنف حشف رقيق، وتذكر الاهليلجات بين الأدوية التي يؤتى بها من الصين. المظفر. المعتمد ص ٥٣٦ – ٩، دوزي. تكملة المعاجم ١/ ٩٣ هامش، ٢٠٧ – ٨.

[4] وهي الوسائد والفرش وأغطية الموائد الجلدية. لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٩.

[5] هو الأرز المخلوط بالماش. المستبصر ص ١٤٢، وما تزال هذه الأكلة شائعة في مصر من الأكلات الشعبية وتسمى الكشري، ويسميها الحبشي: الكخلي. جوانب ص ١١١.

[6] المغرة مادة طبية أجودها ما كان كثيفاً لونها شبيه بلون الكندُر ليست فيها حجارة ولا مختلفة اللون، ولها قوة قابضة مجففة مغرية، أما المغرة التي يستعملها النجارون فإنها أضعف من المغرة المنسوبة إلى سوس وأجودها ما كان من مصر، والمغرة مادة باردة يابسة لها استعمالات طبية كثيرة. المظفر. المعتمد ص ٥٠١ – ٥٠٢.

[7] نسبة إلى كله ذكرت المصادر العربية بأنها تقع في منتصف الطريق بين عمان والصين في طرف خط الاستواء، وكله من بلاد الملايو كانت في الأصل مركزاً تجارياً مهماً يجلب منها العود الكلاهي المنسوب إليها. السامر، د. فيصل. الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، ط ١، (بغداد، ١٩٧٧م) ص ١٨، ١٤٥.

[8] النشم: شجر جبلي تتخذ منه القسي، وهو من عتق العيدان، واحدته نشمة، من أشجار الجبال النبع، ويقال هو حب البلسان. الجوهري. الصحاح ٥/ ٢٠٤١، ابن منظور. لسان العرب ١٢/ ٥٧٦.

[9] وهي ثياب تعمل بدقلي بالهند. المستبصر ص ١٤٣، ويسميها الحبشي: ثياب العراصنة وهي تصنع في دقلي بالهند. جوانب، ص ١١١.

[10] وهو التمر الذي استخرج نواه. المستبصر ص ١٤٣، وذكر الحبشي أنه من مستخرجات الثمر. جوانب ص ١١١، وذكر لقمان أنها من منتجات الشحر. تاريخ عدن ص ٢٩٩، وهو خطأ، ولعلها: الشجر.

[11] المستبصر ص ١٤٣، ونقلها: الحبشي، جوانب ص ١٢٦ هامش.

[12] القائد المشهور نائب عدن في عهد الداعي عمران بن محمد ثم تولى إمارتها بعد وفاته.

[13] هو الداعي عمران بن محمد بن سبأ أمير عدن وقد درسنا حكمه في الفصل الثالث.

من العد أرادوا أن يعدوا التيس مع الغنم فقال الداعي: "معاذ الله أن نأخذ عليه شيئاً لأنه أستجارني!"، فأزال عنه العشور، والأصح أنه أبصر لحيته فقال: "حاشا أن يوزن على لحيته عشور!" ومنذ تلك الحادثة أزيلت العشور المفروضة على التيوس والمعز الداخلة إلى عدن ومنها الواصلة من الهند، ونعتقد أن الحاجة إلى التيوس والمعز كانت هي السبب في إعفائها من العشور كسائر المواد التموينية التي أعفيت منها، لكن هذه القصة كانت على سبيل النكتة والنادرة وجاءت كتبرير لإعفاء التيوس والماعز من العشور.

ذكر ابن المجاور[1] أنه يعفى من العشور الخرز الذي يجلب من الديبول[2]، وغلمان حودر يجلبون من الهند، ويضيف لقمان[3] بأن الضرائب لا تفرض على الجواري الجميلات والعبيد الغلمان إذا كانت عيونهم واسعة، ولعل ذلك يرجع إلى الحاجة لمثل ذلك النوع من الجواري والعبيد؛ لأنهم يتمتعون بمزايا جمالية خاصة لها سوقها الرائج وقتذاك واستخدامهم في خدمات خاصة بالأمراء كخدمة قصورهم ومجالس سمرهم، وكذلك في خدمة الموسرين من التجار وأرباب الأعمال، وهذا يؤكد لنا أن تجارة الجواري والعبيد كانت رائجة بشكل واسع في عدن.

يتضح لنا من قائمة المواد المعفية من العشور والضرائب التجارية الأخرى سواء الواردة منها من مصر أم الهند أم الحبشة أن تلك المواد قد تنوعت من حيث طبيعة الحاجة إليها ونوعها، فهنالك مواد تموينية ضرورية تدخل في غذاء السكان كالحنطة والدقيق والسكر والأرز والزيتون المملح والزيت وعسل النحل والأرز الكجري والسمسم والسمك المجلوب من الهند والماعز من الحبشة، ومواد أخرى منزلية لا يستغنى عنها كالصابون الرقي والمخاد والفرش واغطية الموائد والثياب، وصنف ثالث منها هي المواد الطبية أو التي تستعمل في معالجة الأمراض كالهليلج والاشنان والقطارة والمغر الكلاهي والنشم وحطب القرنفل، والصنف الرابع منها مواد كمالية كالعطور والبخور والخرز الملون الذي يستعمل لزينة النساء والأطفال والنعال الهندية.

نستدل من تنوع تلك البضائع أن عدن كانت تعتمد بشكل رئيس في سد معظم حاجياتها على ما يردها من الخارج، وذلك بسبب انعدام الزراعة فيها، ولكونها ميناءً تجارياً تصلها البضائع المتنوعة من مختلف أرجاء العالم، فهي أشبه بوسيط تجاري مما جعلها تعتمد على ما يصلها من تلك الأرجاء، وقد أوضح ابن المجاور هذه الحالة

---

[1] المستبصر ص ١٤٣.

[2] ذكرها الديبول والصحيح: الديبل، بفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة مضمومة ولام، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند، وهي فرضة كانت تنتهي إليها مياه لاهورومولتان. الحموي. معجم ٢/ ٤٩٥، وكانت الديبل من أكبر فرض السند، تقع شرق مهران، وهي بلد صغير شديد الحر، وتشتهر بالسمسم الكثير، ويجلب إليها التمر من البصرة. أبو الفدا. تقويم البلدان ص ٣٤٩، القلقشندي. صبح ٥/ ٦٤، ويذكر د. السامر أن الديبل هي كراتشي في الهند (السند). الأصول التاريخية ص ١٤٧.

[3] تاريخ عدن ص ٢٩٩.

باعتماد أهل عدن على الاستيراد الخارجي، إذ يقول[1]: "ومادتهم من الهند والسند والحبشة وديار مصر ومأكولهم الخبز وأدمهم السمك".

٤- زيادة الرسوم التجارية:

أشرنا في دراستنا للرسوم المفروضة على البضائع والسلع المتنوعة الواردة إلى عدن بطريق البحر إلى جملة رسوم استجدت في العهد الأيوبي كرسم الشواني في عهد السلطان طغتكين والرسوم المفروضة على الحديد والبالغة ٥٠% من قيمته، وزيادة عشور بهار الفوة من دينارين أو ثلاثة إلى إثني عشر دينارا وذلك في عهد السلطان المعز إسماعيل بن طغتكين، ورسوم فرضت على الخيول المستوردة مقدارها خمسون دينارا للرأس الواحدة وفي حالة تصديره يدفع مبلغ سبعين دينارا وذلك في عهد السلطان الناصر أيوب بن طغتكين، ومما لاشك فيه أن تلك الرسوم المستجدة إضافة إلى الرسوم الكثيرة المفروضة على مختلف السلع والبضائع الواردة عدن والتي درسناها آنفا تعطينا فكرة عن النشاط التجاري الهائل لميناء عدن إضافة إلى كثرة الأموال الواردة سنويا إلى خزانة الدولة الأيوبية منه، ومع ذلك فقد استحدثت رسوم جديدة في العهد الأيوبي.

تعتبر رسوم الشواني التي ظهرت لأول مرة في عهد السلطان طغتكين في مقدمة الرسوم التي شملتها الزيادة خلال العهد الأيوبي، وقد استمرت إلى سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م[2]، وكان حكم اليمن وقتذاك للملك المسعود يوسف فدخل عليه أحد أكابر أهالي عدن وقال له: "خلد الله ملك مولانا السلطان انه يخرج من خزانة المولى كل عام لأجل الشواني خمسين ستين ألف دينار بطال فان أخذ المولى هذا القدر من التجار لم يضرهم ذلك. قال: فكيف العمل؟ قال: كل ما أخذ من العشور ألف دينار يؤخذ منه الشواني مائة دينار فهو يجتمع للمولى ولم يبن للتاجر"[3]، وكان ذلك قد تم في عهد الملك المسعود يوسف بن محمد واستمر إلى سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، ثم الغي ذلك[4]، لأن الناس اشتكوا للملك المسعود بأن مال الشواني يؤخذ سواء سافرت الشواني في البحر لحماية السفن التجارية أم لم تسافر، فأمر الملك المسعود بإبطال عشور الشواني[5].

إن هذه الرواية تؤكد لنا ازدياد العشور المفروضة على البضائع من ١% إلى ١٠% للشواني، ويتحمل هذه الزيادة المستهلك ومن هو بحاجة لتلك المادة، ويبدو أن هنالك أفرادا يتملقون السلطان ويقترحون عليه ما يدلل على حرصهم وخدمتهم للدولة دون النظر إلى مصلحة الجمهور الواسع من الناس، كما حصل لهذا الشخص الذي اقترح

---

[1] تاريخ المستبصر ص١٣٧.

[2] المصدر نفسه ص ١٤٢.

[3] المصدر نفسه، وقد أورد النص هكذا.

[4] قيل أن الملك المسعود ألغى رسم الشواني سنة ٦١٥هـ، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٨، العقيلي. المخلاف ج ١ ق ١/ ١٩٩.

[5] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٢، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٧ – ٨، الحبشي. جوانب ص ١٠٨.

زيادة عشور الشواني لأن الدولة تصرف عليها سنوياً بين خمسين إلى ستين ألف دينار، ولا ندري لماذا لم يدرك الملك المسعود نفسه هذه الحقيقة فيبادر إلـــى إلغـــاء عشـــور الشواني، ونعتقد أن ذلك الضرر اتضح فيما بعد فاقترح عليه أحد مستشاريه أو مقربيه إلغاءها فاستجاب لذلك.

تعرضت عدن إلى أزمات اقتصادية شديدة في أواخر العهد الأيوبي، فقد دخلها نـــور الدين عمر بن علي بن رسول يوم الأربعاء ٢٦ رجب سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م، وكـــان نائباً لبني أيوب في اليمن، وأمر عسكره بنهبها[١].

في أواخر العهد الأيوبي باليمن استحدثت ضرائب جديدة، وأسس الأمير عمـــر بـــن علي بن رسول دار الوكالة[٢] ودار الزكاة لأجل فرض ضرائب على المواد المعفـــوة مـــن الضرائب، يقول إبن المجاور[٣]: "لما كان بتاريخ جمادى الأولى ســـنة أربـــع وعشـــرين والأصح سنة خمس وعشرين وستمائة أسس في عدن دار وكالة وعلى كل بضاعة لـــم يؤخذ عليها عشور يؤخذ منها زكوة [كذا]"، وبذلك أصبحت العشور المفروضـــة علـــى البضائع الواردة عدن خمسة أنواع تؤخذ مرة واحدة، وهي:

١- عشور قديم وهو مال الفرضة، وهي رسوم الميناء المفروضة على البضائع[٤].
٢- عشور الشواني[٥].
٣- عشور دار الوكالة ومقدارها قيراط في الدينار الواحد.
٤- عشور دار الزكاة، تفرض على البضائع التي كانت معفاة من العشور، وهي تـــرد من مصر والهند، وكانت نسبة تلك العشور تساوي ٥% كما يتضـــح مـــن قصـــة الناخوذة عثمان الآمدي[٦].
٥- عشور الدلالة أو السمسرة[٧].

نستدل من كثرة هذه العشور على أمور عديدة، في مقدمتها كثرة الأموال التي تُجبى في ميناء عدن نظير تحصيل الدولة لتلك العشور المتنوعة والكثيرة، وهذا يـــؤدي إلـــى تعرض التجار لخسائر كثيرة نتيجة لتلك العشور[٨]، ومن ثم ارتفاع قيمة البضاعة وتحمل

---

[١] سبق أن أشرنا لذلك في الفصل الرابع، وسنعود لدراسة هذا الموضوع عند بحثنا للتجارة الداخلية. ينظـــر عنه: ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠٠.

[٢] في سنة ٥١٦هـ أمر المأمون البطائحي ببناء دار وكالة بالقاهرة لمن يصل من العراق والشام من البحار. ابن ميسر. أخبار مصر ٢ / ٦٢.

[٣] المستبصر ص ١٤٣.

[٤] ذكر حمزة لقمان نوعين من الضرائب: العوائد (العشور) وضريبة الخروج من الفرضة. تاريخ عـــدن ص ٢٩٨، ونعتقد أن ذلك خطأ، إذ أنهما موارد واحدة لعشور الفرضة في الميناء.

[٥] لم يذكرها حمزة لقمان. ولعل ذلك يرجع إلى ما ذكره من إلغاء هذه العشور سنة ٦١٥هـ خطـــأ. تـــاريخ عدن ص ٢٩٨، والصواب أنها ألغيت سنة ٦٢٥هـ، كما ذكرنا سابقاً.

[٦] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٤، وذكر أن بضاعة الآمدي قدرت بدار الوكالة بـــ ٢٥ ديناراً، فكـــانت عشور الزكاة عليها دينار وربع.

[٧] أنظر أيضاً: لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٨، الحبشي. جوانب ص ١١١ – ٢.

[٨] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٨.

المستهلك لذلك الارتفاع، وهذا يوضح لنا أيضاً تدهور الأوضاع السياسية للدولة الأيوبية في أواخر عهدها باليمن، وقيام الأمراء والنواب بالتدخل في شؤون التجارة للحصول على كميات هائلة من الأموال لتسديد نفقات البذخ والإسراف وقمع الفتن والمشكلات الداخلية، وهذا يرجع إلى عدم وجود سلطة مركزية وسلطان مهيمن فقد كان الملك المسعود شخصية متأرجحة وقلقة كثير التنقل بين مصر واليمن، وغالباً ما كان يغادر اليمن بعد أن منح الأمير نور الدين عمر بن رسول صلاحيات واسعة، فكان نائباً لبني أيوب في اليمن ثم استولى على الدولة بعد وفاة المسعود وأسس دولة جديدة في اليمن هي الدولة الرسولية، ولعل الأمير نور الدين أراد أن يؤلب الناس ضد الحكم الأيوبي بزيادة العشور التجارية التي تعكس لنا نوعاً واضحاً من الظلم وجمع الأموال بشتى الوسائل، حتى اصبح التاجر يدفع كل بضاعته ثمناً لتسديد العشور المترتبة عليها أو يصبح مديناً لسلطات الميناء لعدم تسديد العشور.

وللدلالة على ما ذكرناه نسوق هنا قصة رواها ابن المجاور[1] بهذا الصدد فذكر أن الناخوذة عثمان بن عمر الآمدي وصل من مصر ومعه منين[2] عود دون (غير جيدة)، فلما جاء وقت المحاسبة قدر ثمن العود بستة دنانير، ثم بدأ حساب العشور كالآتي: دينار ونصف عشور الميناء، وشواني نصف وربع دينار، وقوم في دار الوكالة ثمن العود بخمس وعشرين ديناراً عشورها ثمانية دنانير ودانقان وعشور الزكاة دينار وربع وعشور الدلالة نصف دينار، فأصبح مجموع العشور أكثر من ثمن العود، وأصبح الآمدي مديناً بتسعة دنانير[3] فاستاء كثيراً. ويوضح ابن المجاور[4] ذلك فيقول: "حلف الناخوذة عثمان بن عمر الآمدي يمين بالله العظيم: إني لم أزن منه شيئاً ولا فلساً واحداً ما يكفي أنكم تأخذون مني منين عود بلا شيئ وتطالبوني بتسعة دنانير أخرى"، وصادف وجود الأمير ناصر الدين فاروت أمير عدن[5] وجماعة معه، فاستنجد الآمدي بهم، وطلب مساعدتهم له فخاطبوا موظفي الجمرك بالميناء في ذلك قائلين لهم: "أنه رجل متردد إلى عدن ونحن نأخذ منه أضعاف ذلك"، ويضيف ابن المجاور[6] قائلاً: "ودخل المتوسط بينهم حتى خرج رأس برأس"، ونستدل مما سبق أن الأمير ناصر الدين وجماعته توسطوا للآمدي عند موظفي الجمرك فدفع بضاعته مقابل العشور المفروضة عليها، أي أنه سدد

---

[1] المستبصر ص ١٤٤. أنظر أيضاً: لقمان: تاريخ عدن ص ٢٩٩.

[2] ذكر حمزة لقمان أنه كان معه حوالي فراسلتين من العود. تاريخ عدن ص ٢٩٩، وهذا خطأ إذ أن الفراسلة تساوي عشرة أمنان كما ذكرنا آنفاً.

[3] يذكر ابن المجاور أن مجموع العشور خمسة عشر ديناراً للمن الواحد يطرح منها ستة دنانير ثمن المن من العود فيكون الآمدي مديوناً بتسعة دنانير، ونعتقد أن ذلك خطأ وفيه مبالغة فمن خلال حسابنا لمجموع العشور نجدها تبلغ (١٢) ديناراً وبذلك يكون الآمدي مديناً ستة دنانير عن كل مَن عود كما ذكر حمزة لقمان ذلك. تاريخ عدن ص ٢٩٩.

[4] المستبصر ص ١٤٤، وقد ورد فيه النص هكذا.

[5] أمير عدن في أواخر العهد الأيوبي، راجع الفصل الرابع.

[6] المستبصر ص ١٤٤.

تلك العشور بدفع بضاعته من العود دون أن يحصل على شيئ، وفي خبر[1] أن الوالي أمر بتخفيض مبلغ العشور إلى الربع، ولعل أمره هذا أدى إلى أن تساوي قيمة البضاعة مبلغ العشور المفروضة عليها، ولنا في هذا المثال دليل واضح على فداحة العشور المفروضة على البضائع في أواخر العهد الأيوبي وما صاحب تلك العشور من الظلم والتعسف الذي مارسه رجال الجمرك، ولاشك أن مثل هذه الإجراءات تؤدي إلى قلة الإقبال على الميناء نتيجة ارتفاع نسبة العشور.

ارتفعت العشور التي يدفعها التجار القادمون على المراكب إلى عدن، ففي رواية[2] أن أحد المراكب القادمة بلغت عشور حمولته ثمانين ألف دينار[3].

ومما يدل على نشاط الحركة التجارية بميناء عدن في العهد الأيوبي، وكثرة الموارد التي تدرها المراكب القادمة من العشور بأنواعها المتعددة، رواية إبن المجاور[4] عن رسو المراكب تحت جبل صيرة وعددها بين ٧٠ - ٨٠ مركباً في كل عام قابلة للزيادة والنقصان.

في اعتقادنا أن ذلك الرقم يُعد كبيراً، إذ أن تلك المراكب التي ترسو تحت جبل صيرة ريثما يفسح المجال لها بالدخول إلى ميناء عدن، تشكل نسبة عالية من الحركة التجارية للميناء، فإذا قسمنا عدد المراكب التي تدخل سنوياً للميناء (حوالي ثمانين مركباً) على معظم أيام السنة، فهذا يعني أن معدل وصول كل مركب لميناء عدن هو ثلاثة أو أربعة أيام، وهذا يدل على نشاط تجاري كبير جداً، لأن المركب يحتاج إلى ثلاثة أيام لإفراغ حمولته[5]، سيما ونحن نأخذ في الاعتبار عدم وجود آلات حديثة لتفريغ البضاعة ودور العمل اليدوي البسيط في ذلك، وهذا يعني عدم توقف العمل في الميناء من تفريغ وشحن وحساب وجباية أموال طائلة طوال أيام السنة.

يدلنا عدد المراكب الواصلة ميناء عدن سنوياً على نشاط الحركة التجارية وكثرة الموارد المالية من العشور المتنوعة، فإذا كانت عشور أحد المراكب قد وصلت إلى ثمانين ألف دينار، فهذا يعني أن عدن كانت ذا أهمية كبيرة جداً في تسيير الحياة المالية للدولة في العهد الأيوبي.

وبناء على ما ذكرناه كانت إيرادات ميناء عدن تنقل إلى حصن تعز (وهو عاصمة الدولة الأيوبية) كل عام، وهذه الأموال تتجمع من أربعة مصادر رئيسة، هي[6]:

١-خزانة قدوم المراكب من الهند.

٢-خزانة دخول الفوة[7] إلى عدن.

---

[1] لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٩.

[2] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٩.

[3] وهذا ما يوازي (٥٦٠) ألف شلن. لقمان. نفسه.

[4] المستبصر ص ١٤٤.

[5] ذكرنا تفاصيل ذلك في موضوع خبرة أهل عدن التجارية.

[6] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٤. لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٨.

[7] أخطأ حمزة لقمان فسماها: الضرائب على القبائل الداخلة إلى عدن. تاريخ عدن ص ٢٩٨، وهذا وهم فما هي علاقة القبائل بعشور التجارة؟

٣-خزانة خروج الخيل من عدن إلى الهند.
٤-خزانة سفر المراكب إلى الهند.

وكل خزانة من هذه الخزائن يكون مجموع مواردها مائة وخمسين ألف دينار يزيد وينقص، أي أن مجموع هذه الواردات يبلغ (٦٠٠) ألف دينار سنوياً، واستمر الحال حتى سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م فانقطع بتلك السنة[١].

نستنتج من مصدر هذا الموارد أن العلاقات التجارية مع الهند كانت قوية جداً وواسعة، وكانت العشور المفروضة على المراكب القادمة من الهند والذاهبة إليها تشكل نصف هذه الإيرادات، وكذلك كانت الموارد المتجمعة عن تصدير الخيول من عدن إلى الهند ذات حجم كبير وتشكل جزءاً مهماً في التجارة بين البلدين.

إن ارتفاع إيرادات عدن مصدره بالدرجة الأولى الزيادة والتنوع في مقدار العشور المفروضة على البضائع التي تصل ميناء عدن، ويذكر العقيلي[٢] أن مبلغ تلك الإيرادات البالغة ستمائة ألف دينار يمثل صافي المبلغ بعد طرح المصرفات، وهذا المبلغ الصافي يرسل إلى خزانة تعز عاصمة الدولة الأيوبية في اليمن.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ارتفاع العشور التجارية وتعددها (وهي عشور الميناء والشواني ودار الوكالة ودار الزكاة والدلالة) أدت إلى نتائج سلبية كثيرة على التجار والعاملين في الوسط التجاري، وصاحبها ظلم وتعسف كبيران، لذلك كانت النتيجة التي حصل عليها كثير من التجار جراء تلك العشور، كما يقول إبن المجاور[٣]: "يَفضل مع التاجر لاش في لاش" أي لا شيئ في لا شيئ، وبمعنى آخر أن التاجر يصبح هو المدين أو يعطي بضاعته لتسديد العشور وتذهب أتعابه وجهوده كلها سُدىً[٤].

كان لدخول الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول أثره في تحول سلطة الدولة الأيوبية سنة ٦٢٤هـ إلى أداة غايتها جمع الأموال بشتى الوسائل على حساب الناس بمختلف طبقاتهم وحالتهم المعيشية مما ولد شعوراً بالاستياء العام، فقد زادت العشور وأصبحت خمسة أنواع[٥].

دخل نور الدين إلى عدن يوم الأربعاء ٢٦ رجب سنة ٦٢٤هـ، وفي يوم الاثنين ٢ شعبان منها، فرض على سكانها شراء الفوة بالإكراه، وقد سرى ذلك الفرض على من كان بعدن من غريب وقريب، قوي وضعيف، رجل وامرأة، وكان سعر البهار الواحد (٢٨٠) دينار ملكي، وقد استعان نور الدين بجنده في عمله هذا وأمرهم بنهب عدن والاعتداء على سكانها[٦].

[١] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٤ – ٥.
[٢] المخلاف السليماني ج ١ ق ١/ ١٩٦.
[٣] المستبصر ص ١٤٨.
[٤] هذا ما حصل للناخوذة عثمان بن عمر الآمدي. المستبصر ص ١٤٤، وقد ذكرنا قصته.
[٥] كانت تلك الزيادة سنة ٦٢٥هـ، وقد ذكرنا تلك العشور الخمسة آنفاً.
[٦] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٧، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٤، ٣٠٠.

عمران بن محمد بن سبأ لمصالحته على أن يدفع إليه مبلغا من المال لقاء عدم تعرضه إلى عدن والدملوة.

لا تحدد المصادر السنة التي تم فيها الصلح بين عمران ومهدي بن علي، ولا مقدار المال المدفوع لقاء ذلك، وفي حكاية[1] ان الداعي عمران صالحه عن عدن والدملوة بمال يدفعه إليه سنويا. ونرجح إن ذلك الصلح تم بعد التهديد المتواصل لغزو عدن، لكن مهدي بن علي لم يستطع ذلك، فقام بغزو الأجزاء التابعة للزريعيين مثل لحج والجند وبقية المناطق الخاضعة لنفوذ الدعي عمران، وأشاع فيها القتل والنهب، فاضطر الداعي إلى عقد ذلك الصلح، ونرجح أنه كان سنة ٥٥٨هـ، والتي اعتبرناها السنة التي تولى فيها الداعي عمران السلطة بعدن بصورة فعلية، اعتمادا على ما ذكره الحجوري[2] من انه ولي في شهر ذي الحجة منها.

ونشير هنا أيضا إلى أن مهدي بن علي اشترى حصني صبر وتعز من أحمد بن المنصور بن المفضل بعد توليه عليهما إثر وفاة أبيه منصور بن المفضل، وسكن أحمد بن المنصور في الجند حتى وفاته بها سنة ٥٦٣هـ[3]، وهذا يعني ان بني مهدي سيطروا على معظم أملاك بني زريع التي استولى عليها الداعي محمد بن سبأ بعد انتصاره على منصور بن المفضل وإرغامه على بيع معظم حصونه ومدنه سنة ٥٤٧هـ، كما أشرنا، وبذلك حل بنو مهدي محل بني زريع في السيطرة على حصون ومدن الصليحيين.

بعد غزو مهدي بن علي للجند، عاد إلى زبيد، فأصيب بمرض الطايرة الذي تفطر منها جسمه، حتى ظهر فيه شبه إحراق النار، وفي رواية[4] انه كان ينزل من تعز في محفة مفروشة بالقطن وبقي على هذا الحال حتى توفي بزبيد مستهل شهر ذي العقدة[5] سنة ٥٥٨هـ[6]، وبذلك انتهت حياة رجل شغف بأعمال القتل والنهب وسفك الدماء، حتى وضع ذلك المرض نهاية لها.

بعد وفاة مهدي بن علي تولى أخوه عبد النبي بن علي الحكم، وكان يعرف بالسيد والإمام على ألسنة العوام[7]. وقد وردت اختلافات عديدة بين المؤرخين حول مذهب عبد

---

[1] شرف الدين. اليمن ص ٢١٤ – ٥، الثور. هذه هي اليمن ص ٢٩٦.

[2] الروضة و ٢٤٤ ب.

[3] الجندي. السلوك ج٣ و١٠٣أ، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص٢٤١.

[4] الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٧ أ، الديبع. بغية المستفيد ص ٦٦.

[5] وفي رواية أنه توفي أول ذي الحجة سنة ٥٥٨هـ . الديبع. قرة العيون ص ٣٦٦، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٠، وقيل مات بذي الحجة سنة ٥٥٨هـ، الشماحي. اليمن ص١٢١.

[6] الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٣ ب، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٧٥ ب، الديبع. بغية المستفيد ص ٦٦، يحيى. إنباء الزمن و ٥٢، الوزير. جامع المتون و ١٨ ب، الكبسي. اللطائف السنية و٢٨ب، وقيل توفي بزبيد يوم الأحد ١٨ محرم سنة ٥٥٩هـ، وقبره في المشهد مع والده. الخزرجي. كفاية و ٦٧ أ، وذكر بجعازي وفاته في ١٨ محرم من تلك السنة. Bikhazi,op, cit, p. 111.

[7] الجعدي. طبقات الفقهاء ص ١٨٣، وذكر العامري أن العوام سمته عبد النبي. غربال الزمان و ١١٧ ب.

النبي هذا، ففي رواية[1] انه من أصحاب المصريين، وكان يلقب بالداعي على رواية الحنبلي[2]، وقيل كان باطنيا[3]، وإنه من دعاتهم[4]، وكان يلقب بالمهدي[5] ويسمى الإمام[6].
يتضح لنا مما سبق ان عبد النبي كان باطنيا إسماعيليا، أي انه كان من دعاة الفاطميين ومعتنقي مذهبهم، غير ان المؤرخين لا يوضحون علاقته مع الدولة الفاطمية، ولعل ذلك يرجع إلى اختلافه مع الفاطميين، بسبب تطرفه المذهبي ولذلك وصف بعض المؤرخين أباه علي بن مهدي بأنه كان خارجيا[7]، وتلك تسمية مجازية توضح خروجه على المذاهب السائدة في اليمن في عهده، ولعلها تعود أيضا إلى انه اقترف جرائم ومنكرات كثيرة أثارت استياء عاما منه ومن مذهبه في بلاد اليمن بصورة خاصة.
ذكرنا ان عبد النبي كان يساعد أخاه مهديا، فتولى أمور الدولة، وشارك أخاه في غزواته وحروبه، وبعبارة أخرى يمكننا القول انه اقتفى سيرته في الغزو والنهب والقتل[8]. ويبدو أن خلافا وقع بين عبد النبي وأحد إخوته المسمى: عبدالله، وأن ذلك الخلاف وقع في بداية حكم عبد النبي، ففي رواية[9] ان عبد النبي لبث يسيرا في حكمه وخدعه أخوه عبدالله وأسره[10]، وبقي في الأسر ثم خرج واستعاد الملك، وذكر المؤرخون[11] تولي عبدالله الحكم بعد عبد النبي ثم عودة الأخير، دون تحديد مدة حكمه و السنة التي وقعت فيها المشكلة.

---

[1] سبط ابن الجوزي، يوسف بن قيز وغلو. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ج ٨ ق١، ط١، (حيدر آباد الدكن، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) ص ٢٩٩، ابن تغري بردي. أبو المحاسن يوسف. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٦، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، (القاهرة، د. ت)، ص ٦٩.

[2] الحنبلي، أحمد بن إبراهيم. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، - تح: ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ٥١، وذكر ان عبد النبي كان يلقب بالمهدي وانه يرى رأي القرامطة، وانه داعية صاحب مصر. نفسه ص ٥١ – ٢.

[3] ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٧٢ – ٣.

[4] العامري. غربال الزمان و ١٢٢ أ، الجنداري. الجمع الوجيز و ٦٣ ب.

[5] ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٤، منشورات مكتبة القدسي، (القاهرة، ١٣٥٠هـ)، طبعة أوفست ص ٢٣٤.

[6] ابن كثير. البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٣.

[7] ذكرنا هؤلاء المؤرخين عند دراستنا لظهور علي بن مهدي وعقيدته.

[8] يحيى. إنباء الزمن و٥٢، غاية الأماني ص ٣١٦، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٨ ب. Bikhazi, op, cit, P. 111.

[9] الخزرجي. العقد الفاخر و ١٧٥ ب، الأهدل. الجوهر الفريد و ٢٧٧ أ، الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٣٠ ب، حسن سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٤٢.

[10] روى الجندي أن أخاه عبدالله حسده فلبث مدة وخلص. السلوك ج ٣ و ١١٤ أ.

[11] عمارة. المفيد ص ٢٣٣، روضة الحجوري و ٢٤٥ ب، ابن الوردي. تتمة المختصر ٢/ ٨٨، الوصابي. تاريخ وصاب ص١٠٧، إدريس. نزهة الأفكار و ٧ أ، الثور. هذه هي اليمن ص ٢٩٦، ترسيسي. اليمن ص ٩٨.

ويحتمل بجعازي[1] ان تلك المشكلة وقعت سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م، رغم تأكيده ان المصادر لا تحدد تاريخها، وان عبدالله بن علي كان قادراً لفترة من الوقت على إخضاع عبد النبي وطرده من زبيد، لكن عبد النبي استعاد قوته بعد ذلك بزمن يسير. ولا توضح المصادر شيئاً عن أعمال عبدالله بن علي وطبيعة علاقته مع بني زريع في عدن، خلال المدة التي تولى فيها الحكم.

اقتفى عبد النبي سيرة أخيه مهدي بن علي، لذلك حاول، بعد توليه الحكم غزو عدن لكنه لم ينجح في محاولته تلك، فأمر أصحابه بالإغارة على ابين وإحراقها سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م[2]، وروى الخزرجي[3] انهم احرقوا قرية الضربة، كما احرقوا أبين يوم السبت ١٥ صفر سنة ٥٥٩هـ[4]. ولاشك ان تلك الغزوة تؤكد عدم التزام عبد النبي بالصلح الذي عقد بين الداعي عمران بن محمد وأخيه مهدي بن علي، وتوضح أيضاً النوايا العدائية التي كان يضمرها بنو مهدي حكام زبيد لبني زريع في عدن، وتجدر الإشارة إلى أن المصادر لم توضح موقف الداعي عمران من تلك الغزوة وكيفية مواجهتها.

كانت خطط عبد النبي تستهدف تنظيم الغارات على مدن الزريعيين بغية إضعافهم، وتذكر إحدى الروايات[5]، إنه أغار على الجوّة[6]، وكانت فيها وقعة مشهورة في ذي الحجة سنة ٥٥٩هـ، ويروي الخزرجي[7] ان هذه الغارة كانت في بعض الأعياد فظفر بأهلها يومئذ، وفي ذلك يقول الشاعر ابن الهبيني أبياتاً منها:

في يوم عيد ضحوا لولاتهم ... فيها فأضحوا للحمام ولائما

وحرمتهم فيها مطاعم عندهم ... وتركتهم للمرهفات مطاعم[8]

نستدل من هذه الأبيات بأن عبد النبي قد انقض على أهل الجوّة في صبيحة أحد الأعياد، فأحال فرحهم إلى حزن بعدما ترك أشلاء قتلاهم متناثرة. معبرا عن ولعه بالقتل وسفك الدماء.

ونستنتج من كثرة الغارات التي شنها عبد النبي على مدن الزريعيين، أنه كان يتمتع بقوة ضاربة، كما انه بدأ حكمه بنفس الأعمال القاسية والعنيفة التي كان يقوم بها أخوه

---

[1] op. cit, p. 111.، وذكر أن عبد النبي حوصر من قبل أدعياء ابن أخيه عبدالله بن علي بن مهدي، وقد قصد بذلك ان عبد النبي هو عم عبدالله.

[2] أنظر: يحيى. إنباء الزمن و ٥٢، غاية الأماني ص ٣١٦، الشرفي. اللآلىء المضية ج ٢ و ١٣١ أ. الكبسي. اللطائف السنية و ٢٨ ب، العبدلي. هدية الزمن ص ٦٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٦.

[3] كفاية و ٦٧ أ.

[4] حدد الديبع أيضا إحراق أبين في ذلك التاريخ. بغية المستفيد ص ٦٧.

[5] طبقات الجعدي ص ١٦٩.

[6] من بلاد الصلو في مخلاف الحجرية، راجع عنها الفصل الثاني.

[7] كفاية و ٦٧ أ – ب.

[8] اورد الخزرجي خمسة أبيات تركنا الثلاثة الأولى منها لعدم وضوحها، أنظر عن غارة الجوّة: الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٣٠، د. صالح، بنو معن ص ٣٣٩.

مهدي، ولذلك كان استمرار هذه الغارات وعدم ردعها بقوة مقابلة من قبل بني زريع، توضح لنا أن دولتهم لم تكن في وضع يساعدها على تلك المقاومة أولا، كما أن رقعتها كانت آخذة بالتقلص نتيجة اقتطاع أجزاء منها وضمها لبني مهدي ثانيا.

ويبدو ان قوة عبد النبي كانت كاسحة، وإن الداعي عمران بن محمد بن سبأ لم يستطع الوقوف بوجهه وصد هجماته، ولذلك ذكر المؤرخون[1] أنه أراد أن يحمي عدن والدملوة من هذا البلاء المتمثل بالخوارج وزعيمهم عبد النبي، فصالحه على جزية يؤديها له كل سنة مقابل عدم تعرضه لهما، ووافق عبد النبي على ذلك.

لا تحدد لنا المصادر السنة التي تم فيها الاتفاق، ولا مقدار المال السنوي الذي يدفعه الداعي عمران إلى عبد النبي، لكننا نرجح ان ذلك كان في أواخر سنة ٥٥٩هـ، وبعد غارة عبد النبي على الجوّة وأبين، ونستدل ان أملاك الداعي عمران أصبحت قليلة وان رقعة نفوذ بني زريع قد تقلصت كثيرا؛ بسبب عدم القدرة على حمايتها وصد غارات بني مهدي عنها، كما إننا لا نجد إشارة إلى موقف الدولة الفاطمية التي كان بنو زريع يدينون بالولاء لها من هذه الغزوات، مما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه من ان ذلك الولاء كان سياسيا شكليا فقط.

ولابد لنا من الإشارة إلى ان الوضع السياسي في اليمن في خلال هذه الحقبة كان مضطربا، فالبلاد تعيش حالة من التجزئة والتناثر على هيأة دويلات وإمارات غالبا ما كانت علاقاتها متأزمة وغير مستقرة، ولذلك كانت كل منها تعاني مشكلاتها بنفسها وتواجهها مفردة بمواردها الذاتية.

وندلل على ما ذكرناه من إعطاء صورة للوضع السياسي في اليمن سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م، استنادا إلى ما ذكره المؤرخون[2] من أن ملك اليمن تفرق في تلك السنة، وانقسمت البلاد إلى دويلات وإمارات عديدة، فكان لبني زريع من عدن إلى أبين إلى تعز إلى الدملوة إلى نقيل صيد. وصار ملك الجوف لآل الدعام من أيام الناصر بن الهادي. وذمار ومخاليفها لسلاطين جنب. وصنعاء ومخاليفها إلى حدود الاهنوم والظاهر لعلي بن حاتم الذي وسع إمارته بعد وفاة أبيه الذي كان حاكما على صنعاء بالولاية من بني زريع[3]. وصعدة ومايليها للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان. والحريب وما حولها لآل عمر بن شرحبيل. وتهامة الشامية من تيش إلى وادي رعين للأشراف بني سليمان وزعيمهم غانم بن وهاس. وشهارة وما يليها لبني القاسم العياني. وزبيد ومخاليفها إلى حرض لعبد النبي بن علي.

---

[1] عمارة. المفيد ص ٢٣٣، ابن عبد المجيد. بهجة الزمن ص ٧٣، ابن خلدون. العبر مج ٤/ ٤٧٠، العبدلي. هدية الزمن ص ٦٣، الهمداني وسليمان. الصليحيون ص ٢٤١، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٦، معارك حاسمة ص ٨٠، Bi k hazi,op, cit, p. 111.

[2] روضة الحجوري و ٢٤٥ ب- ٢٤٦ أ، يحيى. إنباء الزمن و ٥٢ – ٣، غاية الأماني ص ٣١٦، الكبسي. اللطائف السنية و ٢٨ ب – ٢٩ أ.

[3] وقيل انه (أي أبوه) من بني زريع. يحيى. إنباء الزمن و٥٣، والمقصود انه من همدان مثل بني زريع، وإنه كان على مذهبهم في الدعوة للفاطميين.

أن المصادر لا تشير بوضوح لها، كما لا توضح لنا المعادن المستعملة في ضرب العملة ووزنها وقيمتها، لذا تبقى معلوماتنا في هذا المجال ناقصة.

أما بالنسبة إلى الصليحيين فإنهم أسسوا دولتهم في صنعاء وقد تمكن مؤسسها علي بن محمد الصليحي من توسيع نفوذه حتى نجح في توحيد بلاد اليمن وإخضاعها لسيطرته سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م[١].

تشير إحدى الدراسات[٢] إلى أن العملات الأولية للصليحيين المنشورة لحد الآن هي دنانير علي بن محمد الصليحي المضروبة (المسكوكة) في زبيد سنة ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م وما بعدها، وكانت تلك العملات تحمل اسم الخليفة الفاطمي المستنصر، وتعطي لعلي نفسه ألقابا مثل (الأمير المظفر في الدين نظام المؤمنين) وذلك على العملة المؤرخة سنة ٤٤٥هـ، و(الأمير سيف الإمام) في عملات مؤرخة سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م، ولم يظهر على تلك العملات لقب (الداعي أمير المؤمنين) لكن الألقاب التي استخدمها تجعل من الواضح جدا أنه ربط نفسه بصورة وثيقة مع الفاطميين واعتبر نفسه نائبهم في المجالين العسكري والديني.

ان ماذكره لويك عن العملة التي ضربها علي بن محمد الصليحي، لم يرد ذكره في مصادرنا العربية، لكن اقتران ضرب تلك العملة بزبيد سنة ٤٤٥هـ، يجعلنا واثقين من هذا الحدث، إذ أن الصليحي كان مسيطرا على زبيد بحلول سنة ٤٤٥هـ وحاول أن يقتل أميرها نجاح[٣].

إثر مقتل الصليحي سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م ولي الحكم بعده ولده أحمد الملقب بالمكرم، وذكرت بعض المصادر والمراجع[٤] بأنه أول من ضرب الدينار الملكي بصنعاء، وقد كتب عليه النقش التالي: (الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين)[٥]، وقال عمارة[٦] عن الدينار الملكي: "واليه ينسب وهو دينار اليمن إلى اليوم"[٧].

يعد الملك المكرم أحمد بن علي بن محمد الصليحي أول من وحد العملة اليمنية بعد أن رأى تعددها واضطرابها وكانت الدنانير المستعملة في ذلك الوقت إما سعيدية نسبة

---

[١] درسنا ذلك وأشرنا إلى مصادره في مقدمة الفصل الثاني.

[2] Lowick, Some unpublished Dinars , p. 262

[3] Ibid, p. 261

[٤] عمارة. المفيد ص ١٣٥، ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٥، العقيلي. المخلاف ٢/ ٤٠، لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠٠، Lowick, Ibid, pp: 262 - 3.

[٥] ورد هذا اللقب في تاريخ عمارة طبعة كاي ص ٢٢٥ وطبعة حسن سليمان محمود ص ٢٧، ولم يرد في الطبعة التي حققها محمد بن علي الأكوع، وذكر الأخير خبرا عن العثور على كمية من عملة الملك المكرم مضروبة من الذهب الابريز الخالص وذلك في قرية الساك من عزلة جبير أعمال ذي السفال وأنه شاهدها واطلع عليها، كما عثر على هذه السكة في عزلة بني جبر من حاشد. هامش المفيد لعمارة ص ١٣٥.

[٦] المفيد ص ١٣٥، أنظر أيضا: Lowick, op, cit, p. 262.

[٧] أي عصر عمارة الذي ينتهي في القرن السادس الهجري إذ توفي سنة ٥٦٩هـ.

إلى سعيد الأحول إبن نجاح (٤٥٢ – ٤٨١هـ/ ١٠٦٠ – ١٠٨٩م) وأما عثرية من أعمال زبيد، فقام المكرم بإلغاء تلك العملات[1].

لقد ظهرت دراستان[2] عن الدينار الملكي الذي ضربه أحمد بن علي المكرم الصليحي توضحان السنة التي ضرب بها، والراجح أنها سنة ٤٧٩هـ[3]/ ١٠٨٦م، ولسنا هنا بمعرض إيراد التفاصيل الكاملة عن الدينار. تاريخ ضربه والاختلافات التي وردت حولها[4].

تجدر الإشارة إلى أن الدينار الملكي قد ضرب بعدن أيضاً، وذلك من خلال العملات التي عثر عليها، وكان أول دينار مضروب بعدن سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م ورد في الوجه ذكر الصليحي والمستنصر والمكرم، وفي الهامش تاريخ ضربه بعدن سنة ٤٨٦هـ، وفي الظَهر ورد لقب المكرم أحمد: "الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين"[5]، كما تضمنت الدراستان الإشارة لعملات أخرى ضربت بعدن خلال السنوات: ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م، ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م، ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م، أو ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م، ٥٠٤هـ/ ١١١٠م، ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، ٥٠٨هـ[6]/ ١١١٤م، ٥٠٩هـ[7]/ ١١١٥م، ٥١٠هـ/ ١١١٦م، ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، ٥١٥هـ/ ١١٢١م، ٥١٦هـ/ ١١٢٢م، ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م، ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م، ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م، ٥٢٦هـ/ ١١٣١م[8].

تميزت تلك العملة ببعض الاختلافات البسيطة كاختلاف اسم الخليفة الفاطمي الذي يتغير بسبب وفاته وتولي خليفة آخر بعده[9]، إلا أن ضرب هذه العملة بعدن لمدة تزيد على أربعين سنة (٤٨٦ – ٥٢٦هـ/ ١٠٩٣ – ١١٣١م)، تدلل على أهميتها، واتخاذها مقراً لضرب العملة الصليحية، ويرجع سبب ذلك إلى الارتباط الوثيق بين الصليحيين والزريعيين الذين تم توليهم على عدن من قبل الملك المكرم الصليحي منذ سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، ونعتقد أن انتهاء آخر عملة ضربت بعدن سنة ٥٢٦هـ يرجع إلى

---

[1] الحبشي جوانب ص ١١٣.

[2] Lowick, op, cit, pp: 261 – 266, Bikhazi, Coins of Al - Yaman,pp: 87 - 101.

[3] Ibid, p. 262.

[4] راجع الدراستين أعلاه عن تلك الاختلافات وتفاصيل ضرب العملة.

[5] Bikhazi, op, cit, p. 87 وذكر لويك أنه نصف دينار وفي هامش الوجه أورد العبارة التالية: "بسم الله ضرب هذا الدينار بعدن..." op, cit, p. 264.

[6] ذكر لويك أن اسم الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله قد ورد لأول مرة في الدينار المضروب بعدن سنة ٥٠٨هـ. Op, cit, p. 265

[7] ذكر بجعازي أن اسم الخليفة الآمر قد ورد لأول مرة في الدينار المضروب بعدن سنة ٥٠٩هـ. Op, cit, p . 97

[8] Lowick, op, cit, pp: 264 - 266, Bikhazi, op, cit,pp: 87 - 99.

[9] ان الدنانير المضروبة في عدن بين ٤٩٢ – ٥٠٨هـ كانت تحمل اسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، أما الدنانير التي ضربت بين ٥٠٨ – ٥٢٦هـ، و ٥٤١ – ٥٥٠هـ فكانت تحمل أسم الخليفة الآمر بأحكام الله، Lowick, op, cit, pp: 265 - 269: Bikhazi, op, cit, pp: 96 - 100.

انتقال مهمة الداعي بصورة نهائية إلى الزريعيين في عدن منذ عهد الداعي سبأ بن أبي السعود، وذلك سنة ٥٢٥هـ[١]/ ١١٣٠م، فكان ضرب آخر دينار بعدن بعد سنة من ذلك الانتقال، وفي إثر ذلك انتقل ضرب الدنانير الملكية إلى ذي جبلة، نستدل على ذلك من الدينار الوحيد[٢] الذي ضرب فيها وذلك سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م[٣]، وذكر بجعازي أنه من المحتمل أن عدن بدأت بسك عملة خاصة بها هي العملة الزريعية بين ٥٢٦ - ٥٣٠هـ/ ١١٣١ - ١١٣٥م، مما أجبر الملكة أروى لايجاد سكة بذي جبلة، ويضيف أن الدليل النقدي لا يدعم ولا يناقض هذا الافتراض لأنه لم يعثر على عملة من عدن بين ٥٢٦ - ٥٤٠هـ/ ١١٣١ - ١١٤٥م[٤].

وردت في دراستي لويك وبجعازي نماذج لعملة الدينار[٥] ضربت بعدن في عهد الأمير محمد بن سبأ، يرجع تاريخ ضربها إلى سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وفيها إشارة للملك المكرم الصليحي وذكراً لألقابه مما يدل على استمرار التبعية في سك الدينار على اسم الصليحيين وارتباط بني زريع معهم[٦]، كما وردت نماذج لدنانير ضربت بعدن في عهد محمد بن سبأ للسنوات ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، ٥٤٣/ ١١٤٨م، ٥٤٦هـ/ ١١٥١م، ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م، ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م[٧]، وتجدر الإشارة بأن العملة المضروبة بعدن كانت تحمل في هامش الظهر اسم الخليفة الفاطمي أبا علي الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين، وهذا يوضح لنا استمرار العلاقة بين بني زريع بعدن والخلافة الفاطمية بمصر إضافة إلى العلاقة مع الصليحيين باليمن.

استمر الدينار الملكي متداولاً في اليمن خلال حكم بني زريع في عدن حتى زمن عمارة[٨]، وكان يحمل ألقاب الملك المكرم أحمد بن علي بن محمد الصليحي (الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين)، وقد توقف سك هذا الدينار بين ٥٥٠ -

---

[١] ذكرنا ذلك في الفصل الثالث.

[٢] ذكر لويك أنه ربع دينار مضروب في ذي جبلة سنة ٥٣٠هـ. Lowick, op, cit, p. 263

[3] Bikhazi, op, cit, p. 99.

[4] Ibid, p. 101.

[٥] ذكر لويك انها من فئة نصف دينار. Lowick, op, cit,p. 268. وقد ورد في هامش الوجه ما يلي: "بسم الله ضرب بعدن سنة إحدى وأربعين...".

[٦] أنظر عن هذه العملات: Lowick, op, cit,pp: 268 - 269, Bikhazi, op, cit, pp: 102 - 104.

[٧] ذكر لويك أن هذه المجموعة من العملات مأخوذة من متحف عدن، وتتميز بالاختلاف عن المجموعة السابقة في عدة مجالات، فمستوى العمل اليدوي أعلى كثيراً من ناحية التناسق من العملات المعروضة في الفترة السابقة، إضافة إلى وجود نقوش تقليدية على الظهر والوجه تشير إلى إصلاح من قبل الحاكم الزريعي للشكل الأصلي، فوق وتحت النقش في الوجه والظهر تبدو كلمات: محمد المتوج، والمتوج كان أحد الألقاب التي كرم بها الخليفة محمد بن سبأ عندما خلف والده كداعي سنة ٥٣٤هـ. إن لقب داعي أمير المؤمنين ظهر لأول مرة في الظهر بينما دار السك والتاريخ تبعتهما كلمات: المظفر في الدين داعي أمير المؤمنين، أما لقب المظفر في الدين فقد استعمل لأول مرة من قبل علي ابن محمد في عملاته، وترتبط بصورة واضحة بمهمة (وظيفة) الداعي، لأنها قد استخدمت من قبل الداعي سبأ بن أحمد وعمران بن محمد إضافة إلى محمد بن سبأ نفسه. Lowick, op, cit,p. 269.

[٨] أي عصر عمارة في بداية حكم عمران بن محمد بن سبأ سنة ٥٥٠هـ وما بعدها.

٥٥٦هـ/ ١١٥٥- ١١٦٠م، أي بعد وفاة الداعي محمد بن سبأ سنة ٥٥٠هـ، إذ كان آخر دينار ضرب على اسم الأخير مؤرخ في سنة ٥٥٠هـ[١]، في حين كان أول دينار ضرب على اسم ولده عمران مؤرخ في سنة ٥٥٦هـ[٢]، ولعل الدينار الملكي توقف عن الاستعمال في السنة الأخيرة، ولهذا السبب قدر لويك[٣] مدة تداول الدينار الملكي الذي ضربه المكرم أحمد الصليحي بحوالي سبعين سنة بعد وفاته[٤] مع تغييرات طفيفة في شكله.

إن مدة سبعين سنة لتداول هذا النقد تسترعي تسليط الأضواء على استعماله وقيمته والمادة المضروب منها وأبرز المجالات التي استخدم فيها، ففي حديثه عن عدن قال ابن المجاور[٥]: " ونقد البلد ذهب ملكي"، وهذا يعني أن المادة المستعملة في ضرب الدنانير الملكية هي الذهب، ويؤكد ذلك عمارة[٦] حين ذكر اشتغاله بالتجارة بأموال الداعي محمد بن سبأ، إذ يقول: "وكانت للداعي بيدي خمسة آلالف مثقال[٧] سيرها معي ابتاع له بها أمتعة من مكة وزبيد"، وهذا النص يوضح لنا أن الدينار الملكي المضروب بعدن في عهد الداعي محمد بن سبأ كان من الذهب[٨] يزن مثقالاً واحداً، وبذلك فان مجموع الأموال التي ذكرها عمارة تساوي خمسة آلاف دينار[٩].

أما قيمة الدينار الملكي في عهد بني زريع بعدن، فكانت واطئة قياساً إلى الدينار المصري (الفاطمي)، ذكر ابن المجاور[١٠] أن الدينار المصري يساوي أربعة دنانير ونصف ملكي[١١]، ويقسم الدينار الملكي إلى أربعة أرباع، كل ربع ثلاثة جوز، كل جائز ثمانية فلوس، كل فلس أربعة دوارس[١٢]، وعلى رواية[١٣] أن كل فلس يساوي بيضتين، وكان الدينار المصري يسمى الدينار الأحمر[١٤].

---

[١] أشرنا لذلك آنفاً.

[٢] سنعود لدراسة الدينار في عهد عمران بن محمد.

[3]Lowick, op, cit,p. 262.

[٤] كانت وفاة المكرم سنة ٤٨٤هـ، راجع الفصل الثاني عنها.

[٥] المستبصر ص ١٤٥.

[٦] النكت المصرية ص ٢٨.

[٧] المثقال هو وزن الذهب وما زال يستعمل في الوقت الحاضر.

[٨] كانت الدنانير الملكية المضروبة في عهد الصليحيين والزريعيين جميعها مضروبة من الذهب، مما يدل على أن الذهب كان المادة الرئيسة لضرب الدنانير وقتذاك، يقول ابن المجاور: "وكان معاملة عدن في أيام بني زريع ذهب السعالي [كذا] على عيار البسطامي واقل منه ". المستبصر ص ١٤٥.

[٩] ذو النون المصري. عمارة اليمني ص ٤٠.

[١٠] المستبصر ص ٨٩، ١٤٥.

[١١] أخطأ حمزة لقمان وعبدالله الحبشي حين ذكرا أن الدينار الملكي يساوي أربعة دنانير ونصف مصري فاطمي، تاريخ عدن ص ٣٠٠، جوانب ص ١١٢، ونعتقد بأن ما ذكراه هو العكس بالضبط.

[١٢] ابن المجاور. المستبصر ص ٨٩ (في كلامه عن عملة زبيد)، لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠٠، العقيلي. المخلاف السليماني ٢/ ١٩١ - ٢، الحبشي، جوانب، ص ١١٢.

[١٣] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٥، ولعل ذلك كان معمولاً به في عدن.

[١٤] المصدر نفسه ص ٨٠، ولعل التسمية مأخوذة من لون ذهبه الذي يميل إلى الحمرة.

وذكر ابن المجاور أن صرف هذا الدينار يكون كل ثلاث جوز درهم (أي ربع دينار) وكل أربعة دراهم دينار، وكل أربعة دنانير ونصف بدينار أحمر. المستبصر ص ٨٠.

لم تبق قيمة الدينار الملكي قياساً إلى الدينار المصري (الفاطمي) ثابتة، بل إنها تغيرت خلال العهد الأيوبي الذي استمر فيه تداول الدينار الملكي، فقد هبطت قيمة الدينار المصري[١] فأصبح يساوي ٢,٣٥ دينار ملكي في أواخر عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهذا يعني أيضاً هبوط قيمة الدينار الملكي.

لقد استخدمت الدنانير الملكية في مجالات متعددة من البيع والشراء والتبادل التجاري خارج اليمن، وفي تقدير ثروات بعض رجال الدولة الزريعية، فقد بلغت ثروة بلال بن جرير المحمدي مولى الداعي محمد بن سبأ (٦٥٠) ألف دينار ملكي، وأكثر من (٣٠٠) ألف دينار مصري، هذا عدا التحف والسيوف وغيرهما[٢].

وورد إعفاء عمارة اليمني من مبلغ مقداره ألفان وسبعمائة دينار ملكية[٣] من قبل الداعي عمران بن محمد، وكان ذلك المبلغ جزءاً من أموال بقيت بذمة عمارة اقترضها من أبيه الداعي محمد بن سبأ، كما كانت الدنانير الملكية متداولة في ميناء عدن وتستوفى بموجبها العشور المفروضة على البضائع المتنوعة التي تدخل الميناء من شتى الأنحاء، وبصورة عامة كانت الدنانير الملكية بجانب الدنانير المصرية هي المتداولة في معظم المعاملات التجارية.

استمر تداول الدينار الملكي الذي ضربه الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي حتى عهد الداعي عمران بن محمد بن سبأ، الذي خلف والده في حكم عدن سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م[٤]، وكان نقشه: "أوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد"[٥].

ذكر لويك[٦] أن عمارة لا يحدد تاريخ نقش دينار عمران بشكله الأخير، ولكن هذا الشكل يجب أن يكون قد اكمل بين سنة ٥٥٠هـ وهو تاريخ آخر دينار ملكي وسنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م، وهي السنة التي ظهرت فيها عملات عمران الموصوفة، ولكن يبدو أن عملة واحدة فقط تعود إلى عهد الداعي عمران بن محمد هي التي وجدت مؤرخة في سنة ٥٥٦هـ، وقد ذكر لويك[٧] انها من فئة نصف دينار، ضرب بعدن في تلك السنة،

---

[١] ذكر كوينن أن الدينار المصري أصبح يساوي ٢,٣٥ دينار ملكي معتمداً على وثائق الجنيزا وضرب أمثلة من قوائم تجارية، سنذكرها في الصفحات التالية عند دراستنا للعملة خلال العهد الأيوبي.

[٢] سنذكر تلك الثروة والمصادر التي أوردتها في الفصل السادس.

[٣] عمارة. المفيد ص ١٩٠، ويبدو انها كانت تقدر بثلاثة آلاف دينار ولعلها بالدينار الزريعي الذي ضربه عمران بن محمد فذكر عمارة أنها ثلاثة آلاف دينار ثم ذكر انها ألفان وسبعمائة دينار ملكي. أنظر: عمارة. المفيد ص ١٩٠، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٤.

[٤] يراجع عن عهد الداعي عمران بن محمد الفصل الثالث.

[٥] عمارة. المفيد تح كاي ص ٢٢٥، حسن سليمان (محقق كتاب المفيد لعمارة) ص ٢٧، ولم يرد ذكر دينار الداعي عمران في المفيد تح الاكوع ص ١٣٥، وذكر الأكوع في الهامش معلومات عن دينار الداعي عمران، ويرجع ذلك إلى اختلاف نسخ المفيد. أنظر عن دينار الداعي عمران: الهمداني وسليمان. الصليحيون ص ١٤٠، العقيلي. المخلاف السليماني ٢/ ٤٠، الحبشي جوانب ص ١١٣، Lowick, op, cit, p. 263.

[6] Ibid, p. 263.

[7] Ibid, p. 269.

وورد في هامش الوجه أنه ضرب بعدن[1] دون تحديد مقداره، وفي الظهر كــان نقشــه: "أوحد ملوك الزمن..." المذكور آنفاً.

وقد علل لويك[2] أسباب ضرب عملات في اليمن من فئــات مجــزأة – ربع[3] دينـــار ونصف[4] دينار – بأن الدنانير المصرية قد انتشرت في اليمن مع المسكوكات المحليــة، ولم يضرب الفاطميون نصف دنانير، وإن الأمراء اليمنيين لم يضربوا دنانير كاملة، لذلك أكملت كلتا العملتين إحداهما الأخرى.

نستطيع القول أن عدن قد احتلت مكانة متميزة في سك العملة بيــن مــدن اليمــن الأخرى، وهذا يؤكد لنا وجود دار للضرب فيها منذ عهد بني المكرم حيــث كــانت أول عملة مضروبة فيها مؤرخة بسنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م، وآخر عملة مضروبــة بتــاريخ ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م، في عهد عمران بن محمد بن سبأ، ومما لاشك فيه أن ضرب العملة اقتضى وجود رجال ماهرين متخصصين بنقشها، وكان عملهم يدوياً، ولهذا أوضح لويك اختلاف مستوى العمل اليدوي بصورة ملحوظة من قطعة إلى أخــرى، فبعضــها كــانت مسكوكة بصورة خشنة، وبعضها الآخر يكون أسلوب العمل في الوجه أفضل من الظهر، وقد يعود ذلك إلى إهمال النقاشين بسبب التكرار الممل لأسلوب واحد في النقش[5].

نلاحظ استعمال عدة أنواع من الدنانير في اليمن كالدينار الملكي الذي ضربه الملــك المكرم أحمد بن علي الصليحي، والدينار المصري الفاطمي الذي اتصف بقيمته العاليــة وانتشار تداوله في مكة وزبيد وعدن بصورة واسعة.

يحدثنا ابن المجاور عن معاملات مكة، فيذكر أن نقد البلد ذهب مصري، وبها يضرب على عيار المصري[6]، في حين ذكر عن عدن أن نقدها ذهب ملكــي[7]، يســوى الدينــار المصري أربعة دنانير ونصف ملكي، وكان هذا النقد معمولاً به في مدينة زبيد أيضــاً[8]، لكن مصادرنا لا تحدد لنا قيمة الدينار الذي ضربه الداعي عمران بن محمد بعدن. وكــم كانت نسبته إلى الدينار المصري الفاطمي، ولعله كان على نفس قيمة الدينار الملكــي أي أربعة دنانير ونصف ملكي تساوي ديناراً مصرياً، ويبدو أن هذه القيمة كــانت ســارية

---

[1] Lowick, op, cit, p. 269, Bikhazi, op, cit, p,104.

[2] Ibid, p. 267.

[3] منها ربع دينار مضروب بذي جبلة سنة ٥٣٠هـ على اسم المكرم الصليحي. Lowick, Ibid, p. 263.

[4] نصف دينار مضروب بعدن سنة ٤٨٦هـ على اسم الملك المكرم الصليحي. Ibid, p. 264. ونصف دينــار مضروب بعدن سنة ٥٤١هـ على اسم المكرم الصليحي. Ibid, p. 268 وكذلك نصف دينار مضروب بعــدن سنة ٥٥٦هـ. Ibid, p. 269.

[5] Ibid, p. 267. وقد أوردنا ما ذكره عن مستوى العمل اليدوي في سك العملة بخصـــوص نمـــاذج لدنـــانير ضربت في عهد محمد بن سبأ. Ibid, p. 269.

[6] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢، ويضيف أن الدينار يسوى أربعة وعشرين علوي، ويحسب كل علـــوي أربعة دراهم كل درهم ستة فلوس. ونعتقد أن ذلك كان خلال خضوع مكة لسلطة الدولة الفاطمية بمصر.

[7] المستبصر ص ١٤٥.

[8] نفسه ص ٨٩.

خلال العهد الأيوبي في اليمن، وكذلك تقسيمات الدينار إلى دراهم وجوز ودوارس (دُرس)[1]، ولعل السبب يرجع إلى كونه مضروباً بالذهب الخالص.

ووجه الأيوبيون اهتماماً بالعملة وسكها، ففي رواية[2] أن السلطان طغتكين أراد ضرب عملة جديدة باسمه، فضرب الدرهم المعروف بالسيفي، وكان يزن أربعة قراريط[3] وحبة[4].

وضرب الدرهم الكبير باليمن، وكان أول من ضربه الملك المعز إسماعيل بن طغتكين[5] ووزنه ثلاثة عشر قيراطاً[6].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زبيد تمتعت بمكانة متميزة في العهد الأيوبي، فقد ذكر ابن المجاور[7] وجود دار للضرب فيها، كان ضمانها ثلاثة عشر ألف دينار، ولعل هذا المبلغ كان بالدينار الملكي ولمدة سنة، إذ ذكر أيضاً ضمان قوارب الصيادين والخضر والبقول وما يدخل المدينة بتسعين ألف دينار ملكي[8].

برغم وجود دار لضرب العملة في زبيد، فإنها لم تؤثر على عدن التي احتفظت بمركزها المتميز في هذا المجال، إذ تمتعت بمهارة وخبرة منذ سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م في ضرب العملة أثناء حكم بني المكرم الذين كانوا أمراءها نيابة عن الصليحيين، وقد استمرت بضرب العملة بين ٤٩٢ – ٥٢٦هـ/ ١٠٩٨ – ١١٣١م، ثم في عهد الداعي محمد بن سبأ بين ٥٤١ – ٥٥٠هـ/ ١١٤٦ – ١١٥٥م، وفي عهد ولده الداعي عمران بن محمد بن سبأ سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م[9]، أي أنها ضربت العملة لمدة تزيد على السبعين عاماً، لذلك كانت عدن أكثر شهرة من زبيد في سك العملة، بسبب المدة

---

[1] يتضح ذلك من ذكر ابن المجاور للدينار المصري الذي تداولته زبيد، فكان الدينار المصري يسوى أربعة دنانير ونصف ملكي، والدينار أربعة دراهم كل ربع ثلاثة جوز كل جائز ثمانية فلوس كل فلس أربعة دوارس. المستبصر ص ٨٩، في حين كان الفلس بعدن يساوي بيضتين. المستبصر ص ١٤٥، وفي مكة ضرب الملك المسعود يوسف بن محمد الدراهم الكبار على قوانين اليمن يسوى الدينار المصري أربعة دنانير ونصف ملكي يصح ثمان عشرة درهماً يحسب كل أربعة (دراهم) دنانير دينار مكي، وكل درهم ثلاث جوز كل جائز ثمان فلوس وكل فلس أربع درس، وكان المسعود أول من ضرب الدراهم الكبار بمكة. المستبصر ص ١٢.

[2] ابن المجاور. المستبصر ص ٨٩، وذكر الحبشي أن الدرهم السيفي المنسوب إلى سيف الإسلام طغتكين كان متداولاً في زبيد مع الدينار الملكي خلال حكم الصليحيين والأيوبيين. جوانب ص ١١٢.

[3] القيراط ربع خمسي مثقال والدينار عشرون قيراطاً في أكثر البلدان. الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف. مفاتيح العلوم. ط ١، مط الشرق، (القاهرة، ١٣٤٢هـ)، ص ٤١.

[4] الحبة سدس سدس مثقال وان شئت قلت ربع تسع مثقال والدينار ست وثلاثون حبة، الخوارزمي. مفاتيح العلوم ص ٤١ – ٢، وذكر هنتس أن الحبة هي وزن حبة الشعير العربية، ويتألف الدرهم نظرياً من كميات مختلفة من الحبات، فهو تارة يتألف من ٤٨، وأخرى من ٦٠ حبة. المكاييل والأوزان ص ٢٥.

[5] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢، وذكر أن الملك المسعود يوسف الأيوبي أول من ضرب الدراهم الكبار بمكة على قوانين اليمن، الحبشي. جوانب ص ١١٢.

[6] المستبصر ص ٨٩، الحبشي. جوانب ص ١١٢.

[7] نفسه ص ٩٠.

[8] نفسه ص ٨٩ – ٩٠.

[9] ذكرنا ذلك تفصيلاً قبل صفحات معتمدين على ما نشره لويك وبجعازي.

الطويلة من الخبرة والمهارة، وقد ذكر إبن المجاور ميزة عدن هذه في العهد الأيوبي، إذ يقول[1]: "وسنجة[2] عدن أقوى من سنجة زبيد بشيئ يسير".

لا تحدد المصادر مكان الدار التي ضرب بها السلطان طغتكين درهمه السيفي والدرهم الكبير الذي ضربه لأول مرة في اليمن المعز إسماعيل بن طغتكين، إلا أننا نميل إلى انها كانت بمدينة زبيد استناداً إلى ما ذكره ابن المجاور[3] من ضمان دار الضرب فيها، التي بلغت ثلاثة عشر ألف دينار ملكي.

ويبدو أن الدنانير التي ضربت بزبيد كانت دنانير ملكية أيضاً، فقد ذكر ابن المجاور[4] تدوالها في زبيد خلال العهد الأيوبي، ولعل دار الضرب فيها استمرت بضرب دنانير ملكية وفق النماذج التي ضربت بها في عدن وذي جبلة وذلك عن طريق الاستعانة بذوي الخبرة من النقاشين وغيرهم لإنجاز ضرب تلك الدنانير، ومما يرجح صحة ما ذكرناه أن كويتن[5] نشر رسالة توضح أن قيمة دينار زبيد وذي جبلة تساوي قيمة الدينار الملكي، مما يؤكد أن الدينار الملكي كان متداولاً فيهما خلال العهد الأيوبي.

ذكر الحبشي[6] أن الملك المعز إسماعيل بن طغتكين أول من بنى داراً لضرب النقود في اليمن، وقد ضرب المعز الدرهم الكبير بوزن ثلاثة عشر قيراطاً، فإذا صح ما رواه الحبشي فهذا يعني أن السلطان طغتكين ضرب درهمه السيفي في مكان آخر غير زبيد، ربما في عدن أو في مصر ثم دخل ذلك الدرهم إلى اليمن وأصبح متداولاً فيها.

أشار الحبشي[7] بأن الملك المعز أول من أسس داراً مستقلة لسك النقود، وهذا لا يعني إنه أول من سك النقود في اليمن[8]، إذ أن عدن سكت العملة لمدة تزيد على سبعين سنة فكانت ذات خبرة ومهارة بفن سك العملة، كما كانت لها سنجة متميزة، وكل هذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن الحبشي ربما قصد أن الملك المعز كان أول من بنى داراً لضرب العملة في اليمن خلال الحكم الأيوبي وبذلك تكون روايته أقرب إلى القبول، ويبدو أن

---

[1] المستبصر ص ٨٩.

[2] السنجة: يقول إبن منظور: "وسنجة الميزان: لغة في صنجته، والسين أفصح". لسان العرب ٢/ ٣٠٢، مادة (سنج)، وقد علق انستاس الكرملي على هذه الكلمة بما يلي: "الصنجة بالصاد، أو السنجة بالسين، وكلاهما بالفتح، من الفارسية سنكة أي الحجر، ويراد به في الاصطلاح: العيار، وفي عهد العباسيين كان العراقيون يستعملون الصنجة أكثر من العيار بخلاف ما يجري اليوم"، ونقل ما ذكر صاحب اللسان حول السنجة. أنظر: محمد السيد علي بحر العلوم (المحقق). كتاب النقود الإسلامية المسمى: شذور العقود في ذكره النقود للمقريزي، ط ٥، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، (النجف، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ص ١١٢ – ٣، تعليقات المحقق.

[3] المستبصر ص ٩٠.

[4] نفسه ص ٨٩.

[5] Goitein, S. D. studies in Islamic History and Institutions, (Leiden, Brill, 1966), p. 343، وسنوضح فحوى الرسالة تفصيلاً في الصفحات التالية.

[6] جوانب ص ١١٢.

[7] نفسه ص ١١٥.

[8] أشرنا في بداية الموضوع بأن فن سك النقود دخل اليمن منذ القرن الرابع الهجري، وكان الأمير سليمان بن طرف أمير عثر قد ضرب السكة باسم ابن زياد.

الحبشي ذاته نقل هذه الرواية دون الاعتماد عليها، إذ بدأ عبارته حولها بكلمة: (ويقال)، مما يؤكد انها لم تكن جازمة ونهائية.

مما سبق نستنتج ان الدينار الملكي والدينار المصري قد تداولا في اليمن لمدة طويلة، واستمر الحال في العهد الأيوبي، إذ أن المصادر لا تذكر لنا إلغاء الدنانير وتوحيد العملة بعد سيطرة الأيوبيين على اليمن، وان الدنانير المعروفة بدنانير زبيد هي الدنانير الملكية نفسها أو التي تساوي في قيمتها الدنانير الملكية، وأن تلك الدنانير كانت متداولة في زبيد، أو انها أرسلت من زبيد لشراء بضائع هندية فعرفت بدنانير زبيد.

يمكننا اعتماد فكرة على تداول الدينار الملكي في التبادل التجاري بين عدن والهند، ذكر كويتن[1] وجود ثلاث روايات بضمنها رسائل أرسلت من عدن إلى الهند تفيدنا في توضيح هذا الأمر، فكما تقول هذه الروايات إنها متكونة من تفاصيل عديدة لكننا بسطناها لأجل أن نضع الحقائق الرئيسة فقط، كل الحسابات وردت في الملكي (وهي الدنانير اليمنية المحلية) في ذلك العصر، ٢,٣٥ دينار ملكي كان لهما قيمة ذهبية مصرية.

نلاحظ مما سبق إن هذه الروايات وردت في وثائق الجنيزا التي اعتمدها كويتن في دراساته، ونستدل أن قيمة الدينار المصري قد هبطت كثيراً، فقد كان يساوي أربعة دنانير ونصف ملكي، ثم هبط وأصبح يساوي ٢,٣٥ دينار ملكي، ونرجح أن هذا الهبوط قد حصل في أواخر عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي شهد عدم الاستقرار بسبب الحروب الصليبية مع الفرنجة وعدم وصول سفن الأوربيين للموانئ المصرية؛ مما سبب انخفاضاً في قيمة الدينار المصري، ونستدل أن الدينار المصري كان عبارة عن قطعة ذهبية أي أنه كان مضروباً من الذهب.

يستخلص كويتن من تلك الروايات قيم بضائع مرسلة من الهند إلى عدن وبالعكس، لكنه لا يحدد السنة التي قدرت بها قيم تلك البضائع ولا الوزن المعتمد في تقييمها، ونرجح انها كانت في أواخر عهد السلطان صلاح الدين وان وزنها بالبهار، وهي:

قيم بضائع مرسلة من الهند إلى عدن.

المادة	قيمتها	
الفلفل	٤٠٢	دينار ملكي
الجمرك ومسائل أخرى	٨٧	
	٣١٥	الصافي
الحديد	٢٤٧	دينار ملكي
الجمرك ومسائل أخرى	٢٧	
	٢٢٠	الصافي
القيم الصافية للمادتين	٥٣٥[2]	

[1] studies, p. 342.

[2] Ibid.

تعد هذه المعلومات ذات قيمة كبيرة، لأنها تحدد سعر المادة والمصاريف التي تترتب عليها من الجمرك والتفريغ، ثم تعطى القيمة الصافية لها.

وذكر كويتن[1] قيم بضائع مرسلة من عدن إلى الهند بالدينار الملكي:

المادة	قيمتها بالدينار الملكي	ملاحظات
نحاس	٤٣٢	
تكاليف الحمولة والرسوم	١٦	
رصاص	٢٩ ١٧/١٢	
بضائع منزلية	١٦ ٣/٤	
٢٠ دينار مصري	٤٧[2]	
Cash دفع نقداً	٠٧	لا يذكر مقدارها وهي بالعملة الذهبية
المجموع الكلي	٥٥٣ ١/٣ دينار[3]	

والحقَ طلباً للبضائع الهندية في رسالة أخرى (رقم ٢٨) بقائمة من المواد التالية:

المادة	قيمتها بالدينار
نحاس	١٠٢
صابون	٥
١٠٠ قطعة ذهبية مصرية	٢٣٥[4]
٢٠٠ دينار زبيد	٢٠٠
٣/٤ ٢١ دينار من ذي جبلة	٢١ ٣/٤[5]

نستنتج من هذه القائمة أن أقيام النحاس والصابون كانت بالدينار الملكي دون تحديد كمياتها، أما بالنسبة للعملات فنعتقد انها دفعت لتسديد بضائع هندية لم يرد ذكرها في الرسالة، وإنما تضمنت الرسالة أقيامها بتلك العملات وما تساويه بالدينار الملكي،

[1] Ibid, p. 343.

[2] الدينار المصري = ٢,٣٥ دينار ملكي، وهو يمثل هبوط كبير في قيمة الدينار المصري.

[3] إن المجموع الصحيح للقائمة الثانية = ١/٢ ٥٣٩ دينار، ونستنتج أن القائمتين توضحان وجود تبادل تجاري بطريقة المقايضة، إذ أن مبلغيهما متقاربان جدا.

[4] هذا المبلغ يدل على أن قيمة الدينار المصري = ٢,٣٥ دينار ملكي، وهي تمثل حالة هبوط في قيمته.

[5] Goitein,op ,cit, p. 343.

فنلاحظ أن ١٠٠ قطعة ذهبية مصرية تساوي ٢٣٥ دينار ملكي، أي أن الدينار المصري يساوي ٢,٣٥ دينار ملكي، وهذه النسبة تمثل هبوط الدينار المصري المكون من قطعة ذهبية، وهذا الهبوط تجاوز نصف قيمته إذ كان يساوي أربعة دنانير ونصف دينار ملكي، كما أن دنانير زبيد وذي جبلة كانت مساوية في قيمتها للدينار الملكي، وربما ضربت تلك الدنانير في زبيد وذي جبلة، وانها أرسلت منهما وهي في الأصل دنانير ملكية، فعرفت بدنانير زبيد وذي جبلة[1].

في رسالة أخرى رقم (٣٠) تعدد البضائع الآتية إلى الهند، وهي:

المادة	قيمتها بالدينار الملكي
الحلوى اليمانية المصنوعة من الزيت	٢ ٣/٤
الحنطة	٣
الذرة	١ ١/٦
قطع عديدة من القماش المصري	٩
أواني زجاجية مصرية ويمنية	١ ١/٢
المجموع	١٧ ٥/١٢ [2]

نستدل مما ورد في هذه الرسالة أن البضائع المرسلة إلى الهند من اليمن تنقسم إلى قسمين بضائع يمنية وأخرى مصرية، ونرجح أن هذه البضائع أرسلت من عدن في عهد بني زريع الذين كانوا على علاقات طيبة مع الفاطميين بمصر، وان الرسالة لا توضح كميات تلك البضائع التي حددت أقيامها بالدينار الملكي.

المواد	قيمتها بالدينار الملكي
سبيكتين فضيتين تزن ما قيمته ٦٠٥ درهم	١٢٤
١٠٠ قطعة ذهبية مصرية لم تحفظ	لم تدون في الوثيقة فلم يذكر مبلغها
Cash نقدا بقيت في ذمة المستلم	٣٠٠

---

[1] كانت ذي جبلة عاصمة الصليحيين بعد وفاة المكرم أحمد الصليحي واتخذتها السيدة الحرة عاصمة لها، راجع الفصل الثاني.

[2] Goitein,op ,cit, p. 343.

وكلما كان الأمر ممكناً فان التجار فضلوا إرسال بضائع بدلاً من الذهب، وفي فترة معينة ١١٣٧ - ١١٤٠م (٥٣٢ - ٥٣٥هـ) كان الحرير الذي ربما ورد من أماكن بعيدة في الغرب مثل أسبانيا يلقى رواجاً في ساحل ملبار بالهند وبأسعار جيدة، وفي رسائل عدنية (مثلاً العدد ٥١، ٥٦، ٦٠) تذكر أن بضاعة الحرير أصبحت وسيلة للدفع بدلاً من الذهب. وعلى كل حال ان نفس استعمال هذا المصطلح يعطينا فكرة بأنه من العادة دفع منتجات الشرق بالنقد[1].

نستنتج مما ورد في الرسالة الأخيرة عن وجود تعامل تجاري بالدينار الملكي، مقابل الدينار المصري، ولكن الرسالة غامضة لا تحدد لنا الجهة التي تداولت فيها الدنانير الملكية، ولا تاريخ تداولها، لكننا نرجح أن ذلك كان بعد وفاة السيدة أروى وحكم بني زريع لعدن، إذ أن نهاية الرسالة تشير إلى مسألة اعتبار الحرير الواصل من اسبانيا إلى الهند وسيلة للتبادل والدفع بدلا من الذهب خلال فترة قصيرة (٥٣٢ - ٥٣٥هـ)، كما لا تحدد الرسالة طبيعة المواد التي تم التعامل بها، ونعتقد انها عبارة عن كشف حسابي بين اشخاص يعملون في الوسط التجاري بينهم معاملات بيع وشراء ودائن ومدين.

ورد في الرسالة أن السبيكتين الفضيتين اللتين تزنا ما قيمته ٦٠٥ درهم، يقابلها بالدينار (١٢٤) تقودنا إلى الاستنتاج بأن الدينار الملكي كان يساوي أقل بقليل من خمسة دراهم فضية، لكننا نجهل أصل تلك الدراهم وقيمتها. كما ورد فيها ذكر ١٠٠ قطعة ذهبية مصرية لكنها لم تحفظ أو تدون في الوثيقة، وأن ٣٠٠ دينار ملكي نقداً قد بقيت في ذمة المستلم مما يؤكد بيع صفقة تجارية وبقاء أموال بذمة مستلمها، ونستدل مما ورد في نهاية الرسالة بأن التجار كانوا يفضلون إرسال البضائع بدلاً من الذهب، على انتشار طريقة المقايضة في التبادل التجاري، كما أن استعمال مصطلح النقود (Cash) أي الدفع المعجل بالنقد يؤكد أن منتجات الشرق كانت تدفع بالأموال مباشرة.

لقد أفدنا مما أورده كويتن من معلومات بخصوص تداول الدينارين الملكي والمصري واستخدامهما في المعاملات التجارية، إلا اننا يجب أن نؤكد أن هذه الوثائق تعوزها أمور كثيرة كتحديد المدة التي تمت فيها تلك المعاملات أو تحديد تاريخ وسنة قيامها، إضافة إلى عدم تحديد كميات البضائع وأوزانها ومصادرها أحياناً، ولهذا قدرنا انها تمت خلال عهدي بني زريع والأيوبيين في عدن، وهي مهمة لأننا لم نجد في مصادرنا ما يشير إلى إحصاءات أو قوائم بخصوص التبادل التجاري وأقيام السلع بالدينار الملكي، ومدى انتشار وتداول هذا الدينار.

لقد أطلنا الوقوف عند العملات وتوسعنا في استخدامها للأغراض التجارية، وجل قصدنا أن نكون صورة واضحة للمدى الذي بلغته العملة في اليمن وانتشارها خارج حدود تلك البلاد، ولهذا لن نعيد هذه القوائم التي توضح لنا أيضاً وجود علاقات تجارية متطورة بين عدن والعالم الخارجي كالهند التي كانت على صِلات وثيقة بها، وسوف

[1] Ibid.

نشير فقط لأنواع البضائع المتبادلة بين الهند وعدن في موضوع العلاقات التجارية الخارجية معتمدين على الوثائق المهمة التي نشرها كويتن في هذا المجال بالذات.

ب- المكاييل والأوزان:

هنالك صلة وثيقة بين العملات والوزن، ولذلك تقدر أسعار الكثير من البضائع تبعا لوزنها، وذلك خلال عمليات البيع والشراء، هذا بالإضافة إلى أن للعملات أيضا أوزانا خاصة بها، كما أن الأوزان تختلف من بضاعة لأخرى، وقد تشترك مواد معينة بوزن موحد لها لا يمكن احتسابه وزنا لبضائع غيرها.

من خلال دراستنا للعشور التجارية والمعاملات نستطيع أن نميز عدة أوزان كانت سائدة في عدن خلال حكم بني زريع وبني أيوب فيها، وهذه الأوزان هي:

البهار: وهو وحدة للوزن اختلف في مكان وزمان تحديده، فقيل أن وزن البهار ٢٧٠,٥٦٢ كغم، وقيل أنه حمولة جمل، ويتراوح بين ٣٠٠، ٤٠٠، ٦٠٠ رطل، ويزن نظريا ٣٠٠ من وجعله البعض وزن ٢٤٣,٧٥ كغم[١].

أما البضائع التي ورد وزنها بالبهار فهي كثيرة منها: الانكرة (الحلتيت)، الطباشير، قشر المحلب، الهيل، الكتان، الفوة، الحمر[٢]، الفلفل، الكارم، السليط[٣]، يذكر هنتس[٤] أن (البهار) قد اعتمد وحدة الوزن في التجارة الخارجية للتوابل وأمثالها في عدن وفي البلدان المحيطة بالخليج العربي والمحيط الهندي.

وقد حصل تلاعب بالأوزان في أواخر عهد الدولة الأيوبية، وبالتحديد في عهد الأمير نور الدين عمر بن رسول الذي أصبح نائبا لبني أيوب في اليمن إثر سفر الملك المسعود إلى مصر، روى إبن المجاور[٥] أن جميع مكاييل اليمن قد تغيرت وزيد في القبان سدس بهار عما كان في الأول، وذلك سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م.

قام الأمير نور الدين بالتلاعب بوزن البهار، محققا رغبته الشخصية في جني الأرباح على حساب الناس الآخرين، فكان يمارس التجارة بنفسه ويقوم باحتكار بعض المواد ويفرض على السكان شرائها بأسعار باهضة جدا، فهو يشتري البضاعة من البائع وزن البهار بهار وربع لكنه كان يبيعها للناس والتجار ببهار إلا ربع[٦]، وهذا ظلم وتعسف كبيران، إذ أن الفرق يساوي ربع الوزن وهو فرق كبير جدا، وفي هذا الفرق إضرار واضح بالبائع والمشتري الذي يتعامل معه، إضافة إلى فرض خمسة عشور على البضاعة الواصلة وهي: عشور الميناء والشواني ودار الوكالة ودار الزكاة والدلالة

---

[١] هنتس. المكاييل والأوزان ص ٢٠ – ١، لقمان. تاريخ عدن ص ٥٤، ٣٠٠، مجهول المؤلف . قلائد الجمن، ص ٩٠.

[٢] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٠ – ١، راجع موضوع العشور التجارية.

[٣] نفسه ص ١٤٧ – ٨.

[٤] المكاييل والأوزان ص ٢١.

[٥] المستبصر ص ١٤٤.

[٦] نفسه ص ١٤٨.

(السمسرة)، وبذلك يصبح التاجر هو المدين إضافة لبضاعته أو يعطي بضاعته تسديدا للعشور.

الفراسلة: هي وحدة وزن تساوي عشر أمنان، وتساوي $\frac{1}{20}$ من البهار، وهي في كل الأحوال (١٠) أمنان[1]. ومن البضائع التي ورد وزنها بالفراسلة: الكافور، القرنفل، الزعفران[2].

المن:

يذكر ابن المجاور[3] أن من اليمن ثلاثمائة وعشرون درهما وثلث، وبه يباع الثياب والسكر والعسل وجميع الحوائج الحلوة. ويوزن العود بالمن[4].

أما قيمة المن فانه يساوي رطلين[5]، ذكر هنتس[6] انهما رطلان بغداديان، وبذلك يكون وزن المن ٨١٦,٥ غم، لأن الرطل البغدادي يساوي الرطل الشرعي، الذي يساوي ١٣٠ درهما = ٤٠٦,٢٥ غم[7].

الرطل:

ويساوي ما وزنه ١٣٠ درهما كما ذكر هنتس[8]، والرطل في اليمن هو رطل بغداد نفسه أي ١٣٠ درهما = ٤٠٦,٢٥ غم[9].

الدرهم:

ان درهم الكيل = $\frac{2}{3}$ مثقال فيكون وزن درهم الكيل هذا ٣,١٢٥ غم بالضبط، ويتكون هذا الدرهم من ١٦ قيراطا[10]، ذكر لقمان[11] ان الدرهم يساوي عشرة قراريط. والقيراط كوزن للبضاعة غير ثابت لكنه من وجهة شرعية يساوي القيراط الواحد $\frac{1}{20}$ من المثقال ويتألف شرعا من خمس حبات، ولكنه يتألف غالبا من ثلاث،

---

[1] نفسه ص ١٤٠، هنتس. المكاييل والأوزان ص ٢١، ٤٠.

[2] نفسه ص ١٤٠، راجع موضوع العشور التجارية.

[3] نفسه ص ١٢.

[4] نفسه ص ١٤٤، وذكر قصة الناخوذة عثمان بن عمر الآمدي الذي قدم من مصر ومعه منين عود.

[5] نفسه ص١٤٠ وذكر أن الفراسلة عشرة أمنان عنها عشرون رطلا، أنظر أيضا: لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠٠.

[6] المكاييل والأوزان ص ٤٦.

[7] نفسه ص ٣٥.

[8] ذكر لقمان انه يساوي ١٢٠ درهما. تاريخ عدن ص ٣٠٠، ونعتقد أنه خطأ مطبعي، والصواب ما ذكره هنتس. المكاييل ص ٣٥.

[9] هنتس. المكاييل ص ٣١.

[10] نفسه ص ١١.

[11] تاريخ عدن ص ٣٠٠.

فهو يزن $\frac{1}{14}$ من درهم الكيل زنة ٣,١٢٥غم = ٠,٢٢٣٢ غم[1].

وتجدر الإشارة إلى أن القيراط جزء من الدينار، يذكر الخوارزمي[2] أن القيراط ربع خمس مثقال والدينار عشرون قيراطا في أكثر البلدان. وكان يؤخذ من كل دينار قيراطا وهو عشور دار الوكالة بعدن[3].

لقد وردت ضمن قائمة العشور التجارية مصطلحات عديدة اتخذت أساسا لتقدير كمية البضاعة والعشور المفروضة عليها منها: القطعة التي اتخذت مقياسا لتقدير العشور على مادة النيل[4]، ولا نعلم كم تساوي القطعة ربما اعتبرت أساسا في العدد، كما وردت مصطلحات تدل على الكيل والعد.

وورد ذكر المقاطع كأساس لتقدير العشور على مادة الحمر وهو التمر هندي، والمقطع شيئ تحمل فيه المواد للوزن ويعرف أحيانا بوزن معين إذا امتلأ بمادة معينة، والعقدات أيضا اتخذت أساسا لفرض العشور على التمر الهندي حسب عدد العقدات، ومن المصطلحات الأخرى الكورجة المستعملة للمحابس والأحواك أي النسيج ومنها السباعيات، واستعملت الكورجة للثياب الخام الهندية ولعلها تشبه الحزمة أو الشدة والكارة، وكذلك استعملت القفعة للذرة[5]، وذكر العقيلي[6] أيضا استعمالها للدخن، وهي وحدة كيل.

ت- معاملات أخرى:

لما كانت عدن ميناء يعج بالحركة التجارية مع مختلف أرجاء العالم، ويكثر فيه رجال الأعمال وأصحاب المصالح ذات الصلة بالنشاط التجاري، فقد تعددت المعاملات الاقتصادية من بيع وشراء وتصدير واستيراد وأخذ وعطاء؛ لذلك استجدت وتكونت عدة مفاهيم وأعراف ذات صلة بالنشاط التجاري. يضاف إلى ذلك أن السكان ازدادوا بعدن بعد استقرار بني زريع ثم الأيوبيين وقضائهم على المشكلات الداخلية، وكان الكثير من سكانها قد انتقلوا إليها وتديروها من بلدان وأمم شتى؛ بسبب توفر فرص العمل واستثمار رؤوس أموالهم في التجارة، لهذا كان من الضروري جدا تنظيم العلاقات الاقتصادية التجارية داخل عدن وبين سكانها ومن انتقل إليها.

فمن أوجه التعامل التجاري بعدن أن الشخص يستطيع رد البضاعة التي يظهر له إنها غالية فيظهر العيب على بائعها، وكذلك كان الحال عند شراء الجواري، إذ يمكن رد

---

[1] هنتس. المكاييل ص ٤٤.
[2] مفاتيح العلوم ص ٤١.
[3] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٣.
[4] نفسه ص ١٤٠.
[5] نفسه ص ١٤٠ – ١.
[6] المخلاف السليماني ج ١ ق ١، ١٩٨.

الجارية إذا ظهر للمشتري العيب فيها، وكانت أمثال هذه الأمور تحسم من قبـل قـاضي المدينة[1].

كانت الدلالة من العشور التي استجدت بعدن على البضائع التي تدخل وتخـرج مـن الميناء[2]، وكان مقدارها بسيطا على كل دينار فلس، وكانت الدلالة تدفـع للـدلال مـن صاحب المحل على تلك النسبة المذكورة، لكن يلاحظ أنها ترتفع إذا قام الـدلال بـالبيع جملة فيأخذ دلالته دينار على المائة دينار أي بنسبة ١%[3].

نلاحظ أن الدلالة وتسمى أيضا السمسرة هي وساطة بيـن البضـائع والمشـتري، فالدلال لديه معرفة وصورة واضحة بأحوال السوق، ولذلك فانه يمتلك معلومـات عـن كميات البضائع وأماكنها وأصحابها ويقوم بتوجيه وإرشاد من يطلبها فيحصل مقابل ذلك على دلالته، أو أنه يعمل دلالا أي مناديا داخل السوق، وهذه الحرفة التجارية ما تـزال باقية حتى الوقت الحاضر، ويشتغل فيها جمع كبير من الناس في كافة مدن العالم.

ذكر ابن المجاور[4] انه كان يؤخذ بعدن على كل قطعة نيل ربع، ولا يحدد ماهية هـذا الربع هل المقصود به ربع القطعة أم ربع دينار أم ربع لأي جزء مـن الدينـار، وذكـر أيضا[5] أنه يؤخذ ربع على خروج قطعة النيل من الفرضة إضافـة إلـى أربعـة دنـانير شواني، لكن الربع لم يوضحه هل هو دلالة أم عشور؟ كما لم يوضحه هل هو ربع دينار مثلا أم ربع البضاعة؟ أم ربع قيمتها؟

من الإجراءات المتطورة التي اتخذت بميناء عدن بخصوص المسافرين، أن المسافر لا يسمح له بالسفر أن لم يكن حاملا جواز سفر، وكفيل ضامن يكفله في حالة سـفره إن ظهر عليه شيئ بعد سفره كأن يكون مدينا بمال لأحد أو مدينا بعشور، وورقة الضمـان هذه تختم من قبل والي المدينة ثم يخرج بعد ذلك ويمكن لأقاربه وأصدقائه أن يودعـوه في الميناء قبل سفره.

أما بالنسبة للأشخاص الذين يرغبون السفر ولا يجدون في المدينة من يكفلهم كـأن يكونوا غرباء مثلا أو غير معروفين، فان الإجراء المتخذ تجاههم هو خروج مناد ينـادي عليه في الأسواق، يخبر الناس أن فلان بن فلان مسافر فكل من له دين أو طلب عليـه يطالبه، فان ظهر من ذلك شيئ تأخر سفره، وإن لم يظهر عليه شيئ خرج إلى أي مكان أراد، كما قيل في المثل: "المفلس في أمان الله".

والواقع أن هذه الإجراءات تدل على تطور كبير في النظرة من الوجهتين الاقتصادية والأمنية، ونستدل من النص على العمل بجواز السفر والكفيل، يقول ابن المجاور[6]: "ولو

---

[1] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٦.

[2] ذكرنا أنه في سنة ٦٢٥هـ أصبحت العشور خمسة أنواع. أنظر موضوع زيادة العشور التجارية في هـذا الفصل. ابن المجاور. المستبصر. ص ١٤٣.

[3] ابن المجاور. المستبصر. ص ١٤٦.

[4] نفسه ص ١٤٦.

[5] نفسه ص ١٤٠.

[6] المستبصر ص ١٤٦، وقد انفرد بذكر الإجراءات التي سبقت النص.

أراد بعض الناس الخروج لودائع مسافر من الباب لما قدر [أي المسافر] إن لم يكن معه خط جواز وضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت...".

ومن معاملات البيع التي انتشرت في عدن استعمال القصبة[1] كوحدة لمقياس الطول في البيع[2]، وكذلك استعمال ذراع الحديد[3] في بيع ألواح الساج[4] (نوع من الخشب).

عرفت في عدن كذلك الأسواق الخاصة ببيع الجواري والعبيد، وقد وصف لنا ابن المجاور[5] وصفاً دقيقاً كيفية بيع الجارية وردها بعد الشراء على بائعها إذا ظهر للمشتري العيب فيها. كما أن تجارة الرقيق كانت رائجة إذ كان يؤخذ على الرأس الواحد ديناران عشور عند دخوله ميناء عدن، ونصف دينار إذا خرج من الميناء، وكان يعمل في هذه التجارة تجار من بلاد فارس والإسكندرية والهند وغيرها، وقد ذكرنا[6] أن غلمان حودر الذين يجلبون من الهند كانوا يعفون من ضرائب الميناء، وكذلك الجواري الجميلات والعبيد الغلمان إذا كانت عيونهم واسعة، مما يدل على أن تجارة الجواري والعبيد كانت رائجة ومزدهرة جداً في عدن.

وفي أواخر عهد الدولة الأيوبية باليمن وبالتحديد في عهد الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول قام سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، بضمان عدد من مؤسسات النشاط الاقتصادي بعدن، فقد ضمن القبان بعشرين ألف دينار سنوياً، وضمن سوق الخضرة والجواري والرطب واللحم وجميع الدواب بأحد عشر ألف دينار، والسليط على كل بهار واصل خمس دنانير[7].

وكان من جملة ما ضمن في ذلك الوقت المملاح[8] وهو موضع يجمد فيه الملح قوب عدن، لكن إبن المجاور[9] لا يذكر مقدار ضمانه السنوي، ويبدو أن بعض المرافق الاقتصادية قد ضمنت قبل عهد الأمير نور الدين، مثال ذلك ضمان صهريج المياه الذي بناه بنو زريع بعدن على طريق الزعفران في سفح الجبل الأحمر، وقد ضمن في منتصف شهر ربيع الآخر سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م بألف وثلاثمائة دينار، وكان ضمانه سبعمائة دينار سنوياً[10].

---

[1] ذكر ابن المجاور أن طول القصبة أربعة أذرع بالحديد. المستبصر ص ١٤٥، وذكر هنتس أن القصبة من مقاييس الطول وتدعى القصبة الحاكمية وكانت القيمة الوسطية لها = ٣,٩٩م. المكاييل ص ٩٤.

[2] ذكر ابن المجاور أن الروسي يباع بالقصبة. المستبصر ص ١٤٥.

[3] كانت ذراع الحديد مستعملة في مصر والحجاز كوحدة لقياس الطول وتبلغ ٦/٧ ذراع اليد، فكان طولها إذن = ٥٨,١٨٧ سم، بالضبط شأنها شأن ذراع البز، هنتس. المكاييل والأوزان ص ٨٤، ٨٧، وقد ذكرنا عن إبن المجاور أن طول القصبة يساوي أربعة أذرع بالحديد.

[4] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٥.

[5] نفسه ص ١٤٥ – ٦.

[6] أنظر موضوع المواد المعفية من العشور في هذا الفصل.

[7] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٨.

[8] راجع عنه الفصل الأول.

[9] المستبصر ص ١٤٨.

[10] نفسه ص ١٣٢ – ٣.

يمثل الضمان صورة من صور الارتباك الاقتصادي الذي يحمل معه الظلم والجشع والاحتكار، فالضمان هو تأجير لشخص أو لمجموعة وقيامها بالتصرف حسب أهوائها، فالدولة حين تؤجر أحد الأسواق فانها تأخذ المبلغ الذي اتفقت على ضمانه مقدماً، ثم يقوم الضامن باتباع شتى الأساليب لجمع أمواله وحصوله على الأرباح على حساب الغير، وهذا يؤدي إلى ارتفاع الأسعار واتباع الأساليب الملتوية بهدف كسب الربح، ولذلك فان الضمان الذي اتبعه نور الدين عمر بن رسول بعدن كان يهدف إلى جمع الأموال دون أن يحسب أي حساب لمصالح الناس، وكان الضمان قد انتشر خلال العهد الأيوبي، وفي عدن بالذات فشمل معظم مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية، يقول ابن المجاور[1]: "ولم يبق شيئ يدور عليه اسم وحرف إلاّ وقد رجع فيه ضمان ما خلا الماء والسمك"[2]، ويرجع استثناء الماء والسمك لكونهما مادة متوفرة بعدن بحكم موقعها البحري، ولأنهما يشكلان المواد الأساسية والرئيسة في حياة سكان عدن اليومية.

ولم يكتف الحكام والأمراء الأيوبيون بضمان أوجه الحياة الاقتصادية في عدن فحسب، بل أن الضمان شمل مدينة زبيد، ويعطينا ابن المجاور[3] صورة لضمان بعض المؤسسات الاقتصادية، فكان ضمان المدبغة (١٣) ألف دينار، وضمان البلد سنابيق الصيادين والخضر والبقول وما يدخل من الباب (٩٠) ألف دينار ملكي، وضمان دار الضرب (١٣) ألف دينار وضمان دار النبيذ (١٢) ألف دينار وضمان النخل (١٠٠) ألف دينار، وتمثل هذه الضمانات حصول الدولة على أموال طائلة سنوياً، إضافة إلى الأموال الكثيرة التي تجمعها من عشور التجارة في الموانئ وبقية أوجه النشاط الاقتصادي التي درسناها.

---

[1] نفسه ص ١٤٨.
[2] أنظر أيضا: نفسه ص ١٤٤.
[3] نفسه ص ٨٩ – ٩٠، وقد أشرنا لهذا الموضوع في بحثنا (زيادة العشور التجارية).

الفصل السادس

تجارة عدن الداخلية والخارجية

١- سكان عدن

٢- التجارة الداخلية

٣- التجارة الخارجية


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

تعريف بالفصل:

اقتصرت دراستنا في الفصل السابق على المعاملات ذات الصفة الاقتصادية الصرفة لميناء عدن، ولأجل استكمال الصورة الاقتصادية وجوانب النشاط الاقتصادي المتنوعة لمدينة عدن، سندرس في هذا الفصل التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية. ودراسة التجارة تقتضي دراسة الناس الذين يمارسوها، فلابد من عرض صورة واضحة لسكان عدن من حيث أجناسهم وأصولهم.

ويقدم الفصل دراسة موجزة عن الصناعة في عدن وأطرافها، إذ انها تُكّمل بقية أوجه النشاط الاقتصادي لتلك المدينة.

إن دراسة التجارة الداخلية توضح لنا كيفية الاتصال التجاري بين عدن ومدن اليمن الأخرى خلال المدة موضوع البحث، وتلقي ضوءا على موقف السلطة وقتذاك منها.

وتوضح لنا دراسة التجارة الخارجية بين عدن وبقية أجزاء العالم، حجم التبادل التجاري الخارجي وآفاقه مع كل من : الصين والشرق الأقصى، ساحل شرق أفريقيا والحبشة، مصر، شبه القارة الهندية.

١- سكان عدن:

لما كانت عدن قد تمتعت بنشاط تجاري متميز، فقد أدى ذلك إلى اجتذاب العمال والصناع ورجال الأعمال إليها من مختلف أنحاء العالم، ولكونها مدينة تجارية وميناءً عالمياً مشهوراً، فقد كانت بحاجة إلى أيد عاملة فرضت عليها تنوعاً في السكان.

يجب نؤكد بادئ ذي بدء تأثير الأحوال السياسية في تطور عدن وازدياد سكانها وتنوعهم، ففي إحدى الروايات[١] أن بني زريع بعد انتصارهم على المحاولة التي قام بها ملك جزيرة قيس (كيش) لغزو عدن حوالي سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م[٢]، نزلوا من الحصون وسكنوا الوادي وبنوا الدور الجميلة، وأنهم أول من بنى الدور بالحجر والجص بعدن، وهذا يعني أن بني زريع كانوا يسكنون الحصون المرتفعة في أعالي الجبال المحيطة بعدن، لأسباب ترجع في الدرجة الأولى إلى عدم الاستقرار السياسي والتأهب لصد الغزو الخارجي.

كانت معظم بيوت عدن مبنية من الخوص[٣]، لعزة الحجر عندهم، وكان الحجر يحمل إلى عدن من أعمال أبين، لذلك لا يتمكن السكان من البناء بالحجر إلا أهل القوة والثراء منهم، فكان ولاتها يسكنون الحصون إلى أيام بني زريع[٤].

إن هذه الرواية تحوي كثيراً من المبالغة وعدم الدقة، فهل يعقل أن أهل عدن يجلبون الحجارة من أبين ومدينتهم محاطة بالجبال الكثيرة؟ وهي تناقض ما سنذكره حول وجود مقالع الحجر الكثيرة في عدن.

لقد تغيرت الأحوال في عهد بني زريع، ففي رواية[٥] أنه قدم إلى عدن خلال عهدهم أبو الحسن علي بن الضحاك الكوفي، ورغب في سكناها، فاشترى عبيداً زنوجاً استخدمهم في قطع الحجر من جبال عدن، وكانت الإماء يحملنه على ظهورهن إلى المدينة، فكان الكوفي أول من أظهر المقلاع[٦] في عدن، وتبعه الناس في ذلك، فاظهروا المقالع واستغلوها

---

[١] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٦.

[٢] راجع تفاصيل تلك الغزوة في الفصل الثاني.

[٣] يقول ابن خلدون وهو يصف بيوت عدن: "وأكثر بنائهم بالأخصاص، ولذلك يطرقها تجار الحرير كثيراً". العبر مج ٤/ ٤٦٦.

[٤] أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ٩، ٢/ ١٥١، العبدلي. هدية الزمن. ص ٢٠. د. صالح. بنو معن ص ٣٣٨، ولعل الحجر كان يجلب من أعمال أبين قبل ظهور المقالع الخاصة به في عدن.

[٥] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٦، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ٩ – ١٠، ٢/ ١٥١ – ٢، العبدلي. هدية ص ٢٠، لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠٠ – ١.

[٦] الموضع الذي يقلعون منه الحجارة. العبدلي. هدية ص ٢٠.

وتملكوها، وصار كل مقلع يعرف بصاحبه[1]، وصارت مستغلات لهم، فكثر بناء الدور بالحجر والآجر والجص في عدن من ذلك الوقت.

ان هذه الرواية توضح لنا أن علياً بن الضحاك الكوفي كان أول من بادر لاستغلال مقلاع الحجر في عدن لبناء الدور، وان استخدام العبيد الزنوج في نقل الحجر، يدلنا على أن تجارة العبيد كانت رائجة في عدن وقتذاك، وانهم استخدموا في الأعمال الصعبة ولعل ذلك كان لقاء أجور زهيدة، ولا تحدد لنا الرواية السنة التي وصل فيها علي الكوفي إلى عدن ولا بداية نشاطه الاقتصادي فيها، ونرجح أن وصوله إليها كان بعد سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، أي بعد فشل محاولة ملك جزيرة كيش غزو عدن بحرياً، ولعله استقر في عدن في عهد الداعي محمد بن سبأ في الأعم الأرجح.

بنيت في عدن دور شهيرة للأمراء، ففي عهد بني زريع بنيت دار الخضراء على جبل الخضراء، وكانت تسكنها الحرة بهجة والدة الأمير علي بن أبي الغارات، وإثر انتصار الداعي سبأ بن أبي السعود في حرب لحج على إبن عمه علي المذكور. دخل قائدهُ بلال بن جرير المحمدي عدن، وأنزل الحرة بهجة من دار الخضراء واستولى عليها وعلى ما فيها من تحف وذخائر[2]. وبنيت أيضاً دار المنظر[3]، وكانت من قصور عدن الشهيرة واتخذت مقراً لأمراء بني زريع، إذ اتخذها الداعي محمد بن سبأ مقراً له بعد دخوله عدن سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م وورد ذكرها في أشعار العندي الذي مدح الداعي المذكور في كثير من قصائده[4]، وجُدد بناؤها في عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين الأيوبي[5].

ومن دور عدن الشهيرة دار السعادة التي بناها السلطان طغتكين بن أيوب مقابل الفرضة من جهة حقات، وهي دار مثلثة الشكل فريدة في نوعها حتى أن طغتكين، كما تقول الحكاية، خشي أن يَبْنِي المهندس مثلها لآخرين، فأمر بسمل عينيه وقطع يده، ويقال إنها كانت لتجار من أهل مصر يعرفون ببني الخطباء استوطنوا عدن ثم صارت لطغتكين فبناها[6].

---

[1] منها مقلع علي الانكي ويوسف الاردبيلي وإسماعيل السلامي وحميد بن حماسة وعبد الواحد بن ميمون. ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٦.

[2] لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠٣، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في الفصل الثالث.

[3] قيل بنيت فوق جبل المنظر. لقمان تاريخ عدن ص ٣٠٢، وقيل بنيت على جبل حقات، ابن المجاور. المستبصر ص ١١١، ١٢٧، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٢، ٢/ ٢٠، العبدلي. هدية الزمن ص ٢٢، وفي رواية أن قصر المنظر بني علي ذروة جبل صيرة. المستبصر ص ١١٥، وقيل أن دار المنظر بنيت بعد رجوع توران شاه من اليمن إلى مصر وتولي الزنجيلي إمارة عدن. المستبصر ص ١٢٧.

[4] للتفصيل راجع الفصل الثالث.

[5] وفي رواية أن المعز الأيوبي هو الذي بناها. ابن المجاور. المستبصر ص ١١١، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٢، ٢/ ٢٠، وهذا وهم وخطأ إذ أن المعز جدد عمارتها، وأن بني زريع هم الذين بنوها وورد ذكرها في شعر العندي. أنظر: أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٢، ٢/ ٢٠، مجهول. قلائد الجمن ص ٨٥.

[6] أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٠، العبدلي. هدية الزمن ص ٢١ – ٢، لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠١، مجهول. قلائد الجمن ص ٨٤ – ٥، وذكر ما فعله طغتكين مع البنّاء المهندس.

ومن مجالات استخدام الحجر والجص بناء سور عدن وتجديده وبناء الفرضة في عهد الأمير عثمان بن علي الزنجيلي بتلك المواد[1]، وقد استخدمت تلــك المــواد فــي أعمــال عمرانية متنوعة بعدن كبناء الأسواق والدكاكين وغير ذلك من مرافق الحياة الاجتماعيــة والاقتصادية.

أمدنا ابن المجاور[2] بوصف دقيق لدور عدن، فذكر أنها مربعة الشكل وكل دار تتكــون من طبقتين السفلى تستعمل مخازن والعليا للسكن واستقبال الضيــوف، وأن البنــاء كــان بالحجر والجص والخشب، وكانت دار أمير عدن التي دخلها أحد التجار ليلاً لإخفاء جــزء من بضاعته عنده دون أن يعرف أنه الأمير ينطبق عليها هذا الوصف، إذ تذكر الروايــة[3] انه قابل الأمير في الطابق الأعلى للدار بعد أن نزل الخادم إليه وأستأذن له الأمــير فــي الدخول عليه[4].

ازداد الاهتمام بميناء عدن على مر الزمن، وكان التجار يقصدونها مــن كــل مكــان ويستقرون فيها، وهذا أدى إلى تنوع سكانها وتعدد جنسياتهم وأصولهم، ويحدثنــا ابــن المجاور[5] عن سكانها وتنوعهم، إذ يقول: "وغالب سكان البلد عرب مجمعة من الإسكندرية ومصر والريف والعجم والفرس وحضارم ومقادشة وجبالية[6] وأهــل ذبحــان[7] وزيــالع[8] ورباب[9] [كذا] وحبوش[10]"، وأضاف أن غالب أهل عدن حبوش وبرابر، وقد التأم إليها هذا الجمع من كل بقعة وأرض وتمولوا وصاروا أصحاب خير ونعم[11].

ان هذا الوصف لسكان عدن وتنوع أجناسهم وأصولهم الذي انفرد به ابن المجــاور، يوضح لنا أنهم جمع خليط من أهل الإسكندرية والقاهرة والصعيد ومــن الأعــاجم وأهــل

---

[1] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٨، أنظر أيضاً: د. صالح. بنو معن ص ٣٣٨.
[2] المستبصر ص ١٣٧.
[3] نفسه ص ١٢٧.
[4] كان من نتائج ذلك بناء سور عدن كما سنوضحه.
[5] المستبصر ص ١٣٤.
[6] الجبالية: قوم يسكنون في جبل مرتفع جداً يحيط بجزيرة سقطرى، وصفهم ابن المجاور بأنــهم قــوم جباليــة عصاة على أهل الوطاء. المستبصر ص ٢٦٧.
[7] ذبحان: بلد باليمن في إقليم المعافر الحجرية، كان للداعي سبأ بن أبي السعود، أبو مخرمة. النسبة و ١٤٧.
[8] زيالع: جمع مفردها زيلعي نسبة إلى قرية زيلع وهي بندر الحبشة التي يركب الناس منها إلى سواحل اليمــن لا سيما ساحل عدن. الجندي. السلوك ج ٢ و ٢١٢، وهي عن عدن في جهة الغــرب بميلــة إلــى الجنــوب. القلقشندي. صبح ٥/ ٣٢٦.
[9] غير منقطة في النص، ولعلها (زنات) نسبة إلى قبيلة زنانة البربرية.
[10] أنظر عن سكان عدن: فاروق أباظة. عدن ص ٢٧، التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط ص ٤٤،د.صــالح، بنو معن ص٣٣٨.
[11] المستبصرص ١٣٤، د.صالح: بنو معن ص٣٣٨.

فارس وحضرموت والصومال وغيرهم، وهو دلالة على نشاط العمل التجاري بعدن، والذي جذب رجال الأعمال إليها من مختلف الأرجاء فجنوا الثروات الطائلة، كما أن الحاجة إلى الأيدي العاملة في الميناء في مختلف مجالات العمل التجاري أدت إلى الاستعانة بأجناس متعددة لاستخدامها في تلك الخدمات سواء في الميناء أو في مجالات العمل التجاري داخل مدينة عدن.

نستدل من الإقبال على إنشاء الدور والقصور، ومن تنوع السكان وتعدد أجناسهم، على استقرار الأحوال السياسية بعدن في عهد بني زريع، وهذا التنوع ميّز عدن خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ذكر الجندي[1] والخزرجي[2] في ترجمة علي بن أبي بكر الفضلي[3] الفقيه الحافظ العالم المحدث أنه وصل مدينة إب سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م، واجتمع إليه جمع كبير من العلماء والفقهاء، ثم ارتحل إلى عدن، فأخذ عنه بها القاضي أحمد القريضي[4] وأخذ معه كثيراً من المغاربة والإسكندرانيين، وأهل عدن، وهذا دليل واضح على وجود جالية كبيرة بعدن من أهل المغرب والإسكندرية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

لقد كثر ورود الناس والتجار إلى عدن من شتى الجهات والجنسيات باعتبارها المركز الرئيس للتجارة بين الهند وشرق أفريقيا ومصر، وقد ذكرنا بأن علياً بن الضحاك الكوفي كان له دور فعال في استخراج الحجر من جبال عدن، فاستدل الناس على مقالع الحجر فيها واستغلوها وساهمت مساهمة فعالة في بناء دورها ومؤسساتها الحياتية.

---

[1] السلوك ١و١٠٧.

[2] العقد الفاخر الحسن و١٠أ.

[3] ابو الحسن علي بن أبي بكر بن حمير بن تبع بن يوسف بن فضل الفضلي نسبة إلى جده، ولد سنة ٤٩٤هـ وكان إماما عالما كبيرا حافظا، أكثر الرحلة في طلب العلم، ودخل عدن وأخذ عنه بها الإمام يحيى بن أبي الخير وابنه طاهر والفقيه مقبل الدثني، وكان يحفظ كثيرا من الحديث، وتردد كثيرا بين بلده عرشان وإب والجند وعدن وله في كل هذه المدن أصحاب، ومن مصنفاته كتاب الزلازل والاشراط وله كرامات عديدة، توفي بقريته عرشان لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٥٥٧هـ. الجعدي. طبقات ص ١٧١، الجندي، السلوك ج ١و١٠٧-٨، الخزرجي، العقد الفاخر و٩ ب -١٠أ، أبو مخرمة، ثغر عدن ٢/١٣٦-٧.

[4] أحمد بن عبدالله بن محمد القريضي الفقيه الشافعي، كان فقيها محدثاً لغوياً جامعاً لأسباب الفضل، امتحن بقضاء عدن (٤٠) سنة ثم اعتزل سنة ٥٨١هـ، وتوفي بعدن سنة ٥٨٤هـ. طبقات الجعدي ص ٢٢٥، الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٧، الأفضل. العطايا السنية و ٩ أ، الأهدل. تحفة الزمن و ١٣٢ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٣.

ومن وصل من العراق الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدويه النهرواني[1]، ويسمى المهروباني[2]، وهو من أبناء التجار المسافرين، سكن عدن أولاً. ثم انتقل إلى زبيد أيام حكم بني نجاح، وانتهبت أمواله فيها بدخول الأمير مفضل بن أبي البركات الحميري سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م، ثم تركها وسكن جزيرة كمران[3] في البحر، وسافر عبيده بسفنهم إلى الحبشة ومكة والهند وعدن، وحصل على أموال كثيرة، وكان ربابنة السفن (النواخيذ) والتجار يترددون عليه بجزيرة كمران للسلام عليه، إذ كان رجلاً تقياً ورعاً زاهداً.

ومنهم إسماعيل بن محمد بن عبدالملك بن مسعود الدينوري البغدادي، كان فقيها محدثاً مشهوراً، أصله من العراق قدم عدن واستوطنها. أخذ عنه كثير من فقهائها، وكان عابداً زاهداً صاحب كرامات، وله مسجد بعدن يعرف باسمه، ولعله سمي باسمه، تولى إمامته المقرئ يوسف الصدائي، ولا نعرف سنة وفاة الدينوري، لكن الصدائي كان موجوداً سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م، توفي عمر ولد إسماعيل سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م[4]، روى الخزرجي[5] أن يوسف الصدائي إمام مسجد الدينوري بعدن توفي لبضع عشرة وخمسمائة.

وفي أيام بني زريع قدم إلى عدن أبو العباس أحمد بن محمد الأبي[6]، المنسوب إلى أبه في تونس، كان أديباً شاعراً، سافر إلى اليمن تاجراً واجتمع بعدن مع الأديب الشاعر أبي

---

[1] ذكره الجعدي بهذه النسبة. طبقات ص ١٤٤، نسبة إلى النهروان وهي بليدة قديمة بين واسط وبغداد. أبو مخرمة. النسبة و ٢٨٥.

[2] المهروباني وهي نسبة إلى قرية بساحل البصرة يقال لها ماهروبان، فيقال الماهروباني. أنظر: الجندي. السلوك ج ١ و ٩٧، الأفضل. العطايا السنية و ٤٣ أ، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٠٧ أ، الأهدل. تحفة الزمن و ٦٦ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢٠٧، وذكروا أن مولده كان سنة ٤٣٩هـ وتفقه ببغداد على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وقدم اليمن آخِر المائة الخامسة فدخل عدن ثم سار إلى زبيد، وبعدها انتقل إلى جزيرة كمران في البحر الأحمر سنة ٥٠٥هـ، وتوفي بالجزيرة ليلة الخميس لعشر خلون من ربيع الآخِر سنة ٥٢٥هـ عن عمر جاوز (٨٥) سنة قريباً، لتفصيل ترجمته انظر: الجعدي. طبقات ص ١٤٤ – ٧، الجندي. السلوك ج ١ و ٩٧ – ٨، الأفضل. العطايا السنية و ٤٢ ب – ٤٣ أ، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٠٧ أ – ١٠٨ أ، الأهدل. تحفة الزمن و ٦٦ ب – ٦٨ أ، العامري. غربال الزمان و ١١٢ أ – ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢٠٧ – ٩، الجنداري. الجامع الوجيز و ٥٨ أ.

[3] كمران: جزيرة من جزائر البحر الأحمر مقابل زبيد باليمن وبالقرب من الحديدة، وتبعد مئتي ميل شمالي مضايق باب المندب، وتقع في مواجهتها مدينة الصليف الشهيرة بجبال الملح، وهي أكبر جزيرة في مجموعة من الجزر الصغيرة والمرتفعات الضحلة المتناثرة، وقد سكنها الفقيه محمد بن عبدويه، الحموي. معجم البلدان ٢/ ١٣٩، معجم الحجري و ٨٩، لقمان. تاريخ الجزر ص٧ فما بعد.

[4] الجندي. السلوك ج ١ و ١١٥ – ٧، الأهدل. تحفة الزمن و ٨١ أ – ب، أبو مخرمة . ثغر عدن ٢/ ٢١ – ٢.

[5] العقد الفاخر و ١٩٣ أ، وذكر أبو مخرمة وفاته لبضع وعشرين وخمسمائة وذكر أنها وهم من الناسخ وأن الصواب لبضع عشرة وستمائة. ثغر عدن ٢/ ٢٢.

[6] كان من أهل أبه من ناحية برقة، وأبه بضم أولِهِ وتشديد ثانيهِ والهاء. اسم مدينة بإفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، وهي من ناحية الاربس، توصف بكثرة الفواكه وزراعة الزعفران. الحموي. معجم البلدان ١/٨٥.

بكر العندي، ثم غادر عدن إلى مصر فاستقر بالإسكندرية واختلف مع قاضيها فغادرها إلى القاهرة سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، ومات بها حوالي سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م[١]، ونستدل من قدوم الأبي إلى عدن على وجود صِلات وعلاقات تجارية مع بلاد المغرب العربي.

كان لتدهور الأحوال السياسية بمدينة زبيد إثر ظهور حركة علي بن مهدي مؤسس إمارة بني مهدي وما صاحبها من قتل ورعب نتائج كبيرة في هروب الكثير من العلماء وأهل زبيد الذين انتقل الكثير منهم إلى عدن هرباً من علي المذكور[٢]، الذي قضى على إمارة بني نجاح في زبيد[٣].

اشتهر كثير من العلماء الذين هربوا من زبيد إلى عدن، منهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن قريضة المعروف بالسهامي[٤]، وأبو عبدالله محمد بن عيسى بن سالم الميتمي[٥]، وأبو عبدالرحمن الحسين بن خلف المقيبعي الذي دخل عدن هارباً من زبيد أيام علي بن مهدي والتقى بعدن بجمع من العلماء أخذوا عنه، ثم سافر إلى السودان وزيلع وعاد إلى عدن بمركب عصفت به الريح إلى ساحل أنحا[٦]، فمات غريقاً، ودفن بالساحل في منتصف شوال سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م[٧].

وفي عهد بني زريع جدد رجل جبلي بناء قنطرة المكسر سنة ٥٠٥هـ/ ١١٠٦م[٨]، ويقال جددها الشيخ عبدالله بن يوسف بن محمد المسلماني[٩] العطار، وأوقف على عمارتها

---

[١] الحموي. إرشاد الأريب ٢/ ١١٢، معجم البلدان ١/ ٨٥.

[٢] الجندي. السلوك ج١ و١١٦، ج٣ و١١٣ أ، وذكر أن الضرر اشتد على أهلها وخرج غالبيتهم سيما فقهاء الشافعية، لأن ابن مهدي كان يكرههم فخرج بعضهم إلى عدن وآخرين إلى بعض الجبال، وذكر الخزرجي أن البلاء طال على أهل زبيد من ابن مهدي، فخرج منها خلق كثير وركبوا البحر وقصدوا عدن. العقد الفاخر و٢٠٣ أ.

[٣] ذكرنا تفاصيل الحركة في الفصل الثالث وأوضحنا علاقة بني مهدي ببني زريع بعدن.

[٤] الجندي. السلوك ج ١ و ١١٩، الأفضل. العطايا السنية و ٤٣ أ، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٢٦ ب – ١٢٧ أ، الأهدل. تحفة الزمن و ٨٤ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢٢٧.

[٥] الميتمي نسبة إلى وادي ميتم وهو واد كبير فيه قرى كثيرة ومزارع عظيمة بالقرب من مدينة إب يسقي مائة وادي لحج. الجندي. السلوك ج١ و ٩٦ – ٩٧، أنظر عن ترجمة الميتمي:الجندي. السلوك ج١ و١٢٢ – ٣، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٤٠ ب، الأهدل. تحفة الزمن و ٨٩ أ – ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢٢٧.

[٦] أنحا: بفتح الهمزة وسكون النون والحاء المهملة، وهي ساحل في الطريق من زيلع إلى عدن. الأفضل. العطايا السنية و ١٦ ب، الأهدل. تحفة الزمن و ٨٢ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن، ٢/ ٥٩.

[٧] الجندي. السلوك ج ١ و ١١٧، الأفضل. العطايا السنية و ١٦ ب، الخزرجي. طراز (متحف) و٢٣٢ ب – ٢٣٣ أ، الأهدل. تحفة الزمن و ٨٢ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٥٩، ٢٢٧.

[٨] أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٩.

[٩] يرد لقبه: التلمساني. أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٩، ٢/ ١١٨.

مستغلات بعدن، وأرضي زراعية في لحج[1]. ويبدو أن له أخا هو الشيخ الموفق يحيى بن يوسف المسلماني الذي أصبح وصياً على ما تركه الفقيه علي بن عيسى بن مفلح المليكي من مال وبنين عند وفاته سنة ٥٨٠هـ[2]، وكانت بعدن أراضي تعرف بتركة المسلماني، وقف غالبها على الفقراء والمساكين[3].

واستخدم بنو زريع العبيد المعتقين في إدارة شؤون إمارتهم بعدن، ومنهم العبد المعتق[4] الشيخ بلال بن جرير المحمدي، الذي كان قائداً للداعي محمد بن سبأ ونائباً له في مدينة عدن، والشيخ جوهر بن عبدالله المعظمي الحبشي، الذي كان أميراً على حصن الدملوة في عهد محمد بن سبأ وولده عمران، ثم أصبح وصياً على أولاده بعد وفاته وبقي متحصناً بالدملوة بعد سقوط آل زريع وقيام الدولة الأيوبية حتى عهد السلطان طغتكين، الذي اشترى منه الحصن فخرج مع أولاد الداعي عمران بن محمد بن سبأ إلى الحبشة وذلك سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م[5].

كانت تجارة العبيد والجواري رائجة في عدن، إذ اشترى علي بن الضحاك الكوفي رقيقاً زنوجاً استعان بهم في قلع الحجر من جبال عدن، ونستدل على رواج تلك التجارة مما ذكره إبن المجاور حول بيع الجواري في عدن أيام بني زريع وبني أيوب[6]، كما فرضت العشور على الرقيق الذين يصلون ميناء عدن بمقدار دينارين على الرأس الواحد[7]، وهذا يدلنا على أن أعداداً كبيرة منهم قد دخلت عدن وكونت جزءاً كبيراً من مجتمعها، فقد ذكر إبن المجاور[8]، أن غالب أهل عدن من الأحباش والبرابر.

ولما كانت عدن ميناء مهماً بحاجة إلى الأيدي العاملة، فقد استخدم التجار أعداداً كبيرة من العبيد في أعمالهم التجارية كتحميل السفن وتفريغها من البضائع وبقية الأعمال ذات الصلة بالنشاط التجاري[9]. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد من الاستخدام، فقد عمل كثير منهم في خدمة الدولة أيام بني زريع أمثال القائد الشهير بلال بن جرير المحمدي وأولاده

---

[1] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٩، ٢/ ١١٨.

[2] سيرد ذكره فيما بعد ونترجم له.

[3] أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٥٢، ٢٣٩.

[4] Goitein, Two Eyewitness, p. 248.

[5] ذكرنا بالتفصيل ترجمة جوهر المعظمي ودوره في عهد محمد بن سبأ وولده عمران، وبيعه حصن الدملوة، في الفصلين الثالث والرابع.

[6] المستبصر ص ١٤٥ – ٦، وقد ذكرنا تفاصيل ذلك في الفصل الخامس.

[7] نفسه ص ١٤١.

[8] نفسه ص١٣٤.

[9] القلقشندي. صبح ٥/ ١١، العبدلي. هدية الزمن ص ٢٠، لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠٦.

سالفي الذكر، وذكر عمارة[1] أن ريحان المحمدي كان خازناً للأموال في عهد الداعي محمد بن سبأ، والراجح أنه من عبيد الداعي المذكور كما نستدل من لقبه (المحمدي)، ومنهم جوهر المعظمي، مولى الداعي محمد بن سبأ.

وفي عدن كانت جالية يهودية خلال عهدي بني زريع وبني أيوب، ففي رواية[2] أن خلف اليهودي النهاوندي هو أول من نظم الضرائب والقوانين في دولة بني زريع، وكان لليهود علاقات وثيقة مع بعض المسؤولين في تلك الدولة،ذكر كويتن[3] أن بلال بن جرير المحمدي نائب بني زريع في عدن كان شريكاً لمضمون بن حسن بن بندار ممثل التجار اليهود وكبيرهم في عدن. وكان هذا مالكاً لسفينة تجارية، وقد سبقه والده بكونه ممثلاً للتجار، إذ ورد ذكره مراراً في وثائق الجنيزا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (الخامس الهجري)، وكان مضمون نشطاً خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر[4] (السادس الهجري).

شغل مضمون منصب الوكيل اليهودي في عدن، وعين قاضياً محلياً لهم، إضافة لذلك أنه كان يتمتع بخصائص كثيرة، منها: أنه كان موضع ثقة آسيا والبحر والصحاري، وتربطه علاقات واتفاقيات مع حكام غير رسميين أو قراصنة كانوا يحكمون سيطرتهم على الطرق البحرية في البحر العربي والمحيط الهندي إضافة إلى الطرق البرية بين عدن ومصر وكانت تستخدم في ذلك الوقت لنقل الرسائل[5]، ويذكر كويتن أن مضمون كان يمتلك سفناً عديدة يستخدمها لأعماله التجارية، فذكر أن شخصاً يدعى محروساً كان يستعمل سفناً تعود إحداها إلى مضمون ممثل التجار في عدن ورئيس المجتمع اليهودي في اليمن[6].

---

[1] المفيد ص ١٨٨.

[2] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٠.

[3] Goitein, studies, p. 359، وذكر أن بلال بن جرير الأوحدي الذي أصبح بعد فترة وزيراً وحاكما حقيقيا لجنوب اليمن ومضمون ممثل التجار باليمن أرسلا حمولة على سفينة من الشرق إلى مصر، وكانت تحمل (٣) آلاف رزمة (بالة)، وهي أوسع حمولة فردية من الشرق متجهة إلى مصر مدونة في وثائق الجنيزا، وكانت واحدة من (٦٠) رزمة من السوائل تزن (١٠٠) بهار، الرزمة الواحدة عادة تزن (٥٠٠) باون، إن مجموع مليون ونصف باون قد يبدو للقارئ الحديث كمية صغيرة نسبياً، لكن يجب أن يتذكر المرء أن البضائع الشرقية كانت في معظمها كمالية (ترف) مرتفعة الأسعار مثل التوابل، الأدوية، اللآلىء والنباتات المستخدمة في الأصباغ.

[4] Goitein, studies, p. 336.، وذكر أن مضمون مات سنة ١١٥١ (٥٤٦هـ)، وهذا يعني أنه مات في النصف الأول من القرن السادس الهجري.

[5] Goitein, studies, p. 347.

[6] Ibid, p. 353.

أما نهاية مضمون، فذكر كويتن[1] أنه مات سنة ١١٥١م (٥٤٦هـ)، وقد خلفه ابنه الكبير، لكنه لم يذكر لنا اسمه، ونرجح أن اسمه داود، فقد ذكر إبن المجاور[2] وجود ثلاثة آبار عذبة للماء بعدن لداود بن مضمون اليهودي.

ونستدل من العلاقة بين مضمون بن بندار وبلال بن جرير المحمدي أن لمضمون نشاطاً تجارياً متميزاً بعدن أثناء حكم الداعي محمد بن سبأ (٥٣٤ - ٥٥٠هـ/ ١١٣٩ - ١١٥٥م)، إذ توفي مضمون في السنة التي توفي فيها بلال أو قبله بسنة وحدة، ويبدو أن عائلة مضمون بن حسن بن بندار كانت من العوائل التجارية التي كان لها نشاط متميز، فقد أشارت إليها وثائق الجنيزا في مواضع عديدة.

ان مركز مضمون بن حسن احتله مضمون آخر (ابن دافيد - داود) ومن المفترض أن يكون حفيده في عدن (حوالي سنة ١٢٢٠م)، أي بحدود سنة ٦١٧هـ، كما ذكر كويتن[3]، وهذا يؤكد لنا أن مضمون الأول (مضمون بن حسن) قد خلف ولداً اسمه داود الذي كان يمتلك ثلاثة آبار عذبة للماء في عدن[4]، وروى ابن المجاور[5] أنه التقى مع يهودي صائغ في عدن، مما يدل على أن اليهود كانوا يمارسون مهنا أخرى في عدن، منها الصياغة، إضافة إلى عملهم بالتجارة.

أفادتنا وثائق الجنيزا في ذكر بعض الشخصيات التي ترددت على عدن من مصر والهند، من اليهود وغيرهم تدلنا على قيام علاقات بين مصر والهند وعدن أيام بني زريع يغلب عليها الطابع التجاري بصفة خاصة، وكل معلوماتنا في هذا المجال مأخوذة من وثائق الجنيزا التي قام بدراستها كويتن.

من هؤلاء الأشخاص الذين ورد ذكرهم في وثائق الجنيزا، شاهدان هما تاجران من تجار الكارم كانا في طريق عودتهما من رحلتهما بالهند مارين بعدن، فكان أن وقع هجوم ملك جزيرة قيس (كيش) على عدن سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م أثناء وجودهما بعدن، الأول باما الهندي كان عبداً ووكيلاً لرجل اسمه إبراهيم بن ياجو[6]، أصله من المهدية في تونس، وقد سكن في الهند خلال السنوات ١١٣٢ - ١١٤٩م (٥٢٧ - ٥٤٤هـ)، وكان ياجو يمتلك مصنعاً للنحاس الأصفر في الهند، وقد رجع إلى عدن وقضى سنوات عديدة في اليمن، على كل حال بعد أن مات إبنه الوحيد في عدن رجع إلى القاهرة القديمة (الفسطاط) حتى يزوج إبنته الوحيدة إلى أحد أعضاء أسرته التي كانت قد هاجرت من تونس إلى صقلية، خلال سنوات غيابه.

---

[1] Ibid, p. 336.

[2] المستبصر ص ١٣١.

[3] Goitein, studies, p.336.

[4] إبن المجاور. المستبصر ص ١٣١، وقد ذكرنا ذلك.

[5] نفسه ص ٣٢، وقال: "وحدثني يهودي صائغ بعدن..."، وكان ابن المجاور قد سأله عن نهر السبت.

[6] أنظر: .Goitein, Two Eyewitness, p. 249، القوصي. سيراف وكيش ص ٦٢.

أرسل باما وكيل إبراهيم بن ياجو – التاجر في الهند – خطاباً له من عدن أثناء مروره بها، ولعل ياجو أرسل باما إلى عدن لشراء الحاجيات المنزلية التي اعتاد على طلبها سنوياً من عدن لبيته الهندي[1].

أما الشاهد الثاني فلا نعرف اسمه، وهو تاجر كان بعدن، وقد مر بها أثناء عودته من الهند متجهاً إلى القاهرة، للالتقاء مع تاجر شريك له بالقاهرة يدعى أبا سعيد الدمياطي[2]، وهو الاسم العربي للتاجر اليهودي حلفون بن نيثانيال الدمياطي[3]، وكان شخصية مشهورة، ذكر كويتن أنه سمي: "الرجل الذي هو مركز كل الشخصيات القيادية في عصره" وقد ورد ذلك في رسالة مصدرها من أسبانيا، وهو وصف يستحقه نظراً لرحلاته البعيدة واهتماماته الثقافية الواسعة ومركزه الاجتماعي العالي، ويمكن تتبع نشاطات حلفون التجارية في مصر والهند واليمن ومراكش وأسبانيا تقريباً من ١١٢٥ – ١١٤٦م (٥١٩ – ٥٤١هـ)[4].

ذكر كويتن[5] أن حلفون كان في عدن في ربيع سنة ١١٣٤م (٥٢٩هـ)، أي قبل وقوع هجوم ملك جزيرة كيش الآنف الذكر.

وهنالك إشارة إلى شخصيات أخرى كانت على علاقة بعائلة مضمون، منهم أبو زكري كوهين السجلماسي[6]، وهو ممثل التجار في القاهرة القديمة، وورد ذكر تاجرين عدنيين (لا نعرف اسميهما)، وهما شخصيتان شعبيتان ولدي عم مضمون الأول، كما انهما يرتبطان بصورة وثيقة مع إبراهيم بن ياجو وحلفون وأبو زكري كوهين[7].

إن الهدف من ذكر أسماء التجار الذين زاورا عدن أو مروا بها أو أقاموا علاقات تجارية فيها، هو إيضاح الصلات بين أولئك التجار من الهند ومصر وغيرها مع عائلة مضمون بن بندار وأحفاده من تجار اليهود في عدن.

---

[1] Goitein, studies, PP:336 - 337.

[2] ذكر كويتن أن اسم العائلة مشتق من دمياط وهو ميناء على البحر المتوسط على الذراع الأيمن من النيل، وكان حلفون من القاهرة القديمة .studies, p. 337

[3] كان من أكبر تجار الهند الكارمية في العهد الفاطمي، وكان أخوه رئيس القضاة اليهود (رئيس محكمة الحاخاميين) في القاهرة .Goitein, Two Eyewitness, p. 250، القوصي. سيراف وكيش ص ٦٣.

[4] Goitein, studies, p. 337.

[5] Goitein, Two Eyewitness, p. 250، القوصي. سيراف وكيش ص ٦٣.

[6] نسبة إلى سجلماسة وهي مدينة في جنوب المغرب، وهي قاعدة ولاية مشهورة، يمر بها نهر كبير غرسوا عليه البساتين والنخيل، وتشتهر بإنتاج التمر، وتعمل النساء في غزل الصوف. الحموي معجم ٣/ ١٩٢، أبو الفدا. تقويم البلدان ص ١٣٧.

[7] Goitein, studies, p. 337.

ذكر كويتن[1] أيضاً أن عدة مئات من التجار والمسافرين ورد ذكرهم في وثائق الجنيزا، و يمكن تحديد الزمان والمكان التقريبي الذي عاش فيه عدد كبير منهم، أمثال بلال بن جرير وهو حاكم اليمن الجنوبي خلال الأربعينات (١١٤٠م/ ٥٣٥هـ)، أورامشيت صاحب السفن العظيم[2] الذي دفن بمكة في نيسان سنة ١١٤٠م.

ازدهرت عدن في عهد بني أيوب وكثر الناس بها وتوطنوها من كان بلد فحفروا بها الآبار وبنو المساجد والأسواق والدكاكين، وتمتعت بمكانة متميزة وشهرة واسعة، ففي عهد المعتمد التكريتي كثر الناس بعدن، فبنوا الدور والأملاك وتوطن بها الناس[3].

لقد تديرَ عدن واستقر بها كثير من الناس من اليمن وخارجها، فمن الخوهة[4] أبو محمد الحسن بن أبي بكر بن اختيار الشيباني المولود سنة ٥٠١ أو ٥٠٢هـ/ ١١٠٧ أو ١١٠٨م، وكان يتردد بين بلده وعدن وزبيد، وعرض عليه قضاء زبيد أيام توران شاه فرفض، ثم عرض عليه أيام سيف الإسلام طغتكين فرفض أيضاً[5]، وسكن عدن أبو الحسن علي بن عيسى[6] بن مفلح المليكي[7]، أصله من إب، كان زاهدا ورعاً يرحل بين بلده وعدن، وعرض عليه قضاء عدن فكره ذلك، وأراد سيف الإسلام طغتكين إكراهه على ذلك فامتنع وخرج من عدن هارباً فلحقته مشقة شديدة ومرض، فعاد إلى عدن وأقام بها أياماً ثم توفي بها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م[8].

إن رفض هؤلاء العلماء تولي مهام القضاء، يرجع إلى ورعهم وتشددهم في الدين، ولعلهم أرادوا أن لا يتولوا القضاء بتوجيه من سلطة الدولة الأيوبية، لأن القاضي لا يكون والحال هذه مستقلاً وعادلاً، لذا نجد بعضهم يهرب ويرفض الموافقة على تولي هذه المهمة التي تعتبر محنة وشدة، فكانت المصادر تذكر أن فلاناً محن بقضاء عدن أو

---

[1] Ibid, p. 338.

[2] وهو الناخذا الهندي صاحب السفن الذي كان يرابط بالقرب من ميناء عدن، وقد ذكرنا دوره أثناء غزو ملك جزيرة قيس لعدن، راجع الفصل الثاني.

[3] إبن المجاور. المستبصر ص ١٣٠، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٠، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٤.

[4] الخوهه: بفتح الخاء وكسر الواو وسكون الهاء الآخرة وفتح الهاء الأولى، وهي قرية بساحل حيس في تهامة. الجندي. السلوك ج ١ و ١١٨، الأهدل. تحفة الزمن و ٨٣أ، وذكر الحجري انها بلدة على ساحل البحر الأحمر من ناحية حيس، وتعرف الآن بالخوخة. المعجم و ١٤٤، ١٤٩، أنظر عن الخوخة: الأكوع. اليمن الخضراء ص ٨٧ – ٨.

[5] الجندي والأهدل في الهامش السابق، العامري. غربال الزمان و ١٢٦ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٥٠.

[6] ويسمى: علي بن عباس بن عيسى. طبقات الجعدي، ص٢١٨.

[7] نسبة إلى عرب يقال لهم الأملوك وهم قبيلة كبيرة من مذحج. الجندي، السلوك ج١ و ١٠٢.

[8] الجعدي. طبقات ص ٢١٨ – ٩، الجندي. السلوك ج ١ و١٣٣، الأفضل. العطايا السنية و ٣٢ أ، الخزرجي. العقد الفاخر و ٢٣ أ، ٣٠ ب، الأهدل. تحفة الزمن و ٩٨ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٥٢.

غيرها، وأنه أمتحن بقضاء عدن أو إب مثلاً[1]، وقد استعان الأيوبيون بقضاة من خارج اليمن في بعض الحالات، فكان عبدالله بن عمر الدمشقي قاضي قضاة اليمن، وقد دخلها بصحبة السلطان توران شاه ورافقه عند دخوله عدن ثم عاد إلى مصر مع السلطان عند رجوعه من اليمن[2]، ولعل السلطان توران شاه استعان به في المدة التي استقر فيها باليمن.

وبرغم الصعوبة في تولي القضاء ورفضه من قبل بعض العلماء المتشددين، إلا أن عدداً من القضاة قد تولوا قضاء عدن، منهم عمر بن محمد الكبيبي[3] الذي ولي القضاء فيها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م[4]، وولي قضاء أبين في هذه السنة عمر بن علي بن سمرة الجعدي[5]، وولي قضاء عدن بعد الكبيبي القاضي عبدالوهاب بن علي المالكي[6]، وكان هؤلاء القضاة يعينون بإشراف القاضي الأثير أبو عبدالله محمد بن بنان الأنباري[7]، وكان قد قدِم اليمن بصحبة السلطان سيف الإسلام طغتكين، ثم صرفه السلطان عن القضاء سنة ٥٨١هـ[8]، وكان إبراهيم بن حُديق قد امتنع أن يتولى قضاء عدن أيام طغتكين فأرادوا إكراهه على ذلك لكنه غادر عدن ثم عاد إليها بعدئذ[9].

---

[1] كان أحمد بن مقبل الدثني المولود سنة ٥٥٦هـ بذي أشرق قد أمتحن بقضاء عدن وتوفي سنة ٦٣٠هـ، الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٠، الأفضل. العطايا السنية و ٩ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٥، وأمتحن أحمد بن عبدالله القريضي بالقضاء أربعين سنة، أنظر مصادر ترجمته في هوامش الصفحات السابقة، وأمتحن عمر بن عبدالعزيز بن أبي قرة بالقضاء في بلدِهِ أبين. الأهدل. تحفة الزمن و ٨٢ أ.

[2] الجعدي. طبقات ص ٢٤٢، الأفضل. العطايا السنية و ٢٤ أ – ب، الأهدل. تحفة الزمن و ١١٢ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١١٧.

[3] بضم الكاف وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت وخفض الباء، يقول الجندي: "ثم لا أدري إلى ما هذه النسبة". السلوك ج ٢ و ١٧٦.

[4] الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٦، الأفضل. العطايا السنية و ٣٨ أ، الخزرجي. العقد الفاخر و ٦٥ أ، الأهدل. تحفة الزمن و ١٣٢ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٠ – ١.

[5] هو صاحب كتاب (طبقات فقهاء اليمن)، أنظر عن توليه قضاء أبين: كتابه الطبقات ص ٢٢٣، الجندي. السلوك ج ١ و ١٣٥، ج ٢ و ١٧٧، الخزرجي. العقد الفاخر و ٦١ أ، الأهدل. تحفة الزمن و ١٣٣ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٧٩.

[6] طبقات الجعدي ص ٢٢٥، الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٧، الأهدل. تحفة الزمن و ١٣٢ ب، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٣٠، ١٨١.

[7] يدل لقبه بأنه عراقي، وهذه النسبة إلى الانبار.

[8] الجعدي. طبقات الفقهاء ص٢٣٠، الجندي. السلوك ج ٢ و ١٧٧، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٤٢ب، الأهدل. تحفة الزمن و ١٣٣ أ، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٧٧.

[9] السلوك ج ١ و ١٣٣.

وشهد العهد الأيوبي في اليمن حركة للتجار من مختلف الأرجاء نحو عدن، فمن العراق ذكر إبن المجاور[1] أن أول من أخذت عليه عشور الحديد بميناء عدن أبو الحسن البغدادي وذلك بعد استحداث هذه العشور في عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م.

والجدير بالذكر أن أميري عدن عثمان بن علي الزنجيلي التكريتي الذي وليها بعد مغادرة توران شاه اليمن سنة ٥٧١هـ حتى سنة ٥٧٩هـ، والأمير المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي الذي تولى إمارة عدن بعد عزل إبن عين الزمان عنها حوالي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م واستمر حتى أواخرعهد المسعود الأيوبي، ولعل هذين الأميرين هما من العراق من مدينة تكريت واستوطنا عدن وقاما بأعمال كثيرة وإصلاحات عظيمة خلال توليهما إمارتها في العهد الأيوبي، وقد كثر السكان بعدن في حكم المعتمد التكريتي وبنوا الدور والأسواق والدكاكين والمساجد وغيرها من المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية[2]، وممن دخل عدن الشاعر والأديب التكريتي الذي لا نعرف اسمه، وذلك بعد مغادرة الزنجيلي لها سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، وكان شاعراً مرموقاً ذا مكانة رفيعة[3].

كان من عوامل زيادة السكان بعدن دخول أهالي المناطق القريبة منها، واستقرارهم فيها، ولما كانت لحج من أعمال عدن، فقد غلب على أهلها دخول عدن والإقامة فيها[4].

كما أسهمت العوامل السياسية في زيادة سكان عدن، روى ابن المجاور[5] استيلاء ناصر الدين محمد بن عمر بن المهدي الرازي[6] على الدعيس[7] – في أبين، فخربها، وأحرقها ونهب أهلها في غرة شوال سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م، ونتيجة لذلك انتقل جميع أهلها إلى عدن.

مما سبق يتضح لنا أن عوامل كثيرة ساهمت في تكوين مجتمع عدن وسكانها، منها: العوامل السياسية التي مرت بها عدن خاصة واليمن عامة، فعدم استقرار بعض الأجزاء في ظروف سياسية معينة كمدينة زبيد أثناء حركة علي بن مهدي الرعيني، كانت عاملاً من عوامل انتقال الكثير من سكان زبيد وهربهم إلى عدن لينجوا بأنفسهم.

[1] المستبصر ص ١٤٠، وسماه لقمان: أبو الحسين البغدادي. تاريخ عدن ص ٢٩٩.
[2] ذكرنا تفاصيل إمارة الزنجيلي والمعتمد في الفصل الرابع، وذكرنا إصلاحاتهما ودورهما في تطور مدينة عدن في الفصل الخامس وفي هذا الفصل أيضاً.
[3] لم يذكر المؤرخون اسمه الصريح بل عرف بالتكريتي، انظر: أبو مخرمة. ثغر عدن. ٢/ ٣٢ – ٦، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٨٧ – ٢٩٠.
[4] أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/١١، ١٣٦.
[5] المستبصر ص ١٥٥.
[6] لم نجد ترجمة له وانفرد بذكر هذه الرواية ابن المجاور.
[7] الدعيس وهو موضع بناحية أبين. أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٧٣.

كما كان لاستقرار الأوضاع السياسية بعدن أيام حكم بني زريع دور كبير في جلب كثير من التجار؛ للعمل في المجال التجاري لهذه المدينة فدخلها وتوطنها الكثير من التجار وأصحاب الأعمال من العراق ومصر والهند والصومال وغيرها.

ودخل عدن كثير من الأعاجم وسكان شبه القارة الهندية، ذكر ابن المجاور[١] أن الناخوذة عثمان بن عمر الآمدي[٢] كان يعمل بالتجارة ويتردد على عدن، ونرجح أن أباه الناخوذة عمر الآمدي كان قد استوطن قرية رباك القريبة من عدن، وغرس بها شجر الشكي البركي سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، كما حفر بها بركا كثيرة[٣].

ونقل ابن المجاور[٤] عن الحسن بن علي حزور الفيروزكوهي[٥] أنه باع جارية هندية بعدن على رجل إسكندراني، مما يوضح أن الفيروزكوهي قدم من الهند إلى عدن، وكان يعمل بتجارة الجواري الهنديات.

وفي عهد الملك المعز اسماعيل بن طغتكين استجدت عشور على الحديد مقدارها ٥٠% من قيمة البضاعة، ويقال انها أخذت أول مرة من فلان الفرواني[٦] على رواية ابن المجاور[٧]، وهذا يوضح لنا أنه رجل هندي كان يشتغل بتجارة الحديد.

يتضح لنا مما سبق أن كثيراً من الناس دخلوا عدن واستقروا فيها للالتجاء إليها، ولأجل العمل بالتجارة فيها، وقد أوردنا نماذج لعناصر سكانية متنوعة دخلتها، ولا نريد أن نمضي في ذكر الشخصيات الكثيرة التي دخلت عدن واستقرت بها، فهذا أمر يستدعي، الإطالة، على أن الفكرة الأساسية تبقى واضحة وهي تنوع سكان عدن وتعدد أجناسهم وأصولهم.

مما سبق يتضح لنا أن استقرار الأحوال السياسية بعدن وتوفر فرص العمل كانت عوامل مشجعة للهجرة والعمل في عدن، لذا اختلط سكانها من أجناس متنوعة في مواطنها وأصولها وحتى عقائدها الدينية، فهنالك المسلمون من مختلف البلدان إلى جانب

---

[١] المستبصر ص ١٤٤.

[٢] النسبة إلى آمد في ديار بكر على غربي نهر دجلة كثيرة الشجر والزرع، وهي مدينة حصينة مبنية بالحجارة تحيط بها دجلة من جوانبها إلا من جهة واحدة على شكل الهلال، وفي وسطها عيون وآبار، ومن الموصل إلى آمد أربعة أيام. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، ١٣٨٠هـ)، ص ٤٩١، أبو الفدا. تقويم البلدان ص ٢٧٣، ٢٨٧.

[٣] ابن المجاور. المستبصر ص ١٠٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ٢٠، ٢/ ١٧٣، مجهول. قلائد الجمن ص ٩٢.

[٤] المستبصر ص ١٤٦.

[٥] الفيروزكوهي: فيروزكوه معناه: الجبل الأزرق، وهي قلعة عظيمة حصينة في جبال غورشستان بين هراة وغزنة، وفيروزكوه أيضاً قلعة في بلاد طبرستان قرب دنباوند. الحموي. معجم ٤/ ٢٨٤، ولا نعلم لمن ينتسب صاحبنا من هتين القلعتين.

[٦] الفرواني نسبة إلى فروانة وهي بليدة قريبة من غزنة. الحموي. معجم ٤/ ٢٥٧.

[٧] المستبصر ص ١٤٠.

اليهود والنصارى والعبيد المجلوبين من الحبشة والهند وغيرها، وهذا الجمع التام وعاش في ظل النشاط التجاري لميناء عدن واستثمار فرص الكسب للعيش، وهذا شأن معظم الموانئ في العالم.

لم تحدد المصادر إحصائية لسكان عدن في فترة من فترات دراستنا، لكننا نؤكد ضخامة عدد سكانها طبقاً لتعدد أجناسهم والخدمات المتنوعة التي أسهمت الدولة بها خلال عهدي بني زريع وبني أيوب في المجالات الحياتية، إضافة إلى مساهمة السكان في عمرانها، متمثلاً ببناء الدور والأسواق والحمامات وحفر الآبار وبناء المساجد والأسوار.

جرت إحصاءات لسكان عدن في العصر الحديث أبان الحكم العثماني[1]، وفي عهد السيطرة البريطانية[2] تؤكد تعدد أجناس سكانها وتنوع أصولهم، وهذه الصفة ما تزال تطبع سكان عدن بهذه الخاصية منذ القدم وحتى الوقت الحاضر.

٢- علاقات عدن التجارية مع المدن اليمنية:

اتضح لنا من دراستنا للأحوال السياسية التي مرت على عدن خلال عهدي بني زريع وبني أيوب مدى الأهمية الكبيرة لهذه المدينة، والمنافسة السياسية من أجل السيطرة عليها واستثمار مواردها الهائلة بين القوى السياسية وقتذاك، وتبدو هذه الأهمية جلية منذ سيطرة علي بن محمد الصليحي عليها وإسناد إدارتها إلى بني معن الحميريين، الذين كانوا يدفعون مبلغ مائة ألف دينار سنوياً نظير حكمهم في عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت، وكان ذلك المبلغ يدفع للسيدة الحرة زوج أحمد المكرم ولد الصليحي كصداق لها بعد زواجها من المكرم، واستمر الحال بعد القضاء على بني معن وتولي بني المكرم الجشمي اليامي حكم عدن منذ سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م[3].

استمر أمراء عدن من بني المكرم بدفع التزاماتهم المالية للسيدة الحرة مدة من الزمن ثم استقلوا بحكم عدن وامتنعوا عن دفع الأموال السنوية، وقد تمتعت عدن في عهدهم بمركز تجاري مهم بين الشرق والغرب، مما أثار حقد واستياء ملك جزيرة قيس (كيش)

---

[1] زودنا الواسعي بإحصائية عن سكان عدن في العهد العثماني (دون تحديد السنة)، فذكر أن تعداد سكانها يبلغ (٨) آلاف نسمة وهم من أجناس مختلفة يمانية وفرس وصومال وحبش وتكارنة وهندوس وهند وإسماعيلية ويسمون: البهرة ويهود ونصارى من كل طائفة. فرجة الهموم ص ٣٢٣.

[2] أورد العرشي إحصائية عن سكان عدن وتعدد أجناسهم حوالي سنة ١٩٣٩م، بمناسبة مرور مائة عام على احتلال الإنجليز لها، ذكر أن عدد سكانها زهاء (١٠) آلاف وهم من أمم مختلفة وعناصر شتى فيها العربي والهندي والفارسي والحبشي والصومالي والسوداني، أما الأوربي فقليل لشدة حرها، وفيها من أرباب الديانات المختلفة، ففيها المسلم والنصراني واليهودي والوثني والبنياني والإسماعيلي (البهرة) والملحد والمجوسي، واغلب التجارة الرابحة بيد المجوس الذين يسمون: بارسي. بلوغ المرام ص ١٨٠.

[3] راجع الفصل الثاني.

التي أخذ دورها التجاري بالاضمحلال، بسبب تحول التجار عنها إلى ميناء عدن وقام ملك كيش بمحاولة لغزو عدن إلا أنها باءت بالفشل الذريع[1].

تميز عهد بني المكرم ومن بعدهم بني زريع في عدن بنشاط اقتصادي متميز ويرجع سبب ذلك إلى كثرة الموارد المالية لميناء عدن، وقد تجلى ذلك النشاط بإنفاق الأموال الطائلة وفي مجالات متعددة، منها الحرب التي وقعت بين أبناء العم سبأ بن أبي السعود وعلي بن أبي الغارات في وادي لحج بحوالي سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م، إذ انفق الداعي سبأ في تلك الحرب قرابة ثلثمائة ألف دينار، مما اضطره على الاقتراض من تجار عدن، وهذا دليل على أن حالة التجار المالية كانت جيدة جداً في ذلك العهد،وانتهت تلك الحرب بانتصار بني زريع واستقلالهم بحكم عدن[2].

كان من مظاهر الازدهار الاقتصادي في عهد الداعي سبأ توسع رقعة إمارته في أجزاء واسعة محيطة بعدن وخارجها، والتي توارث حكمها من بعده ولده محمد، الذي شهد عهده مظاهر الثراء وبذخ الأموال في توسع رقعة إمارته، وزواجه، وكرمه على الشعراء والمداحين[3]، وقد ذكر لنا عمارة[4] جملة قصص وحكايات توضح لنا كرمه ومروئته، وكان يأمر بصرف الأموال طبقاً للرقاع التي يقدمها الناس، ويتم صرفها من قبل خزان أمواله[5]، الذين كانوا بمثابة أمناء للخزانة في وقتنا الحاضر.

اتصفت العلاقات بين عدن وزبيد في عهد الداعي محمد بن سبأ بأنها غير ودية وعدائية، لأسباب سياسية ومذهبية دينية ترتبط بطبيعة الإمارتين النجاحية والزريعية[6]، وكان لتدهور العلاقات السياسية بين تلك المدينتين الكبيرتين أثرهما في اشتغال عمارة اليمني بالتجارة بينهما في فترة عدم الاستقرار تلك.

انفرد عمارة[7] بتدوين مذكراته الشخصية وعمله التجاري في تلك الظروف حين كانت الحرة عَلَمَ تحكم زبيد بواسطة وزيرها وقائدها أبي محمد سرور الفاتكي، لأن ولدها فاتكاً كان صغير السن لا يتمكن من تسيير الأمور، وتمكن عمارة بدهائه وصحبته للحرة وبمعرفتها من كسب ود القائد سرور الفاتكي ومعرفته، وبهذه العلاقات استطاع أن يكسب الأموال الجزيلة، ذلك أن الشيخ السعيد بلال بن جرير المحمدي غزا بأسطوله سواحل

---

[1] راجع تفاصيلها في الفصل الثاني.

[2] ذكرنا التفاصيل في الفصل الثاني.

[3] يراجع بخصوص التفاصيل الفصل الثالث.

[4] المفيد. ص ١٨٦ – ٧.

[5] نفسه ص ١٨٨ – ٩.

[6] كانت زبيد تحت سلطة النجاحيين السنيين، وعدن تحت سلطان بني زريع الشيعيين، وكان التنافس قوياً بين المذهبين في تلك الجهات، وكان هذا عاملا مهماً من عوامل غزو بلال بن جرير لزبيد، أنظر عن تلك المنافسة: الفصل الثاني.

[7] النكت العصرية ص ٢٦ – ٨ ونقل عنه أيضاً: ذو النون المصري. عمارة اليمني ص ٣٨ – ٤٠.

زبيد، فقتل ونهب واحرق، وقد أدى ذلك إلى انقطاع السفربين عدن وزبيد لمدة ثلاث سنين، وكان من نتائج ذلك رخص بضائع كل بلد منهما وغلائها في البلد الآخر، ويواصل عمارة مذكراته بأن كلا من الحرة علم وقائدها سرور قد دفعا له أموالا طائلة ليشتري لهما بضائع من عدن بعد أن يحمل معه البضائع الرخيصة من زبيد ويبيعها في عدن ويكون الربح له، ويشتري برأس المال البضائع من عدن.

كان من نتائج عمل عمارة التجاري أن حصل على الأموال الطائلة، كما توثقت صلاته مع أهل عدن، يقول ذو النون المصري[1]: "ولم تقف مهمته في عدن على البيع والشراء، وارتياد الأسواق، ومراقبة الحالة التجارية في تلك الربوع، شأن التجار في كل مكان، ولكنه إندس بين أهل عدن، وشاركهم في أفكارهم وآمالهم، وتحدث معهم في معتقداتهم، وتقرب من دعاتهم...".

استطاع عمارة أن يتصل في عدن بالشاعر أبي بكر العندي الذي أكرمه وقدمه للداعي محمد بن سبأ وأمره بمدحه شعرا، ولما لم يستطع عمارة ذلك، لعدم معرفته نظم الشعر، عمل العندي له قصيدة ذكر فيها المنازل من زبيد إلى عدن، وهنأ بها الداعي بزواجه من إبنة السلطان عبدالله بن أسعد بن وائل، واستمر عمارة في نشاطه التجاري بين عدن وزبيد لمدة عشر سنوات بين ٥٣٨ - ٥٤٨هـ/ ١١٤٣ - ١١٥٣م، وتعتبر من أخصب أيام عمارة في اليمن، من جهة المال والعلم والأدب والوجاهة وصحبة الملوك والعظماء سيما آل زريع، فأصبح يعد من جملة أكابر التجار وأهل الثروة ومن أعيان الفقهاء[2].

أهتم أمراء بني زريع بميناء عدن اهتماما كبيرا، وذلك لأنه مصدر موارد وأموال طائلة، وقد قاموا ببناء سور عدن، فكانوا أول من بنى السور فيها[3].

أوضح إبن المجاور[4] سبب بناء سور عدن، فقد ذكر أن مركبا أرسى في عدن ليلا[5]، ونزل الناخوذة من المركب فدار في عدن، فإذا هو بدار عالية مضاءة بالشموع ومبخرة بالعود، فظن أنها دار أحد التجار فدق الباب عليهم ونزل الخادم ففتح له الباب قائلا له:هل لك من حاجة؟ قال التاجر نعم، فأخبر الخادم صاحب الدار بالأمر مستأذنا له بالدخول، فأذن له، وفعلا صعد الرجل وسلم كل على صاحبه دونما معرفة سابقة، وجرى الحديث فأخبره التاجر عن قدومه هذه الليلة وأنه يخشى جور الداعي وطلب منه أن يخفي عنده بعض التحف والقماش فأجابه صاحب الدار إلى طلبه، وهيأ له دارا أخرى ينقل إليها بضاعته

---

[1] عمارة اليمني ص ٣٨ - ٩.

[2] عمارة. النكت العصرية ص ٢٧ - ٨، ذو النون المصري. عمارة اليمني ص ٣٨ - ٩.

[3] أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٠، العبدلي. هدية الزمن ص ٢١.

[4] المستبصر ص ١٢٧ - ٨، ونقلها عنه: أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٣ - ٤، مجهول. قلائد الجمن ص ٨٢ - ٣.

[5] ذكر ابن المجاور أن المركب أرسى من المغرب إلى عدن، ولا نعلم المقصود بالمغرب، على حين ذكر أبو مخرمة أنه وصل من المقرب أي من جهة هرموز. ثغر عدن ١/ ١٣، وهذا يدل بأن المركب قدم من منطقة الخليج العربي، وهرموز هي هرمز نفسها المضيق في الخليج العربي. الحموي. معجم البلدان ٥/ ٤٠٢.

وأمره بنقل ما أراد إليها، فنزل التاجر وقام البحارة أصحابه بنقل البضائع من المركب إلى الدار، فنقلوا ما خف حمله وغلا ثمنه، ففرغ ثلثي المركب، وعاد التاجر إلى المركب وبلت فيه حتى الصباح كأنه لا يدري ما جرى، فلما أصبح الصباح ونزل إلى البلد، دخل الدار التي التقى بها مع صاحب الليلة الماضية، فوجئ بأن الرجل الذي لجأ إليه هو الداعي بنفسه، فقلق كثيراً وتشوش خاطره ويئس من نفسه وغلب عليه الخوف، فلما رأى الداعي ما نزل به طمأنه وأوضح له أن اللوم لا يقع عليه في حفظ ماله إنما التقصير كان منهم لأنهم أهملوا البلد وأنه نبههم إلى شيئ مهم، فسامحه الداعي بأن اسقط منه العشور المترتبة على تجارته، وجعلها هبة منه كما وهبه الدار التي نزل بها وأعطاه ألف دينار هبةً لينفقها لأنه نزل بلدهم وحلّ ضيفاً عليهم في الليل.

إن هذه الرواية تحوي كثيراً من المبالغة إذ لا يعقل أن يدخل المركب إلى الميناء دون أن يشعر به أحد، إذ هنالك الحراس وموظفو الجمرك، إلا إذا دخل المدينة ورسى على الساحل في منطقة بعيدة عن الميناء، ونرجح أن الداعي هو الأمير محمد بن سبأ إذ لم يرد اسمه ونستدل على ذلك أنه كان أول داعٍ دخل عدن ونزل دار المنظر وهي الدار العالية التي كانت مضاءة بالشموع.

وفي إثر ذلك أمر الداعي أن يمد سور من حصن الخضراء إلى جبل حقات[1] فادير سور ضعيف هدم بعضهُ بسبب قوة أمواج حقات وارتطامها به[2]، فلما تهدم أدير عليه سور ثانٍ من القصب كان مشبكاً وبقي على حاله حتى دخول توران شاه إلى عدن فجدد بناء هذا السور وأضاف إليها أسوار أخرى عثمان بن علي الزنجيلي أمير عدن[3].

كان من مظاهر الثراء الذي تميز به أمراء عدن ومواليهم، الثروة الكبيرة التي تركها بلال بن جرير المحمدي عند وفاته بين ٥٤٦ – ٥٤٧هـ/ ١١٥١ – ١١٥٢م، ونقل عمارة[4] مقدار الثروة والممتلكات التي خلفها نقلاً عن معاصريه، وهي: (٦٥٠)[5] ألف دينار ملكي، أكثر من (٣٠٠) ألف دينار مصري، عدة أبهرة من الفضة المصاغ والحلي قدرها كويتن بـ ١,٧٠٠ باون[6] من الحلي الفضية بكل الأوصاف، عدد لا يحصى من

---

[1] ذكر الشماحي من آثار آل زريع بعدن السور الممتد من التعكر إلى جبل حقات. اليمن الإنسان والحضارة ص ١١٦، وهذا خطأ إذ أنه امتد من حصن الخضراء إلى حقات، وذكر العبدلي ما ذكره الشماحي وأن في السور ستة أبواب . هدية الزمن ص ٢١، وهذا وهم إذ أن ذلك البناء تم من قبل الزنجيلي.

[2] لقمان. تاريخ عدن ص ٦٥، أباظة. عدن ص ٢٧.

[3] سنذكر ذلك في الصفحات التالية عند دراستنا إصلاحات الزنجيلي الاقتصادية بعدن.

[4] المفيد ص ١٩١.

[5] ذكر عمارة مبلغها: ستمائة ألف وخمسمائة، والصواب: (٦٥٠) ستمائة ألف وخمسين ألف، المفيد ص ٥٩ تح كاي، وذكر لقمان مقدارها: (٥٦٠) ألف دينار ملكي. تاريخ عدن ص ٥٤، والصواب ما ذكرناه أولاً وهذا خطأ مطبعي.

[6] Goitein, Two Eyewitness, p. 248.، والباون لفظ غير عربي ويعني بالعربية: الرطل، وهو تعريب للباون الإنجليزي كما نعرف.

الملابس والبضائع، إضافة إلى تحفيات جلبت من أقصى ديار العالم كالصين وشمال أفريقيا، وقد جلبت من قبل التجار كهدايا له، منها السيوف والرماح وأواني الكتابة[1]، وقد انتقلت هذه الثروة الطائلة إلى الداعي محمد بن سبأ بوصية من بلال، الذي كان أحد رجال الدولة المتقدمين، وقد زوج إبنته من الداعي محمد بن سبأ[2].

إن هذه الثروات تعطينا فكرة عن نشاط الحركة التجارية في ميناء عدن وكثرة الأموال التي يحصل عليها الأمراء من موارد الميناء، إضافة إلى الأجزاء الأخرى الخاضعة لسيطرتهم، لذا فإن ما كان يدفعه أمراء عدن وهو مبلغ مائة ألف دينار سنويا للسيدة الحرة أروى نظير حكمهم عليها، يعد مبلغا بسيطا إذا ما قورن بالعشور التي تفرض على البضائع والتجار والواردين عدن والتي أخذت في الزيادة الفادحة خلال العهد الأيوبي[3].

بعد وفاة الداعي محمد بن سبأ تولى ولده الداعي عمران حكم عدن، وقد تميز هذا الأمير بالكرم وحب مديح الشعراء وإكرامهم، وبرز في عهده الشاعر أبو بكر العندي الذي مدحه بغرر القصائد، وكان العندي قد حصل على أموال كثيرة وهدايا من الداعي عمران، وكذلك شعراء كثيرون آخرون، ولشهرته بالكرم فقد لقب بالملك المكرم[4].

ومن مآثر الداعي عمران إسقاطه مبلغ ثلاثة آلاف دينار كانت بذمة عمارة اليمني على عهد الداعي محمد بن سبأ (والد عمران)[5]، وهذا يعكس لنا تسامح بني زريع وعدم تشددهم في تحصيل الأموال وادخارها، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة الأموال التي تردهم وسخائهم في إنفاقها على المحتاجين والمعوزين وفي سبيل المروءة والمعروف.

كانت الحركة التجارية لميناء عدن نشطة جدا في عهد الداعي عمران بن محمد فكثرت الموارد المالية التي أغدقت بسخاء على الشعراء والفقهاء، وكان من أدلة ذلك أن الداعي عمران منح عشور أحد المراكب الراسية بميناء عدن ومقدارها ألفا دينار هدية للشاعر أبي بكر العندي، إضافة إلى ألف وسبعمائة دينار وخلعة بعد مدحه بقصيدة طويلة[6].

شهد عهد بني زريع ازدهار العلاقات الاقتصادية مع مدينة زبيد التي اشتهرت بصناعة الأنسجة وشقق الحرير، كما ازدهرت العلاقات أيضا مع مدينة ظفار[7] في حضرموت التي

---

[1] عن تفاصيل ثروة بلال بن جرير، أنظر، أيضا:
لقمان. تاريخ عدن ص ٥٤ – ٥، سليمان. تاريخ اليمن ص ٢٢٨ – ٩، د. صالح. بنو معن ص ٣٢٩، Goitein, Two Eyewitness, p. 248.

[2] راجع بشأن علاقة بلال بن جرير بالداعي محمد بن سبأ الفصل الثالث.

[3] أنظر العشور المفروضة على البضائع في ميناء عدن خلال عهدي بني زريع والأيوبيين.

[4] أنظر تفاصيل ذلك في الفصل الثالث.

[5] راجع الفصل الثالث عن علاقة عمارة بالداعي عمران بن محمد.

[6] أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٨٤.

[7] ظفار: مدينة على ساحل البحر العربي، وهي من أعمال الشحر بحضرموت، وتشتهر جبالها باللبان وهو شجر ينبت هناك، الحموي. معجم ٤/ ٦٠.

اشتهرت بثيابها المعروفة باسمها، وقد تطورت تلك العلاقات بصورة أوسع في العهد الأيوبي[1].

ونستدل على النشاط التجاري الواسع لمدينة عدن من خلال دراستنا لأنواع العشور التي كانت تفرض في الميناء على مختلف البضائع التي تدخله، حيث تعود تلك الأموال كموارد مالية أساسية يستفيد منها أمراء عدن وسكانها في تدبير شؤون إمارتهم وصرف الأموال على مجالات حياتية متنوعة، لذا تميزت الإمارة الزريعية بعدن بقوتها وقوة أمرائها وصمودها أمام المحاولات المتعددة لغزوها وإسقاطها، وكانت موارد عدن الكثيرة من التجارة عاملا مهما من عوامل صمودها وتجاوز محاولات غزوها حتى انتهى أمرها إلى الضعف في أواخر عهد بني زريع مما مهد لإسقاطها على أيدي الأيوبيين.

يبدو أن ابرز ما في التجارة الداخلية هو ما يتعلق بنقل الإنتاج الصناعي من الملابس والجلود والمجوهرات من مناطق إنتاجها إلى الأسواق التجارية كسوف صنعاء وعدن، وكذلك نقل المواد الأولية لصناعة العطور من حضرموت إلى عدن، وكانت واردات مواد الطيب والعطور من عشور التجارة في عدن كبيرة[2].

بعد سيطرة الأيوبيين على اليمن بقيادة توران شاه سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، ومن ثم سيطرته على عدن وقضائه على دولة بني زريع فيها، أصبحت عدن جزءا من الدولة الأيوبية، وكانت لها أهمية كبرى في نظر توران شاه بسبب نشاطها التجاري وكثرة مواردها، لذلك منع توران شاه جنده الذين أرادوا نهبها وتخريبها قائلا مهم: "ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها[3]" وفي قوله هذا دلالة على أهمية عدن وعناية الأيوبيين بها بسبب نشاطها التجاري وكثرة مواردها التي يمكن الانتفاع بها.

كانت الأموال ترسل من مدن اليمن المهمة كزبيد وعدن وغيرها إلى الإسكندرية بعد مغادرة توران شاه لليمن واستقراره فيها[4]، مما يدل على أن الحركة التجارية كانت نشطة وان الأموال التي كانت تتجمع منها كثيرة.

غادر توران شاه اليمن سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، بعد أن عين الأمراء على مدنه المهمة، فكان عزالدين عثمان بن علي الزنجيلي أميرا على عدن[5]، وقد واصل الأيوبيون سياسة الفاطميين في الاعتناء بعدن وبقية موانئ اليمن بحيث أصبحت عدن سنة ١١٧٥م أكثر أمانا وتحصينا من أي ميناء عربي آخر في الجزيرة العربية[6].

---

[1] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤١، راجع بحثنا عن العشور التجارية.
[2] الحديثي. أهل اليمن ص ٤٥، راجع بحثنا عن العشور التجارية في ميناء عدن.
[3] ابن الأثير. الكامل ١١/ ٣٩٧ – ٨، قلائد الجمن ص ٩٨، راجع الفصل الرابع.
[4] ابن خلدون. العبر مج ٥ ق ٣/ ٦٤٨، وذكرنا مصادر أخرى حول هذا الموضوع في الفصل الرابع.
[5] راجع بخصوص تفاصيل إمارة الزنجيلي على عدن الفصل الرابع.
[6] Gavin, op, cit.، ترجمة سلطان ناجي، الكلمة، ع ٤٦/ ٧٩.

وفي اعتقادنا أن ذلك يرجع إلى اهتمام الأمير عثمان الزنجيلي بعدن اهتماماً كبيراً، فقد ازدهرت عدن في عهده وعظم شأنها ونشطت الحركة التجارية فيها وازداد عدد سكانها وكثرت العمارة فيها، وأراد الزنجيلي أن يجعل منها قاعدة مهمة للبيع والشراء[1].
قام الزنجيلي ببناء العديد من المؤسسات ذات الصلة بالحياة الاقتصادية، فقد بنى قيصارية العتيقة[2] والأسواق والدكاكين ودور الحجر وانتعشت عدن في زمانه انتعاشاً عظيماً وأصبحت ذات مكانة وشهرة متميزة[3].

ذكر لقمان[4] أن الزنجيلي بنى الأسواق المسقوفة المعروفة بالقيصارية وكانت مخصصة لبيع المواد الطبية، وفي اعتقادنا أن المقصود بالمواد الطبية هي المواد النباتية والتوابل التي كانت تستخدم في الطعام وصناعة العطور وفي استعمالات طبية بعد خلطها لمعالجة أمراض وعلل كثيرة كمواد: الأنكزة وقشر المحلب والفوة والكافور والزعفران وغيرها.

وقد ورد ذكر أسواق في عدن منها سوق الليل، فقد ذكر العبدلي[5] وجود أرض تعرف بالزريعي وبقربها آثار عمران يعرف بسوق الليل، والظاهر أنها من آثار آل زريع أمراء لحج.
ويبدو أن هنالك أسواقاً متخصصة في عدن لكننا لا نعرف تاريخ تأسيسها ومن أسسها، وفي أغلب الظن، أنها أسست في عدن خلال عهدي بني زريع والأيوبيين منها: سوق الخزف[6]، وأسواق الخضرة والرطب واللحم والجواري والدواب[7]، مما يدل على ازدياد الحركة التجارية وتنوعها مما أدى إلى نشأة الأسواق المتخصصة.

وبنى الزنجيلي أيضاً خان البز بعدن، وكان سوقاً[8]، وقد جعله الزنجيلي وقفاً على مسجده المعروف باسمه يصرف منه على المسجد ما يحتاج وما زاد على ذلك كان يصرف

---

[1] لقمان. تاريخ عدن ص ٦٥.
[2] سماها ابن المجاور بهذه التسمية. المستبصر ص ١٣٠، وجدد المعتمد التكريتي أمير عدن بناء القيصارية التي بناها الزنجيلي في عدن. لقمان. تاريخ عدن ص ٧٤.
[3] إبن المجاور. المستبصر ص ١٣٠، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٠، ١٥، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٦، اباظة. عدن ص ٢٨، مجهول. قلائد الجمن ص ٨٣، ٨٧، ٩٦.
[4] تاريخ عدن ص ٦٦، وقد شيد حكام اليمن من الأيوبيين فنادق وقيصريات رائعة (الفندق في ذلك الزمان الخان، والقيصرية بازار). التاريخ الاقتصادي ص ٥٣.
[5] هدية الزمن. ص ٩، وذكر أن أرض الزريعي تقع في أعالي عبر الثعلب.
[6] إبن المجاور. المستبصر ص ١٣٢.
[7] نفسه ص ١٤٨.
[8] ذكر حمزة لقمان أن الزنجيلي، وقف على المسجد: الخان (السوق) الذي كان في عدن. تاريخ عدن ص ٢٦٧.

على المسجد الحرام بمكة[1]، كما اشترى الزنجيلي كثيراً من العقار والدكاكين والدور بعدن ووقفها على المسجد الحرام بمكة[2].

ومن أعمال الزنجيلي بعدن ذات المساس بالحياة الاقتصادية بناء الفرضة وهي أشبه بالجمرك حالياً، وكانت تقع مقابل دار السعادة بعدن[3]، وقد جعل الزنجيلي لها بابين: باب إلى الساحل تدخل منه البضائع لإجراء دفع الرسوم عليها، وباب إلى المدينة تخرج منه البضائع بعد دفع الرسوم المفروضة عليها[4].

وقد جدد الأمير عثمان الزنجيلي أسوار مدينة عدن التي بنيت في عهد بني زريع، فبنى سوراً دائراً من جبل المنظر إلى آخر جبل العر وركب عليه باب حقات، وكان هذا السور قد بني في أيام بني زريع ثم هدمته أمواج حقات القوية[5]، وأدارَ سوراً ثانياً على جبل الخضراء ابتدأ من حصن الخضراء إلى حصن التعكسر على رؤوس الجبال، وأدار سوراً ثالثاً على الساحل من سفح جبل الخضراء إلى جبل حقات، وقد ركب فيه ستة أبواب: باب الصباغة[6] وباب حومة وباب السيلة[7] وهما اللذان يخرج منهما السيل إذا نزل المطر في عدن، ثم عرف باب السيلة فيما بعد باسم: باب مكسور، لأن السيل كان يكسره في كل دفعة[8]، والباب الرابع هو باب الفرضة ومنه تدخل البضائع وتخرج، وباب مشرف كان مفتوحاً للداخل والخارج، ثم عرف فيما بعد باسم: باب الساحل[9]، والباب السادس هو: باب حيق[10]، ثم عرف باسم: باب السر[11]، لأنه كان لا يفتح إلا في الأمور المهمة[12]، ويقع

---

[1] أنظر: عن بناء الزنجيلي خان البز في عدن: الجندي. السلوك ج ٣ و ١١٦ أ، الخزرجي. كفاية و ٧٧ أ، الديبع. قرة العيون ١/ ٣٨٥ (ويسميه: خان البر)، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٣١، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٦٧ وذكرا فقط الخان دون تسميته: خان البز.

[2] الخزرجي. كفاية و ٧٧ أ.

[3] وهذه الفرضة إلى يومنا هذا هي على شق جبل صيرة من جهة الغرب ويعرف المكان الآن بـ: أبو علي. قلائد الجمن ص ٨٧، وكانت الفرضة على ناحية من جبل صيرة غرباً. نفسه ص ٩٦.

[4] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٠، ١٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٦، اباظة. عدن ص ٢٨، مجهول. قلائد الجمن ص ٨٣، ٨٧، ٩٦.

[5] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٥، اباظة. عدن ص ٢٧.

[6] عند ابن المجاور: الصناعة. المستبصر ص ١٢٨.

[7] عند ابن المجاور: السكة. نفسه.

[8] يبدو أن هذه التسمية متأخرة، فقد ذكرها أبو مخرمة في القرن العاشر الهجري. ثغر عدن ١/ ١٤، كما سماه العبدلي: باب السائلة. هدية الزمن ص ٢١.

[9] ذكر أبو مخرمة تسميته في عهده. ثغر عدن ١/ ١٤.

[10] يرد باسم: باب حبق. لقمان. تاريخ عدن ص ٦٦.

[11] تسميته متأخرة. ثغر عدن ١/ ١٤؛ ويضيف ابن المجاور لهذه الأبواب: باب البر. المستبصر ص ١٢٨، ونعتقد أنها الباب القديمة التي كانت مدخلاً للطريق البري إلى مدينة عدن كما ذكرنا ذلك في الفصل الأول.

[12] أنظر عن هذه الأسوار: ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٤، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٦، ٢٥٦، اباظة. عدن ص ٢٧ – ٨، مجهول. قلائد الجمن ص ٨١ – ٢.

هذا الباب قرب الجبل المعروف بجبل النوبة[1]، وقد بنى الزنجيلي سور عدن بالحجر والجص[2].

كان من أسباب بناء هذه الأسوار أن الزنجيلي أراد حماية عدن من الغزو الخارجي سواء كان بحرياً أو برياً، لذلك جدد وقوىّ السور الذي بناه بنو زريع والممتد من جبل الخضراء إلى جبل حقات بعدما هدمته أمواج حقات العاتية[3]، ويضاف إلى ذلك أن أهمية عدن التجارية اجتذبت انتباه حكام اليمن باستمرار، فازداد اهتمامهم بها وبإصلاح مينائها[4]، وكان تحصينها بالأسوار المتعددة مظهراً من مظاهر ذلك الاهتمام أيام إمارة الزنجيلي عليها، ولاشك أن أعماله تلك توضح لنا أنه كان ذا نظرة اقتصادية بعيدة، وأن الدولة الأيوبية استطاعت أن تحقق الاستقرار في اليمن عامة وفي عدن خاصة، مما مكنها من القيام بالاصطلاحات العديدة واستثمار الأموال الواردة من التجارة.

على أن نهاية إمارة الزنجيلي على عدن كانت نهاية محزنة، فقد هرب بعدد من السفن التي جمع فيها بضائع كثيرة وأموال لا تحصى كثرة، بسبب طول مدة إمارته على عدن، وقد استصحب معه الخف النفيس والأموال الثمينة التي هرّبها بطريق البحر، إلا أنها تسلم من قبض السلطان طغتكين عليها بعد ملاحقة سفنه لها ماعدا السفينة التي استقلها الزنجيلي[5]، ووصف لنا إبن جبير[6] – الذي شهد وصوله إلى مكة – حاله وسيرته، بأنها كانت متسعة بسبب سيطرته على التجارة، وحصوله على الأموال الطائلة منها أثناء مدة إمارته الطويلة على عدن، ونستدل مما ذكره إبن جبير أن الزنجيلي كان يمارس التجارة ويشرف عليها وتمكن من جمع الأموال والذخائر والتحف الكثيرة عنده.

بعد هروب الزنجيلي أمير عدن، استولى السلطان سيف الإسلام طغتكين على معظم بلاد اليمن ، ومنها عدن، وكان رجلاً سياسياً وإدارياً حازماً، فقد ذكر المؤرخون[7] بأنه: قرر قواعد الدولة الأيوبية في اليمن، وأسس الضرائب وقنن القوانين، وجدد عمارة الكثير من الحصون.

من إصلاحات السلطان طغتكين الاقتصادية أنه بنى قيصارية جديدة للعطارين في عدن جميعها دكاكين[8]، ولها باب يغلق في الليل، ويدلنا هذا البناء على تطور حضاري واهتمام

---

[1] أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٥، قلائد الجمن ص ٨٣.

[2] ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٧.

[3] لقمان. تاريخ عدن ص ٦٥.

[4] اباظة. عدن ص ٢٧.

[5] ذكرنا تفاصيل هرب الزنجيلي في الفصل الرابع.

[6] الرحلة ص ١٣٢ – ٣.

[7] ابن حاتم. السمط الغالي ص ٣٩، الخزرجي. كفاية و ٨٢ أ، الديبع. قرة العيون ص ٣٩٥، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٠٣، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٠، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٤٢.

[8] أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢٢٣.

كبير من قبل الدولة الأيوبية بالمؤسسات الاقتصادية وحمايتها من السراق ليلاً، وهذا النظام متبع الآن في المدن الكبيرة والمراكز الاقتصادية المهمة.

كان السلطان طغتكين ذا نظرة اقتصادية احتكارية، ففي رواية[1] أنه جمع الأموال الطائلة لأنه كان يضيق على التجار بالبيع والشراء، وذكر المؤرخون[2] أنه عزم على شراء جميع أراضي اليمن والسيطرة عليها وجعلها ملكاً للدولة تؤجرها للمزارعين، وبالفعل ندب المثمنين لتقدير قيمة الأراضي، ولكن مشروعه توقف ولم ينفذ، لأن المنية عاجلته.

وفي عهد السلطان طغتكين كانت هنالك علاقات تجارية بين عدن وحضرموت والشحر، وقد وصف تجار حضرموت والشحر بخشونة طبائعهم وعدم تعاونهم مع موظفي الجمرك في ميناء عدن مما أدى إلى تأخرهم وعدم تدوين أسمائهم في الدفاتر، روى ابن المجاور[3] أن موظفي الجمرك كانوا يسألون أولئك التجار عن أسمائهم لغرض تسجيلها في سجلاتهم، فيجيبونهم بأسماء سيئة أمثال: (أبا حجر، أبا خرى، أبا كوة، أبا فسوة أبا شعرة)، فرفض الموظفون تسجيلها وقد تمت المعاملات الخاصة بأقمشة وبضائع التجار عدا بضائع الحضارم بقيت في الميناء تداس تحت أرجل الناس، ولما طال بقاؤها مدة طويلة اشتكوا عند السلطان طغتكين الذي احضر موظفي الجمرك وسألهم عن سبب تأخير الحضارم فأخبروه بأنهم لا يسجلون أسمائهم في سجلات الميناء لأنها "دونة"، لذلك تركهم السلطان وشأنهم وأعفاهم من العشور، بسبب كره موظفي الجمرك تسجيل اسمائهم مما يتعذر معه أخذ العشور منهم دون تسجيلها.

إن هذه الرواية توضح لنا وجود علاقات متوترة بين أهل عدن والحضارم، ولعل ذلك يرجع إلى تعرض حضرموت لحملات عسكرية تمكنت من إخضاعها بالقوة في عهد عثمان الزنجيلي أمير عدن[4]، ثم أخضعها السلطان طغتكين، وهذا التصرف من قبل تجار الحضارم يعكس لنا عدم رضاهم على الخضوع والتبعية لسلطة عدن وميلهم نحو الاستقلال، ونستدل من هذه الرواية أيضاً على استعمال السجلات لتدوين أسماء التجار في ميناء عدن وتقدير العشور المفروضة على البضائع العائدة لكل منهم ومن ثم تثبيتها أمام أسمائهم في سجلات الجمارك.

بعد وفاة السلطان طغتكين سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م، تولى الحكم بعده ولده المعز إسماعيل[5]، وقد قام الأخير بإنشاء بناية في عدن جميعها دكاكين وقيصارية جديدة

---

[1] ابن الوردي. تتمة المختصر ٢/ ١٦٢.

[2] الديبع. قرة العيون ص ٣٩٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ١٠٤، الحداد. تاريخ اليمن ص ٢٤٢، وقد ذكرنا ذلك في الفصل الرابع.

[3] المستبصر ص ٢٥٤.

[4] راجع الفصل الرابع.

[5] راجع الفصل الرابع بهذا الخصوص.

للعطارين، وجدد المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي أمير عدن[١] بنـاء الدكـاكين والقيصارية[٢]، كما قام بإصلاحات عديدة، منها أنه أمر في سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م بقتـل الكلاب في عدن، فقتل في يوم واحد خمسة وعشرون كلباً، وهرب البـاقون إلـى رؤوس الجبال وبطون الأدوية[٣].

ومن أعمال المعتمد التكريتي في عدن بناء الحمام المعروف بـ "حمام حسـين"[٤] فـي ساحل حقات، وألحَقَ به حديقة للفيلة[٥]، كما عمرَ هناك مسجداً ضخماً[٦]، وفـي خـبر[٧] أن المتعمد ربما هو الذي بنى حمامات حسين[٨] حوالي سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، وليس هنـاك من يشير إلى شخصية حسين الذي عرفت الحمامات باسمه، ولعله كان بانيها أو المشـرف عليها، وفي اعتقادنا أن المتعمد بنى حماماً باسمه، ذكر إبن المجـاور[٩] حمـام المعتمـد التكريتي في عدن[١٠] والجامع الذي بني بجانبه وكذلك مربط الفيلة، وكـان بنـاء الجـامع والمربط سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، وهذا يؤكد لنا أن حمام المعتمد هو نفسه حمام حسـين المذكور آنفاً، ويبدو أن المعتمد حفر بئراً قرب حمامه للإفادة منه في الإغتسال، فقد ذكـر ابن المجاور[١١] بئر الحمام التي حفرها الأمير محمد بن علي التكريتي وهـو مـن الآبـار العذبة في عدن[١٢].

---

[١] تولى إمارة عدن بعد عزل ابن عين الزمان حوالي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، واستمر أميراً على عدن في عهد الملك المسعود الأيوبي. راجع للتفصيل الفصل الرابع.

[٢] ابن المجاور. المستبصر ص ١٣٠، وكان تجديد البناء في عهد الملك المسعود الأيوبـي، وفـي خـبر أن المعتمد جدد القيصارية التي بناها الزنجيلي في عدن. لقمان. تاريخ عدن ص ٧٤.

[٣] ابن المجاور. المستبصر ص ١٣٧، أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٢٢٣.

[٤] ابن المجاور. المستبصر ص١٣٠.

[٥] ذكر ابن المجاور بئر الأفيلة من الآبار المالحة بعدن وقد حفرت سنة ٦٢٠هـ. المستبصر ص ١٣٢.

[٦] لقمان. تاريخ عدن ص ٧٤.

[٧] نفسه ص ٧٤ – ٧٥.

[٨] التسمية لحمزة لقمان، ونقل لنا وصفاً لها على لسان المسيودي مرفيه قائد البعثة الفرنسية التي أرسلتها شـركة تجارية فرنسية سنة ١٧٠٨م، إذ يقول: "بين العمارات البارزة نجد حمامات رائعة منقوشة ومخططـة بـالبلور والمرمر والحجارة الملونة بالأخضر والأحمر والأزرق. والحمامات من الداخـل مزينـة بشـرفات تسـندها دعامات رائعة المنظر، وتنقسم إلى جزأين: أحدهما مغاسل وثانيهما غرف مسقوفة بالعقود". تاريخ عـدن ص ٧٤ – ٥.

[٩] المستبصر ص ١١٨.

[١٠] ذكر أبو مخرمة أن المعتمد كان له حمام مشهور بعدن. ثغر عدن ٢/ ٢٢٣.

[١١] المستبصر ص ١٣١.

[١٢] أنظر عن آبار عدن الحلوة والمالحة القديمة والجديدة التي حفرت فـي العـهد الأيوبـي: ابـن المجـاور. المستبصر ص ١٣١ – ٤.

لم يكن عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين قد شهد تطورات مهمة في المجال الاقتصادي خاصة، ولعل ذلك يرجع إلى عدم الاستقرار الذي شهده عهده والذي استمر زهاء خمس سنوات انتهى بمقتله بمدينة زبيد سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م[١]، ولعل نائبه بعدن الأمير المعتمد محمد بن علي التكريتي قد وجه عناية خاصة بالإصلاحات العمرانية والاقتصادية.

تولى الحكم بعد مقتل المعز أخوه الملك الناصر أيوب بن طغتكين وكان صغيراً فقام بالأمر نيابة عنه مربيهِ الاتابك سيف الدين سنقر، وكان سنقر قد زار عدن واجتمع بأميرها المعتمد التكريتي الذي قدم له نبيذاً أعجبه كان قد صنع بعدن[٢]، كما قام الاتابك سنقر بشراء نصف المملاح[٣] بعدن من أهله بألف دينار، بعد أن أجبرهم على ذلك أي أنه اشتراه منهم بالإكراه، ولذلك كان عمله هذا يعد إثماً كبيراً ويضرب مثلاً بالظلم فيقال: " ما ظلم أحد غير أهل المملاح"[٤]، وقد ضمن المملاح في أواخر العهد الأيوبي وكان من ممتلكات السلطان المسعود[٥].

شهد عهد الاتابك سنقر استخدام الشواني لحماية التجارة ومقاومة المتمردين والخارجين على السلطة، وكان استخدامها قد جرى من أجل السيطرة على جزيرة سقطرة[٦]، روى إبن المجاور[٧] أن سيف الإسلام (والأصح سيف الدين سنقر مولى إسماعيل بن طغتكين)[٨] جهز خمس شواني للاستيلاء على الجزيرة، لكنهم لما اقتربوا منها انطمست معالمها عن الأعين وصار رجال الحملة في حيرة من أمرهم بين صعود وانحدار وطلوع ونزول ليلاً ونهاراً أياماً وليالي فلم يجدوا للجزيرة أثراً ولا وقعوا لها على خبر فعادوا خائبين. ويجعل إبن المجاور هذه الرواية مثالاً على تمرس سكان الجزيرة بالسحر فقد وصفهم بأنهم: قوم نصارى سحرة.

---

[١] راجع بخصوص ذلك الفصل الرابع.

[٢] ابن المجاور. المستبصر ص ١٣١، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٥، راجع موضوع الصناعة بعدن.

[٣] المملاح من أعمال عدن، وهو مكان يجمد فيه الملح. ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٨.

[٤] ذكرنا هذا الموضوع عند دراستنا لعهد الاتابك سنقر في الفصل الرابع، أنظر أيضاً: ابن المجاور. المستبصر ص ٩٢، ١٤٨، الخزرجي. كفاية و ٨٢ أ، ويقول: " ولا نعرف لسنقر مَظلمة إلا لأهل المملاح بعدن ولأهل النخل بوادي زبيد وغيره". أنظر: أبو مخرمة. ثغر عدن ٢/ ٩٨، لقمان. تاريخ عدن ص ٧٢.

[٥] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٨.

[٦] سقطرة: اسم جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدة قرى ومدن، وهي أكبر الجزر العربية في خليج عدن وبحر العرب، وهي إلى بر العرب أقرب منها إلى بر الهند، وأكثر أهلها نصارى عرب، وقد كتبوا في كتبهم عن الجزيرة أي سقطرى: الجزيرة المحروسة بأرض العرب، وهي ذات نخل وبساتين وزروع كالذرة والحنطة وبها إبل وبقر ومياهها سائحة على وجه الأرض، ويوجد في سواحلها العنبر الكثير، وتشتهر بالصبر وهو شجر يعرف بشجر الصبر السقطري ودم الأخوين وهو صمغ شجر لا يوجد إلا في هذه الجزيرة ويسمونه القاطر وهو صنفان. أنظر عن هذه الجزيرة: الحموي. معجم البلدان ٣/ ٢٢٧، إبن المجاور. المستبصر ص ٢٦٦ – ٧، لقمان. تاريخ الجزر اليمنية ص ٣٥ فما بعد.

[٧] المستبصر ص ٢٦٦ – ٧.

[٨] الكلام لإبن المجاور نفسه.

تحتوي هذه الرواية التي انفرد بها إبن المجاور على مبالغة وخيال كبيرين، إذ لا يعقل أن تختفي جزيرة بكاملها بتأثير السحر، لكن ربما ضل رجال الشواني الطريق ولم يتمكنوا من تحديد موقع الجزيرة، ولعل ذلك يرجع إلى عوامل وظروف مناخية تتعلق بتأثير الرياح وتغير مسارها، ولا يوضح لنا إبن المجاور أيضاً مغزى هذه المحاولة لإخضاع سقطرة أو الأسباب الكامنة وراءها، ونرجح أن ذلك يرجع إلى وجود السراق والقراصنة في سقطرة التي كانت من أوكارهم، ويعترضون المراكب التجارية في المحيط الهندي وأغلب هؤلاء القراصنة من الهنود الذين جعلوا المحيط الهندي والبحر العربي مناطق محفوفة بالمخاطر[1].

كان الاتابك سنقر يستخدم الشواني لمحاربة السراق الذين يعترضون المراكب التجارية القادمة من الهند، روى ابن حاتم[2] أن الاتابك سنقر جهز الشواني سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م مرة ثانية، لمطاردة السراق الذين سببوا انقطاع مراكب الهند مدة سنة وقد وصلت شواني الاتابك إلى قلهات[3] وإلى كل مكان وهرب اللصوص من البحر، ولم يفعل هذا أحد من الأيوبيين قبله.

إن هذه الرواية توضح لنا أهمية العلاقات التجارية بين اليمن وأقطار المحيط الهندي، فانقطاع وصول مراكب الهند مدة سنة يعني خسارة فادحة للدولة الأيوبية التي كانت تحصل على عشور كثيرة من تلك الطريق، وربما قصد إبن حاتم أن الاتابك سنقر جهز الشواني مرة ثانية أي بعد تجهيزها في المرة الأولى ضد جزيرة سقطرة التي كانت وكراً للقراصنة الهنود، ولا شك أن عمله هذا يعد إنجازاً عظيماً لدعم التجارة الخارجية والقضاء على القراصنة البحريين.

ولأجل إيضاح جوانب الحياة الاقتصادية الأخرى ذات العلاقة بالتجارة الداخلية في عدن، لابد لنا من تقديم صورة موجزة عن الصناعة في عدن والمناطق القريبة منها، والتي أسهمت مع بقية مجالات النشاط الاقتصادي في استمرار الحركة التجارية في عدن.

توفرت في اليمن كثير من المواد الأولية للصناعة في مراحل مبكرة من التاريخ، فقامت عدة صناعات فيها قبل الإسلام وبعده، ومن تلك المواد معادن العقيق والجزع والحديد الذي وجد بكميات كبيرة في عدن، حتى سمي أحد جبالها بجبل الحديد[4]، كما وجدت مادة الحديد في أرض وادعة بين صعدة والحجاز[5]، وبسبب وفرة الثروات المعدنية

---

[1] إبن المجاور. المستبصر ص ٢٦٨، حوراني. العرب والملاحة ص ٢١٠، ٢٢٧، ٢٣٠.

[2] السمط الغالي ص ١٣١.

[3] قلهات: بالفتح ثم السكون وآخره تاء، وهي مدينة بعُمان على ساحل البحر ترفأ إليها أكثر سفن الهند، وهي فرضة تلك البلاد وقد تمصرت بعد سنة خمسمائة وهي لصاحب هرمز، وكانت عامرة آهلة لكنها ليست قديمة بالعمارة، وأهلها كلهم خوارج اباضية. الحموي معجم ٤/ ٣٩٣.

[4] ذكرنا ذلك في الفصل الأول عند كلامنا عن جبال عدن، ومنها جبل الحديد.

[5] الآلوسي. بلوغ الأرب ١/ ٢٠٤ (نقلا عن كتاب نشر المحاسن اليمانية).

فقد ازدهرت صناعة الخرز والفصوص من العقيق والجزع والذهب في صنعاء وظفار، كما انتشرت صناعة الأواني والأطباق ونِصال السكاكين والخزف والفخار وكذلك صناعة الأسلحة[1].

إن علاقة عدن بصناعات اليمن إنما هي علاقة تجارية، فقد ذكرنا أن مدينة زبيد قد اشتهرت بصناعة الأنسجة، فكانت تصدر الفائض بعد الاستهلاك المحلي، فقد صدرت إلى عدن خلال العهد الأيوبي البرود والبيرم والسباعيات والملايا وشقق الحرير والفوط[2]، وأورد إبن المجاور[3] معلومات قيمة عن التبادل التجاري بين زبيد وعدن، وأوضح مقدار العشور التجارية المفروضة على تلك الصناعات.

وبرغم أن عدن اشتهرت بالتجارة، ومارست دور الوسيط في التبادل التجاري داخل اليمن وخارجه، فقد قام فيها عدد محدود من الصناعات، وهي:

أ- العطور:

أخذت صناعة العطور والطيب في عدن مكان الصدارة، فقد اشتهرت بها شهرة واسعة، وقد وصف المرزوقي[4] تلك الصناعة ومهارة أهل عدن بها فقال: "وكان طيب الخلق جميعاً بها يعبأ، ولم يكن أحد يحسن صنعه من غير العرب، حتى أن تجار البحر لترجع بالطيب المعمول تفخر به في السند والهند وترتحل به تجار البر إلى فارس والروم..."[5]، وهذا النص يوضح لنا شهرة أهل عدن وتخصصهم بصناعة الطيب، وتصديره إلى بلاد فارس والروم والهند والسند، فطفقت شهرته الآفاق، وفي ذلك دلالة على حذق وذكاء أهل عدن الذين تخصصوا بتلك الصناعة.

---

[1] د. نزار الحديثي. أهل اليمن ص ٤١ – ٤٣.

[2] للتفصيل أنظر: الحبشي. جوانب، الكلمة ص ١٠١ – ٤.

[3] المستبصر ص١٤١، وعن صناعة الأنسجة في زبيد، راجع ص٨٩ منه.

[4] الأزمنة والأمكنة ٢/ ١٦٤.

[5] أنظر هذا النص – مع بعض الاختلافات:
د. جواد علي. المفصل ٧/ ٣٥٧، الأفغاني. أسواق العرب ص ٢٦٩، د. نزار الحديثي. أهل اليمن ص ٤٣، ونقل الحبشي عن المرزوقي وصفاً لطيب عدن، وهذا نصه: "يقول المرزوقي لم يكن أحد من العرب يحسن صنعة العطور غير أهل عدن وقد اشتهروا بصناعته حتى أن الطيب الذي يستعمله كل الناس كان يصنع بها ويجلب منها إلى سائر بلدان الهند وفارس والروم وينقل في البحر والبر". جوانب. الكلمة هامش ص ١١٩.

وصفت سوق عدن بأنها من أسواق العرب القديمة المشهورة ببيع الطيب، فكان التجار يشترونه من تلك السوق، وقد وصف أبو حيان التوحيدي[1] طيب عدن بأنـــه مـن أجـود الأنواع، وأن أهل عدن من أحذق صناعهِ.

وذكر ابن المجاور[2] أن رجال عدن كانوا يمارسون مهنة بيع العطور، ولعل ذلك كـان في دكاكين متخصصة بها أو أن لها سوقاً خاصاً بالعطور، وذكر أيضاً أن رجال عدن كانوا يبيعون القنبار[3]، ولعل هذه الصناعة كانت تستعمل لأغراض منزليـــة كـالفرش أو عمـل الحبال التي تستعمل في ربط أجزاء السفن بعضها ببعض.

ب- النبيذ:

عرفت صناعة النبيذ في عدن، ففي رواية[4] أنه كان ينقل ماء بئر زعفران[5] إلى معظـم أنحاء اليمن، وفي عهد المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي أمـير عـدن زارهـا الاتابك سيف الدين سنقر مولى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين[6] متفقداً أحوالها، فأقام له المعتمد وليمة قدم له فيها نوعاً من النبيذ الزكي الرائحة فأعجبه طعمه، وسأله عن كيفيـة صناعته، فاخبره المعتمد بأنه يصنع من ماء بئر زعفران، ولما يخرج الماء مـن البـئر تضاف إليه مادة الكاذي[7] التي تعمل على تخمره بعد أن يترك في الشمس فيصبـح نبيـذاً

[1] الإمتاع والمؤانسة ١/ ٨٤، وقد وصف لنا سوق عدن، وشهرتها بصناعة الطيب، إذ يقول: "... ثم يرتحلـون فينزلون عدن أبين، ومن سوق عدن تشترى اللطائم وأنواع الطيب، ولم يكن في الأرض أكثر طيباً، ولا احـذق صناعاً للطيب من عدن". أنظر بهذا المعنى: القلقشندي. صبح ١/ ٤١١.

[2] المستبصر ص ١٣٧.

[3] انفرد ابن المجاور بذكر بيع رجال عدن للعطور والقنبار، ولعل الأخير كان يستورد من خارج اليمن ويبـاع في عدن.

[4] ابن المجاور. المستبصر ص١٣١.

[5] من الآبار العذبة في مدينة عدن. المستبصر ص ١٣١.

[6] تولى المعتمد التكريتي إمارة عدن منذ عهد طغتكين، وتولى سنقر نيابة الأيوبيين عن اليمن، راجـع الفصـل الرابع.

[7] ورد عند ابن المجاور: داذي، وسماه حمزة لقمان. الكادي. تاريخ عدن ص ٧٥، والصواب هـو الكـاذي، وشجر الكاذي هو شجر يطلع في ناحية مسجد معاذ بن جبل يشبه النخل، وهو ورد على هيئة الصـبرة التـي تزرع في العراق والهند، لكن ذلك الورق رقيق أشبه بخوص النخل ذات شوك خشن لم ينعقـد ورده إلا مـن برق البرق فإذ برق البرق طلع منه كثير بالمرة وإن لم يكن البرق لم يكن منه شيئ، ويقال أن الكاذي يـتربى من البرق.

أما ورد الكاذي فلم يكن في سائر المشمومات الذ منه رائحة ولا أطيب منه وماؤه بارد يابس ينفع لمـن هـو محرور رطب. ابن المجاور. المستبصر ص ٨١ – ٨٢.

والكاذي كثير في اليمن، معروف بها، ويطيب به الدهن، ينقع فيه، ويزيد يوماً فيوماً حتـى تطيـب رائحتـه، ويأخذ قوته، وله منافع طبية عديدة. المظفر. المعتمد ص ٤٠٧، وورق الكاذي هو الخـوص يشـبه خـوص النخيل. الدينوري. كتاب النبات ص ١٥٣.

دون الحاجة إلى إضافة العسل أو أي مادة أخرى له، وهذا يعني أن ذلك النبيذ لا يصنع من الكروم كما كان سائداً في أنحاء أخرى، وإنما فقط من إضافة مادة الكاذي لماء بئر زعفران، وكان ماء ذلك البئر ينقل إلى مدن اليمن الأخرى كالجند وصنعاء وزبيد في زمزميات مختومة لعمل النبيذ منه[1]، لكن ذلك الماء تغير بمرور الزمن، فقد علته الملوحة بعد أن كان عذباً فراتاً، وصار مخلوطاً بالتراب ففقد قيمته[2].

ومما يدل على معرفة أهل عدن لصناعة النبيذ ما رواه إبن المجاور[3] من أن أكثر أعمال نساء عدن صنع الفقاع[4]، وهي مواد تحضيرية لصناعة الخمر، وكان لمناخ عدن وهواءها أثر كبير في نمو تلك الصناعة، وقد أوضح ذلك إبن المجاور[5] بقوله: "هواءه كرب يقطع خل الخمر في مدة عشرة أيام"، وفي كلامه هذا دليل واضح على رواج صناعة خل الخمر ومتعلقاته كالنبيذ في عدن، يضاف إلى ذلك أن بلاد اليمن قد اشتهرت في القديم بزراعة الكروم وصناعة النبيذ وزراعة الزيتون واستخراج الزيت[6]، ولاشك أن تلك المواد الزراعية تدخل في صناعة النبيذ وخل الخمر.

ويبدو أن انتشار صناعة النبيذ في عدن أدى إلى تدخل الدولة الأيوبية وإشرافها، فقد ورد ذكر دار النبيذ في عدن، وانها كانت تضمن من قبل الدولة، وارتبط بتلك الدار أن ضامنها كان يدفع العشور على مادة العولى السندابوري[7] التي يبدو أنها من المواد ذات العلاقة بصناعة النبيذ، وكانت تستورد من الهند إلى عدن، وهذا يدلنا على أن تلك الصناعة كانت من السعة والانتشار في عدن إلى حد أدى بالدولة إلى إنشاء مؤسسة

---

[1] يقول إبن المجاور" "والأصح ماء الترب". المستبصر ص ١٣١.

[2] عن صناعة النبيذ وزيارة سنقر لعدن. أنظر: لقمان. تاريخ عدن ص ٧٥.

[3] المستبصر ص ١٣٧.

[4] ورد مصفحاً: القفاع، والصواب ما ذكرناه أعلاه، وكان الفقاع يعمل من الشعير والخلط المتولد منه رديء يكون عفناً وهو يدر البول ويضر الكلى، وهناك نوع من الفقاع يعمل من دقيق الشعير والفلفل والسنبل والقرنفل والسذاب والكرفس يولد خلطاً رديئاً ونفخاً في المعدة ويضر بالعصب لكنه نافع جداً من الجذام، ونوع منه يعمل من الكرفس والخبز والنعناع وهو مفيد للمحرورين، ومن أنواع الفقاع ما يعمل من العسل والسكر، ووقت شرب أصناف الفقاع كله على الريق وأن يؤخر الطعام لأنه يعفنه في المعدة، وهنالك أصناف متعددة للفقاع ومقادير خاصة لعمله بخلط مواد عديدة. للتفصيل أنظر: إبن البيطار، عبدالله بن أحمد المالقي. الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٣، (القاهرة، ١٢٩١هـ)، ص ١٦٤ - ٥، المظفر. المعتمد ص ٣٦٥ - ٦.

[5] المستبصر ص ١٣٠.

[6] أيوب، محمد السيد (المهندس). جوانب من الاقتصاد اليمني، المحاضرات العامة للجمعية الجغرافية المصرية للموسم الثقافي، ١٩٦٣م، ص ٤.

[7] درسنا تلك المادة في موضوع العشور التجارية في الفصل السابق، للإطلاع على دار النبيذ في عدن وضمانها أنظر: إبن المجاور. المستبصر ص ١٤١.

خاصة بها تشرف عليها، وكان في زبيد أيضاً دار للنبيذ تضمن لصالح الدولة[1]، وكانت تلك الدور أشبه بمصانع محلية يدوية صغيرة.

ت- الزجاج والخزف:

هنالك صناعات انتشرت في بعض القرى المحيطة بعدن والقريبة منها، فقد اشتهرت قرية لخبه[2] بوجود مواد الآجر والزجاج، وهما مادتان تدخلان في البناء، وقد قامت فيها دار لصناعة المادتين المذكورتين، وكانت تنقل منها إلى عدن تلك المادتان لاستغلالهما في أعمال البناء[3].

وهنالك آثار لمدن وقرى دارسة في مخلاف لحج لا نعرف عنها شيئاً تدعى: المجاهيل، وفي آثارها دلالة على انتشار صناعتي الخزف والزجاج بين عدد كبير من سكانها[4]، وكان في السيلة[5] دار للزجاج، وآثار ذلك ظاهرة إلى الآن[6].

انتشرت صناعة الخزف في عدن، فقد ذكر إبن المجاور[7] أن أحد آبار عدن سمي: بئر سوق الخزف، ونستنتج من هذه التسمية أن ذلك البئر كان قريباً من سوق خاص ببيع الخزف، أو في نفس المحلة التي يقع عندها ذلك السوق، مما يؤكد أن تلك الصناعة كانت من الانتشار بحيث استدعت تخصيص سوق خاص بها، وكانت المواد الأولية لتلك الصناعة متوفرة في جبال عدن والأراضي القريبة منها، وهي صناعة محلية يدوية مارسها السكان.

إن المعلومات المتوفرة عن صناعات الخزف والزجاج في عدن والمناطق القريبة منها قليلة، وحبذا لو وجدنا مادة أوفر عن تلك الصناعات تستحق دراسة أوسع، سيما وان آثار تلك الصناعات أخذت تجذب انتباه الآثاريين اليوم.

---

[1] ذكر إبن المجاور وجود دار للنبيذ في زبيد وكان ضمانها السنوي أثنا عشر ألف دينار. المستبصر ص ٩٠، وعرفت صناعة النبيذ بزبيد وكان يسمى: الفضيخ يُعمل من التمر والبرُ والرطب يتم عمله في يوم وليلة وتشربه النساء مع الرجال، وأول من عمله رجل من أهل الشام، ويحصل منه كل عام تسعين ألف دينار. المستبصر ص ٧٩.

[2] قرية بناها الأمير عثمان الزنجيلي أمير عدن، وتسمى اليوم: بير أحمد. راجع عنها الفصل الأول.

[3] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٨، أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ٢٢، العبدلي. هدية الزمن ص ٨، لقمان. تاريخ عدن ص ٦٦ – ٧، ٢٤٩، مجهول. قلائد الجمن ص ٩٤ وذكر أن الياجور والزجاج كانا ينقلان منها إلى عدن.

[4] العبدلي. هدية الزمن ص ٩.

[5] من قرى لحج راجع الفصل الأول عنها.

[6] هدية الزمن ص ٨، وذكر أن في السيلة معملة للزجاج.

[7] المستبصر ص ١٣٢.

٣-علاقات عدن التجارية الخارجية:

لأجل إكمال الصورة لنشاط عدن الاقتصادي لابد من إيضاح الوجه الآخر لذلك النشاط والمتمثل بالعلاقات التجارية الخارجية بين عدن وأجزاء عديدة من العالم، وكانت عدن ذات حركة تجارية نشطة مع العالم، إذ لا يمر أسبوع إلا وتصلها عدة مراكب مع التجار الذين يحملون شتى البضائع، وكان لوصول المراكب وإقلاعها مواسم معروفة، وإذا أراد قائد المركب، ويسمى: (الناخوذة)، السفر إلى جهة ما، فإنه يرفع علماً بسارية مرتفعة، فيعرف التجار بسفره ويسارعوا لنقل بضائعهم، فتقوم حركة نشطة وسريعة للسفر ونقل البضائع، وتقام الأسواق على شاطئ البحر، ويخرج أهل عدن وأطفالهم للتفرج عليها[١].

إن هذه الوصف يعطينا صورة واضحة لنشاط ميناء عدن في المجال التجاري الخارجي، والذي سيكون موضع دراستنا في الصفحات التالية، وقد كان لموقع عدن المهم على البحر ومرساها العظيم أثره في توثيق صلاتها التجارية مع العالم الخارجي، إذ ارتبطت بعلاقات مع الصين والشرق الأقصى وشرق أفريقيا (الحبشة) ومصر والهند.

لقد ذكرنا أن المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين أفاضوا في إيضاح أهمية ميناء عدن وموقعها على طرق المواصلات العالمية، وما نجم عن ذلك الموقع من أهمية كبرى، فوصفوها بأنها فرضة الهند والزنج والحبشة وعمان وكرمان وكيش وفارس[٢]، وتمر بها مراكب الهند ومصر والحجاز والحبشة منذ القديم للحط والإقلاع[٣]، كما كان ميناء عدن مركزاً لتبادل السلع الأفريقية والهندية والمصرية، ومكاناً تبحر منه السفن إلى الهند[٤]، وسنقسم علاقات عدن التجارية الخارجية في ضوء ما تقدم إلى عدة أقسام ونوضحها بتفصيل ضمن المعلومات المتوفرة.

أ- العلاقات مع الصين والشرق الأقصى:

ترجع الصلة بين بلاد العرب والشرق الأقصى إلى أقدم العصور، فقد ارتبط الشرق الأدنى والبحر المتوسط بطريق التجارة مع بلاد العرب الجنوبية والشرق الأقصى منذ أزمان قديمة، كما ظهرت الأدلة على قيام علاقات قديمة بين بلاد العرب وجزر الهند الشرقية والفلبين، ويبدو أن أهالي بلاد العرب الجنوبية القديمة اعتادوا التجارة مع تلك المناطق النائية، وتجدر الإشارة إلى أن أهل حضرموت وعمان وسواحل الخليج العربي امتطوا ظهر البحر وأوغلوا فيه إلى ما وراء الهند، وقد أصبح هؤلاء الحضارمة الوكلاء الرئيسين للتجارة بين مصر والهند، وهم الذين جهزوا معابد مصر وقصورها بالأحجار الكريمة والتوابل والبخور الذي احرق على مذابح آلهة المصريين القدامى[٥].

---

[١] القلقشندي. صبح ٥/ ١١، العبدلي. هدية الزمن ص ٢٠، لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠٦.
[٢] سبق أن أوضحنا مصادر هذا الوصف في الفصول السابقة مراراً.
[٣] الأفغاني. أسواق العرب ص ٢٦٨.
[٤] د. جواد علي. المفصل ٧/ ٢٧٤.
[٥] د. فيصل السامر. الأصول التاريخية ص ٩ - ١٠.

اسهم البحر الأحمر في النشاط التجاري مع الشرق الأقصى، فكان يبعث بسفنه إلى تلك الأرجاء، وكانت عدن الميناء الرئيس للسفن القادمة من هذه الطريق[1]،ولذلك وصفها المقدسي[2] بأنها: "دهليز الصين".

ذكر حوراني[3] أن المعلومات المتعلقة بالرحلات من جدة وعدن إلى الشرق الأقصى قليلة، لكن أخطار القراصنة الهنود المتربصين للسفن التجارية في سقطرة معروفة. ولعل خطرهم كان عاملاً في قلة تلك الرحلات.

كانت أهم البضائع التي تصل من الصين: الحرير والقصب، وكانت تتبادل البضائع مع اليمن وعمان وبلاد فارس[4].

أما البضائع التي تصل عدن من الصين، فهي كثيرة[5]، منها الحديد الفرند والمسك والعود والفلفل والدار فلفل والنارجيل والقاقلة[6] والدارصيني[7] والخولنجان والبسباسة[8] والهليلجات[9] والأبنوس والذبل والكافور والجوزة والقرنفل وأنياب الفيلة والرصاص القلعي والقنا والخيزران.

هذه البضائع تؤكد لنا ازدهار العلاقات التجارية بين عدن من جهة والصين وأقطار الشرق الأقصى من جهة أخرى، وهذه المواد تدخل في مجالات استعمال كثيرة فتستعمل في عمل الأطعمة في البيوت، ومنها أنواع من الزهور والأطياب، واستخدمت قرون الكركدن وأنياب الفيلة والعاج في صناعة الحلي، وكل هذه المواد من نفائس التجارة التي تطلبتها حياة الترف في القصور التي أسست بالمدن العربية.

---

[1] حوراني. العرب والملاحة ص ٢٢٧.

[2] أحسن التقاسيم ص ٨٥، ونقل عنه وصفه هذا: حوراني. العرب والملاحة ص٢٢٧، ماجد، د. عبدالمنعم. ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، منشورات دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٨م)، ص ١٩٣، أيمن فؤاد سيد. مصادر تاريخ اليمن ص ٢٥، الشيال. العلاقات بين مصر واليمن ص ٥٥٢، الشامي. إمارة آل زريع ص ٩١ – ٢.

[3] العرب والملاحة ص ٢٢٧ – ٨.

[4] الألوسي. بلوغ الأرب ١/ ٢٠٣ – ٤.

[5] أنظر عن بضائع الصين: الادريسي. نزهة المشتاق (جزيرة العرب)، ص ٥٧، الحميري. الروض المعطار ص ٤٠٨.

[6] ويسمى قاقلي، وهو من الحمض، والناس يأكلونه مع اللبن، وهو مثل الأشنان، وورقة شبيه بورق الحرف، وهو اشد من الحمض رطوبة وينفع الرهل وضعف الكبد. المظفر. المعتمد ص ٣٧٦.

[7] الدارصيني: شجرة الصين وهو أنواع: دارصيني جيد ومنه الدُون ومنه المعروف بالقرفة ومنه قرفة القرنفل. المظفر. المعتمد ص ١٤٥ – ٧، وهو الدارسين المعروف عندنا الآن.

[8] البسباس: الواحدة بسباسة وبها سميت المرأة بسباسة، وهو طيب الطعم والريح، يأكله الناس وتأكله الماشية. الدينوري. كتاب النبات ص ٥٩، وهو عند أهل المغرب الشمار، غير أنه عند العرب نبات آخر، وهو الرازيانج، وهنالك البسباس الصخري والرومي وهو شمار البساتين، وبسباس البحر وسمي شمار البحر وبسباس أنسون حبة حلوة وبسباس الهند: ساسفراس أو صاصفراس. دوزي. تكملة المعاجم ١/ ٣٣١.

[9] اوضحنا معنى الاهليلج في الفصل الخامس، وذكر دوزي أن الاهليلج تذكر بين الأدوية التي يؤتى بها من الصين. تكملة المعاجم ١/ ٢٠٨.

إن تنوع البضائع الشرقية الواصلة من الصين إلى بلاد العرب وميناء عدن تدلل على ازدهار العلاقات التجارية بين عدن والصين[١].

أما الصادرات العربية إلى الصين، فكانت كثيرة، فمن ظفار كان يصدر الكندر والقاطر (وهو دم الأخوين ويسمى: العندم)[٢] وهو ثمر أحمر يصبغ به ويدخل في تركيب الأدوية، وأنواع السمك المجفف، وصدرت اليمن صمغ المقل المشهور بجبالها كما اشتهر وجوده بالشحر، ويدخل بتركيب الأدوية، وكذلك صدرت اللبان[٣].

إن الواردات القادمة من الصين وصادرات بلاد العرب إلى الصين قد شكلت نمطاً لعلاقات تجارية متطورة، تبودلت فيها المنتجات ووسائل التطور الاجتماعي والحضاري بين شعبين تفصل بينهما مسافات طويلة جداً، ولاشك أن هذه الحركة ينتج عنها وصول مراكب العرب والصين التي حملت تلك المنتجات، فوصف الحميري[٤] عدن أنها بلد تجارة، وبها مرفأ مراكب الصين.

ب- العلاقات مع شرق أفريقيا:

عرف ساحل أفريقيا الشرقية باسم ازانيا Azania ويقرن باسم: أرض الزنج لدى العرب، وكانت أهم مدن الساحل مدينة ربطة Rhapta التي سميت بذلك من كلمة خياطة Sewn إشارة إلى الزوارق المخيطة Sewn Boats التي تعتبر من سمات تلك المنطقة[٥].

إن أبرز خصائص السفن العربية في القرون الوسطى هما: أن تلك السفن كانت لا تربط بالمسامير بل عملت بطريقة خياطة ألواح هيكلها بعضها ببعض، والخاصية الثانية هي امتداد الشراع على طول السفينة،[٦] وكانت الواح الهياكل تصنع من خشب الساج أو خشب جوز الهند، وهذا الخشب يتحمل طويلاً للماء في البحر دون أن يتشقق أو يتقلص أو يتغير شكله إذا بقي في الماء، في حين يتعرض للتلف السريع إذا أخرج من الماء، وكان خشب الساج يستورد من الهند لبناء السفن في منطقة الخليج العربي، ولذلك استعمل

---

[١] تحدث د. السامر طويلاً عن أصناف تلك البضائع ومنها البخور الذي اشتهرت أنواعه كالعود القماري نسبة إلى قمار في الهند الصينية، والصنفي نسبة إلى بلاد الصنف وهي كمبوديا التي كان يجلب منها، والعود المندلي نسبة إلى مندل في وسط الهند، ومن العود أصناف أخرى، أفضلها القامروني، ومنها السمندوري، ومن العود الصيني: اللوقيني والكلاهي والقطعي.

وأشار إلى العنبر ضمن البضائع المستوردة من الشرق وأنواعه الكثيرة، والكافور ونصال السيوف والجلود المحببة وسروج الخيل والفلفل والبهار والسيوف الهندية وخشب الأبنوس والأحجار الكريمة كالياقوت والجوهر... أنظر: الأصول التاريخية ص ١٧ - ٢١.

[٢] ويسمى أيضاً: الأيدع وهو صمغ أحمر يؤتى به من سقطرة جزيرة الصبر السقطري تداوى به الجراحات، وقال آخرون: بل شجر أحمر يصبغ به، وهو عند الرواة: دم الأخوين. الدينوري. كتاب النبات ص ٣٩، ١٧٠.

[٣] د. السامر. الأصول التاريخية ص٢١.

[٤] الروض المعطار ص ٤٠٨.

[5] Zamani, Asarvey of East African History, edited by: B. Aogot and J, Akieran, (Longmans of kenya, 1969), p. 103.

[٦] حوراني. العرب والملاحة ص ٢٤١.

هذا الخشب في بناء هياكل السفن في جميع المنطقة الواقعة شرق السويس أو جنوبها، وكان يصل من الهند وجزرها[1].

كان تجار جنوب غربي الجزيرة العربية، يبحرون إلى موانئ شرق أفريقيا عند هبوب الرياح الموسمية الشمالية – الشرقية خلال شهر تشرين الثاني حتى نيسان، ثم يعودون عند هبوب الرياح الموسمية في الاتجاه المعاكس خلال أشهر حزيران – تشرين الأول، وكان بعض هؤلاء التجار العرب يعرفون لغة الساحل، وتزوجوا نساءً من تلك المنطقة[2].

أما أشهر السلع التي كان التجار العرب يأتون لأجل مقايضتها، فهي تلك الصادرات الأفريقية الشرقية المعروفة طوال التاريخ، وهي بصورة رئيسة المنتجات الحيوانية النادرة في بقية أنحاء العالم، وأهمها: العاج وقشر السلحفاة وقرون الكركدن، بالإضافة إلى كميات من زيت جوز الهند، وقد نقلت هذه الشجرة إلى الساحل من الشرق، أما الصادرات الرئيسة من هذه المنطقة الشمالية فتتألف من الصمغ والعطر والتوابل، وبخصوص السلع التي يجلبها التجار العرب إلى الساحل لمقايضتها بالسلع المذكورة، ففي مقدمتها الأدوات المعدنية مثل البلطة[3] والخناجر والمثاقب وكذلك الرماح المصنوعة خصيصاً في المخا، ونلاحظ أن غالبية تلك الأدوات مصنوعة من الحديد، مما يدل على عدم معرفة سكان الساحل الأفريقي صهر هذا المعدن، وكان هؤلاء التجار العرب يحملون معهم أيضاً بعض الأواني الزجاجية والخمور والحبوب ويقدمونها كهدايا لكسب صداقة السكان[4].

إن المعلومات المتوفرة عن علاقات عدن بساحل أفريقيا الشرقية كانت قليلة ونادرة، فقد ذكر حوراني[5] أنه لا يعرف إلا القليل عن الطريق، ويضيف متساءلاً هل أن السفن تسير على طول الساحل إلى عدن ثم تدور حول ساحل الصومال، أم انها كانت تشق البحر مباشرة؟ والطريق الأول هو الأفضل، لأن التوقف في ميناء عدن الكبير كان نافعاً لممارسة العمل التجاري من تبادل السلع وبيعها إلى شراء سلع أخرى، كما أن وجود القراصنة الهنود في جزيرة سقطرة قد جعلوا عرض البحر محفوفاً بالمخاطر.

---

[1] نفسه ص ٢٤٤ – ٧.

[2] Zamani, op, cit, p. 105.

[3] هي الفأس الصغيرة، وذكر الدينوري أن البلط هو حديدة الخراط. كتاب النبات ص ١٦، والبلط المخراط وهو الحديدة التي يخرط بها. نفس المصدر ص ١٢٧.

[4] Zamani, op, cit, pp: 105 -106.

[5] العرب والملاحة ص ٢٣٠.

واصلَ العرب رحلاتهم وعلاقاتهم التجارية مع ساحل شرق أفريقيا، فكانوا ينحـــدرون على طول الساحل الأفريقي إلى أرض الزنج طلباً للرقيق والعاج والعنبر، وكـــانت نهايـــة رحلاتهم سفالة في موزمبيق[1]، وقنبله[2] (مدغشقر) وكذلك رأس الواق واق[3] فـــي شـــرق أفريقيا وهي مدغشقر. إن ارتباط عدن بساحل أفريقيا الشرقية المسماة أرض الزنج أكدتـــه المصادر العربية التي وصفت عدن بأنها فرضة الهند والزنج والحبشة وغيرها من أجـــزاء العالم[4].

ومن الجدير بالذكر هنا أن المصادر لا توضح لنا طبيعة العلاقات التجارية بيـــن عـــدن وساحل شرق أفريقيا، وفي اعتقادنا أن تجارة الرقيق قد شكلت جـــزءاً مـــهما مـــن تلـــك العلاقة، إذ كانت تلك التجارة رائجة، فكان يفرض على رأس الرقيق عند دخولـــه مينـــاء عدن مبلغ دينارين عشوراً، وإذا صدر من الميناء يفرض عليه نصف دينار[5]، لكـــن هـــذا الإجراء لا يحدد لنا الجهة التي كان يصل منها الرقيق إلى ميناء عدن، ولعل مصدره جـــزء آخر من العالم غير ساحل أفريقيا الشرقية،ويؤكد ذلك زماني[6]، فقد ذكر أن تبـــادل الســـلع بين التجار العرب وسكان الساحل لم يشمل العبيد، فقد ذكروا مرة واحدة وهـــم يســـخرون للعمل في السفن بعد فترة من المتاجرة بهم، إلا أننا نعرف عدداً كبيراً منهم صدروا إلـــى الخارج[7] – بالطبع أغلبهم من منطقة القرن الأفريقي[8]، ومما يضعف رأي زماني مـــا رواه إبن المجاور[9] في وصف سكان عدن، فذكر أن غالب أهلها حبوش وبرابر ومقادشة، وفـــي وصفه هذا دليل على أن كثيراً من العبيد كانوا ضمن سكان عدن، لذلك تبقى رواية زمـــاني متناقضة وغامضة.

---

[1] وتسمى سفالة الزنج،وتقع جنوب خط الاستواء، وأهلها مسلمون، وأكثر معايشهم من الذهب والحديد ولباســـهم جلود النمور، أبو الفدا. تقويم البلدان ص ١٥٧، وهنالك سفالة الهند ويقصد بها العرب عموم بورما وجبـــال الكامرون (القامرون) وما يلي ذلك من ممالك سيام والملايا وأنام وكمبوديا وفيتنـــام. د. الســـامر . الأصـــول التاريخية ص ١٤٥.

[2] قنبله أو قنبلو: جزيرة من جزائر بحر الزنج، عامرة بهم، وبها الابنوس والبهار ومعادن الذهب. شيخ الربوة. نخبة الدهر ص ١٦٢.

[3] هنالك تسميتان لها، أولهما في منطقة شرق افريقيا وهي مدغشقر، وثانيهما ســـومطرة. حورانـــي. العـــرب والملاحة ص ٢٣١، وذكر د. السامر أن العرب قصدوا بجزائر واق واق: جزائر الفلبين. الأصول التاريخيـــة ص ١٤٦.

[4] حوراني. العرب والملاحة ص ٢٣٠ – ١، وقد ذكرنا المصادر تلك في الصفحات السابقة.

[5] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤١.

[6] Zamani, op, cit, p. 110.

[7] يعطي زماني دليلاً على قوله بأن اعداداً كافية من الزنج في العراق قاموا بحركة طويلة في القـــرن التاســـع (الثالث الهجري).

[8] يناقض زماني نفسه فقد وصف العلاقة بين التجار العرب وساحل أفريقيا، وذكر أشهر السلع التي كان يجلبـــها التجار العرب من هناك، وأضاف بأن من الأمور المهمة عدم الإشارة إلى الرقيق برغم أن المعلومات المتوفـــرة تذكر أنهم كانوا يجلبون من سواحل القرن الأفريقي: (Horn of Africa). Zamani, op, cit, p. 106

[9] المستبصر ص ١٣٤، راجع دراستنا عن سكان عدن.

إن تفاصيل التبادل التجاري بين عدن وساحل أفريقيا الشرقي كانت قليلة وغامضة[1]، ولا نعرف الأسباب الكامنة وراء ذلك، ولعل المصادر العربية أغفلت تلك العلاقة لسبب أو آخر.

واتصفت الحبشة منذ أزمنة قديمة بكونها سوقاً تجارية مهمة، كانت تلبي مطالب الدول القوية القديمة لأعداد كبيرة من الرقيق الذي كان مورداً من مواردها التي لا تنضب، يضاف إلى ذلك أنها كانت غنية بمواد تجارية مرغوب فيها تتحمل الرحلات الطويلة التي كانت من ميزات التجارة القديمة، وأهم تلك المواد: الأخشاب والتوابل وسن الفيل والجلود، وبسبب غنى الحبشة بتلك المواد، فقد أصبحت مقصداً لتجار الأمم القديمة؛ فازدهرت موانئها على البحر الأحمر وحمل التجار العرب منتجاتها[2].

ارتبطت الحبشة بعلاقة موغلة في القدم مع اليمن، بسبب تقاربهما إذ لا يفصل بينهما سوى البحر الأحمر الهادئ الضيق، لذلك كان أمراً طبيعياً إقامة علاقات بينهما، وهجرة سكان كل بلد للآخر، ولكون اليمن بلد زراعي فقد كان بحاجة إلى الأيدي العاملة الرخيصة المتمثلة في رقيق الحبشة، لذلك ازدهرت تلك التجارة وكان للتجار اليمنيين دور بارز في انتشار تلك التجارة متخذين من ساحل الحبشة الشرقي موطناً لهم منذ القدم[3].

لقد عمل العرب النازحون إلى الحبشة في التجارة التي تدر عليهم الثروة، فاحتكروا تجارة المياه الجنوبية، وكانت سفنهم تجوب هذه البحار لنقل مواد البلاد المحيطة بها، فكانت المراكب الهندية الضخمة تحمل منتجات شرق أفريقيا والهند وسيلان وفارس إلى عدن، وتتولى سفن هؤلاء العرب نقلها إلى بلدان البحر الأحمر، وما لبثوا أن أصبحوا أصحاب خير وثروة بفضل ما يملكون من السفن والمال والرجال والسلاح، تلك الأمور التي مكنتهم من فرض قوتهم إينما ساروا.

كانت تجارة الرقيق أكثر أنواع التجارة إدراراً للربح، فكانوا يجمعون الرقيق من الحبشة والسودان ليحملوه إلى الأسواق التي تطلبه في الحجاز وبغداد والقاهرة وحتى الصين، استخدموا في تكوين الجيوش المحاربة، كما عمل الكثير منهم قراصنة يغيرون على السفن ويسلبون ما تحمل، وكان التجار يتفقون معهم على دفع مبالغ معينة لهم في

---

[1] من ذلك ما ذكره إبن المجاور بأن الطريق من عدن إلى مقدشوه موسم، ومنها إلى كلوة موسم ثاني ومن كلوة إلى القمر موسم ثالث، وكان المسافرون يجمعون المواسم الثلاثة في موسم واحد، فكانوا يطلعون من القمر متجهين إلى عدن مباشرة في موسم واحد، وقد سافر مركب من القمر إلى عدن بهذا الاتجاه سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، أقلع من القمر وكان يريد كلوة فارسى بعدن، ووصف إبن المجاور أيضاً مراكبهم بأن لها أجنحة لضيق بحارهم ووعرها وقلة الماء بها. المستبصر ص ١١٧.

[2] د. كامل مراد. الحبشة بين القديم والحديث، المحاضرات العامة للجمعية الجغرافية المصرية، الموسم الثقافي ١٩٥٩م، مط الكمالية، (القاهرة، ١٩٥٩م) ص ٢٥ – ٦.

[3] نفس المرجع ص ٢٩، ويضيف أن السواحل الشرقية للحبشة ما تزال حتى الوقت الحاضر تزخر بالتجار اليمنيين والحضارمة الذين سيطروا على التجارة وكونوا لهم مراكز ومؤسسات تجارية ناجحة.

أوقات معلومة لقاء تعهدهم لهم بالسلامة وعدم التعرض لتجارتهم[1]، واستمر اتصال الحبشة باليمن في العصور اللاحقة واتخذ أشكالا منها السلم والسيطرة والحرب والتجارة[2].

أشارت المصادر إلى وصول المراكب التجارية من الحبشة إلى عدن[3]، فكان الرقيق يصلون ميناء عدن بأعداد كبيرة، وفرضت عليهم العشور التجارية ومقدارها ديناران على كل رأس إذا وصل الميناء وإذا صدر خارج البلد فيؤخذ على الرأس نصف دينار[4]، وشكل الأحباش نسبة عالية من سكان عدن في القرن السادس الهجري/ ١٢م، فقد ذكر ابن المجاور[5] أن غالب سكانها حبوش وبرابر، وهذا يدل على هجرة أعداد كبيرة منهم من الحبشة وسواحلها إلى عدن وعملهم في مجالات النشاط التجاري والبناء وغير ذلك.

وكانت التيوس والأغنام تصل ميناء عدن من الحبشة[6]، وقد أعفيت التيوس من العشور التجارية في الميناء، ولعل استيرادها كان لأجل ذبحها وأكل لحومها، إذ لا توجد بعدن زراعة ولا مراع، ولعلها كانت تُصدّر من عدن إلى بلدان أخرى.

كانت زيلع جزءاً من الحبشة[7]، وقد قدم منها إلى عدن عدد كبير من السكان واستوطنوها وعمل بعضهم في التجارة داخل اليمن في عدن وغيرها، وكان الزيالع يشكلون نسبة كبيرة من سكان عدن[8].

ت- العلاقات مع مصر:

كان لقيام الدولة الفاطمية بمصر في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي دور كبير في انتعاش النشاط التجاري، فقد تحولت طرق التجارة من شمال بلاد العرب إلى جنوبيها، فراجت أسواق القاهرة والإسكندرية في عهد الفاطميين[9].

---

[1] رياض، د. زاهر. تاريخ اثيوبيا، منشورات مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٦٦م)، ص ٥٩ – ٦٠، ٧٦ – ٧.

[2] كامل مراد. المرجع السابق ص ٣٠، أنظر عن علاقات الحبشة باليمن وعدن: الحبشي. اليمن الجنوبي ص ٥ – ٦، د. أحمد فخري. اليمن ماضيها وحاضرها ص ٧١، د. رياض. تاريخ أثيوبيا ص ٤٧.

[3] ابن الأثير. الكامل ١١/ ٣٩٧، القلقشندي. صبح ٥/ ١١، وذكرنا ذلك في بداية موضوع العلاقات التجارية الخارجية.

[4] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤١.

[5] نفسه ص ١٣٤.

[6] نفسه ص ١٤٣.

[7] زيلع مدينة مشهورة من مدن الحبشة وأهلها مسلمون وهي على ركن من البحر، وحرها شديد وليس لها بساتين ولا يعرفون الفواكه، وهي فرضة الحبشة نحو أرض اليمن، وفيها مغاص، وهي مدينة صغيرة مثل عيذاب في الحجم وينزل عندهم التجار فيضيفونهم. أبو الفدا. تقويم البلدان ص ١٦١، القلقشندي. صبح ٥/ ٣٢٦.

[8] المستبصر ص ١٣٤، راجع دراستنا عن سكان عدن في بداية الفصل.

[9] التاريخ الاقتصادي ص ٣٦ – ٧، ٤٣، وقد أشرنا إلى أسباب تحول طرق التجارة من الخليج العربي إلى البحر الأحمر بعد تدهور الأحوال السياسية في العراق، وذلك في بداية الفصل الخامس.

إن النزاع بين الدولتين العباسية في العراق والفاطمية في مصر قد أخذ أشكالاً مختلفة، منها المنافسة التجارية، وكان هم الدولة العباسية العمل على عرقلة سياسة الدولة الفاطمية في كل نواحيها، ولكن النزاع بين الدولتين لم يحتدم في المدة التي سبقت حكم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥ - ١٠٩٤م) إذ اعتمدت كل من الدولتين في تجارتها الخارجية على ناحية معينة دون التعرض لتجارة الدولة الأخرى، فكان اعتماد الفاطميين على التجارة مع دول البحر المتوسط، لأن الدول الغربية فضلت الطريق من الشرق إلى الغرب عبر مصر على الطريق المنافس له عبر بلاد الجزيرة والشام لأنه يستغرق وقتاً أقل، وهذا أدى إلى قلة تكاليف النقل ومن ثم رخص أسعار السلع قياساً بأسعار تلك المنقولة عن طريق بلاد الشام[١].

وكان من أهم نتائج الاتصال التجاري مع دول البحر المتوسط، إهمال طريق الجنوب، بل إهمال بلاد اليمن والهند، ويعلل عدم اهتمام الفاطميين باليمن والهند تعليلاً اقتصادياً، ذلك لأنهم لم يهتموا بالتجارة في هذه البلاد اهتماماً كافياً، وكان الدافع لعدم الاهتمام هذا أن الدولة العباسية لم تكن قد بدأت تنافس الفاطميين جدية في المجال التجاري، ويعود السبب في ذلك إلى التفاهم بين البويهيين الذين تولوا السلطة في بغداد مع الفاطميين تفاهماً أساسه اتفاقهم في المذهب الديني، ومع ذلك كانت التجارة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، قائمة بين مصر والهند والصين لكنها لم تحظ بعناية كافية، ولم يكن الطريق حيوياً ولم يكن مركز ميناء عدن ذا أهمية كبيرة[٢].

ازدادت أهمية بلاد اليمن وتوثقت العلاقات التجارية بين مصر واليمن، وذلك بعد قيام الصليحيين في اليمن وتأسيس دولتهم وارتباطها بدعوة الفاطميين، فأصبح اليمن جزءاً من دولة الفاطميين بمصر، واصبح التجار يرحلون من مصر إلى اليمن، فاستقر كثير من تجار مصر في مدن اليمن واتخذوها وطناً ثانياً لهم، كبني الخطباء[٣] وهم تجار من أهل مصر، وكان ثغر عدن أهم موانئ التجارة اليمنية للمصريين[٤].

ترتبط مصر مع عدن بطريق البحر، ذكر القلقشندي[٥] أن الطريق تبدأ من مصر[٦] إلى السويس[٧] وتستغرق ثلاثة أيام في البر، ثم يركب في البحر إلى زبيد وعدن. ويمكن سلوك

---

[١] الهمداني وسليمان، الصليحيون ص ٢٢٨ - ٩.
[٢] نفسه ص ٢٢٩.
[٣] وهم تجار من أهل مصر تديروا عدن وولي بعضهم نظر عدن أيام الأشرف بن الأفضل الغساني. أبو مخرمة. ثغر عدن ١/ ١٠ - ١، ويسمون: بني الخطاب. ماجد. ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٠٨، ويسمون: بني الخطيب. مجهول. قلائد الجمن ص ٨٤.
[٤] ماجد. ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٠٨.
[٥] صبح الأعشى ٥/ ١٧.
[٦] أي المقصود بها: القاهرة، وما تزال هذه التسمية شائعة لحد الآن.
[٧] السويس: بليد على ساحل البحر الأحمر من نواحي مصر، وهو ميناء أهل مصر إلى مكة والمدينة. الحموي. معجم البلدان ٣/ ٢٨٦.

طريق أخرى غير السويس وهو السفر من القاهرة إلى الطور[1] ويستغرق وقتاً أطول في البر، لكنه أقصر في البحر، وربما يحصل السفر إلى قوص في النيل أوفي البر، ثم منها إلى عيذاب أو إلى القصير[2]، فيركب في البحر إلى زبيد أو عدن.

انتعشت عدن تجارياً في عهد الفاطميين بمصر، وذلك أن اختلال الأوضاع السياسية واضطراب الأمن في الخليج العربي أديا إلى نزوح كثير من رؤوس الأموال والفعاليات الاقتصادية نحو الجنوب، وبقي مركز عدن على حاله الأول متيناً لا يتزعزع، وأدى تحول الطرق التجارية إلى الجنوب الشرقي من البحر المتوسط عبر مصر إلى ازدهار عدن واجتذاب رجال الأعمال إليها من مختلف أرجاء العالم[3].

توثقت العلاقات التجارية بين مصر وعدن، فقد كان اعتماد أهل عدن في توفير بعض موادهم الغذائية على ما يصلهم من مصر، وهذا ما دفع المسؤولين في ميناء عدن خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، أيام حكم بني زريع وبني أيوب، إلى إعفاء بعض المواد الواصلة من مصر إلى عدن من عشور التجارة في ميناء عدن[4]، وهي: الحنطة والدقيق والسكر والأرز والصابون الرقي والأشنان والقطارة وزيت الزيتون وزيت الحار والزيتون المملح وكل ما يتعلق بالنُقل وعسل النحل إن كان قليلاً[5].

استوطن عدن عدد كبير من المصريين وشكلوا نسبة في حجم سكانها، فقد ذكر إبن المجاور[6] استقرار المصريين من الإسكندرية والقاهرة والصعيد في عدن، وكان فيها عدد كبير من أهل الإسكندرية خلال القرن السادس الهجري/ ١٢م[7].

وفي مجال المعاملات المالية كانت هنالك وسيلة اتصال أساسها النقود، فقد كانت النقود السائدة بعدن هي الدنانير الملكية التي استمرت حتى في العهد الأيوبي، وانتشر استعمال الدنانير الذهبية المصرية الفاطمية بعدن خلال عهدي بني زريع وبني أيوب، وكان الدينار الفاطمي المصري يساوي أربعة دنانير ونصف دينار ملكي[8]، ثم هبط بعدئذ إلى ٢,٣٥ دينار ملكي في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي[9].

---

[1] الطور: وهو في كلام العرب: الجبل، وهو جبل عند كورة تشتمل على قرى عديدة في أرض مصر القبلية، وبالقرب منها جبل فاران. معجم البلدان ٤/ ٤٧، والطور أيضاً جبل مطل على طبرية بالأردن.

[2] بلفظ تصغير قصر، موضع قرب عيذاب بينه وبين قوص قصبة الصعيد خمسة أيام، وبينه وبين عيذاب ثمانية أيام وفيه مرفأ سفن اليمن. معجم البلدان ٤/ ٣٦٧.

[3] التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط ص ٤٣ – ٤٤، راجع دراستنا لسكان عدن.

[4] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٣.

[5] راجع دراستنا عن المواد المعفية من العشور في الفصل الخامس.

[6] المستبصر ص ١٣٤.

[7] ذكرنا تفاصيل ذلك في دراستنا لسكان عدن.

[8] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٥.

[9] راجع دراستنا عن العملة في الفصل السابق.

وعمل المصريون في عدن بمجالات العمل التجاري، فذكر إبن المجاور[1] أن اسكندرانياً اشترى جارية هندية بعدن من رجل هندي، وبقيت معه مدة سبعة أيام ثم ادعى العيب على بائعها وطلب إرجاعها.

استمر الاتصال بين مصر وعدن خلال العهد الأيوبي، ذلك لأن اليمن أصبحت جزءاً من الدولة الأيوبية تدار بواسطة أمراء وسلاطين بني أيوب، وكان السلاطين الأيوبيون يترددون على عدن، وكذلك أمراؤهم الذين عينوا من قبلهم، ويرسلون الأموال من عدن وزبيد وغيرها إلى مصر، كما حصل عند مغادرة السلطان توران شاه بن أيوب اليمن إلى مصر فالشام، ثم عاد إلى مصر واستقر بالإسكندرية حتى وفاته بها[2].

ولما حكم السلطان طغتكين اليمن سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، وجه عناية كبيرة إلى الشؤون الاقتصادية فنظم الضرائب وقنن القوانين وضرب الدرهم السيفي نسبة إليه، وعمل على نشر الأمن والاستقرار في ربوع اليمن بالقضاء على المعارضين ومثيري القلاقل والاضطرابات[3].

كانت العلاقات وثيقة بين مصر وعدن في عهد السلطان طغتكين، فقد بنى هذا السلطان بناية على جبل حقات بعدن كان يرقب منها منظر مراكب تجار الكارم[4] الواصلين من مصر[5].

اتضح كيان الكارمية التجاري في عصر الدولة الفاطمية، فقد وجه الفاطميون عناية فائقة لميناء عيذاب وعملوا على حماية القوافل التجارية البحرية التي ترسو فيه من السراق المتربصين بها في البحر الأحمر، يقول القلقشندي[6] وهو يصف اهتمام الفاطميين بالأساطيل وحفظ الثغور: "وكان لهم أيضاً اسطول بعيذاب يتلقى به الكارم فيما بين عيذاب وسواكن، وما حولها خوفاً على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك

---

[1] المستبصر ص ١٤٦.

[2] ذكرنا ذلك في الفصل الرابع عن عهد توران شاه، وفي موضوع التجارة الداخلية بهذا الفصل.

[3] يراجع الفصل الرابع، وموضوع العملات والنشاط الاقتصادي في الفصل الخامس.

[4] يقال لهم الكارمية والأكارم، ومفردها: كارمي، وهذا الاسم مأخوذ من الكانم وهي منطقة في السودان الغربي تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد، ثم انتشر هذا الاسم بين من اشتغلوا بتجارة البهار بعد أن وقع فيه تصحيف، وأصبح: كارم، أي أن التسمية منسوبة إلى أصلهم الجغرافي ثم حرفت فأطلق اللفظ على جميع من مارس تلك التجارة بمصر. وقد يكون الاسم مأخوذا من متاجرهم نفسها، إذ أن كلمة Kuararima، هي لفظة أمهرية تفيد معنى: (الحبهان)، وهو تابل من التوابل التي اشتغلوا الإتجار فيها، ثم صحفت هذه الكلمة وأصبحت: كارم، والكارم هو العنبر الأصفر، وكان لتجاره فندق خاص بهم بالفسطاط، وأصبحت الكارمية اسماً لطائفة قوية من التجار المسلمين في العصور الوسطى. أنظر عن تفاصيل معنى الكارم: لبيب، د. صبحي. التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج ٤، ع ٢، (القاهرة، ١٩٥٢م)، ص ٦ – ٧، هامش السلوك للمقريزي ج ١ ق ١/ ٧٢، ق ٣/ ٨٩٩، هامش العقد الثمين للفاسي ٢/ ٢٠٠.

[5] كان مصدرنا الوحيد في ذلك: الخارطة الخاصة بمدينة عدن. أنظر: ابن المجاور. المستبصر ص ١٢٩.

[6] صبح الاعشى ٣/ ٥٢٠.

يعترضون المراكب، فيحميهم الأسطول منهم، وكان عدة هذا الأسطول خمسة مراكب، ثم صارت إلى ثلاث [كذا]، وكان والي قوص المتولي لأمر هذا الأسطول"[1].

كان أبو سعيد الدمياطي – وهو الاسم العربي للتاجر اليهودي حلفون بن ناثنيال الدمياطي أكبر التجار الكارمية الهنود في القاهرة في العهد الفاطمي – قد تردد في رحلات كثيرة بين عدن والهند ومراكش واسبانيا، وتركز نشاطه التجاري في المدة ١١٢٥ – ١١٤٦م[2] (٥١٩ – ٥٤١هـ)، أي خلال حكم بني زريع في عدن.

امتاز تجار الكارمية بالكفاءة والمجازفة في المشروعات الكبرى، وقد بلغوا درجة كبيرة من الثراء والنفوذ الواسعين في الأسواق الشرقية المهمة، فضلاً عن ميدان السياسة عبر نشاطهم التمويلي الهائل[3].

وكان للسلطان صلاح الدين وأسرته دور متميز في تاريخ الكارمية، إذ حددت الدولة الأيوبية والسلطان صلاح الدين مستقبلهم، فقد كانت سياسته ترك المجال لهم خالياً لينهضوا بالمشاريع التجارية الكبرى بين الشرق والغرب في البحر الأحمر ومصر والموانئ المصرية على البحر المتوسط، فالتاجر الغربي هو الذي يشتري سلع الشرق منهم[4]، ونعتقد أن سبب ذلك إبعاد التجار الأوربيين عن الموانئ المصرية وتحديد نشاطهم التجاري، لذلك كانت علاقة تجار الكارمية بالسلطان صلاح الدين وثيقة قائمة على التعاون لأجل تحقيق مستقبل تجاري ناجح.

لقد كانت أكبر محن الكارمية التي واجهوها – في حياتهم كمرحلة حاسمة – في عهد السلطان صلاح الدين، ذلك أن خطر الفرنج وأطماعهم التجارية في الشرق الإسلامي خاصة وفي مصر والبحر الأحمر بالذات كانت تهدد مصير الكارمية، ولعل هذه أكبر محنة امتحنوا بها في عهد السلطان صلاح الدين.

قام السلطان صلاح الدين الأيوبي باتخاذ اجراءات اقتصادية حاسمة قبل خوض الحرب ضد الصليبيين، ففي سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م، ألغى الرسوم التي تؤخذ من الحجاج المسافرين بالبحر في جدة والمتجهين إلى مكة على طريق عيذاب، ومقدارها سبعة دنانير ونصف مصرية على كل إنسان، وعوض صاحب مكة عنها بأموال وكميات كبيرة من القمح[5]، ولاشك أن هذا الإجراء كان ذا مردود عظيم على المسلمين من الحجاج، ويدلل على بُعد نظر السلطان لاستمالة مشاعرهم وقلوبهم إلى جانبه في جهاده ضد الصليبيين. وفي سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م، كتب إلى قوص بإلغاء الرسوم التي يدفعها الحجاج وتجار اليمن[6].

---

[1] أنظر عن هذا الموضوع: لبيب. التجارة الكارمية، ص ٧، دراج، د. أحمد. عيذاب من الثغور العربية المندثرة، المؤرخ العربي، ع ٧، (بغداد، د. ت)، ص ٥٨ – ٩.

[2] Goitein,studies, p, 337. ، وقد وضحنا دوره في موضوع سكان عدن.

[3] التاريخ الاقتصادي ص ٤١.

[4] لبيب. التجارة الكارمية ص ١٠.

[5] المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٦٤، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٦/ ٧٨.

[6] نفسه ج ١ ق ١، ص ٧٤.

كان نجاح الأيوبيين في إقرار النفوذ المصري في البحر الأحمر، وقيامهم بتنظيم شؤون التجارة في اليمن وغيرها من بلدانه وموانئه كفيلاً باستقرار التجار الكارمية، وتنامي نشاطهم في تلك الأرجاء، وقد تجلت عظمتهم التجارية وتأكدت باستجابتهم للاتصال التجاري الهائل بين الشرق والغرب منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، إذ أصبحوا التجار المسيطرين على تجارة الشرق[1].

ازدهرت تجارة مصر في عهد الأيوبيين، خاصة في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي وجه عناية خاصة لتحطيم أطماع الصليبيين ودرء خطرهم على التجارة الإسلامية إذا ما أتيح للفرنكيين (الفرنجة Frankish) التمركز في نقطة ما على البحر الأحمر إضافة إلى موطئ قدمهم في سورية، فالتهديد لا يشمل طريق الحجاج إلى مكة والمدينة حسب، بل يسري على أنشطة التجار في اليمن وخاصة الكارميين في عدن[2].

في نفس سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م – التي هاجم بها الفرنج عيذاب –، وصل تجار الكارم من عدن إلى عيذاب فطلب منهم السلطان صلاح الدين دفع زكاة أربع سنين[3]، وقد دفع تجار الكارم الزكاة عن رضاهم ودون احتجاج أو تذمر، وهذا دليل الوفاء والإخلاص للسلطان وتقدير ظروفه التي اتسمت بحرب الصليبيين الغزاة[4]، وذكر د. أحمد دراج[5] أن الرسوم التي كانت تجبى في عيذاب اقتصرت فقط على الزكاة، ومقدارها ربُع العشر، وتدفع مرة واحدة في العام[6].

أدى انتصار السلطان صلاح الدين ضد الغزاة الفرنجيين، إلى بروز نشاط متميز للتجار الكارميين، وتشجيعهم على التوسع في مشاريعهم التجارية، وكانوا يقدرون هذا الموقف من جانب الدولة الأيوبية برعايتهم وتسهيل عملهم، ونعتقد أن السبب يرجع إلى توفيرهم السلع والبضائع وحصول الدولة على موارد كثيرة من تجارة الكارم، فتركت لهم حرية العمل التجاري في إطار نظم وتقاليد محددة لهم.

اشتدت محاولات الصليبيين للسيطرة على البحر الأحمر والطريق المؤدية إليه، وكان أهمها تلك التي قام بها البرنس أرناط صاحب الكرك سنة ٥٧٧ – ٥٧٨هـ/ ١١٨١ – ١١٨٢م والتي باءت بالفشل، نتيجة جهود السلطان صلاح الدين الحاسمة في استئصال الفرنج من البحر الأحمر، والقضاء على خطرهم[7]، وكان للبحرية الأيوبية دور كبير في

---

[1] لبيب. التجارة الكارمية ص ٧، التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط ص ٤١.

[2] التاريخ الاقتصادي ص ٤٠.

[3] المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٧٢ – ٣، وقد انفرد بذكر هذه الرواية المهمة.

[4] لبيب. التجارة الكارمية ص ١١ – ١٢، دراج. عيذاب ص ٦٢.

[5] عيذاب ص ٦١ – ٢.

[6] كان التجار وغيرهم يدفعون الزكاة على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب وعلى ما يأتون به من متجر وحالَ عليه الحول. محمد مصطفى زيادة، هامش السلوك للمقريزي ج ١ ق ١/ ٧٢.

[7] المقريزي. السلوك ج١ ق١/ ٧٨ – ٧٩، لبيب. التجارة الكارمية ص ١٠ – ١١، د. دراج. عيذاب ص ٥٩ – ٦٠.

فشل هذه المحاولة متمثلاً في القواعد والموانئ البحرية التي أسسها السلطان صلاح الدين على شواطئ البحر الأحمر، والتي أمنت سيادة مصر و أقرت الاعتراف بها لمدة طويلة[1].

وفي تلك السنة أيضاً هاجم الفرنج ميناء عيذاب والتجار في البحر الأحمر، وهناك نهب الصليبيون بضع سفن تجارية قادمة من جدة وعدن والهند، فقتلوا واسروا، واحرقوا نحو (١٦) مركباً في البحر الأحمر، كما اخذوا مركباً بعيذاب كان ينقل الحجاج من جدة[2].

إن محاولات الصليبيين في الاستيلاء على المدينتين المقدستين مكة والمدينة – والتي باءت بالفشل – إضافة إلى محاولة السيطرة على الطرق الخارجية في البحر الأحمر ومهاجمة ميناء عيذاب، كان لها أثر كبير في اتجاه السياسة المصرية نحو منع التجار الأوربيين من مزاولة نشاطهم التجاري في البحر الأحمر[3]، وفي اعتقادنا أن تلك الإجراءات الاحترازية كانت في وقتها المناسب؛ للتخلص من مشاكل كثيرة يسببها أولئك التجار.

ذكر كويتن[4] أن تلك الإجراءات الاحتياطية المتخذة من قبل السلطات المالية في بعض الموانئ المصرية، لا يمكن أن ندعوها بتقييد حرية الحركة، لكنه في السنين المتأخرة من حكم السلطان صلاح الدين وصلت رسالة من الإسكندرية إلى عدن أعربَ فيها رجل عن تفهمه بأن المشرف المسؤول في الميناء لن يسمح له بالسفر؛ لأنه قد اعتبر مشبوهاً لسبب وحيد هو أنه قد وصل على ظهر قارب فرنجي (Frankish). ونحن نميل إلى أن الاشتباه بالأشخاص يحصل في ظل ظروف غير اعتيادية كما في العلاقة بين السلطان صلاح الدين والفرنجة التي اتصفت بالعداء ووصلت حد الحرب والمواجهة، لذلك فإن قدوم ذلك المسافر إلى الإسكندرية على قارب فرنجي مُعادٍ كان مثاراً للشك، وبرغم ذلك فإن الرجل قد تفهم طبيعة الموقف وأن تلك الإجراءات التي اتخذت تجاهه كانت لأسباب أمنية.

إن إجراءات السلطان صلاح الدين لم يكن لها تأثير على تجارة المرور بين الشرق والغرب، فقد شهد عهده نشاط التجار المسلمين الذين عرفوا بالكارمية في نقل تجارة الشرق الأقصى خاصة تجارة البهار والتوابل من عدن إلى عيذاب، كما انتقل نشاطهم إلى قوص التي أصبحت مركزهم الديني بالصعيد، وأيضاً إلى الفسطاط التي بني لهم فيها (فندق الكارم) سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، ونتيجة لذلك زاد اهتمام الأيوبيين بقوص وضموا إليها أمر عيذاب[5].

---

[1] سعداوي، التاريخ الحربي المصري ص ١٤٤. وذكر أن من أهداف غزوة أرناط السيطرة التجارية على البحر الأحمر والمحيط الهندي باحتلال أيلة شمالاً وعدن جنوباً، وقد اختفت سيادة مصر البحرية إثر موقعة ديو البحرية سنة ١٥٠٩م (٩١٥هـ).

[2] المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ٧٨ – ٩، سعاد ماهر. البحرية في مصر ص ١٠٦ – ٧، لبيب. التجارة الكارمية ص ١١، دراج. عيذاب ص ٥٩ – ٦٠.

[3] دراج. عيذاب ص ٦٠.

[4] Goitein,studies, p, 298.

[5] لبيب. التجارة الكارمية ص ١٢، دراج. عيذاب ص ٦٠.

لابد لنا من إيضاح أهمية ميناء عيذاب ودوره في التجارة وعلاقته بعدن خلال هذه المدة، فقد وصف لنا إبن جبير[1] الذي زار عيذاب سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م هذه المدينة بأنها تقع على ساحل البحر الأحمر، وأنها غير مسورة، وأكثر بيوتها من الخوص، لكنها من أشهر المراسي؛ لأن مراكب الهند واليمن تنزل فيها وتغادر منها، إضافة إلى مراكب الحجاج في ذهابهم وإيابهم، وأنها في صحراء لا نبات فيها، ومعظم مأكولها يستورد إليها ويدخلها من مدن أخرى عن طريق التجارة.

ووصف إبن جبير[2] كيفية صنع الجلاب وهي السفن الصغيرة المخيطة، وذكر[3] أن أهل عيذاب كانوا أثرياء يمتلك الواحد منهم جلبة وجلبتين، وكانوا يستعملونها لنقل الحجاج لقاء أجور معينة.

كان حجاج مصر والمغرب يسافرون إلى الحجاز من عيذاب، إذ يأتون من الفسطاط بالقاهرة إلى قوص ثم يركبون الإبل من قوص ويعبرون الصحراء إلى عيذاب ومنها يركبون الجلاب إلى جدة، وكانت هذه الصحراء في حركة ونشاط متميزين بسبب قوافل الحجاج في ذهابها وإيابها[4].

كانت الحركة التجارية نشطة جداً بين عيذاب والهند واليمن، فقد ذكر إبن جبير[5] في رحلته أنه حاول إحصاء القوافل الواردة والصادرة فلم يستطع ذلك هو وجماعته، وخاصة القوافل العيذابية التي تحمل سلع الهند الواصلة إلى اليمن، ثم من اليمن إلى عيذاب، وكان أكثر ماشاهده احمال الفلفل التي كانت كثيرة لدرجة قدر إبن جبير أن قيمته كقيمة التراب، وهذا يدل على كثرة هذه البضاعة التي كانت تجلب من الهند وسواحل المحيط الهندي، وذكر أيضاً أن البضائع كانت تترك في الطريق مثل الفلفل والقرفة والبهار دون وجود حراس عليها، بسبب متاعب الإبل الناقلة لها أو غير ذلك، وتبقى في مكانها دون أن يتعرض لها أحد[6]. وهذا يدل على انتشار الأمن وعدم وجود اللصوص وقطاع الطرق ولاشك أن ذلك يرجع إلى استقرار الدولة الأيوبية وانتشار مركزيتها.

مما سبق نستنتج أن عيذاب كانت ميناءً تجارياً نشطاً ذا صلة وثيقة مع عدن، بسبب مرور تجارة الهند بعدن إلى عيذاب، أو نقل بضائع أخرى من عيذاب إلى اليمن ثم إلى الهند عن طريق عدن، فقد كانت المراكب تسير بالحجاج شرقاً إلى جدة، وجنوباً إلى بلاد اليمن وعدن محملة بالبضائع إلى عيذاب ومنها إلى الساحل المصري، لذلك كانت عيذاب

---

[1] ابن جبير. الرحلة ص ٤١، المقريزي، أحمد بن علي. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، ج ١، مط بولاق، (القاهرة، ١٢٩٤هـ)، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٠م، ص ٢٠٢ – ٣.

[2] الرحلة ص ٤٢ – ٤٣.

[3] نفسه ص ٤١، أنظر أيضاً: المقريزي. الخطط ١/ ٢٠٣.

[4] المقريزي. الخطط ١/ ٢٠٢.

[5] الرحلة ص ٣٩ – ٤٠.

[6] أنظر عن ذلك أيضاً: المقريزي. الخطط ١/ ٢٠٢، دراج. عيذاب ص٦١.

أهم مراسي الدنيا؛ لأن مراكب الهند كانت تفرغ فيها البضائع، ويسافر منها الحجاج ذهاباً وإياباً[1].

ومما يؤكد استمرار العلاقات التجارية بين مصر وعدن، أن عيذاب كانت مرسى للتجارة الواردة من عدن[2]، ففي سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م بعث الأمير سيف الدين سنقر اتابك اليمن عشرة آلاف دينار مصري إلى الملك العادل في مصر[3]، وكان سنقر أميراً على عدن، مما يؤكد أن مواردها كانت كثيرة وأن العلاقات مع مصر كانت طيبة جداً.

ث- العلاقات مع شبه القارة الهندية:

كانت السفن العربية التي تسير في المحيط الهندي تتبع نظاماً يتلاءم وطبيعة الظروف الجوية، فهي تقلع في الشتاء من عدن وتسير في محاذاة ساحل حضرموت محتمية به، ثم تلقي بنفسها أمام الرياح الموسمية الشمالية الشرقية من منطقة تقارب الشمال والشرق[4].

وكانت للمراكب التجارية التي تقلع من عدن أو تنزل فيها مواسم مشهورة[5]، فقد كانت السفن الشراعية لا تتجه إلى عدن إلا في مواسم الرياح فقط[6]، وهذا يفسر لنا أثر الرياح الموسمية على المراكب التي لا تتمكن من دخول ميناء عدن، فتتأخر عند جزيرة صيرة، ويضطر أهل عدن إلى تقديم القرابين (النشوح) وإلقائها في البحر، من أجل تقدم المراكب ومسيرها نحو الميناء ودخوله حسب اعتقادهم[7].

كان البحارة ينطلقون مع الرياح الموسمية الهندية حوالي شهر تموز، وبرغم إنها أكثر خطورة، لكن السفرة خلال هذه الرياح تكون أكثر اتجاهاً وتتم في أقرب وقت[8].

وقد وصف القلقشندي[9] الطريق الموصلة إلى مملكتي السند والهند، وهي طريق البحر، فمن عدن يمكن السفر في بحر الهند (والصواب هو البحر العربي) الذي يتصل بالبحر الأحمر، وبواسطة المحيط الهندي يتم الوصول إلى سواحل السند والهند.

---

[1] حسن إبراهيم. تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٩٧.

[2] ماجد. ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٠٨.

[3] المقريزي. السلوك ج ١ ق ١/ ١٧٠.

[4] حوراني. العرب والملاحة ص ٧٠.

[5] القلقشندي. صبح ٥/ ١١، العبدلي. هدية الزمن ص ٢٠، لقمان. تاريخ عدن ص ٣٠٦، كحالة. جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٣٦٥، وقد ذكرنا ذلك.

[6] كان ذلك قبل استخدام السفن البخارية. د. فاروق اباظة. عدن ص ٢٧، وقد ضربنا مثلاً لاتجاه السفن من عدن إلى مقدشو في موسم واحد.

[7] ذكرنا ذلك في الفصل الخامس.

[8] Schoff, W.H. The periplus of the Erythratan Sea, (London, 1912), p. 38.

[9] صبح الأعشى ٥/ ٨٦.

شهدت العلاقات التجارية بين عدن والهند تطوراً ونشاطاً متميزاً في القرن السادس الهجري/ ١٢م، خلال حكم بني زريع والأيوبيين، وذكر ابن المجاور[١] كثيراً من المنتجات التي وصلت عدن من الهند وفرضت عليها العشور التجارية في الميناء كالفلفل والنيل وقشر المحلب والطباشير وعود الدفواء والكافور والقرنفل والحديد والتمر هندي الذي يسمى (الحمر) ومادة العوفلى السندابوري ذات العلاقة بصناعة النبيذ، والثياب الخام الهندي.

وقد اعفيت كثير من البضائع الواصلة من الهند إلى عدن من عشور التجارة، مثل الهليلج المربى ووسائد الموائد الجلدية والأرز والكجري والسمسم والصابون والمغر الكلاهي المجلوب من كله الواقعة بين عُمان والصين[٢] والقرنفل وثياب العرابية المصنوعة بدقلي والتمر المقلف الذي استخرج نواه، والسمك المملح إذا كان بدون رأس، والنعال الهندية إن كانت بلا شراك (سيور) أي انها تصل بشكل إسفنج أو جلد خام وتكمل صناعتها بعدن[٣].

والواقع أن هذه المواد تشكل جزءاً من حاجة عدن وسكانها، منها المواد الغذائية ومنها الكمالية ومواد العطر والزينة، ذلك أن الحاجة إليها كانت ماسة، فقد ذكر إبن المجاور[٤] عن أهل عدن أن جزءاً من مواردهم من الهند والسند.

واشتهرت الهند بالأرز الذي كان يصل إلى عدن، فكان الشيخ محمد بن عبدويه المهروباني العراقي الذي استقر في جزيرة كمران ملتزماً في طعامه، وكان يأكل الأرز من الهند التي سمتها مصادر ترجمته: (بلاد الكفار)[٥].

إن نشاطاً تجارياً قد ميز علاقات عدن بالهند، ولذلك كانت سفن الهند وتجارها في ذهاب وإياب إلى عدن، وكذلك الحال بالنسبة لسفن أهل عدن، كما أسهمت السفن المصرية في التبادل التجاري بين عدن والهند، فكانت ترحل إلى عدن لنقل غلات الهند وشرقي أسيا، وكذلك تحمل من بلاد اليمن البخور والعطور[٦]. وتنقل هذه السفن منتجات الهند التي تُباع بميناء عدن أو تصل إليه، ذلك أن عدن كانت بمثابة وسيط تجاري لتبادل السلع والمنتجات بين مختلف أرجاء العالم.

دخلت إلى عدن من الهند أعداد من الرقيق والجواري حيث كانت تجارة الرقيق رائجة، وقد مارس هذه التجارة بعدن تجار من الهند مثل الحسن بن علي حزور الفيروزكوهي الذي نقل لنا عنه إبن المجاور[٧] رواية بيعهِ جارية هندية بعدن لرجل إسكندراني، وأخذت

---

[١] المستبصر ص ١٤٠ – ١، أنظر موضوع العشور التجارية في الفصل الخامس.

[٢] موقعها في الملايو. السامر. الأصول التاريخية ص ١٨، ١٤٥.

[٣] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٢ – ٣، وقد درسنا ذلك بتفصيل في الفصل الخامس.

[٤] نفسه ص ١٣٧.

[٥] وكان متحرياً في المطعم لا يأكل إلا الأرز من بلاد الكفار. الجندي. السلوك ج ١ و ٩٨، الأفضل. العطايا السنية و ٤٣ أ، الخزرجي. العقد الفاخر و ١٠٧ ب.

[٦] حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية ص ٦١٤.

[٧] المستبصر ص ١٤٦.

عشور الحديد بعدن على رجل فرواتي بمقدار ٥٠% من ثمن البضاعة، وكانت تلك العشور قد استجدت في عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م، وقيل أن أول من أخذت منه أبو الحسن البغدادي[١].

يبدو أن عدداً كبيراً من الهنود كانوا يدخلون عدن للتجارة ولمزاولة أعمال تتعلق بالنشاط التجاري، وقد ذكر كويتن[٢] أن العادة المتبعة بعدن إجراء الفحص الطبي للمسافرين القادمين على السفن من الهند، في حين ذكر بأنه لم يعثر في أوراق الجنيزا على أي إشارة للفحص الطبي للمسافرين في موانئ البحر المتوسط.

وبرغم أن كويتن لم يحدد لنا تاريخ إجراء الفحص الطبي على المسافرين القادمين من الهند إلى عدن، إلا أن ذلك الإجراء يؤكد لنا أنه كان نظاماً متبعاً منذ وقت طويل، وكان اعتماده في الوصول لتلك النتيجة على مجموعة من وثائق الجنيزا، مما يوضح أن ذلك النظام كان متبعاً في عدن خلال مدة بحثنا، ولم يكن ساري المفعول في موانئ البحر المتوسط.

من جهة أخرى يؤكد لنا ذلك الإجراء على تطور حضري كبير في ميناء عدن، باتباع أسلوب الفحص الطبي وحجر الأشخاص المصابين، ونحن لا نستبعد أن اتخاذ ذلك الإجراء كان بسبب ما عرفت به شبه القارة الهندية – قديماً وإلى وقتنا الحاضر – من انتشار الكثير من الأوبئة والأمراض المعدية بين سكانها، فكان المسافرون من عوامل انتقال تلك الأمراض، لذلك انتبه مسؤولو الميناء لهذه الناحية المهمة وأولوها عناية خاصة، ولعل تأخر المسافرين في الميناء بعد وصولهم لمدة ثلاثة أيام، يرجع إلى أسباب كثيرة[٣] منها الفحص الطبي، والراجح أن ذلك الفحص كان معمولاً به على القادمين من الهند وغيرها.

ذكر كويتن[٤] أن بعض التجار سكنوا الهند، وعينوا وكلاء لهم من الهنود في عدن، ومنهم إبراهيم بن ياجو التونسي الأصل من المهدية الذي سبق الكلام عنه[٥].

توضح لنا الرسائل المتبادلة بين التجار في كل من عدن والقاهرة الحاجة إلى البضائع الهندية كالتوابل والعطور أو نباتات الصبغ مثل الفلفل والاهليلج والكبابة وصمغ اللك والزعفران والقرفة الصينية والقرنفل، وذلك أن تلك البضائع قد طلبت لتنقل من عدن إلى القاهرة[٦].

---

[١] نفسه ص ١٤٠.

[2]Goitein, S.D. A Mediterranean's Society, vol. I, (California, 1967) . p. 351.

[٣] ذكرنا تلك الأسباب في الفصل السابق.

[4]Goitein, Two Eyewitness, p. 249, Studies, pp: 336 - 337.

[٥] ذكرنا ما يتعلق به في موضوع سكان عدن.

[6]Goitein,Two Eyewitness ,pp. 249 - 250.

وبرغم استمرار العلاقات التجارية بصورة نشيطة بين عدن والـــهند، إلا إن الطريـــق التجارية كانت عرضة لهجوم القراصنة الهنود الذين اتخذوا من جزيرة سقطرة مخبأ لهم[١]، فعرضوا طريق التجارة للأخطار والمخاوف المستمرة، وقد أدى ذلك الحـــال إلـــى قيـــام السلطان طغتكين بن أيوب بإرسال الشواني لحماية التجار من السراق نظير فرض عشـــور جديدة على البضائع عرفت بعشور الشواني[٢]، وقام الاتابك سنقر أمير عدن بتجريد حملـــة على جزيرة سقطرة استخدم فيها الشواني[٣]، ولعل سببها يرجع إلى ازدياد خطر القراصنـــة الهنود ومهاجمتهم السفن التجارية.

لقد ازداد خطر هؤلاء القراصنة مما أدى إلى توقف التجارة مع الـــهند لمـــدة ســـنة، فأرسل الاتابك سنقر الشواني سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م للقضاء على اللصوص مرة ثانيـــة، وقد وصلت شواني الاتابك إلى قلهات وإلى كل مكان، وطردت اللصـــوص مـــن البحـــر[٤]، ونعتقد أن المرة الأولى التي بعث بها الاتابك الشواني لمطاردة اللصوص كانت في حملتـــه على جزيرة سقطرة.

ولإيضاح تطور العلاقات التجارية بين اليمن والهند عامة وعدن والهند خاصة أمدنـــا كويتن بقوائم فريدة عبارة عن وثائق جنيزا توضح نوع البضائع المتبادلة واقيام بعضـــها بالدينار الملكي[٥]، وعدد القطع لبعض البضائع، وهي تدل على أنها كتبت بشكل رسـائل أو مذكرات حسابية لا تحمل تاريخاً أو سنة معينة، لكننا نرجح أنها كانت خـــلال عـــهد بنـــي زريع والسنوات الأخيرة من حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي بمصر الذي يعاصره حكـــم أخيه السلطان طغتكين في اليمن.

ورد ذكر قائمة بالبضائع القادمة من الهند أو عبر الهند وبقية أقطار المحيط الـــهندي يمكن أن تصنف كما يلي[٦]:

أ- التوابل والعطور والأصباغ ومزروعات الطلاء والنباتات الطبية.
ب- الحديد والصلب (الفولاذ)، وهو بضاعة رئيسة.
ج- نحاس وبرونز على شكل مراكب[٧].

---

[١] ابن المجاور. المستبصر ص ٢٦٨، وقد زار جزيرة سقطرة سنة ٦١٨هـ، ووصف سكانها بقولـــه: "ورأس ما في سقطرة وغاية معاش أهل هذه السواحل مع السراق لأن السراق ينزلون عندهم ويقيمون عندهم مدة ستة شهور يبيعون عليهم الكسب و يأكلون ويشربون...".
أنظر أيضاً: حوراني. العرب والملاحة ص ٢١٠، ٢٢٧، ٢٣٠، وكان أشهر هـــؤلاء القراصنـــة رامشـــيت الهندي الذي سبق ذكره، أنظر: Goitein, Studies, p. 338.

[٢] إبن المجاور. المستبصر ص ١٤١ – ٢، راجع التفاصيل عنها في الفصل الخامس.

[٣] المستبصر ص ٢٦٦ – ٧.

[٤] إبن حاتم. السمط الغالي ص ١٣١.

[٥] سبق أن درسنا القوائم التي احتوت الأسعار بالدينار الملكي، وسوف نذكر فقط البضائع التي احتوتها هنا تلافياً للتكرار.

[٦] ورد في هذه القائمة عدد القطع لكل بضاعة، وسوف نترك العدد ونكتفي بذكر أهم البضـــائع فقـــط لأنـــها لا تحمل تاريخاً أو سنة معينة نستدل منها على شيئ ما. Goitein, Studies, p.339.

[٧] نعتقد أن المقصود هنا هو استخدام النحاس والبرونز في صنع نماذج مصغرة لأشكال متنوعة من المراكـــب تعتبر بمثابة تحفيات وهدايا.

د- الحرير الهندي وبقية الأنسجة المصنوعة بصورة رئيسة من القطن.
هـ- اللآلئ، الخرز، المحار والعنبر.
و- الأحذية وبقية صناعة الجلود.
ز- الخزف الصيني، القدور الحجرية اليمانية والعاج الأفريقي.
ح- فواكه استوائية مثل جوز الهند.
ط- الخشب[1].

يعلق كويتن[2] على هذه القائمة، فيذكر أنها تحتاج بعض التوضيح، فالمجموعة الأولى (أ) تفوق كل المواد الأخرى، ليس فقط في العدد لكن أيضا في غزارة ورودها وفي قيمتها العالية، قد تكون - على كل حال - أهميتها تعود إلى حقيقة هي أن مهنة صناعة العطور والأدوية والأصباغ والتوابل كانت رائجة إلى أقصى الحدود بين اليهود في الأقطار الإسلامية، كما لم نجد - في هذه القائمة - ذكرا للسيوف الهندية[3] المشهورة جدا في الأدب العربي بين طيات هذه الأوراق والقوائم المدونة فيها، سواء أن المسلمين في الشرق الأوسط فضلوا صناعة أسلحتهم الخاصة أو أن اليهود لسبب ما امتنعوا عن تجارة هذه البضاعة وهذا يحتاج إلى بعض التوضيح. ونعتقد أن اليهود قد احتكروا صناعة العطور والأصباغ والتوابل والمتاجرة بها لرواجها ورغبة الناس وحاجتهم لها مما اكسبهم أرباحا طائلة، وتركوا صناعة السيوف ربما لعدم الحاجة الماسة إليها، بسبب استقرار الأحوال السياسية وميل الناس نحو الترف لنشاط التجارة وكثرة الأموال الناجمة عنها.

ذكر كويتن[4] أيضا قائمة ثانية تحوي أصناف البضائع الآتية من الشرق قد لوحظت في أوراق الجنيزا، وهي مرسلة من موانئ البحر الأحمر أو عدن، تحوي المواد التالية[5]:

١- الأنسجة والأقمشة.
٢- أوان ومواد أخرى، الحلي الفضية، النحاسية، الزجاجية.
٣- أدوات منزلية مثل السجاد، الحصران، المناضد والقدور (قدور القلي - الطبخ...).
٤- مواد كيمياوية وطبية وأوراق كتب وصابون.
٥- معادن وأصناف أخرى لصناعة الرصاص.
٦- المرجان وهي مادة ذات أهمية عظيمة.
٧- مواد غذائية مثل الجبن، السكر، الزبيب، زيت الحوت، زيت الضوء (للإنارة)[6].

---

[1] كان عدد القطع لكل فقرة أعلاه حسب التسلسل كما يلي: ٣٦، ٦، ١٢، ٨، ٤، ٢، ٣، ٥، ١، وبذلك يبلغ مجموعها (٧٧) قطعة.

[2] Goitein, Studies, pp: 339 - 340.

[3] هي السيوف الهندية التي نافست سيوف اليمن ولقيت رواجا في الحجاز، حتى اشتهر السيف المهند بجودته وحدته. السامر. الأصول التاريخية ص ٢١.

[4] Goitein, Studies, p.341.

[5] سجلت هذه المواد بعدد القطع وسنذكرها فقط، ونسجل عددها في الهامش.

[6] أورد كويتن أمام كل فقرة عدد القطع وهي: ٣٦، ٢٣، ٧، ١٩، ٧، ١، ١٠، مجموعها (١٠٣) قطع.

ويضيف كويتن[1] بأن هذه القائمة يمكن أن توسع بإضافة العديد من المـواد الأخـرى، لكن إضافتها تؤدي إلى الارتباك، ولو قارناها مع قائمة البضائع الآتية من الغرب يسـتطيع الإنسان أن يأتي إلى خاتمة هي أن الهند والشرق عموماً يرسلون بضائع مـن إنتاجـات زراعية ومواد خام، بينما الشرق الأوسط يصدر غالباً مواد صناعية وبضائع اسـتهلاكية، لذلك يمكن للإنسان أن يفترض أن الموقع يحمل تشابها مؤكداً إلى العلاقات الأوربية مـع الدول التابعة لها حديثاً[٢].

كانت المقايضة وسيلة من وسائل التبادل التجاري بين عدن والهند، فقد قيمـت تلـك البضائع بالدينار الملكي، وكان كل ٢,٣٥ دينار ملكي يساوي قيمة قطعة ذهبية مصريـة، أي دينار مصري، وهذا يمثل هبوطاً في قيمة الدينار المصري إلى أكثر من نصف قيمتـه السابقة، إذ كان يساوي أربعة دنانير ونصف ملكي[٣].

ذكر كويتن[٤] قائمتين الأولى تحوي قيم بضائع مرسلة من الهند إلى عدن، وهي: الفلفل والحديد، قدرت اقيامهما بالدينار الملكي مطروحاً منها تكاليف الجمرك ومصاريف أخـرى، ولم تحدد الوزن المعتمد في تقييمهما ولا تاريخ تلك القائمة، وفي اعتقادنا أن الوزن كـان محسوباً بالبهار[٥]، والراجح أن القائمة تعود إلى أواخر عهد السلطان صلاح الدين الأيوبـي الذي كان على حرب ضد الفرنج الصليبيين، وكان من نتائج تلك الحرب عدم ورود السـفن الأوربية وقلة وصول السفن الأخرى إلى الموانئ المصرية واليمنية؛ بسبب عدم الاستقرار وانعدام الأمن، فأدى إلى هبوط في قيمة الدينار المصري، وتمثل القائمة الثانيـة بضـائع مرسلة من عدن إلى الهند، قدرت اثمانها بالدينار الملكي أيضاً وبنفس القيمة مـع عـدم الإشارة للوزن وتاريخ شحن البضاعة، وكانت بضائعها مكونة من النحاس مضافـاً إليـه تكاليف الحمولة والعشور، والرصاص وبضائع منزلية ودنانير مصرية ودنانير دفعت نقـداً، ومجموعها يقارب مجموع اقيام البضائع في القائمة الأولى، مما يؤكـد لنـا أن التبـادل التجاري في القائمتين قد تم بطريقة المقايضة، وقد ذكر كويتن[٦] قوائم لبضائع تُبودلت بيـن عدن والهند على قيمة الدينار الملكي أيضاً.

كانت الديبل – وهي كراتشي الحالية[٧] – قد ارتبطت مع عدن بعلاقات تجارية وديـة، فقد اشتهرت بالخرز الملون الذي كان يجلب إلى عدن وقد اعفي من العشور التجاريـة[٨]، تشجيعاً لوروده فكان يستعمل للزينة. وفي صياغة الحلي والعقود النسائية وغيرها.

---

[1] Goitein, op, cit, pp: 341 – 342.

[٢] هنا مقارنة بين إنتاج دول تعتمد على الزراعة والمواد الخام فتصدرها مواد أولية ثم تشتريها مواد مصنعـة باسعار عالية، كما هو الحال بالنسبة لدول أوربا الصناعية ودول الشرق المتخلفة صناعياً.

[٣] ذكرنا هذه القوائم في دراستنا للعملة في الفصل السابق.

[4] Goitein, Studies, pp:342 - 343.

[٥] كان وزن الفلفل والحديد بالبهار، راجع الفصل السابق.

[6] Goitein, Studies, p. 343.

[٧] السامر. الأصول التاريخية ص ١٤٧.

[٨] ابن المجاور. المستبصر ص ١٤٣.

كان السفر بين عدن والديبل من معالم تطور العلاقات الطيبة بينهما، ذكر إبن المجاور[1] أنه سافر من الديبل إلى عدن في مركب الناخوذا خواجة نجيب الدين محمود بن أبي القاسم البغوي في آخر سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، ومرّ بجزيرة سقطرة ورأى مدنها ووصف سكانها بأنهم نصارى يعلقون الصلبان في أعناقهم، وفي أطراف الجزيرة سواحل كثيرة مثل بندر موسى.

كانت مراكب الحجاج الهنود ترجع من مكة إلى الهند مارة باليمن، وفي الطريق تؤخذ الضريبة على الحجاج في رجوعهم، ويبدو أنها تؤخذ منهم في البصرة أو بالقرب منها عند سواحل الخليج العربي، إذ روى إبن المجاور[2] عن الحُجاج أن عبدالغفور بن أحمد بن محمد الصناديقي البصري كان يأخذ الأموال من كل حاج رجع إلى الهند، وينقل على لسان الأمير ناصر الدين فاروت أمير عدن سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م الذي تولى في تلك السنة أيضاً إمارة الحج، أن الحجاج لو سافروا على مركبهِ لما استطاع عبدالغفور أن يأخذ منهم أموالاً عند عودتهم، وطبيعي أن ذلك يرجع إلى قوة الأمير ناصر الدين، لكونه أميراً متنفذاً يمتلك القوة الكافية لردع أمثال عبدالغفور وإيقاف تجاوزه.

وفي مجال التجارة كانت بعض المراكب التجارية تسير بين مصر والهند مروراً بعدن، فكان التجار والحجاج يصلون إلى ثغر عيذاب في مصر، حيث تسير المراكب بالحجاج شرقاً إلى جدة ميناء الحجاز، أو بالبضائع جنوباً إلى بلاد اليمن وعدن، ثم تواصل السير إلى سواحل بلاد الهند والصين، ثم تعود محملة بالبضائع إلى عيذاب ومنها إلى الساحل المصري، لذلك كانت عيذاب أهم المراسي العالمية؛ لأن مراكب الهند واليمن تفرغ فيها البضائع ويسافر منها الحجاج في الذهاب والإياب[3].

كانت تجارة عدن مع الهند في العهد الأيوبي ذات مردود مالي كبير جداً، فقد كان يحمل من عدن إلى حصن تعز كل عام أربع خزائن، كل منها بلغت (١٥٠) ألف دينار يزيد وينقص، أي ما مجموعهُ (٦٠٠) ألف دينار سنوياً، واستمر الحال حتى سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، وهذه الخزائن التي شكلت موارد ضخمة للدولة الأيوبية مصدرها التجارة مع الهند[4]، وهي: خزانة قدوم المراكب من الهند، خزانة دخول القوة إلى عدن، خزانة خروج الخيل من عدن إلى الهند، خزانة سفر المراكب إلى الهند.

---

[1] نفسه ص ٢٦٧ – ٨.

[2] نفسه ص ٤٩ – ٥٠، وقد نقلنا نص روايته في الفصل الرابع .

[3] حسن إبراهيم. تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٩٧، وقد درسنا علاقة عيذاب بعدن.

[4] أنظر عن هذه الموارد: إبن المجاور. المستبصر ص ١٤٤ – ٥، لقمان. تاريخ عدن ص ٢٩٨، وقد درسنا تلك الموارد في الفصل السابق.

الخلاصة

تركزت دراستنا حول مدينة عدن إحدى مدن وطننا العربي الكبير، وهي مدينة قديمة كانت – وما تزال – ذات موقع استراتيجي مهم ومن موانىء الطرف الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية.

عدن إحدى أسواق العرب القديمة في الجاهلية، وقد حافظت على أهميتها في العهد الإسلامي، وورد ذكرها كثيراً في المأثورات العربية والإسلامية. ورغم إصابتها بعزلة تجارية في العصر العباسي الأول عند تحول طرق التجارة الإسلامية من البحر الأحمر إلى الخليج العربي، فقد استعادت مكانتها المهمة بقيام الخلافة الفاطمية في مصر، فانتعشت موانئ البحر الأحمر في اليمن مثل عدن والمخا، ومصر مثل عيذاب وقوص وغيرهما.

وفي مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كانت بلاد اليمن قد جُزأت إلى إمارات ودويلات قبلية همدانية وحميرية، وكانت عدن إحدى مدن اليمن التي ذابت في خضم تلك التجزئة، فقامت فيها إمارة عربية هي إمارة بني معن الحميريين.

ولم تفتأ اليمن أن نهضت من ترديها، فظهر علي بن محمد الصليحي في منطقة حراز داعياً للمذهب الفاطمي، وأعلن ثورته سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م، فاستطاع السيطرة على كل بلاد اليمن وتوحيدها سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، وأبقى بني معن أمراءً على عدن وأعمالها، ولعل ذلك يرجع إلى قوة نفوذهم وعلاقتهم الوثيقة معه، لكن وحدة اليمن لم تستمر طويلاً، إذ كان لمقتل الصليحي سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م، أثر في تفتيتها.

وبعد القضاء على إمارة بني معن، تأسست في عدن إمارة عربية عرفت بإمارة بني المكرم الجشمي اليامي الهمداني، وذلك في حدود سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، تقاسم السيطرة عليها الأخوان العباس ومسعود أبناء المكرم، ولأول مرة – في تاريخ عدن – تم تقسيمها إلى منطقتي نفوذ، وقد أوضحتُ في المكان المناسب من الرسالة دواعي ذلك التقسيم وآثاره.

على أنه خلال عهد بني المكرم جرت محاولات عديدة للاستقلال عن الدولة الصليحية، بعد وفاة المكرم أحمد بن علي الصليحي وتولي زوجهُ السيدة الحرة الحكم من بعده، فتكللت تلك المحاولات بالنجاح واستطاع أميرا عدن أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود الاستقلال التام فيها، وفصلها عن تبعية الصليحيين.

وكان أهم ما يميز إمارة بني المكرم، الصراع بين أبناء العم من أفراد تلك الأسرة، وقد تحول ذلك الصراع إلى حرب طاحنة في وادي لحج استمرت قرابة العامين، انتهت بانتصار سبأ بن أبي السعود على إبن عمه علي بن أبي الغارات بن مسعود سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م، فانتقلت السلطة الفعلية إلى فرع بني زريع من أسرة بني المكرم.

وكما نظام الحكم وراثياً في أبناء أسرة المكرم من ولدي العباس ومسعود، استمر ذلك النظام في عهد بني زريع، إذ انتقل الحكم إلى علي بن سبأ ثم إلى أخيه محمد، وتميزت العلاقة بين الأخوين بالصراع من أجل السلطة، وفشل محاولة علي بن سبأ نقل السلطة إلى أولاده، بعد وفاته. وامتاز حكم محمد بن سبأ بالتوسع وإغداق الأموال على الشعراء،

والاعتماد على العبيد المعتقين أمثال بلال بن جرير وجوهر المعظمي في إدارة شؤون الدولة، وكذلك حمل أبناء هذا الفرع لقب الداعي تأكيداً لاستمرار العلاقة السياسية النظرية بينهم وبين الفاطميين في مصر، وفي أواخر عهد بني زريع وبعد وفاة الداعي عمران بن محمد بن سبأ، انتقلت السلطة إلى أولاده الصغار بكفالة جوهر المعظمي وياسر بن بلال بن جرير، حتى دخول توران شاه الأيوبي إلى اليمن وقضائه على إمارة بني زريع في عدن.

ساعدت الأيوبيين عوامل وظروف عديدة في التفكير بالسيطرة على اليمن، فجهزوا حملة بقيادة توران شاه تمكنت من القضاء على الإمارات والدويلات العديدة التي قامت هنالك، وذلك في سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، وكان من أبرز مميزات حكم الأيوبيين في اليمن: القضاء على أنصار الفاطميين ودعاتهم في عدن وزبيد وصنعاء، واعتبار تلك البلاد إقطاعاً لسلاطينهم الذين غادروها وعينوا النواب عليها فكانوا يرسلون الأموال السنوية إلى مصر والشام. وعلى أثر تأجج الصراع بين أولئك النواب – الذين حاولوا الاستقلال والتوسع مؤسسين قوىً للمعارضة – أن عاشت اليمن عهداً من عدم الاستقرار والحروب الكثيرة. وحيث امتاز اهتمام الأيوبيين – بصورة عامة – بتثبيت سيطرتهم على اليمن وبمختلف الوسائل، فقد دخلوا معارك مستمرة مع معارضيهم، كان من نتائجها إهمالهم شؤون البلاد وعدم إعارتها الاهتمام الكافي لإصلاحها.

وبرغم عدم استقرار أحوال اليمن الداخلية في العهد الأيوبي، إلا أن عدن تمتعت بمركز اقتصادي مهم، فانتعشت تجارتها الداخلية والخارجية، وكثرت مواردها المالية، وعني النواب بها عناية فائقة من بناء المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ذات النفع العام، فتديرتها أقوام من جنسيات مختلفة، وقد تجلى ذلك بصورة خاصة في عهدي عثمان الزنجيلي والمعتمد التكريتي.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من الظلم والجشع قد وقع من قِبل بعض النواب الأيوبيين وسلاطينهم على الناس والتجار في عدن وتوابعها، من ذلك ما فعله الاتابك سنقر مع أهل المملاح في عدن، وزيادة الرسوم الجمركية زيادة باهضة في عهد المسعود الأيوبي الذي صادر أموال التجار قبل مغادرته لليمن، وكذلك ما قام به نور الدين عمر بن علي بن رسول نائب بني أيوب من أعمال المصادرة والجشع والإحتكار وزيادة الرسوم في عدن.

والنظرة إلى عدن باعتبارها ميناءً مهماً وسوقاً تجارية نشطة، توضح لنا تزايد مركزها الاقتصادي وأهميته منذ عهد بني المكرم وبني زريع – من بعدهم – وخلال العهد الأيوبي، إذ كانت ذات صِلات تجارية مع أرجاء العالم كوسيط للتجارة مع الهند ومصر والصين والساحل الشرقي لأفريقيا، فدخلتها بضائع كثيرة وجمعت أموال طائلة من رسوم التجارة عادت بالنفع الكبير على سكانها وعلى الأمراء الذين حكموها، وكانت عدن مركزاً لضرب العملة خلال عهدي بني المكرم والأيوبيين، وأصبحت مركز استقطاب للعاملين في الوسط التجاري من مختلف أرجاء العالم، وكان لأهمية عدن ومركزها التجاري الممتاز دور في التنافس والصراع بين قوى كثيرة محلية وعالمية للسيطرة عليها وإخضاعها لنفوذها، فكانت مواردها خير هدية للفاتحين، الذين القوا عليها وعلى سكانها وتجارها

أعباء ثقيلة من الرسوم والضيق الاقتصادي من الجشع والإحتكار وغيرهما من مظاهر الظلم والتعسف.

إن دراسة تاريخ اليمن والإحاطة به، لا تخلو من الصعوبة، ذلك لأن الخط العام والمنهج لمعظم المؤلفات اليمنية، تؤرخ عموماً للنواحي السياسية أو الحربية، أما النواحي الاجتماعية والثقافية والحضارية فتكاد تكون معدومة، باستثناء بعض الإشارات المقتضبة هنا أو هناك، بحيث أصبح على الباحث قراءة مادة الكتاب كاملاً، كي يتصيد بعض تلك الإشارات الاجتماعية أو الاقتصادية القليلة المبثوثة بين ثناياها. وآمل أن تسهم رسالتي هذه في إنارة جوانب من تاريخ هذا القطر العربي العريق، وتوضيح ما غمض منه، والله ولي التوفيق.



جريدة المصادر والمراجع

١- المخطوطات:

- ابن أبي عذيبة، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، (ت: ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م).

١- إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، نسخة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب/ جامعة بغداد، رقم (٢٤٨).

- ابن مظفر، محمد بن أحمد بن يحيى، (ت: ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م).

٢- الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان، ج ١ نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم (٦٠) تاريخ وتراجم.

- أبو مخرمة، أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد، (ت: ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م).

٣- النسبة إلى المواضع والبلدان، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٩) جغرافيا.

- إدريس، الداعي إدريس بن الحسن بن عبدالله الأنف، (ت: ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م).

٤- نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار، نسخة الدكتورة فضيلة عبد الأمير الشامي، مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية.

- الأفضل الرسولي، الملك العباس بن علي، (ت: ٧٧٨هـ/ ١٣٧٧م).

٥- العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، نسخة دار الكتب المصرية، رقم (٣٥١) تاريخ.

- الأهدل، حسين بن عبدالرحمن، (ت: ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

٦- تحفة الزمن في سادات اليمن، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٥٥) تاريخ وتراجم.

٧- الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد. نسخة مكتبة المتحف البريطاني رقم OR, 1345. (ينسب خطأ إلى: محمد بن محمد بن منصور بن أسير).

- با علوي، محمد بن أبي بكر بن أحمد، (ت: ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م).

٨- المشرع الروي في مناقب بني علوي، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (١٧٨) تاريخ وتراجم.

- الجنداري، أحمد بن عبدالله، (ت: ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م).

٩- الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٦٥) تاريخ وتراجم.

- الجندي، بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب، (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).

١٠- السلوك في طبقات العلماء والملوك، ويسمى: تاريخ العلماء والأولياء والملوك، ج ١، ٢، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٤٦) تاريخ وتراجم.

- ج ٣، نسخة المكتبة الشرقية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٢٥) تاريخ.
- الحجري، محمد بن أحمد بن أحمد، (ت: ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م).
١١- معجم الحجري في بلدان اليمن وأنسابها، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٨) جغرافيا.
- الحجوري، يحيى بن سليمان بن أبي الحفيظ، (ت: ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م).
١٢- روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكث الآثار ومواعظ الأخبار وملح الأشعار وعجائب الأسمار، المعروفة بروضة الحجوري (وقد ورد خطأ أنها الجزء الرابع من تاريخ مسلم اللحجي)[1]، نسخة المكتبة الوطنية في باريس، رقم: .Arabe 5982
- الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي، (ت: ٧١٤هـ/ ١٣١٤م).
١٣- كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، نسخة مكتبة المتحف البريطاني، رقم .OR, 4581
- الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي، (ت: ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م).
١٤- التاريخ المنصوري، المسمى: تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، مخطوطة مصورة غير محققة، عني بنشرها بطرس غريازينويج، دار النشر للآداب، موسكو ١٩٦٠م.
- الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس الزبيدي اليمني، (ت: ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م).
١٥- طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، نسخة مكتبة المتحف البريطاني، رقم .OR, 2425
-نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (١٣٠) تاريخ وتراجم (وهي تكمل النسخة السابقة).
١٦- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، ج ٢، نسخة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب/ جامعة بغداد، رقم (٨٧٢).
١٧- العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن (النصف الثاني)، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (١٣٦) تاريخ وتراجم.
١٨- الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الإسلام، ق ١، نسخة مصورة فوتوستات في مكتبة المجمع العلمي العراقي، رقم (٤٨) تاريخ.
- السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي، (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م).
١٩- الأنساب، نسخة مصورة غير محققة، نشرها د. س. مرغوليوث، مط بريل، ليدن ١٩١٢م.
- الشرفي، العلامة أحمد بن محمد بن صلاح، (ت:١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م).

[1] راجع دراستنا للمصادر في مقدمة الرسالة.

٢٠- اللآلئ المضية في أخبار أئمة الزيدية، ج ٢، نسخة المكتبة الشرقية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (١٠٨).
- العامري، يحيى بن أبي بكر، (ت: ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م).
٢١- غربال الزمان المفتتح بسيد ولد عدنان، نسخة مكتبة المتحف البريطاني، رقم: OR, 21587.
- الكبسي، محمد بن إسماعيل بن محمد، (ت: ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م).
٢٢- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (١٦٣) تاريخ وتراجم.
- مجهول المؤلف.
٢٣- قطعة من كتاب في الجغرافية/ مخطوطة مصورة فوتوستات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب - جامعة بغداد، تحت رقمي: (٣٢٤، ١٢١٨).
- الوزير، عبدالله بن علي، (ت: ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م).
٢٤- جامع المتون في أخبار اليمن الميمون، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٦٤) تاريخ وتراجم.
- يحيى بن الحسين بن القاسم، (ت: ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م).
٢٥- إنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (١٧) تاريخ وتراجم.
٢٦- الطبقات في ذكر فضل العلما وعلمائهم ومصنفاتهم، ويسمى: الطبقات الزُهر في أعيان العصر، نسخة شخصية للقاضي إسماعيل بن علي الاكوع الحوالي.
٢٧- المستطاب في تاريخ علماء الزيدية الأطياب، نسخة مكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء، رقم (١٧٧) تاريخ وتراجم.

٢- المصادر العربية:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).
٢٨- الكامل في التاريخ، ج ١٠، ١١، (بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).
٢٩- اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢،٣، طبعة أوفست مكتبة المثنى (بغداد، د. ت).
- ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبدالله، (ت. د: ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م).
٣٠- كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، المسمى: الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، - تح: د. صلاح الدين المنجد، (القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م)،
- ج ٧، المسمى: الدر المطلوب في اخبار ملوك بني أيوب، - تح: د. سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م).
- ابن البيطار، عبدالله بن أحمد الاندلسي، (ت: ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م).
٣١- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج ٣، (القاهرة، ١٢٩١هـ).
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف، (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

٣٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، ٦، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، مطابع كوستا تسوماس وشركاه، (القاهرة، د. ت).
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، (ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).
٣٣- رحلة ابن جبير، المسماة: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، منشورات دار التراث، (بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).
٣٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مج ٩، ط ١، (حيدر آباد الدكن، ١٣٥٩هـ).
- ابن حاتم، الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد، (كان حياً سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م).
٣٥- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح: ركس سمث، منشورات مكتبة لوزاك، (لندن، ١٩٧٤م).
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).
٣٦- تاريخ ابن خلدون، المسمى: العبر وديوان المبتدأ والخبر...، مج ٤، ٥، منشورات دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٦٨م).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
٣٧- وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، ٧ مج، - تح: د. إحسان عباس، منشورات دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٨ - ١٩٧١م).
- ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي، (ت: ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م).
٣٨- تاريخ اليمن، المسمى: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، - تح: مصطفى حجازي، مط مخيمر، (القاهرة، ١٩٦٥م).
- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).
٣٩- التاريخ الكبير، مج ٢، مط روضة الشام، (دمشق، ١٣٣٠هـ).
- ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحي، (ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).
٤٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٤، منشورات مكتبة القدسي.طبعة أوفست، (القاهرة، ١٣٥٠هـ).
- ابن الفوطي، عبدالرزاق بن تاج الدين أحمد، (ت: ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م).
٤١- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج ٤ ق ١، - تح: د. مصطفى جواد، مط الهاشمية، (دمشق، ١٩٦٢م).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
٤٢- البداية والنهاية في التاريخ، ج ١٢، مط السعادة، (القاهرة، د. ت).
- ابن المجاور البغدادي النيسابوري،...[1] بن محمد بن مسعود بن علي بن أحمد، (ت: د.: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

[1] ورد خطأ اسمه على غلاف الكتاب أنه جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المَجاور الشيباني الدمشقي، والصواب ما ذكرناه أعلاه فقد ذكر اسم والده على كتابه ص ٢٥٢، وذكر أخاه: أحمد بن مسعود (ص ٩٧)، ولا نعرف اسمه الأول. راجع بحثنا عنه في مجلة الخليج العربي/ جامعة البصرة، المجلد (٢٣)، العدد (١ - ٢)، ١٩٩١م، ص ١١٥ - ١٣٨.

٤٣- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة: تاريخ المستبصر، ق ١، ٢، - تح: أوسكر لوفغرين، مط بريل، (ليدن، ١٩٥١، ١٩٥٤م).
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م).
٤٤- لسان العرب، (بيروت، ١٣٧٤ - ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٥ - ١٩٥٦م).
- ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب، (ت: ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م).
٤٥- أخبار مصر، ج ٢، باعتناء: هنري ماسيه، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي، (القاهرة، ١٩١٩م).
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).
٤٦- تاريخ ابن الوردي، المسمى: تتمة المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ط ٢، (النجف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).
- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي، (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).
٤٧- تقويم البلدان، باعتناء رينود والبارون ماك كوكين د يسلان، (باريس، ١٨٤٠م).
٤٨- المختصر في أخبار البشر، مج ١، ج ٤، منشورات دار الكتب اللبناني، (بيروت، د. ت).
- أبو مخرمة، أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد، (ت: ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م).
٤٩- تاريخ ثغر عدن، ج ١، ٢، - تح: أوسكر لوفغرين، مط بريل، (ليدن، ١٩٣٦م)، طبعة أوفست مكتبة المثنى/ بغداد.
- الأصفهاني، أبو عبدالله عماد الدين محمد الكاتب، (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).
٥٠- خريدة القصر وجريدة العصر، ج٣، قسم شعراء الشام، - تح: د. شكري فيصل، مط الهاشمية، (دمشق، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).
- البكري، أبو عبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز، (ت: ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).
٥١- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ١، - تح: مصطفى السقا، ط ١، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م).
- التطيلي، بنيامين بن يونة، (ت: ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م).
٥٢- رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، ط ١، مط الشرقية، (بغداد، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م).
- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد، (ت: ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م).
٥٣- الإمتاع والمؤانسة، ج ١، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، ط ٢، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٣م).
- الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، (ت. د.: ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م).
٥٤- طبقات فقهاء اليمن، - تح: فؤاد سيد، مط السنة المحمدية، (القاهرة، ١٩٥٧م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م).
٥٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٦ ج، - تح: أحمد عبدالغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٣٧٥ - ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٦ - ١٩٥٧م).

- الحازمي، محمد بن موسى، (ت: ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م).
٥٦- ما اتفق لفظهُ وافترق مسماهُ، - تح: حمد الجاسر، العـــرب، ج ٣ - ٤، س١٤، (الرياض، ١٩٧٩م).
- الحموي، ياقوت بن عبدالله، (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
٥٧- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المسمى: معجم الأدباء، ج ١، ٢، باعتناء: د. س. مرجليوث، ط ٢، مط هندية، (القاهرة، ١٩٢٣، ١٩٢٤م).
٥٨- المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، - تح: فردناند وستنفيلد، (كوتينجن، ١٨٤٦م)، طبعة أوفست مكتبة المثنى/ بغداد.
٥٩- معجم البلدان، ٥ ج، (بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٥٧م).
- الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم، (من علماء القرن الثامن الهجري).
٦٠- الروض المعطار في خبر الأقطار، - تح: د. إحسان عباس، منشورات مكتبـــة لبنان، (بيروت، ١٩٧٥م).
- الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، (ت: ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م).
٦١- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، - تح: ناظم رشيد، (بغداد، ١٩٧٨م).
- الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن، (ت: ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م).
٦٢- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج ١، باعتناء الشيخ محمد بســـيوني عسل، مط الهلال، (القاهرة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).
- الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف، (ت: ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م).
٦٣- مفاتيح العلوم، ط ١، مط الشرق، (القاهرة، ١٣٤٢م).
- الديبع، عبدالرحمن بن علي، (ت: ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م).
٦٤- بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، - تـــح: عبـــدالله محمـــد الحبشـــي، ط ١، منشورات مركز الدراسات اليمنية، (صنعاء، ١٩٧٩م).
٦٥- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ق ١، - تح، محمد بن علي الاكـــوع، مـــط السلفية، (القاهرة، ١٩٧٧م).
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت: ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م).
٦٦- قطعة من الجزء الخامس من كتاب النبات (الجزء الثامن من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي)، عني بنشره: برنارد لوين، مط بريل، (ليدن، ١٩٥٣م).
- الرازي، أحمد بن عبدالله بن محمد الصنعاني، (توفي بعد: ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).
٦٧- تاريخ مدينة صنعاء، - تح: حسين عبدالله العمري وعبدالجبـــار زكـــار، ط ١، (دمشق، ١٩٧٤م).
- الزبيدي، محب الدين محمد مرتضى، (ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).
٦٨- تاج العروس من جواهر القاموس، مـــج٣، ط ١، مـــط الخيريـــة، (القـــاهرة، ١٣٠٦هـ)، طبعة أوفست.
- سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قيزوغلو، (ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

٦٩- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٨ ق ١، ط١، (حيدر آباد الدكن، ١٣٧٠ - ١٣٧١هـ/ ١٩٥١ - ١٩٥٢م).
- السهيلي، الإمام المحدث عبدالرحمن، (ت: ٥٨١هـ/ ١١٨٥م).
٧٠- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لإبن هشام، ج ١، - تح: عبدالرحمن الوكيل، (القاهرة، ١٩٧٠م).
- الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس، (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).
٧١- تحقيق الجزيرة والعراق من روض الفرج وأنس المهج، - تح: د. إبراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢٣، (بغداد، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).
٧٢- تحقيق الجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، - تح: د. إبراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢٣، (بغداد، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).
٧٣- جزيرة العرب من نزهة المشتاق، - تح: د. إبراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢١، (بغداد، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
٧٤- ديار العرب من أنس المهج وروض الفرج، - تح: د. إبراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢١، (بغداد، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
- شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد الأنصاري، (ت:٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م).
٧٥- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (بطرسبورغ، ١٨٦٥م)، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى/ بغداد.
- الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن، (ت: ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م).
٧٦- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، ٥ ج، - تح: عبدالعليم الطحاوي وإبراهيم إسماعيل الابياري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مط دار الكتب، (القاهرة، ١٩٧٠ - ١٩٧٧م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).
٧٧- تاريخ الرسل والملوك، ج٢، - تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦١م).
- عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي، (ت: ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م).
٧٨- تاريخ اليمن[1] المسمى: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، - تح: محمد بن علي الاكوع الحوالي، ط٢، (القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).
٧٩- مختار من ديوان العلامة الأديب الأوحد الناظم الناثر الفقيه عمارة اليمني (مطبوع بعد كتاب النكت العصرية).

[1] طبعة هنري كاس كاي باللغة الإنجليزية تحت عنوان: Y aman its early medieval history, (London, 1892). ، نشر مع تلك الطبعة ترجمة للكتاب باللغة العربية باعتناء كاي في لندن سنة ١٣٠٩هـ، ويليه المختصر المنقول من كتاب العبر لابن خلدون ثم أخبار القرامطة باليمن للبهاء الجندي. ونشر الكتاب أيضا في القاهرة بتحقيق د. حسن سليمان محمود، دار الثناء للطباعة، (القاهرة، ١٩٥٧م)، وقد رجعنا - في بعض الأحيان - إلى هاتين الطبعتين.

٨٠- النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، باعتناء: هوتويغ درنبرغ، مط مرسو، (شالون، ١٨٩٧م)، أوفست مكتبة المثنى (بغداد، د. ت.).
- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني، (ت: ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)
٨١- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج ٦، - تح: فؤاد سيد، (القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت: ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).
٨٢- آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).
٨٣- صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج ٢، ٣، ٥، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، مطابع كوستا تسوماس وشركاه، (القاهرة، د. ت).
- مجهول المؤلف.
٨٤- تاريخ اليمن في الدولة الرسولية، - تح، هيكوا يشي ياجيما، (طوكيو، ١٩٧٦م).
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد، (كان حياً سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م).
٨٥- الأزمنة والأمكنة، ج ٢، ط ١، (حيدر آباد الدكن، ١٣٣٢هـ).
- المظفر الرسولي، يوسف بن عمر بن علي بن رسول، (ت: ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م).
٨٦- المعتمد في الأدوية المفردة، ط ٣، باعتناء: مصطفى السقا، منشورات دار المعرفة، (بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
- المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).
٨٧- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، باعتناء: دي غويه، ط ٢، مط بريل، (ليدن، ١٩٠٦م).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).
٨٨- السلوك لمعرفة دول الملوك، باعتناء: محمد مصطفى زيادة، ج ١ ق ١، مط دار الكتب، (القاهرة، ١٩٣٤م).
٨٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، ج ١، مط بولاق، (القاهرة، ١٢٩٤هـ)، أعادت طبعة بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٠م.
- المنجم، الشيخ إسحاق بن حسين، (من علماء القرن الخامس الهجري).
٩٠- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، طبعة مصورة أوفست بإشراف مكتبة المثنى، (بغداد، د. ت).
- النعيمي، أبو المفاخر عبدالقادر بن محمد، (ت: ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م).
٩١- الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، - تح: جعفر الحسني، مط الترقي، (دمشق، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م).
- الهمداني، لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت، د: ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م).

٩٢- صفة جزيرة العرب، - تح: محمد بن علي الاكـــوع الحوالـــي، منشـــورات دار اليمامة، (الرياض، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
٩٣- كتاب الإكليل، ج ١٠، - تح: محب الدين الخطيـــب، مـط السـلفية، (القـاهرة، ١٣٦٨هـ).
- الوصابي، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن، (ت: ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م).
٩٤- تاريخ وصاب المسمى: الاعتبار في التواريخ والآثـار، - تـح: عبـدالله محمـد الحبشي، ط ١، منشورات مركز الدراسات اليمنية، (صنعاء، ١٩٧٩م).
- يحيى بن الحسين بن القاسم، (ت: ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م).
٩٥- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ق ١، - تح: د. سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

٣- المراجع العربية الحديثة:

- اباظة ، د.فاروق عثمان.
٩٦- عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨م، منشورات الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة ، ١٩٧٦م).
- إسماعيل قربان حسين.
٩٧- السلطان الخطاب حياته وشعره، منشورات دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٩م).
- الأفغاني، سعيد.
٩٨- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط ٢، منشـورات دار الفكـر، (دمشـق، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).
- الأكوع، إسماعيل بن علي.
٩٩- البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي[1] (تحقيق)، (الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
١٠٠- المدارس الإسلامية في اليمن، طبع دار الفكر، (دمشق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
- الأكوع، محمد بن علي.
١٠١- اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط ١، مط السـعادة، (القـاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
- الآلوسي البغدادي، السيد محمود شكري.
١٠٢- بلوغ الارب في معرفة أحوال العـرب، ج ١، ٣، عنـي بنشـره وتصحيحـه وضبطه: محمد بهجة الاثـري، ط ٣، مطـابع دار الكتـاب العربـي، (القـاهرة، ١٣٤٢هـ).
- الباشا، د. حسن.

[1] استخدمناه في الطبعة الثانية هذه، للعلم والإطلاع (مرجع مضاف).

١٠٣- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ١ - ٣، مط لجنة البيان العربي، منشورات دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٦٥ - ١٩٦٦م).
- بامطرف، محمد عبدالقادر.
١٠٤- الشهداء السبعة، مط الجمهورية، منشورات دار الحرية، (بغداد، ١٩٧٤م).
١٠٥- في سبيل الحكم، مط الجمهورية، منشورات دار الحرية، (بغداد، ١٩٧٤م).
- باوزير، سعيد عوض بن طاهر.
١٠٦- صفحات من التاريخ الحضرمي، مط السلفية، (القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م).
١٠٧- معالم تاريخ الجزيرة العربية، منشورات مؤسسة الصبان وشركاه، ط ٢، (عدن، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م).
- البطريق، د. عبدالحميد.
١٠٨- من تاريخ اليمن الحديث، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، (القاهرة، ١٩٦٩م).
- البكري، صلاح عبدالقادر.
١٠٩- تاريخ حضرموت السياسي، ج ١، ط ٢، مط عيسى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م)، ج ٢، ط١، مط عيسى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م).
- ترسيسي، د. عدنان.
١١٠- اليمن وحضارة العرب مع دراسة جغرافية كاملة، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د. ت).
- الثور، عبدالله أحمد محمد.
١١١- هذه هي اليمن، مط المدني، (القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).
- الجرافي، القاضي عبدالله بن عبدالكريم.
١١٢- المقتطف من تاريخ اليمن، مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، (القاهرة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م).
- جواد علي (الدكتور).
١١٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ٧، ط ١، منشورات دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٦٨، ١٩٧١م).
- الحامد، صالح بن علي.
١١٤- تاريخ حضرموت، ج ١ - ٢، (بيروت، ١٩٦٨م).
- الحبشي، د. محمد عمر.
١١٥- اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ ١٩٣٧ وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، ترجمة: د. الياس فرح ود. خليل أحمد خليل، ط ١، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٦٨م).
- الحجري، محمد بن أحمد.

١١٦- خلاصة من تاريخ اليمن قديماً وحديثاً، أشرف على طبعه وتصحيحه: يحيى أحمد زبارة، مط الأنوار، (القاهرة، ١٣٦٣هـ).
- الحداد، محمد يحيى.
١١٧- تاريخ اليمن السياسي، ط ٣، دار الهنا للطباعة، (القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).
- الحديثي، د. نزار عبداللطيف.
١١٨- أهل اليمن في صدر الإسلام، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، د. ت).
- حسن، د. حسن إبراهيم.
١١٩- تاريخ الدولة الفاطمية، ط ٢، (القاهرة، ١٩٥٨م).
١٢٠- الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، مط الأميرية، (القاهرة، ١٩٣٢م).
- حسين، د. محمد كامل.
١٢١- في أدب مصر الفاطمية، منشورات دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م).
- حوراني، جورج فضلو.
١٢٢- العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة: د. السيد يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب العربي، منشورات مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٥٨م).
- دوزي، رينهارت.
١٢٣- تكملة المعاجم العربية، ج ١، نقله إلى العربية وعلق عليه: د.محمد سليم النعيمي، دار الحرية للطباعة. (بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
- رياض، د. زاهر.
١٢٤- تاريخ اثيوبيا، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٦٦م).
- الريحاني، أمين.
١٢٥- ملوك العرب رحلة في البلاد العربية، ج ١، ط ٢، مط العلمية، (بيروت، ١٩٢٩م).
- زامباور، أدوارد فون.
١٢٦- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: د. زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، مط جامعة فؤاد الأول، (القاهرة، ١٩٥١م).
- زبارة، محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني.
١٢٧- أئمة اليمن، ج ١، مط النصر، (تعز، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥١م).
- السامر، د. فيصل.
١٢٨- الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، ط ١، (بغداد، ١٩٧٧م).

- سرهنك، الميرالاي إسماعيل.
١٢٩- حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، ط ١، مط الأميرية، (بولاق، ١٣١٢هـ).
- سعداوي. د. نظير حسان.
١٣٠- التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، مط لجنة البيان العربي، منشورات مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).
- السقاف، السيد عبدالله بن محمد بن حامد.
١٣١- تاريخ الشعراء الحضرميين، ج ١، مط حجازي، (القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م).
- سيد، أيمن فؤاد.
١٣٢- مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة، ١٩٧٤م).
- الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر.
١٣٣- أدوار التاريخ الحضرمي، ج ١، مطابع دار الكتاب، (بيروت، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م).
- شرف الدين، أحمد حسين.
١٣٤- تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، مط الكيلاني، (القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
١٣٥- اليمن عبر التاريخ، ط ٢، مط السنة المحمدية، (القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
- الشماحي، القاضي عبدالله بن عبدالوهاب المجاهد.
١٣٦- اليمن الإنسان والحضارة، دار الهنا للطباعة، (القاهرة، ١٩٧٢م).
- عبدالباقي، محمد فؤاد.
١٣٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مط دار الكتب، (القاهرة، ١٣٦٤هـ).
- عبدالعليم، د. أنور.
١٣٨- إبن ماجد الملاح، (سلسلة أعلام العرب ٦٣)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦٧م).
- العبدلي، الأمير أحمد فضل بن علي محسن.
١٣٩- هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط ١، مط السلفية، (القاهرة، ١٣٥١هـ).
- العبيدي، إبراهيم خلف.
١٤٠- الحركة الوطنية في الجنوب اليمني المحتل، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب/ قسم التاريخ، (بغداد، ١٩٧٩م).
- العرشي، القاضي حسين بن أحمد.
١٤١- بلوغ المرام، في شرح مسك الختام في من تولى مُلك اليمن من مَلكٍ وإمام، عني بنشره الأب انستاس ماري الكرملي ، مط البرتيري، (القاهرة، ١٩٣٩م).

- العقيلي، محمد بن أحمد عيسى.
١٤٢- من تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، ج١ ق١، (الرياض، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).
ج٢، مطابع دار الكتاب العربي، (القاهرة، د . ت).
- فتوني، موسى (إخراج وتنفيذ).
١٤٣- جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في الذكرى العاشرة للاستقلال، إعداد وإصدار الدائرة الإعلامية - سكرتارية مجلس الوزراء، (عدن، ١٩٧٧م).
- فخري، د. أحمد.
١٤٤- اليمن ماضيها وحاضرها، منشورات معهد الدراسات العربية العالية، مط الرسالة، (القاهرة، ١٩٥٧م).
- كحالة، عمر رضا.
١٤٥- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج١، ط٢، مط الهاشمية، (دمشق، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م).
١٤٦- جغرافية شبه جزيرة العرب، الناشر: فؤاد هاشم الكتبي، مط الهاشمية،(دمشق، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م).
١٤٧- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج ٢، مط الهاشمية، (دمشق، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م).
- لجنة الجغرافية العدنية.
١٤٨- جغرافية عدن وبلاد العرب، مط النيل، (القاهرة، ١٩٣٢م).
- لقمان، حمزة علي إبراهيم.
١٤٩- تاريخ الجزر اليمنية، مط يوسف وفيليب الجميل، (بيروت، ١٩٧٢م).
١٥٠- تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، (القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).
١٥١- معارك حاسمة من تاريخ اليمن، ط ١، منشورات مركز الدراسات اليمنية، (صنعاء، ١٩٧٨م).
- ماجد، د. عبدالمنعم.
١٥٢- ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، منشورات دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٨م).
- ماهر، د. سعاد.
١٥٣- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦٧م).
- مجهول المؤلف.
١٥٤- قلائد الجمن في ملوك عدن وصنعاء اليمن، طبع حجر، (كلكتا، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).

١٥٥- مستعمرة عدن وجاراتها (تقرير مطبوع بالإستنسل)، مجهول مكان الطبع، ينـاير ١٩٤٩م.
- محمد حسن (المقدم عضو البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن).
١٥٦- قلب اليمن، ط ١، مط المعارف، (بغداد، ١٩٤٧م).
- محمود، د. حسن سليمان.
١٥٧- تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، ساعد المجمع العلمي العراقي علـى طبعهِ، (بغداد، ١٩٦٩م).
- محمود كامل المحامي.
١٥٨- اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية، دار بـيروت للطباعـة والنشـر، (بيروت، ١٩٦٨م).
- المصري، د. ذو النون.
١٥٩- عمارة اليمني، منشورات مكتبة النهضـة المصريـة، (القـاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م).
- المؤسسة العامة للسياحة.
١٦٠- السياحة في اليمن الديمقراطية، (عدن، ١٩٧٦م).
- نصار، د. حسين.
١٦١- معجم آيات القرآن، ط ١، (القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).
- الهمداني، حسين بن فيض الله اليعبري الحرازي بالاشتراك مع د. حسـن سـليمان محمود الجهني.
١٦٢- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (مـن سـنة ٢٦٨ - ٦٢٦هـ)، مـط الرسالة، منشورات مكتبة مصر، (القاهرة، ١٩٥٥م).
- هنتس، فالتر.
١٦٣- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: د. كـامل العسلي، مط القوات المسلحة الأردنية، (عمان، ١٩٧٠م).
- الواسعي، الشيخ عبدالواسع بن يحيى اليماني.
١٦٤- تاريخ اليمن المسمى: فرجة الهموم والحَزَن في حوادث وتـاريخ اليمـن، مـط السلفية، (القاهرة، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م).
- الويسي، حسين بن علي.
١٦٥- اليمن الكبرى، مط النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٦٢م).
- يعقوب، عادل إبراهيم (المترجم).
١٦٦- التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط (دراسات مختارة مـن بحـوث المؤتمـر الاقتصادي المنعقد في لندن بين ٤ - ٦ تموز عام ١٩٦٧م)، دار الحرية للطباعـة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد، ١٩٨٠م).

٤- الدوريات:

- أباظة، د. فاروق عثمان.

١٦٧- التدخل الأجنبي في اليمن في نهاية عهد حضارته القديمة، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع ١٦، (الكويت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

- إبن شعيل، عبدالرحمن.

١٦٨- عمارة اليمني عند المؤرخين، العرب، ج ٢، س٣، (الرياض، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

- أيوب، محمد السيد (المهندس).

١٦٩- جوانب من الاقتصاد اليمني، المحاضرات العامة للجمعية الجغرافية المصرية، القاهرة، الموسم الثقافي، ١٩٦٣م.

- الحبشي، عبدالله محمد.

١٧٠- جوانب من الحياة الاقتصادية في التاريخ اليمني، الكلمة، ع ٥١ - ٥٢، (صنعاء، ١٩٧٩م).

- دراج، د. أحمد.

١٧١- عيذاب من الثغور العربية المندثرة، المؤرخ العربي، ع ٧، (بغداد، د. ت).

- الشامي، د. فضيلة عبد الأمير.

١٧٢- أروى امرأة تتولى الحكم في اليمن، المورد، مج ٨، ع ٣، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

١٧٣- إمارة آل زريع بعدن، مجلة كلية الآداب، ع ٢٦، (بغداد، ١٩٧٩م).

- الشيال، جمال الدين (الأستاذ).

١٧٤- العلاقات بين مصر واليمن في العصر الفاطمي، الكتاب، مج٥، ج٤، س٣، (القاهرة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م).

- زبال، سليم.

١٧٥- عدن مدينة مبنية في فوهة البركان (استطلاع مصور)، العربي، ع ٦٨، (الكويت، ١٩٦٤م).

- صالح، د. محمد أمين.

١٧٦- بنو معن ثم آل زريع في عدن، المؤرخ العربي، ع ١٥، (بغداد، ١٩٨٠م).

- غانم، د. محمد عبده.

١٧٧- نصيب اليمن من الشعر العربي الوسيط، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، ع ١، (صنعاء، ١٣٩٨ - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٧ - ١٩٧٨م).

- القوصي، د. عطية.

١٧٨- سيراف وكيش (قيس) وعدن من القرن الثالث الهجري حتى السادس، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٣، (القاهرة، ١٩٧٦م).

- كامل مراد (الدكتور).
١٧٩- الحبشة بين القديم والحديث، المحاضرات العامة للجمعية الجغرافيـــة المصريـــة، الموسم الثقافي ١٩٥٩م، مط الكمالية، (القاهرة، ١٩٥٩م).
- لبيب، د. صبحي.
١٨٠- التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج ٤، ع ٢، (القاهرة، ١٩٥٢م).
- ناجي، سلطان (الأستاذ).
١٨١- تاريخ اليمن الإسلامية، (عصور الدويلات الإسلامية)، الحكمة، العدد ٢٣، السـنة ٣، (عدن، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).
١٨٢- الحقوق الاجتماعية والسياسية للمرأة في المجتمع اليمني، المؤرخ العربي ع ١٤، (بغداد، ١٩٨٠م).
١٨٣- عدن تحت الحكم البريطاني،تأليف البروفسور آر. جي. جافين (عرض)، الكلمـة، ع ٤٦، (صنعاء، ١٩٧٨م).



٥- المراجع الأجنبية:

X. Goitein, S.D.
184-A Mediterranean Society, Vol. 1, (California, 1967).
185-Studies in Islamic History and Institutions, (Leiden Brill, 1966).
X. Schoff, W.H.
186-The periplus of The Erythratan Sea, (London, 1912).
187-The Encyclopaedia of Islam, Vol. 1, (ADAN), By: Oscar Lofgren, New Edition, (Leiden, E. J. Brill & London, Luzac, 1960).
188-The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 19, (Yemen – Adan), By: Mahmud Ali Ghul, 15th edition, (U.S.A, 1974).
X. Zamani.
189-A survey of East African History. Edited by: B. Aoot and J, Akieran – (Longmans of Kenya – 1969).

٦- الدوريات الأجنبية:

X. Bikhazi, Ramzi, J.
190-Coins of Al-Yaman 132 – 569 A.H., Al – Abhath, vol. XXIII, Nos 1 – 4, (Beirut, December 1970).
X.Goitein, S.D.
191-Two Eyewitness Reports of an Expidition of the king of Kish (Qais) against Aden, Bullatin of the school of orientaland African studies, vol. XVI, part II, (London, 1954).
X. Lowick, N.M.
192-Some unpublished Dinars of the Sulayhids and Zuray'ids, The Numismatic chronicle, vol. IV, (London, 1964).

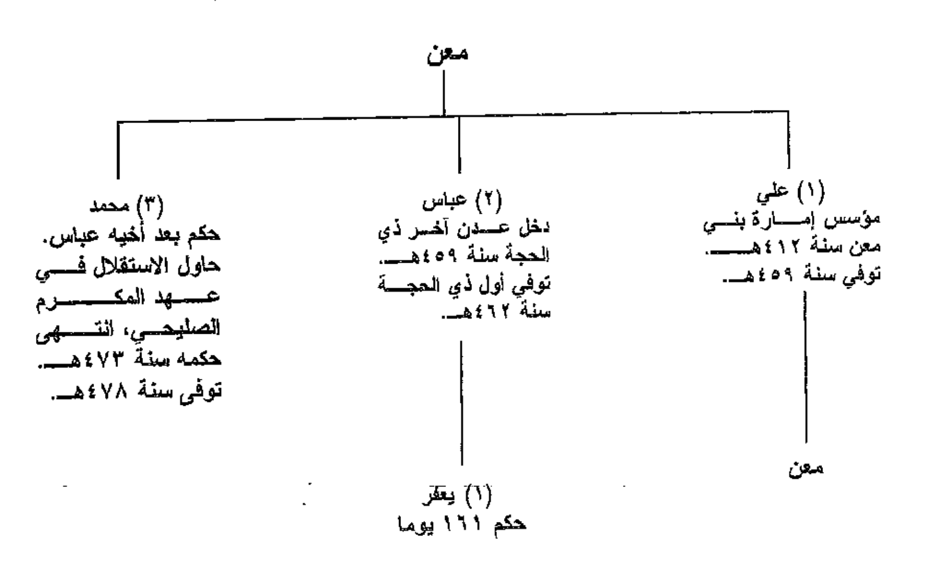
الملاحق


كتب تاريخ وعلوم أخرى
facebook.com/hisy.books

جدول رقم (١)

بنو معن الحميريون في عدن وأعمالها(*)

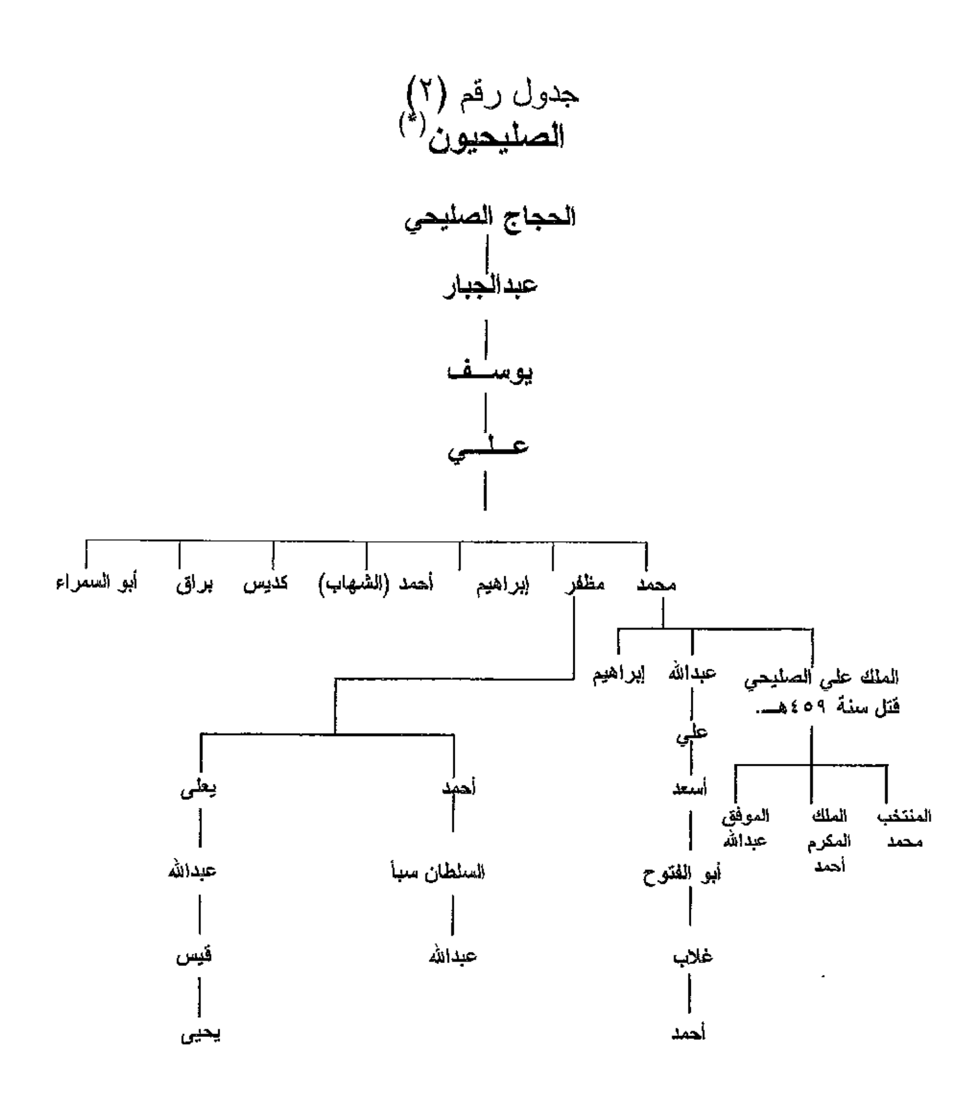
٤١٢ - ٤٧٣هـ/ ١٠٢١ - ١٠٨٠م



(*) روضة الحجوري ورقة ٢٤٤ أ – ب.
يحيى، إنباء الزمن، ورقة ٤٢.
الجرافي، المقتطف، ص ٦٩.
الشماحي، اليمن، ص ١١٥.
الحامد، تاريخ حضرموت، ص٤٠٦.
الحداد، تاريخ اليمن ص ٢١٨.
الاكوع (محقق)، هامش المفيد لعمارة، ص ١٧٢ - ١٧٣.
د. محمد أمين صالح، بنو معن، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

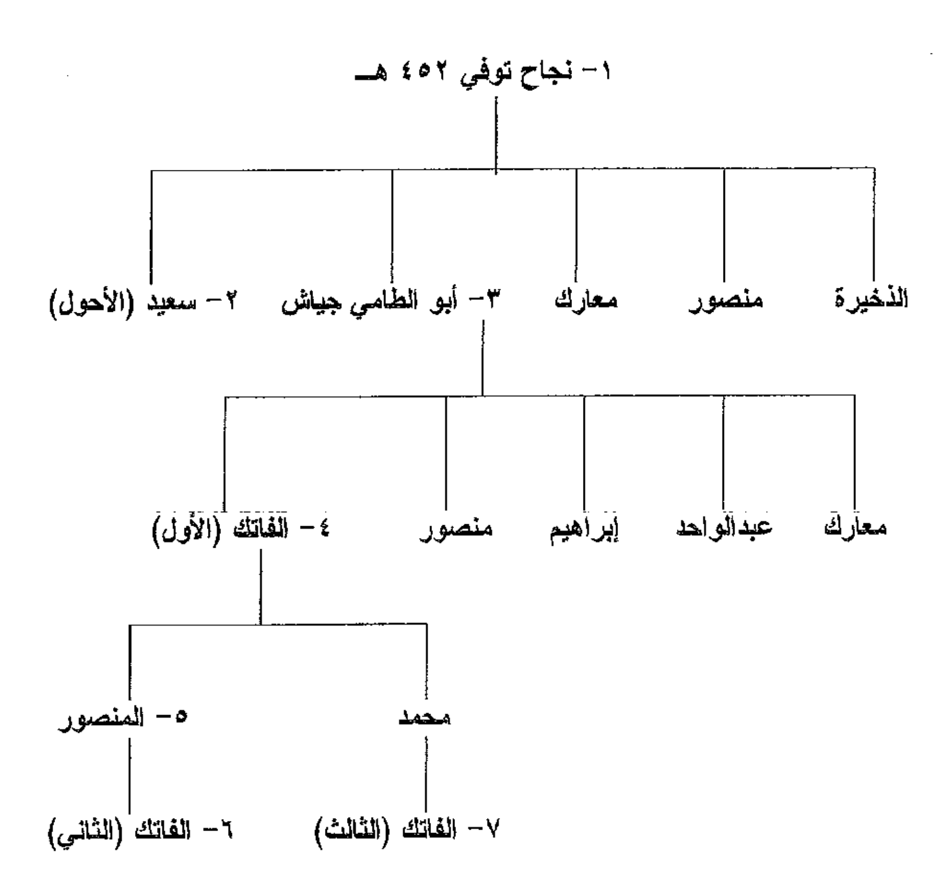
جدول رقم (٢)

الصليحيون(*)



(*) إسماعيل قربان حسين، السلطان الخطاب ص ٣٣٠.
زامباور، معجم الأنساب، ص ١٨٣.
حسن سليمان، تاريخ اليمن، ص ١٧١.

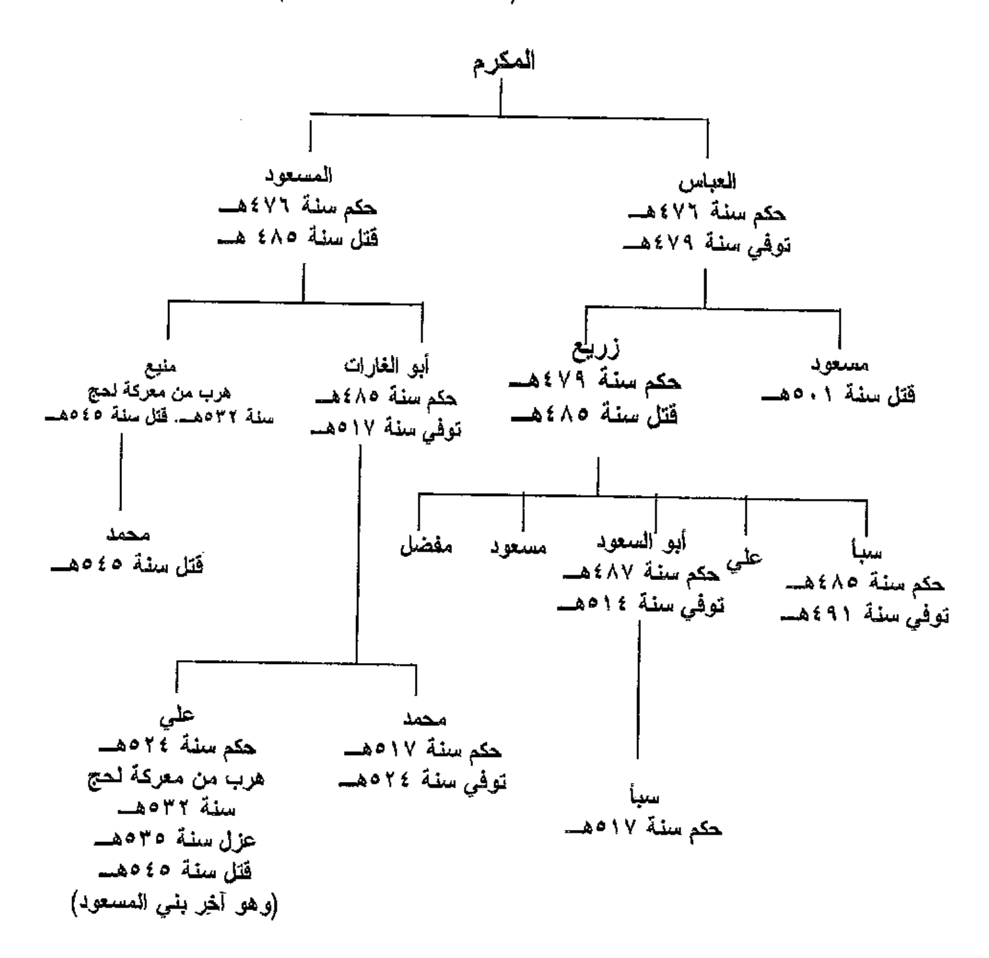
جدول رقم (٣)
بنو نجاح في زبيد(*)
٤١٢ - ٥٥٤هـ/ ١٠٢١ - ١١٥٩م



(*) زامباور، معجم الأنساب، ص ١٨٢.
حسن سليمان، تاريخ اليمن، ص ١٥١.
إسماعيل قربان حسين، السلطان الخطاب (جدول رقم ٥).
حمزة لقمان، تاريخ عدن، ص ٤٦.

جدول رقم (٤)

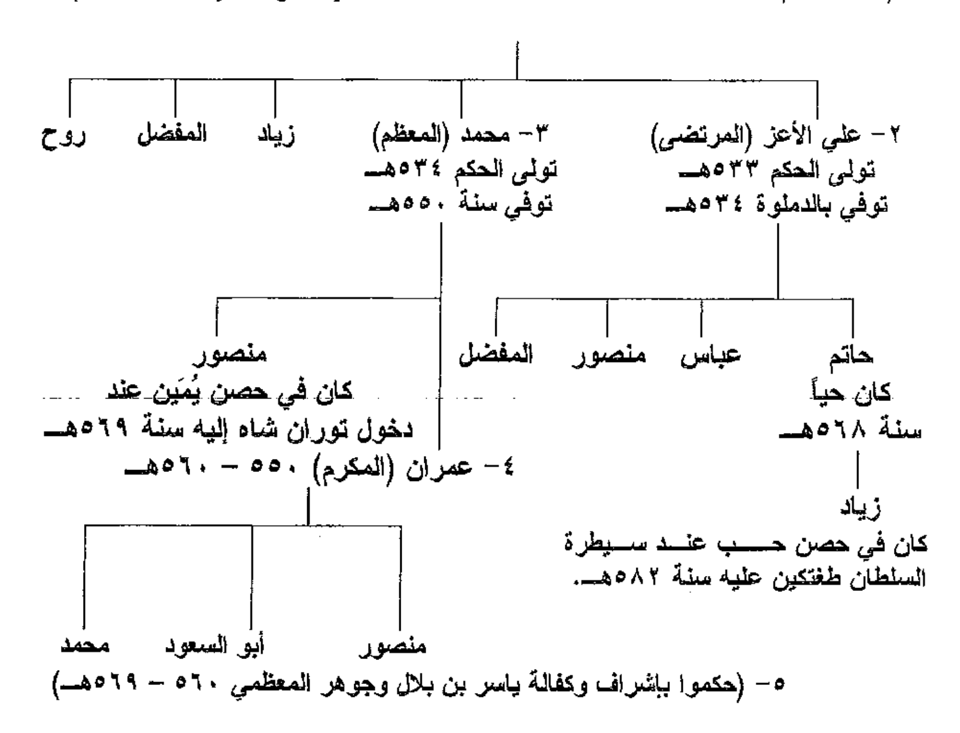
بنو المكرم الجشمي اليامي الهمداني(*)
أمراء عدن وأعمالها
٤٧٦ - ٥٣٢هـ/ ١٠٨٣ - ١١٣٧م



(*) أنظر: المصادر في الجدول رقم (٥).

جدول رقم (٥)

بنو زريع في عدن(*)
٥٣٢ – ٥٦٩هـ/ ١١٣٧ – ١١٧٣م

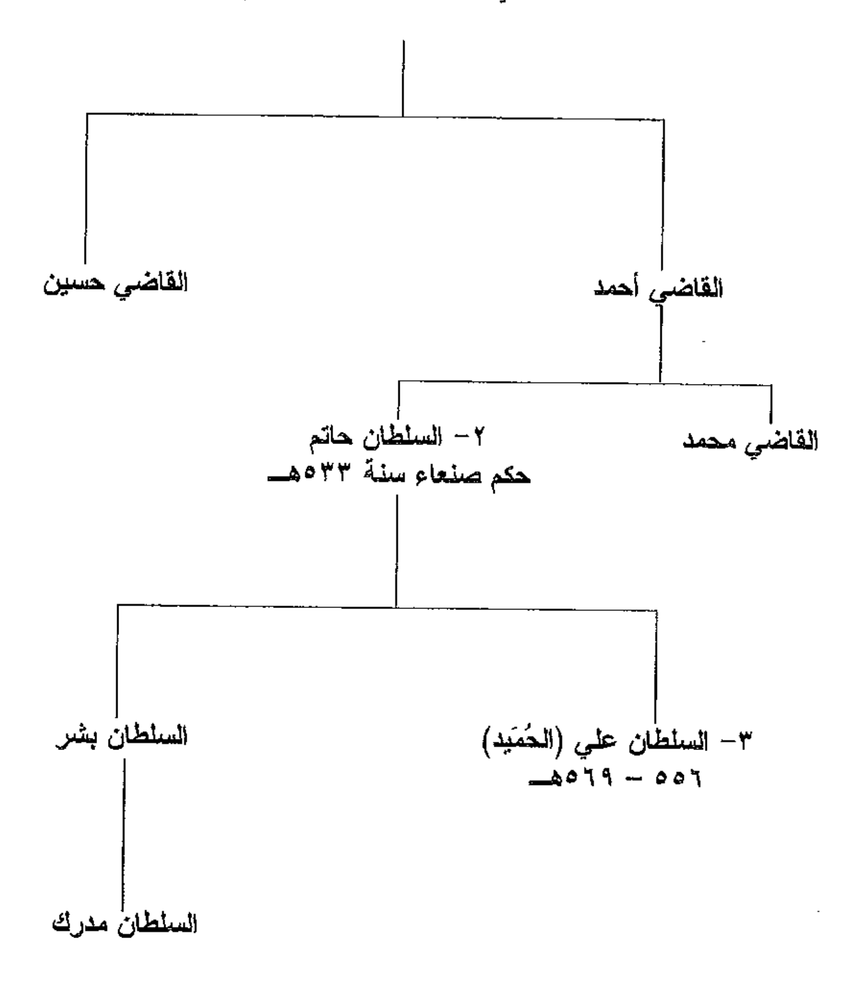


(*) زامباور، معجم الأنساب، ص١٨١.
الهمداني وسليمان، الصليحيون، ص٣٤٥
حسن سليمان، تاريخ اليمن، ص٢٢١
إسماعيل قربان حسين، السلطان الخطاب (جدول رقم ٤)
لقمان، تاريخ عدن ، ص٦١
أيمن فؤاد سيد، مصادر تاريخ اليمن، ص٣٩٠.

جدول رقم (٦)

بنو حاتم سلاطين صنعاء[*]

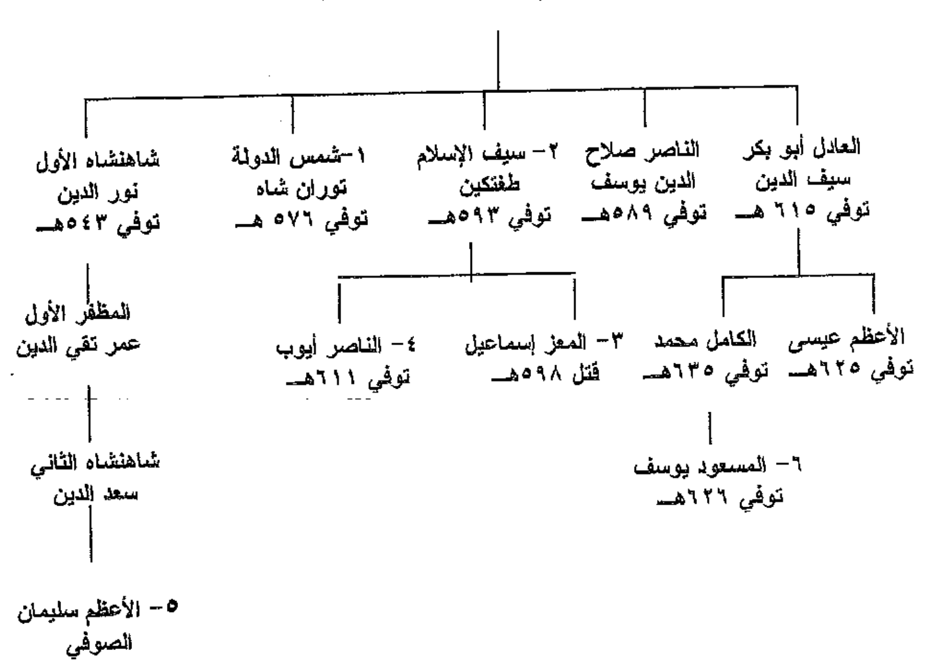
٤٩٣ - ٥٦٩هـ/ ١٠٩٨ - ١١٧٣م



(*) حسن سليمان، تاريخ اليمن، ص ٢٣١.
إسماعيل قربان حسين، السلطان الخطاب (جدول رقم ٣).

جدول رقم (٧)

بنو أيوب في اليمن(*)
٥٦٩ - ٦٢٧هـ / ١١٧٣ - ١٢٢٩م



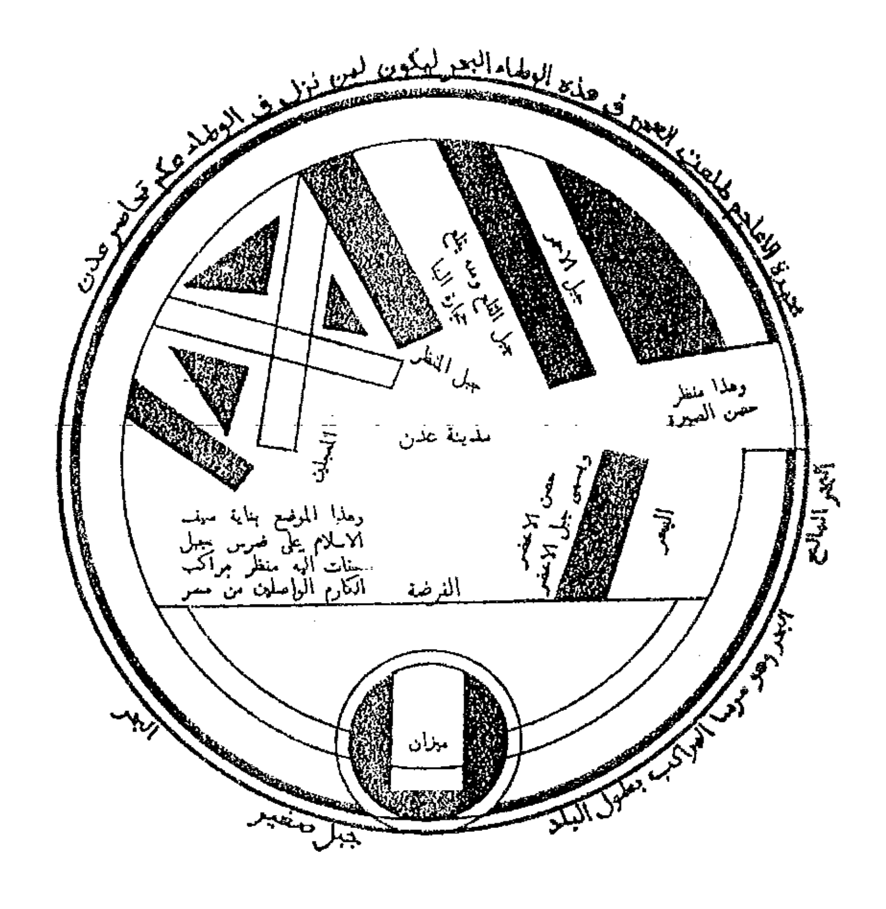
(*) حسن سليمان. تاريخ اليمن ص٢٤٥.

قائمة بعشور التجارة المفروضة على البضائع في ميناء عدن خلال عهدي بني زريع والأيوبيين

المادة	وحدة الوزن والكيل	عشور الميناء بالدينار وأجزائه	عشور الشواني بالدينار وأجزائه	عشور الخروج على الفرضة بالدينار وأجزائه	مجموع العشور بالدينار وأجزائه
الفلفل	البهار	٨	١	٢	١١
الأنكزة (الحلتيت)	=	٨			٨
قشر المحلب	=	٣ ١/٢			٣ ١/٢
الطباشير	=	٢٠ ٢/٣	١		٢١ ٢/٣
الهيل	=	٧			٧
الكتان	=	٧ ١/٢			٧ ١/٢
الفُوّة	=	١٢			١٢
الحَمَر (التمر هندي)	=	٣ جوز (ربع دينار)			٣ جوز
الكافور	القراسلة	٢٥			٢٥
القرنفل	=	١٠	١		١١
الزعفران		٣ ١/٣			٣ ١/٣
العوبلي السندابوري	؟	٨	١	١/٢	٩ ١/٢
النيل	قطعة		٤	ربع؟	٤ ١/٤
الضأن	الرأس الواحد	ربع؟	–	–	١/٤
الرقيق	=	٢	–	١/٢	٢ ١/٢
الحصان	=	٥٠	يفرض الرسم على الحصان إذا دخل البلد		استجد في أيام الناصر أيوب
		٧٠	يفرض الرسم إذا خرج من البلد أي صدر		

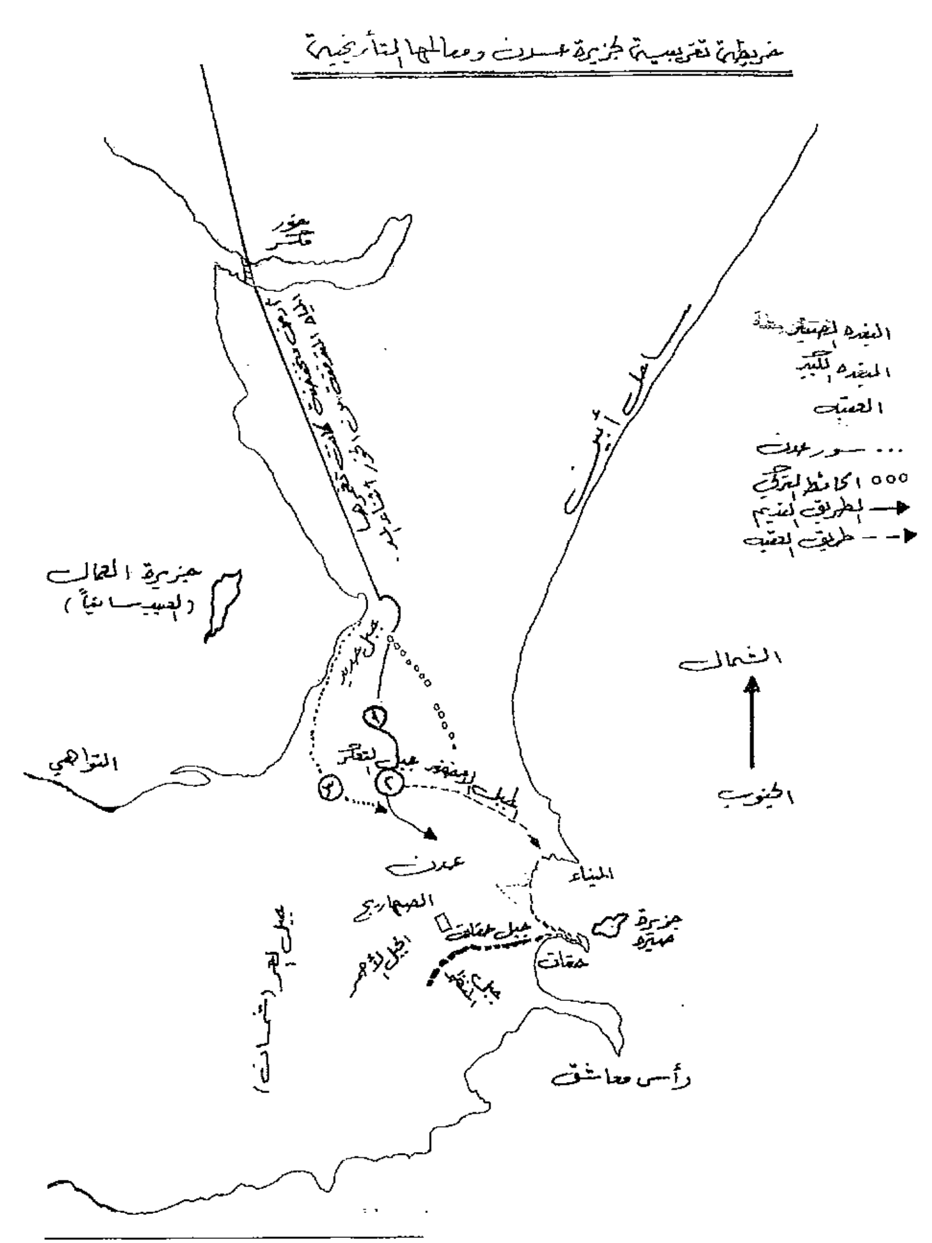
المصادر: ابن المجاور، المستبصر، ص١٤٠ – ١٤١.
العقيلي، المخلاف السليماني، ج ١ ق ١ / ١٩٧ – ١٩٨.
الحبشي، جوانب من الحياة الاقتصادية، الكلمة، ص١٠٩ – ١١٠

وصورة عدن على هذا الوضع والترتيب

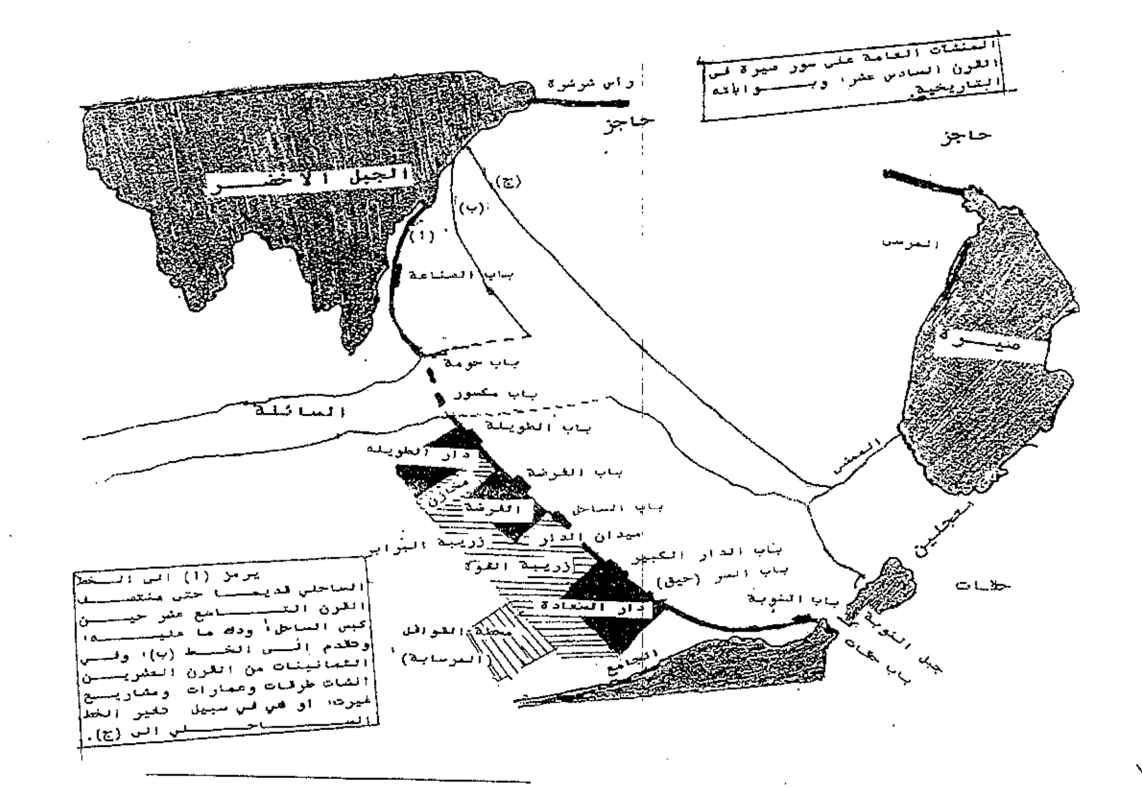


Cf. apparatum criticum AM I, 50 et tabulam phototypicam ibidem paginae 70 oppositam.

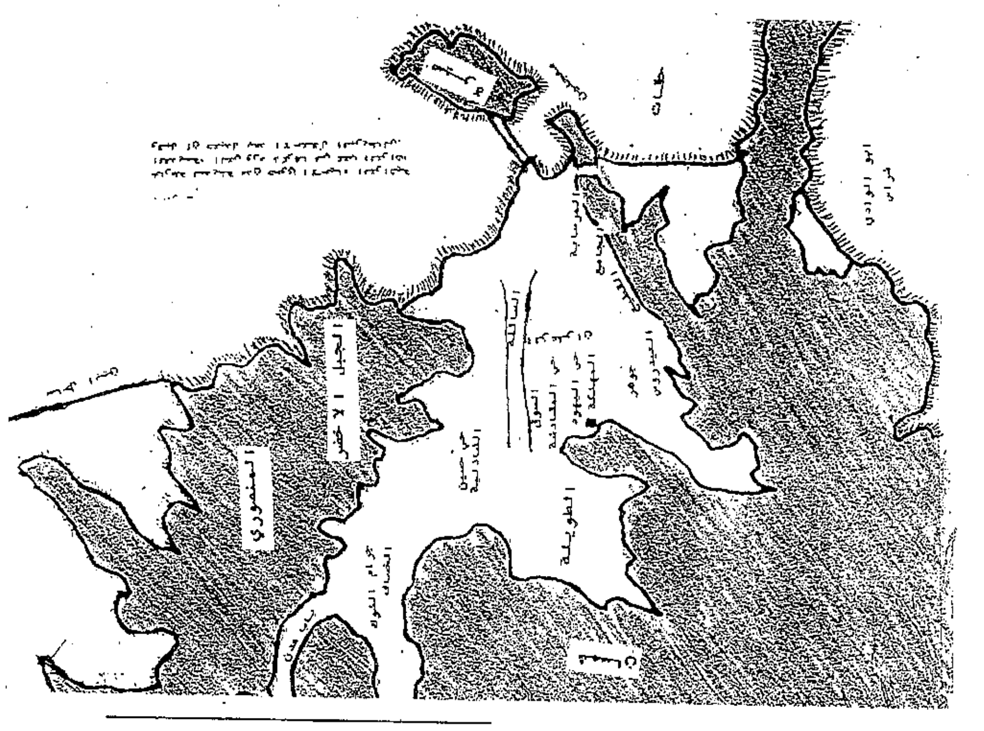
ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص ١٢٩.



حسن صالح شهاب. أضواء على تاريخ اليمن البحري ص٢٣٨.

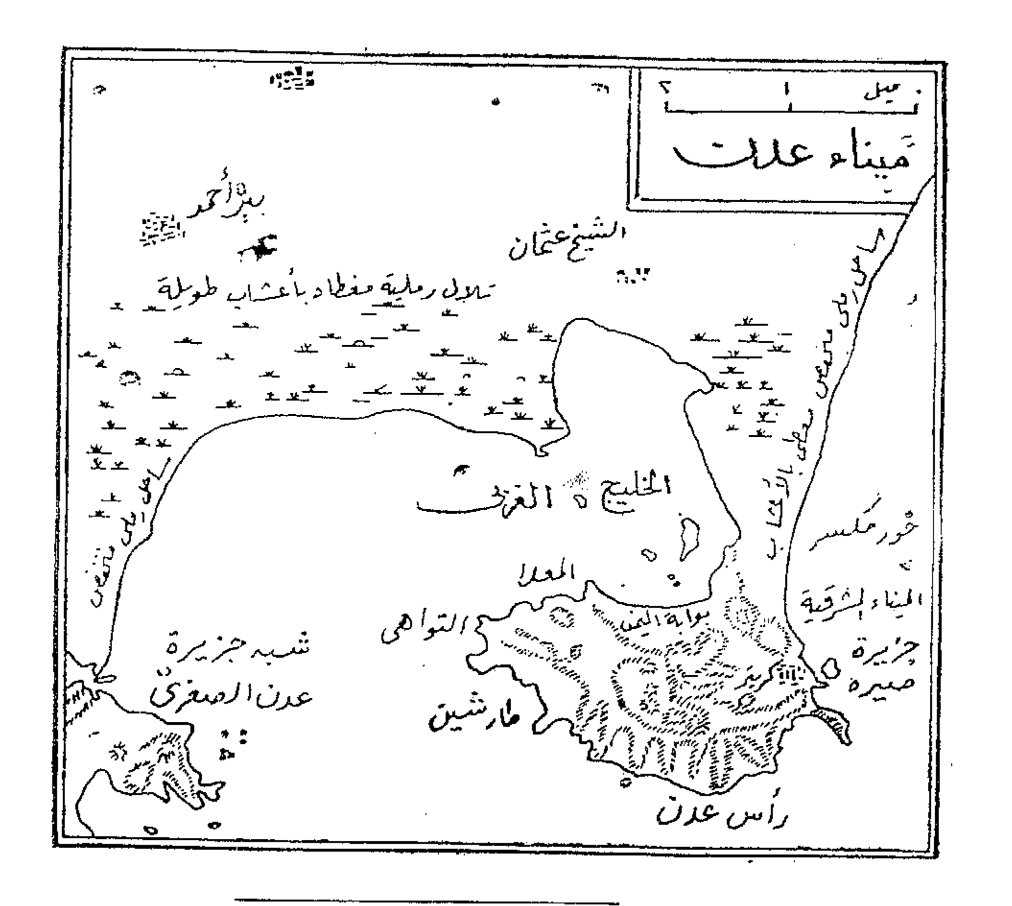


عبدالله أحمد محيرز. صيرة، الطبعة الأولى، (عدن، مايو ١٩٩١م)، ص٩٩.

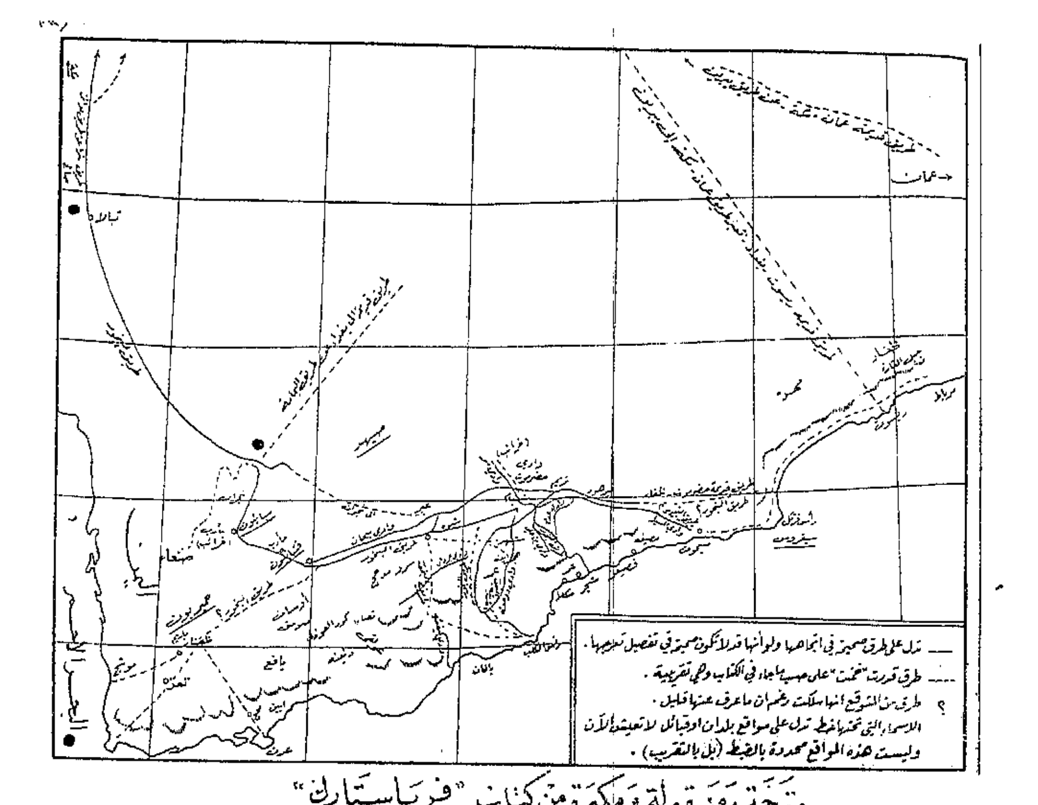


عبدالله أحمد محيرز. صيرة، الطبعة الأولى، (عدن، مايو ١٩٩١م)، ص ١٠٠.

¯عبدالله أحمد محيرز. العقبة، منشورات وزارة الثقافة، (عدن، د.ت)، ص٦٠.



د. فاروق عثمان أباظة. عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٧٦م).



مترجمة ومنقولة ومكبرة من كتاب "فريا ستارك"

- الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر. أدوار التاريخ الحضرمي، ج١، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، (جدة؛ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

المحيط الهندى
وموقع عدن المتوسط بين السويس وبومباى

- د. فاروق عثمان أباظة. عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٧٦م).

النشاط العلمي

للاستاذ الدكتور محمد كريم ابراهيم الشمري

2001 ـ 2003م

أولا : البحوث العلمية المنشورة في جامعة عدن :

1- رحلة مع أشعار: الغربة والحنين إلى الأوطان والتغني بالمنازل والديار والخلان في كـتاب: تاريخ المستبصر لابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام 626 هـ /1228 م.

- مجلـة التواصـل / إصـدار نيابة الدراسات العليا بجامعة عدن ، العدد (8)، عدن، يوليـو 2002م،ص19ـ55.

2- سـك العملـة فـي عـدن /دراسـة في تداولها واستثمارها خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين .

- مجلـة اليمـن/إصـدار مركز البحوث والدراسات اليمنية بجامعة عدن، العدد(16)، عدن، نوفمبر 2002،ص11ـ39
- مجلـة آفـاق اقتصادية / اصدار اتحاد غرف الصناعة والتجارة في دولة الامارات العربية المتحدة ، المجلد (23) ، العدد (92) ، (دبي ، 1423هـ / 2002م) ، ص 83 - 121 .

3- بلغار نهر الفولجا وصلتهم بالإسلام في العصور الوسطى .

- مجلة كلية الآداب /جامعة عدن ،العدد(1)،عدن ،نوفمبر 2002م،ص81 ـ91.

4- نشاة علم الوثائق العربية .

- مجلة التواصل ،العدد(9)،عدن ،يناير 2003 م،ص25ـ37.

5- أسواق اليمن التجارية حتى ظهور الدعوة الإسلامية .

- مجلة اليمن ،العدد(17)،عدن ،مايو2003 م ، ص17ـ82.

6- معمر بن راشد الازدي البصري /دراسة في سيرته ودوره الفكري في اليمن .

- مجلة سبأ، العدد(12)،عدن ،يوليو 2003م، ص 57 -88.

7- من مؤرخي الدولة الرسولية في اليمن :بدر الدين الحسين بن عبد الرحمن الاهدل .

- صـدر ضمن كتاب (المدرسة الياقوتية في عدن...) من منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003م ، ص71-107.

8- أشـــعار الحكـــم والعبر والمواعظ والدروس في كتاب :صفة بلاد اليمن ...(تاريخ المستبصر)لابن المجاور البغدادي النيسابوري (2).

- مجلة التواصل العدد (10) ، عدن ، يوليو 2003م ، ص63 – 89 .

9- الكوفة في مؤلفات العرب والمسلمين حتى أوائل القرن الخامس الهجري .

- مجلة كليات التربية / جامعة عدن ، العدد (5) ، 2003م ، ص 123 – 136.

10- مـــن تـــاريخ العلاقات بين مدينة زبيدفي اليمن وحاضرتي مكة المكرمة والمدينة المنورة (الحرمين الشريفين) في العصور الإسلامية.

- بحث منشور في حولية كلية الآداب /جامعة عدن، العدد(2)،عدن، نوفمبر 2003 م، ص73 – 101.

ثانيا : البحوث العلمية المنشورة خارج جامعة عدن .

1- استقرار قبيلة همدان في الكوفة حتى نهاية العصر الأموي .

- مجلـــة الذخائـــر، العدد(8) –عدد خاص عن الكوفة–(بيروت ،2001م)، ص109– 119.

2- الوثائق والتوثيق في تراثنا العربي – الاسلامي .

- مجلـــة الوثيقة، العدد (43)، مركز الوثائق التاريخية بمملكة البحرين، السنة الثانية والعشرون، (المنامة، ذو القعدة 1423هـ/يناير2003م)،ص 80 –117.

3- ابو موسى الأشعري ودوره في العصر النبوي .

مجلـــة الجـــذوة، العـــدد (2)، إصدار :مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، عدن، مارس 2003 م، ص11ـــ 24.

4- مَنْ مؤلف الجوهر الفريد في تاريخ زبيد ؟

- مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد (41) ، السنة الحادية عشرة ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، (دبي، صفر 1424هـ/ابريل (نيسان) 2003م)، ص 147 – 165.

5- أبو بكر بن احمد العندي /شاعر بني زريع وبني أيوب في عدن .

- مجلة المنارة، إصدار: اتحاد الأدباء والكتاب فرع عدن ، العدد8ـــ9،عدن ،2003م، ص62–87.

6- اثـــر العـــرب الفكري في الجانب الشرقي للخليج العربي حتى أواخر القرن الرابع الهجري.

- مجلـــة الوثـــيقة ، العـــدد (44) ، مركز الوثائق التاريخية بمملكة البحرين ، السنة الثانـــية والعشـــرون ، (المنامة ، جمادى الأولى 1424هـــ / يوليو 2003م)، ص 86 – 129 .

ثالثا : بحوث علمية منجزة مقدمة للنشر :

1- مـــن أولياء الله الصالحين في ثغر عدن المحروس :الحسين بن الصديق بن الحسين الاهدل المتوفى عام 903هـــ / 1497م.

- بحث مقدم للنشر في مجلة التواصل ، العدد (12) ، يوليو 2004م .

2- اســـهامات اهـــل اليمـــن في علم الطب والطب البيطري / دراسة في التراث العلمي العربي.

- بحث مقدم للنشر في مجلة سبأ ، العدد (13) ، يوليو 2004م .

3- مأثور الكلام العربي في كتاب :صفة بلاد اليمن ...(تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري .

- بحث مقدم للنشر في مجلة اليمن ، العدد (20) ، نوفمبر 2004م .

4- الحوار العربي الإسلامي مع شرق أوروبا من خلال رحلة الغرناطي .

- بحـــث مقدم إلى ندوة: حوار الحضارات، جامعة عدن /المنتدى الثقافي، عقدت في جامعة عدن. يوم 2002/12/30م، وستصدر في كتاب عن دار جامعة عدن.

5- مؤلفات الفضائل والمفاخرات عن الكوفة حتى أواسط القرن الخامس الهجري .

- بحث مقدم للنشر إلى حولية جامعة عدن ،العدد(1)،2004م.

6- مجتمع عدن وسكانها خلال عصري بني زريع وبني ايوب.

- بحث مقدم للنشر الى مجلة كليات التربية / جامعة عدن، العدد (6)، 2004م .

7- الحســـين بـــن سلامة النوبي ودوره في تاريخ اليمن الاسلامي 371 - 402 هـــ / 981 - 1012م.

- بحث مقدم للنشر الى مجلة اليمن/ مركز البحوث والدراسات اليمنية - جامعة عدن.

8- الـــدر المنثور عن عدن في الكلام العربي المأثور . بحث مقدم للنشر ضمن كتاب : عدن في الشعر العربي قديمه وحديثه، (عدن،2004م).

رابعا : بحوث قيد الانجاز :

1- مؤلفات أهل اليمن عن الأسر والبيوتات الشهيرة .

2- الفندق في التراث والحضارة العربية الإسلامية.

3- الاستشـــهاد بالآيات القرانية في كتاب :صفة بلاد اليمن ...(تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري .

4- قطر في المصادر اللغوية والجغرافية / دراسة اولية .

5- التاثير العربي الاسلامي على بلاد البلغار من خلال رحلة ابن فضلان عام 309 هـــ / 921م .

6- سد مأرب واهميته في تاريخ اليمن مع دراسة عن سد مأرب الجديد .

7- البحر والبحرين في القرآن الكريم .

8- الاســلام والمسلمون في الصين من خلال رحلة سليمان التاجر السيرافي عام 237 هــ / 851م .

خامسا : الندوات وحلقات النقاش

1- المشاركة ببحث في ندوة :الحياة الفكرية والثقافية في الدولة الرسولية ،جامعة عدن بالتعاون مع مدرسة الفاروق النموذجية ،13ــ2001/10/16م.
2- تقديم محاضرة علمية في قسم التاريخ والآثار/كلية الآداب -جامعة عدن صباح يوم الاثنيــن 2002/1/7م، بعنوان :"مصادر عن تاريخ اليمن منسوبة خطأ إلى مؤلفين آخرين /ثلاثة نماذج لإشكالية علمية منهجية "
3- المشــاركة فــي ورشة العمل التقييمية للدراسات العليا بكلية الآداب /جامعة عدن ، بورقــة عمل في ثلاث صفحات بعنوان :أثر تطور البحث العلمي للدراسات العليا في تنمــية المجــتمع " ،صــباح يــوم الاثنيــن 2002/10/21م. وقد طبعت في ملزمة (حلزون) خاص .
4- المشــاركــة فــي حلقــة الـنقاش التي أقامها مركز البحوث والدراسات اليمنية /جامعة عدن ،عن :"مهد الساميين أعالي اليمن " ، لمؤلفه :الأستاذ أنور محمد خالد ،بصفة مناقش ومعقب ،صباح يوم الأربعاء 2002/10/23م.
5- المشــاركة في ندوة : اليمن في عصر النبوة التي أقامها مركز البحوث والدراسات اليمنــية /جامعة عدن ،صباح يوم الأربعاء 2002/12/18م،ببحث عنوانه :"أسواق اليمن التجارية حتى ظهور الدعوة الاسلامية ".
6- المشــاركة في ندوة الحوار عن : ((التسوق والاستثمار والسياحة في عدن))التي أقامــتها جامعــة عــدن ،صباح يوم الاحد2002/12/22م،في محور :دور عدن في الملاحة والتجارة الدولية .
7- المشــاركة في ندوة :حوار الحضارات التي أقامتها جامعة عدن /المنتدى الثقافي عصر يوم الاثنين 2002/12/30م.

سادسا : أنشطة أخرى في جامعة عدن .

1- تدريــس مســاقات فــي برنامج الدراسات العليا /ماجستير تاريخ في كلية الآداب /جامعة عدن ، وتدريس مساقات في مرحلة البكالوريوس .
2- نشــر عرض وتلخيص كتاب:عدن، دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية، مجلة اليمن، العدد(15)، مايو2002م، ص 127ــ130 .
3- الإشــراف علــى طالبي الماجستير :ناصر منصر احمد وعلي محمد فريد/ماجستير تاريخ إسلامي.
4- عــرض ونقــد كتاب: الأسواق التجارية في شبه الجزيرة العربية ،مجلة سبا، العدد (12)،2003م ، ص 249 – 259 .

5- عضو لجنة المناهج في كلية الآداب /جامعة عدن .
6- سكرتير تحرير مجلة سبأ/جامعة عدن .
7- عضو لجنة جائزة جامعة عدن العلمية للعام 2003 / 2004م .

سابعا : أنشطة علمية وثقافية خارج جامعة عدن .

1- المشاركة في البرنامج الإذاعي :حوار الاسبوع من إذاعة عدن . إعداد وحوار: د.حسين باسلامة ،حول مناهج التاريخ ومشاكل دراسة التاريخ اليمني ،وذلك مساء يوم الأربعاء 2002/1/30م.
2- المشاركة في البرنامج التلفزيوني :عندما يتحدث التاريخ ،في تلفزيون عدن مباشرة مساء يوم الاحد2002/4/14م،بإدارة الاخ/ يحيى عثمان.
3- تقديم بحث في ندوة: الحسين بن الصديق الاهدل، في مسجد حسين الاهدل/عدن، مساء يوم السبت 29/ 6/ 2002 م.
4- المشاركة في البرنامج التلفزيوني عن مهرجان عدن للتسوق والسياحة والاستثمار، وذلك عصر يوم السبت 12/28/ 2002م، بادارة الاخ/يحيى عثمان.

ثامنا : تاليف الكتب :

1- طبع ونشر كتاب :حرب الأيام العشرة/حوادث عدن 13يناير 1986 م ،إعداد وتوثيق، منشورات دار الياقوت ،(عمان ،2002 م)، 408صفحة .
2- موافقة جامعة عدن على طبع ونشر أطروحة الدكتوراه المعنونة : (عدن، دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية 476ـ627هـ /1083ـ1229م)وستصدر ضمن مطبوعات دار جامعة عدن 2004م.
3- موافقة جامعة عدن على طبع ونشر الكتاب المعنون : (زهور السوسن في تاريخ عدن- اليمن)، وسيصدر ضمن مطبوعات دار جامعة عدن 2004م .

أ.د. محمد كريم إبراهيم الشمري
جامعة عدن / كلية الآداب
قسم التاريخ
عدن / كريتر : ص . ب (981)

The conflict gave rise to a two year – war in which Saba'b Abi al – Su'ud b. Zuray was victorions over Ali b. Abi al – Gharat, his cousin.

Since it was ahereditory regime, Muhammad b. Saba' assumed power after the death of his brother Ali b. Saba' during this period, the state flourished in many aspects of life. This family took al-Da'i as its title, emphasizing its political alliance with the Fatimids in Egypt. Then, Beni Zuray were defeated by Turan Shah al-Ayuobi.

During the reign of al-Ayuobids, al-Yaman suffered from a political unrest due to the powers of opposition. Nevertheless, Adan had witnessed a progress in its economic and social institutions made for the general good. al-Ayuobids Sultans were unfair they increased customs, exploited and persecuted people.

A look at Adan as an important port and a great commercial market shows that it has been important since Beni Mukarram and Beni Zuray after them. It was the place where money was coined. Having got an important commercial center, Adan witnessed many attempts aimed at colonizoy it.

The study of the history of al-Yaman is not made without difficulties, because most of the history books are generally concerned with the history of its wars and policy; there are hardly any reference books dealing with ~~its cultural, social and economic aspects, with the exception of~~ some references scattered here and there.

Finally, I hope that my study will illuminate one aspect of the history of this Arab region.

ADAN
A study in its Political and Economic Aspects
476 – 627 A.H. / 1083 – 1229 A.D.

By:
Muhammed Kariem Ibrahemm

ABSTRACT

This study is mainly concerned with Adan, an old Arab port heaving an important strategic position at the south – western side of Arab peninsula. It is now the capital of al – Yaman Democratic Popular Republic.

Adan was considered as an important market before and after Islam; hence, it was much mentioned in Arab Islamic heritage. It was much mentioned in Arab Islamic heritage. It was commercially isolated in the first A bassid era as ships turned their paths from the Red Sea to the Arabian Gulf. But it restored its importance during the reign of the Fatimids in Egypt. Thus, the Red Sea ports in al – Yaman as well as in Egypt greatly flourished.

At the beginning of the 5th century A.H. (A.D. 11th century), Al – Yaman was split into small omarates and states that were Hamdnite and Himyrids. Adan was one of these small independent states, ruled by Beni Ma'an al – Himyris. It was Ali Bin Muhammad al – Sulayhi who united al – Yaman in 455 A.H. (A.D. 1063) for the first time in its history. He made Beni Ma'an continue their sovereignty over al – Yaman, perhaps because they were influential or they had a close relationship with him. But al Yaman unity did not last long, and it was soon to split in 459 A. H, owing to the assassination of al-Sulayhi.

After the dissolution of Beni – Ma'an reign, Beni Mukarram imposed their sovereignity and established an Arab Emerate known by their name in 476 A.H. (A.D. 1083). It was divided into two parts ruled by al – Abbas and Maśud, sons of al – Mukarram. The reasons and effects of this split are referred to in this dissertation.

Many attempts were made to get independence from al – Sulayhid state during the reign of Beni al – Mukarram, which were successful after the death of al – Mukarram Ahmed Bin Ali al – Sulayhi, The conflict among the cousins of Beni al – Mukarram was a distinctive feature of this family. The conflict gave rise to a two year – war in which Saba'b Abi al – Su'ud b. Zuray was victorions over Ali b. Abi al – Gharat, his coúsin.





ADAN

A study in its Political and Economic Aspects
476 – 627 A.H. / 1083 – 1229 A.D.

By:
Muhammed Kariem Ibrahemm

A THESIS

Submitted to College of Arts – Baghdad University. In Partial Fulfillment of the requirements for the degree of Dectora in Islamic History

April, 1981

عدن

دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦-٦٢٦هـ/١٠٨٣-١٢٢٩

الأستاذ الدكتور محمد كريم ابراهيم الشمري

أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعات : البصرة المستنصرية/ عمر المختار/ درنة/ عدن.

- ولد في العراق لواء الحلة (بابل)، ناحية المدحتية ١٩٤٧م.
- دخل جامعة بغداد/كلية التربية-قسم التاريخ في العام الجامعي ١٩٦٥/١٩٦٦م.
- تخرج من جامعة بغداد في ٣٠/٦/١٩٦٩م.
- التحق بدراسة الماجستير في ٦/١٠/١٩٧٣م في جامعة بغداد/كلية الآداب- قسم التاريخ.
- التحق بدراسة الدكتوراه في ١٢/٣/١٩٧٧م جامعة بغداد/ كلية الآداب-قسم التاريخ.
- التحق بالعمل الأكاديمي الجامعي في جامعة البصرة/ كلية الآداب- قسم التاريخ ومركز دراسات الخليج العربي في ٦/١٢/١٩٨٣م.
- التحق بالعمل في جامعة عدن/كلية الآداب- قسم التاريخ في ١٥/٩/٢٠٠١م.
- شارك في عدة ندوات ومؤتمرات علمية وورش عمل في جامعة عدن.
- نشر العديد من البحوث العلمية في مجلات: الخليج العربي / جامعة البصرة، المؤرخ العربي، مجلة كلية التربية / الجامعة المستنصرية، الوثيقة، آفاق اقتصادية، الذخائر، آفاق الثقافة والتراث/مركز جمعة الماجد .
- نشر العديد من البحوث في المجلات اليمنية: سبأ، دراسات يمنية، التراث، التواصل، اليمن، مجلة كلية الآداب، مجلة كليات التربية، الجذوة، المنارة.
- له عدة مؤلفات عن تاريخ اليمن الإسلامي والمعاصر.
- متزوج وله ولد وبنتان.